وزارة الثقافة
الهيئة العامة السورية للكتاب

الهيئة العامة السورية للكتاب
The Syrian General Organization of Books

شعر الأطفال في الوطن العربي

(دراسة تاريخية نقدية)

بيان الصفدي

بيـان الصفـدي

- ولد عام ١٩٥٦ سورية.
- عمل في دار ثقافة الأطفال ، بغداد.
- رئيساً للقسم الثقافي في جريدة (الثوري) اليمن.
- رئيساً لتحرير مجلة (أسامة) دمشق.
- له أعمال منشورة في مجلات وصحف عربية عديدة، وأعمال مسموعة ومرئية للأطفال في أكثر من بلد عربي.

❖ **من أعماله المنشورة:**

- للكبار (ما لا يعود) ، (جنة صغيرة) وزارة الثقافة دمشق.
- (بطاقات محبة) دار ثقافة الأطفال. بغداد.
- (التفكير بالمقلوب) اتحاد الكتاب العرب. دمشق.
- (مصباح علاء الدين) وزارة الثقافة - دمشق.
- (مغامرات مرجان ومرجانه) دار الحدائق - بيروت.
- كتب مسرحيتين للأطفال (المدرسة العجيبة) و(الخروف الصغير) إخراج: عزي الوهّاب. بغداد.
- لحّن من كلماته للأطفال: حسين قدوري - حسين نازك - سهيل عرفة.

شعر الأطفال في الوطن العربي

(دراسة تاريخية نقدية)

إهـــــداء ٢٠٠٩
وزارة الثقافة - الهيئة العامة السورية للكتاب
الجمهورية العربية السورية

بيان الصفدي

شعر الأطفال في الوطن العربي

(دراسة تاريخية نقدية)

منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب

وزارة الثقافة — دمشق ٢٠٠٨

شعر الأطفال في الوطن العربي : دراسة تاريخية نقدية/بيان الصفدي.- دمشق : الهيئة العامة السورية للكتاب، ٢٠٠٧.- ٦٤٠ ص؛ ٢٤ سم.

١- ٨٠٨,٠٦ ص ف د ش ٢- ٨١١,٩٠٠٩ ش ف د ش
٣- العنوان ٤- الصفدي

مكتبة الأسد

الإهداء

إلى زكريا تامر.. وفاء للتشجيع الأول.

وإلى زملائي في دار ثقافة الأطفال في بغداد

وفاء لرحلتي الأولى معهم على هذا الطريق.

مُقَدِّمَة

ليس غريباً أن تكون الدراسات الخاصة بأدب الأطفال نادرة، فبعد قرنين من محاولات النهوض العربي لم نُجب كما يلزم عن محاولات النهوض الكبرى، حيث يشكل التعليم - والطفل منطلقه - الأساسَ الأول له.

فالطريق وعرة مليئة بالأثقال والحواجز، على الرغم من أعداد المتعلمين التي لم نستطع أن نعلمها آليات التفكير المبدع الحر، ونضعها في خدمة المجتمع.

منذ أن ارتبطتُ بالكتابة للأطفال، وتحديداً في عام ١٩٧٦ وأنا أعاني مع المهتمين مثلي من أن ثقافةالطفل مهمَّشة.. في البيت والمدرسة والمؤسسات الرسمية والخاصة، فالاحتفالية هي طابَع الاهتمام، لا العمل المنظم المخطط المدعوم مادياً ومعنوياً. حتى نقاط الضوء سرعان ما تختفي، فقد اختفت مجلة "سندباد" المصرية، وتراجعت أحلام "دار ثقافة الأطفال" في بغداد، وتعثَّرت مجلة "أسامة" الرائدة في سورية في رحلتها كثيراً، وتوقفت دور نشر ومجلات وسلاسل للأطفال، فما يصدر للطفل من كتب عندنا قد لا يكفي قرية صغيرة في بلد متقدم، مع ذلك فهناك قلة ما زالت تحفر الصخر في هذا الطريق، عازمة على التمسك بهذا الأمل.. الطفل على الرغم من كل هذا.

كانت صلتي بشعر الأطفال وطيدة منذ البداية كتابة ونقداً وعملاً، ورحت أتتبع خيوط هذا اللون الشعري الطارئ.. منذ كانت إرهاصاً على شكل ترقيص قديم، ومحاولات قَصٍّ، حتى استوى دعوة ناهضة على يد الطهطاوي ومن جاء بعده.

وبدا لي أن تجربة شعر الأطفال العربي قد تطورت وتوسعت، وكثر المشاركون فيها، وصارت بحاجة إلى دراسة تاريخية ونقدية تلقي الأضواء المطلوبة عليها، وكانت لي بدايات متعددة في هذا الجهد، فبدأت بدراسة عن" فنون الكتابة الأدبية للأطفال" عام١٩٧٧ ثم "قصيدة الطفل" عام ١٩٧٩ ثم "شعر الأطفال ونماذج من سورية" عام ١٩٨٨ إضافة إلى عشرات المقالات التي تتابع ما نشر في شعر الأطفال. ومع صعوبة الوصول إلى المصادر، وندرة الصُّوى في الطريق، فقد كانت بداية متواضعة قليلة الزاد.. ومع هذا فقد ظللت في شغل دائم أجمع وأسمع وأراسل، حتى أصل إلى ما أستطيع حول موضوع هذه الدراسة، وها أنا قد شعرت بأنها قد وصلت إلى حد مقبول علمياً، بعد مسح شامل لأكثر المصادر الموصلة إلى الهدف، وإن كان سيبقى المزيد للإضافة والتصحيح.

ومن دواعي فرحي أن أسدّ ثغرة كبيرة فيما يتعلق بالتجربة السورية، من خلال إطلاق التجارب المنسية إلى دائرة الضوء.

ومما زاد من هذا الفرح عثوري على نص نادر، أو كتاب منسي تماماً، كما حصل مع الشاعرة السورية جسماني شقرا التي نشرت ديواناً للأطفال هو "روضة الأطفال" عام ١٩٣٢.

والدراسات الحقيقية التي تناولت شعر الأطفال العربي تكاد تُعَدُّ على أصابع اليد الواحدة، وما نُشر من مقالات في غالبيته لا يحمل معلومة ذات بال في هذا الموضوع، فلكل من حاول دراسة شعر الأطفال العرفان والشكر، ولكن ذلك لن يمنعنا من تقويم ما قدموا، وتقييم ما وصلوا إليه من معلومات ونتائج.

وبنظرة سريعة يرى القارئ أن تجربة شعر الأطفال قد تركزت في مصر وبلاد الشام والعراق منذ القرن التاسع عشر تبعاً للنهوض العام - والتعليمي منه - في تلك الأقطار العربية.

ومع بدايات القرن العشرين تقدمت التجارب وغزر العطاء، وظهرت شرارة هنا أو هناك في مغرب الوطن العربي أو مشرقه، ولكن شعر الأطفال ما زال متركزاً في هذه البقاع، وأملنا أن تعمّ التجارب الناضجة كل بلد عربي.

إن التعب المبذول في هذا الكتاب، ومراجعة عشرات الكتب للخروج بنصوص قليلة، والصبر على ندرة الكتب التي احتجت إليها، كل ذلك يهون عندما يشعر المرء أنه قدّم جهداً يكشف عن إبداع المربين والشعراء في سورية والوطن العربي، حيث قدموا ولم ينتظروا سوى رؤية طفل يتغنى بما كتبوا.

وتأتي هذه الدراسة خاتمة تاريخية نقدية تتوّج "ديوان شعر الأطفال العربي" الذي تبنّته لنا وزارة الثقافة السورية بأجزائه الأربعة.

وأول وآخر من أودّ شكرهم هم أولئك الذين سيهدون إليّ عيوبي، فبهذا تتم الفائدة بما قدمت.

بيان الصفدي

دمشق ١/١/ ٢٠٠٣

﴿ المال والبنون زينة الحياة الدنيا ﴾

الكهف – ٤٦

« الولد ريحانة من الجنة »

حديث شريف

وإنمــــا أولادُنـــا بيننــــا   أكبادُنـــا تمــشي علـــى الأرضِ

حِطّان بن المعلى

أهكــــذا كـــلُّ ولــــدْ   أم لــــم يلـــدْ مثلـــي أحـــدْ؟

أعرابية

لا تزدرُنَّ صغاراً فــي ملاعــبهمْ   فجائز أن يُــروا ســاداتِ أقــوام

وأكرِموا الطفلَ عن نُكْرٍ يُقال لــهُ   فإنْ يعشْ يُدْعَ كهلاً بعــد أعــوام

أبو العلاء المعري

الباب الأول

إطلالة تاريخية

الفصل الأول

شعر ترقيص الأطفال عند العرب

يستطيع الباحث أن يأتي بشواهد مغرقة في القدم قد تفسَّر على أنها نصوص كتبت للطفل، سواء من التراث السوري القديم أو الفرعوني، ولكني أعتقد أن الأمر لا يعدو أن يكون حماسة مبالغاً فيها.

فالعناية بالطفل كانت محدودة، وحياة الناس في القديم لم تولِ الطفولة ما تستحقها من عناية ورعاية، بل إن العالم كله لم يعرف الاهتمام المطلوب بها إلا في العصر الحديث، انطلاقاً من الفكر الجديد والتطور النوعي الذي لحق بالمجتمعات البشرية ثقافة وتعليماً.

كما أنه لا يمكن لأحد أن يزعم أن في تراثنا شعراً مكتوباً للطفل، لكن هذا التراث يحتوي على ما سُمّي بشعر ترقيص الأطفال، وهو ليس مكتوباً من أجل أن ينشده أو يحفظه الأطفال، بل هو شعر مكتوب بإيقاع راقص يناسب من يرقّص الطفل، فيعبر عن عاطفته من ناحية، ويؤثر في الطفل بالصوت والحركة المرافقة للغناء.

ربما كان هناك الكثير من هذا اللون، إلا أن ما وصلنا لا يزيد على عشرات المقطوعات القصيرة مبعثرة في كتب عديدة.

وفي العصر الحديث اهتم عدد من الباحثين بشعر الترقيص، فجمعوا أهم ما ورد منه، وبحثوا في بواعثه وأساليبه.

وقد كان رائد هذه الدراسة الدكتور أحمد عيسى في كتابه "الغناء للأطفال عند العرب" الصادر عام ١٩٣٤، وهو كتاب أنيق حرص مؤلفه على شرح مقطوعات الترقيص الحافلة بالمفردات الغريبة والأساليب اللغوية الخاصة.

ثم وضع الباحث العراقي سعيد الديوه جي كتاباً فيه زيادات على كتاب عيسى ونصوص لأغاني الأطفال بالعامية الموصلية واسم كتابه "أشعار الترقيص عند العرب" وقد صدر عام ١٩٦٨.

بعد ذلك وضع الدكتور أحمد أبو سعد كتابه الهام "أغاني ترقيص الأطفال عند العرب" عام ١٩٧٤، فغطي الكثير مما أغفله الكاتبان السابقان، فامتاز عمله بالمنهجية العلمية والروح الحديثة والدقة والفنية في بحث هذا اللون الشعري.

وجال أبو سعد مع أغنية الطفل ومعناها، وتحدث عن خصائصها من خلال شعر الترقيص، كما أنه لم يغفل الأغاني بالمحكية، فأثبت عدداً منها، ومن عدة بلدان عربية.

ولعل من مميزات شعر الترقيص أن جُلّه مجهول القائل، وهذا ملمح أساس يدل على شعبية هذه المقطوعات، وعلى كونها مما يقال بشكل عابر، لا يصدر عن شاعرية تبحث عن التوثيق لها روايةً أو كتابةً.. إنها أشبه بأبيات من الزجل تقال هذه الأيام.

فهذا اللون لم يُقل من شعراء معروفين بل هي من مرتجَلات الناس تعبيراً عن عاطفة أو حاجة للتسلية أو المرح.

من ذلك قول أعرابية[1]:

يا حبذا ريح الولدْ
ريح الخُزامى في البلدْ
أهكذا كلُّ ولدْ
أم لم يلد مثلي أحدْ ؟

---

(١) الدراري في الذراري . ص ٢٦ .

إنها مقطوعة مشهورة، امتازت بالصدق واللغة السهلة العذبة، وإيقاع في غاية القصر، حيث تكتفي الأعرابية هنا بمجزوء الرجز:

مستفعلن مستفعلن

وعلى الوزن والإيقاع والقافية نفسها تقول أعرابية أخرى[٢]:

يـــا حـــسرتا علـــى ولـــدْ

أشبهَ شيءٍ بالأسـدْ

إذا الرجال في كَبَدْ

تغالبـــوا علـــى نَكـــدْ

كـــان لـــه حـــظ الأســـدْ

إن هذه المقطوعات التي تعبر عن محبة الولد هي الأكثر دوراناً في تراثنا، ومن قبل الأبوين، إذ نقرأ لجرير يرقص ابنه بلالاً بقوله[٣]:

إن بـــلالاً لـــم تُـــشِنْه أمُّـــهْ

لـــم يتناســـب خالـــه وعمـــه

يشفي الـصداع ريحـه وشـمّه

ويُـذهب الهمـوم عنـي ضـمُّه

كـأن ريـح المـسك مُـسْتَحَمُّه

مـــا ينبغـــي للمـــسلمين ذمـــه

يُمضي الأمورَ وهو سـامٍ همـه

بحـــرٌ بحـــور واســـعٌ مَجَمُّـــه

---

(٢) سا . ص ٢٤ .

(٣) محاسن الأراجيز . ص ١٨٤ .

يفـــرّج الأمـــرَ ولا يُغمُّــــه

فنفـــسه نفـــسي وسُـــمّي ســـمُّه

ومقطوعة الترقيص تحوي أخباراً لاعلاقة لها بالطفل ، ولكنها مناسبة لهذه النجوى التي تبثها أعرابية ذاكرة فيها زوجها قاطع الطريق(٤):

يـــا ليتـــه مـــا قطـــع الطريقـــا

ولـــم يُـــرد فـــي أمـــره رفيقـــا

وقـــد أخـــاف الفـــجَّ والمـــضيقا

فقـــلَّ أن كـــان بـــه شـــفيقا

وهذه أعرابية أخرى تعرّض بزوجها وهي ترقص ابنها (٥):

وُهبته مـــن ذي ثِقـــال خِـــبِّ يقلب عيناً مثل عـــين الـــضبِّ

ليس بمعـــشوق ولا محـــبِّ

فرد عليها زوجها:

وهبتـــه مـــن سَـــلْفع أفـــوكِ

سَرْحٍ إلى جاراتهـــا ضـــحوك

ومن هبـــلّ قـــد عـــسا حَنيـــك

يحمل رأساً مثـــل رأس الـــديك

وروي عن العجلان بن سحبان أنه عبر عن سخطه على امرأته وهو يرقص ابنته قائلاً (٦):

وُهبتهـــا مـــن قلِـــق نطاقُهـــا

---

(٤) العقد الفريد ١ / ٢٧٨ .

(٥) بلاغات النساء . ص ١٢٦ .

(٦) سا . ص ١٠٨ .

مــشمّر عُرقوبهــا عــن ســاقها

يكثر فــي جيرانهــا احتراقهــا(☆)

فأخذت امرأته ابنتها وقالت:

وهبتها من شــيخ ســوء أنكــدْ

لا حــسن الوجــه ولا مــسوّد

يــأتي الأمــور بالــدواهي الأبّــد

ولا يبــالي جــاره أن يبعــد

فأخذ ابنته وقال:

وهبتها مــن ذات خلــق سـلفعْ

تواجــه القــوم بوجــه أجــدع

من بعد بيــضاء ســواي أربــع

يا لهفي مــن بــدل لــي موجــع

فأخذت ابنتها وقالت:

لأنكحــنَّ خرقــاً مـــن الفتيــانْ

مثل أبــي عــزة فــي الأحيــان

وأجتنبُ(☆☆) مثل أبــي العجــلان

كأنـــه عَيــرٌ وقربتـــان

وهذه المحاورات الطريفة تتردد هنا وهناك حاملة معها الكثير من معاناة الرجل والمرأة.

(☆) في رواية أخرى إحداقها .

(☆☆) حركت الباء بالضم في الأصل ، والواجب التسكين للضرورة هنا.

إن أكثر هذه المحاورات يدور حول سوء المعاملة ودمامة الشكل ورداءة الخلق، وحتى يكون الكلام موجعاً كان يتعرض كلا الطرفين إلى ما يؤلم صاحبه.. كل هذا في عملية ترقيص الطفل!!.

لنستمع إلى أعرابي يقول وهو يرقص ابنه (٧):

وهبتـــه مـــن ذات ضِـــغْن خِبَّـــه

قصيرةِ الأعــضاء مثــل الــضبه

تعيـــا كـــلام البعـــل إلا ســـبه

فأجابته:

وهبته من مـــرعش مـــن الكبـــرْ

شَـــرنفع وريـــده مثـــل الـــوتر

بئس الفتى في أهله وفـــي الحـــضر

ويروي صاحب كتاب "بلاغات النساء" أن أعرابياً اتهم امرأته بالخيانة لأنها ولدت له ابنا أبيض، وهو أسود وأبناؤه الباقون سود، فقال(٨):

لتَقْعـــدِنَّ مقعـــدَ القـــصيِّ

منـــيَ ذي(☆) القـــاذورة المقلـــي

أو تحلفـــي بربـــك العلـــي

أنـــي أبـــو ذيالـــك الـــصبي

قـــد رابنـــي ببـــصر رخـــي

ومقلـــة كمقلـــة الكَرْكِـــي

---

(٧) سا . ص ١٢٦ .

(٨) سا . ص ١٢٧ . وراجع باقي المحاورات في ١٢٦ و ١٢٧ و ١٢٨ .

(☆) في الأصل : من ذوي . والصحيح ما ذكرناه، ويُذكر "ذو" .

ثم قامت تمشط شعر رأسه، فقال لها:

لا تمشِطي شــعري ولا تفلينــي

مــــا بالــــه أحمـــر كــــالهجينِ

لـــيس كـــألوان بنـــيَّ الجـــون

فردت عليه:

إن لــــه مـــن قِبَلـــي أجـــدادا

بـــيضَ الوجـــوه ســـادة أنجـــادا

مـــا ضـــرَّهم يـــوم لقـــوا عبـــادا

أن لا يكـــون لـــونهم ســـوادا

وفي كتب النحو استشهد بهذه الترقيصة في شطر: لتقعدن مقعد القصي، حيث كانت هذه المقطوعات ذات لغة خاصة، كثيراً ما تتحرر من الأساليب النظامية.

وروى الجاحظ أن أبا حمزة الضبي هجر خيمته لأن امرأته ولدت له بنتاً، وكانت لا تلد إلا البنات، فقالت[(٩)]:

مـــا لأبـــي حمـــزة لا يأتينـــا

يظـــل فـــي البيـــت الـــذي يلينـــا

غـــضبان ألا نلـــد البنينـــا

تـــا لله مـــا ذلـــك فـــي أيـــدينا

وإنمـــا نأخـــذ مـــا أعطينـــا

ونحـــن كـــالأرض لزارعينـــا

ننبـــت مـــا قـــد زرعـــوه فينـــا

---

(٩) البيان والتبيين ١ / ١٠٥ .

وإذا كان التغني يتم غالباً بالصبيان، فما ذلك إلا لأن المجتمع القديم كان ينظر إلى الصبي بكثير من التقدير والإعلاء، فالصبي سيكون رجل الغد، أي المقاتل في مجتمع لا يكف عن الغزو والحرب، ولذلك فلم يكن مقدم البنت على الأسرة مدعاة للفرح، بل إن عادة الوأد الذميمة للبنات كانت معروفة في الجاهلية، وقد أبطلها الإسلام ونزل القرآن الكريم بالنهي عن التطيُّر من ولادة الأنثى.

ومن طرائف شعر الترقيص ما ورد في محاورة بين أعرابية تكره البنات وأخرى ترد عليها، إذ قالت الأولى(١٠):

الحمد لله الحميد العالي
أنقذني العام من الجواري
من كل شوهاء كشَنٍّ بالي
لا تدفع الضيم عن العيال

فأجابتها الثانية:

وما عليَّ أن تكون جاريةْ
تكنس بيتي وترد العاريةْ
تمشط رأسي وتكون الفاليه
وترفع الساقط من خماريه
حتى إذا ما بلغت ثمانيه
أو تسعة من السنين وافيه
أزَّرتها ببُرْدة يمانيه
زوَّجتها مروان أو معاويه
أصهار صدق ومهور غاليه

---

(١٠) المستطرف ٢ / ١١ .

وهنا نلاحظ لماذا تهتم تلك الأعرابية بابنتها، ولماذا تعطيها دوراً أكثر مما أعطت، فإن الرؤية الاجتماعية وقتذاك لا تتجاوز هذا الأفق.

وعندما نسمع ما يقوله الأعرابي وهو يرقص ابنته نحس كم يشكل توالي البنات من عيب على الرجل، فها هو يقول[11]:

يا رب حسبي من بنـــات حـــسبي

شـــيبن رأســـي وأكلـــن كـــسبي

إن زدتني أخـــرى قلعـــتَ قلبـــي

وزدتنـــي همـــاً يـــدق صُـــلبي

وتشاركه أعرابية في تفضيل الولد، ولكن على طريقتها الخاصة. إذ تقول[12]:

ومـــا أبـــالي أن أكـــون مُحْمَقـــه

إذا رأيـــــت خـــــصية معلقـــــه

وإذا كانت هذه الأعرابية تتمنى أن تلد صبياً، فإن عقيل بن علفة يقول بكثير من قسوة لا تصدر عن قلب رقيق كريم. فها هو يرقص ابنته قائلاً [13]:

إنـــي وإن ســـيق إلـــيّ المهـــرُ

ألـــف وعبـــدان وذود عـــشرُ

أحـــب أصـــهاري إلـــيّ القبـــرُ

وقد كان عبد الله بن طاهر قد لخص أمر الفتاة، فقال [14]:

لكل أبـــي بنـــت يُرجّـــى بقاؤهـــا ثلاثة أصـــهار إذا ذكِـــر الـــصِّهرُ

فبيت يغطيهـــا وبعـــل يـــصونها وقبر يواريهـــا وخيرهمـــا القبـــرْ

---

(11) المزهر ٢ / ٣٠٨ .

(12) البيان والتبيين ١ / ١٠٤ .

(13) زهر الآداب ٤ / ٥٢٩ .

(14) زهر الآداب ٤ / ٥٩٢ .

ولكن الرحمة التي تغمر القلب، والرهافة التي يمتلكها بعض الناس تجعلهم أقوى من هذا العرف الاجتماعي الظالم، والتقليد البليد الخالي من المشاعر الإنسانية، عندها سنلتقي مع نبض نبيل في قلوب رقيقة كأبي شجرة الأزرقي الذي قال في قصيدة له [١٥]:

أصبحت بعد اللهو والتطوافِ
وبعد إسباغ الرداء الضافي
أبا جوارٍ ما لهنّ كافِ
غير بنيات له ضعافِ
مثل ريال الأصقع الرجافِ
يلقطن مَرْواً بمكان عافِ
يصبحن يوم العيد والتوافي
غبر الجلود شوّل السّعافِ
لم ينمُ حناء على الأطرافِ
ولم ينقطن على حِفافِ
قد خفت أن تشملني كالخافي
من حب أن يُتركن في كفافِ
وبغضِ أن يتركن عند جافِ
والله يكفيني وفيه كافِ

ومثل هذا المعنى الرهيف نجده في شعر منسوب لعمران بن حطان وأبي خالد القناني الخارجي [١٦]:

لقد زاد الحياة إليّ حباً بناتي إنهنّ من الضعافِ

---

(١٥) التعليقات والنوادر ٢ / ٩٢ .

(١٦) الفرائد واللآلي . ص ١١٠ .

مخافة أن يرين البؤس بعدي وأن يشربن رَنْقاً بعد صافِ
وأن يضطرهن الدهر بعدي إلى فَحْم غليظ القلب جافِ

ولنعد إلى شعر الترقيص ففيه شواهد أخرى على محبة البنت، مما يدل على أن العاطفة كانت تتغلب على الموروث الاجتماعي، فهذا أعرابي يرقص ابنته بقوله(١٧):

كريمة يحبها أبوها
مليحة العينين عذب فوها
لا تحسن السبَّ وإن سبوها

أما ريًّا فإن أباها الأعرابي يداعبها وهو يرقصها على لسان أحد العرسان المتخيَّلين(١٨):

واهاً لريًّا ثم واهاً واها
فاضت دموع العين من جرَّاها
هي المنى لو أننا نلناها
يا ليت عيناها لنا وفاها
بثمن نرضي به أباها
إن أباها وأبا أباها
قد بلغا في المجد غايتاها

ولا شك أننا لاحظنا لغة غريبة في هذه الترقيصة الظريفة المشهورة في كتب النحو، حيث المثنى يظل ثابتاً مع الألف في كل حالاته.

ومن الترقيص المحب للبنت ما قاله أعرابي(١٩):

سبحلة ... ربحلة
تنمي نبات النخلة

(١٧) العقد الفريد ٣ / ٩٢ .
(١٨) الأمالي ١ / ٧٧ .
(١٩) الأمالي ١ / ١٢١ .

وآخر[٢٠]:

بنيتي سيدة البناتِ

عيشي ولا نأمل أن تماتي

وقد ذكرت كتب التراث بعض النماذج لشعر ترقيص فيه شكوى من الولد، فأعشى بني جرماز يشكو أبناء له يقفون إلى جانب أمهم، فها هو يقول[٢١]:

إن بَنيَّ ليس فيهم بَرُّ

وأمهم مثلهم أو شرّ

إذا رأوها نبحتني هرّوا

ويقول أحد الأعراب مستغرباً من عدم حبه لولده[٢٢]:

يا قوم مالي لا أحب عَنْجَدَهْ

وكل إنسان يحب ولده

حبَّ الحباري ويذبُّ عنده

إن الحالة العامة في شعر الترقيص تعكس تغنياً بقيم البطولة والكرم والفصاحة والسيادة، كل هذا في إطار من الظرافة والمبالغة، فهذه أعرابية ترقص ابنها قائلة[٢٣]:

إن بُنيَّ سيد العشيره

عفٌّ صليبٌ حسنُ السريره

جَزل النوال كفه مَطيره

يعطي على الميسور والعسيره

---

(٢٠) محاضرات الأدباء ١ / ١٥٧ .

(٢١) درة الغواص ٢٣ .

(٢٢) البلدان لابن الفقيه ١١٩ .

(٢٣) مجالس ثعلب ٤٩٣.

وقال ابو العباس أحمد بن يحيى(٢٤):

والله لــــولا صـــبية صـــغارُ
وجـــوههم كأنهــــا أقمـــارُ
لمــا رآنـــي ملـــك جبـــارُ
ببابـــه مـــا سـطع النهـــارُ

ولأعرابية أيضاً(٢٥):

فـــداك حـــي خـــولانْ
وكــــل آل قحطـــانْ
والأكرمـــون عـــدنانْ

ولأخرى(٢٦):

عتيـــق يـــا عتيـــقْ
ذو المنظــــر الأنيـــقْ
والمقــــول المــــذيقْ
رشـــفت منــــه الريـــقْ
كالزرنـــب الفتيـــقْ

بظهور الإسلام أضيفت إلى شعر الترقيص معانٍ لم تكن معروفة من قبل، تتعلق بالدين الجديد في شعائره وتعاليمه، لاسيما فيما وصلنا من شعر الترقيص لرموز الإسلام الكبرى، وعلى رأسها الرسول الكريم (ﷺ) فقد وصلنا بعض ما رُقِّص به، وأبدأ بمرضعته حليمة السعدية التي رقصته قائلة(٢٧):

(٢٤) الزهرة. الأصبهاني . ص١١٥٢.
(٢٥) أبو سعد . ص ٧٤ .
(٢٦) أنباء نجباء الأبناء . ص ٤٤ .
(٢٧) أبو سعد . ص ٦٦ .

يـــا رب إذ أعطيتـــــه فأبقــــهِ

وأعلــــه إلـــى العـــلا ورقّـــهِ

وادحــض أباطيــل العــدا بحقــه

كذلك رقصته الشيماء بقولها[٢٨]:

يـــا ربنـــا أبــقِ لنـــا محمـــدا

حتـــــى أراه يافعــــاً وأمــــردا

ثـــــم أراه ســـــيداً مـــــسوّدا

واكبتْ أعاديــــه معــاً والحُـــسّدا

وأعطـــــه عـــزاً يـــدوم أبـــدا

كما نقلت المصادر ما رقص به عبد المطلب رسولنا الكريم (ﷺ) في قوله [٢٩]:

الحمـــــد لله الـــــذي أعطـــــاني

هـــذا الغـــلام الطيّـــب الأردانِ

قد ساد في المهد علـــى الغلمـــانِ

أعيــــذه بالبيـــــت ذي الأركـــــانِ

حتـــــى أراه بـــــالغ البنيـــــانِ

أعيـــذه مـــن شـــر ذي شـــنآنِ

مـــن حاســـد مـــضطرب العنـــانِ

ورقص الزبير بن عبد المطلب الرسول (ﷺ) فقال[٣٠]:

محمـــــــد بـــــن عنـــــــدمِ

---

(٢٨) سا . ص ٦٦ .
(٢٩) سا . ص ٦٧ .
(٣٠) الأمالي ٢ / ١١٢ .

عـــــشت بعــــيش أنعـــــم

ودولـــــــــة ومغــــــــنم

فـــي فـــرع عـــز أســـنم

مكـــــــــرّم معظـــــــــم

دام ســــــجيس الأزلـــــــم

والرسول (ﷺ) نفسه رقص الحسين بقوله[٣١]:

حُزُقَّة.. حزقـــهْ تَرَقَّ عينَ بَقَّـــهْ

وبعد أن نغادر ما رقّص به الرسول الكريم (ﷺ) نلتقي مع ترقيصة لأبي بكر أنشدتها سلمى بنت صخر [٣٢]:

يـــــــا ربِّ ربَّ الكعبـــــــهْ

أمتــــعْ بـــــه يـــــا ربـــهْ

فهــــــو بـــــصخر أشـــــبه

وقالت فاطمة وهي ترقص الحسين [٣٣]:

إن بُنَـــــيْ شـــــبْهُ النبــــي

لـــــــيس شــــــبيهاً بعلــــي

كما رقصت أم البنين العبّاس بقولها [٣٤]:

أعيـــــــــذه بالواحــــــــدِ

مـــــن عــــين كـــل حاســـدِ

---

(٣١) لسان العرب . مادة بقق .

(٣٢) أنباء نجباء الأبناء . ص ٤٤ .

(٣٣) العقد الفريد ١ / ٢٧٨ .

(٣٤) المنمق . ص ٤٣٧ .

قـــــــائمهم والقاعـــــــــد

مـــــــسلمهم والجاحـــــــد

صـــــــادرهم والـــــــوارد

مولـــــــودهم والوالـــــــد

إلا أن المصادر لا تذهب بنا إلى عصور أخرى قريبة منا، فجلّ ما ذكر من شعر ترقيص الأطفال يعود إلى الجاهلية وبداية العصر الإسلامي.

وقبل أن أغادر هذه الجولة مع شعر ترقيص الأطفال عند العرب، لا بد من إشارات سريعة إلى بعض مميزات هذا اللون الشعري، إذ نلاحظ اعتماده على بحر الرجز وما يتفرع منه من مشطور ومجزوء ومنهوك، ولغة هذا الشعر متحررة أكثر من غيرها، مما يجعلها أقرب إلى الشعبية من خلال مفرداتها وتراكيبها اللغوية الخاصة أحياناً، وشعر الترقيص لا يزيد على أبيات قليلة، ويميل إلى الجمل القصيرة والتركيز على التقفية.

ويعكس هذا الشعر على نحو واضح مشاكل وأحاسيس المرأة والرجل بعفوية وصراحة، و نظرة المجتمع إلى الطفل ولا سيما الأنثى.

الفصل الثاني

شعر القصّ في التراث العربي

اعتمد الكتاب المدرسي العربي شعرياًعلى شعر قديم يشكل دعامة لذائقة أطفالنا وفتياننا، ومن الطبيعي أن نلاحظ أن شعر الحكمة والوصف والقص - على قلته - هو الأكثر دوراناً.

إن النصوص القديمة النموذجية غذّت على الدوام العلاقة السليمة بين الشعر والطفل، بل بين الطفل والحياة أحياناً.

وفي شعرنا القديم أمثلة طريفة على وجود حكايات مشهورة للأطفال الآن، وبعضها منتشر في العالم، ومن ذلك القصيدة - القصة عند النابغة الذبياني ونصها[1]:

وإني لألقى من ذوي الضّغْن منهم ... وما أصبحت تشكو من الشجْو ساهره

كما لقيت ذاتُ الصفا من حليفها ... وكانت تديه المالَ غِبّاً وظاهره

فقالت له: أدعوك للعقل وافراً ... ولا تغشَيَنّي منك بالظلم بادره

فواثقها بالله حتى تراضيا ... وكانت تديه المال غباً وظاهره

تذكر أنّى يجعل الله جنة ... فيصبح ذا مال ويقتل واتره

فلما توفى العقل إلا أقلّه ... وجارت به نفس عن الحق جائره

---

(١) ديوان النابغة الذبياني . ص ٢٠٨ .

فلمـــا رأى أن ثمّـــر اللهُ مالَـــه وأثّـــل موجـــوداً وســـدّ مفـــاقره

أكـــبّ علـــى فـــأس يحـــدّ غرابهـــا مـــذكَّرة مـــن المعـــاول بـــاتره

فقام لها مـــن فـــوق جُحْـــر مـــشيّد ليقتلهـــا أو تخطـــئ الكـــف بـــادره

فلمـــا وقاهـــا الله ضـــربة فأســـه وللبـــرّ عـــين لا تغمّـــض نـــاظره

تنـــدّم لمـــا فاتـــه الـــذَّحْل عنـــدها وكانت لـــه إذ خـــاس بالعهـــد قـــاهره

فقـــال: تعـــالي نجعـــل الله بيننـــا على مالنا أو تنجزي لـــي آخـــره

فقالـــت: يمـــين الله أفعـــلَ إننـــي رأيتك مـــسحوراً يمينـــك فـــاجره

أبى لـــي قبـــر لا يـــزال مقـــابلي وضربة فأس فوق رأســـي فـــاقره

هذا النص النادر وغير المشهور تقابله قصائد أخرى ذاعت ذيوعاً واسعاً فيها الكثير من المعاني الإنسانية الخالدة، ومنها قصيدة الحطيئة التي يقول فيها(٢):

وطاوي ثلاث عاصبِ البطن مُرْمِلِ ببيداءَ لم يعرف بها ساكن رسْـما

وتحكي عن أعرابي مع عجوز وثلاثة أطفال حفاة عراة جائعين ثم:

رأى شبحاً وسط الظـلام فراعـه فلما رأى ضيفاً تـشمّر واهتمّـا

وكاد يذبح ابنه للضيف، وإذا بقطيع حُمُر وحشية ذاهب نحو الماء، فلا يطاوعه قلبه أن يصيد واحداً منها قبل أن يشرب ويروي ظمأه:

فأمهلها حتـى تـروّت عطاشـها فأرسل فيها مـن كنانتـه سـهما

بعد ذلك يطعم ضيفه، فينهي الحطيئة قصيدته بقوله:

فباتوا كراماً قد قضوا حق ضـيفهم وما غرموا غرماً وقد غنموا غُنْمـا

وبات أبوهم مـن بـشاشته أبـاً لضيفهم والأمُّ مـن بـشرها أمّـا

---

(٢) ديوان الحطيئة . ص ٣٣٧.

وتصادفنا أيضاً قصة شعرية مشهورة للفرزدق لعلها من أجمل الشعر الإنساني، وهي تحكي كرم الإنسان مع الحيوان الجائع.. على الرغم من كونه ذئباً(٣):

وأطلسَ عسَّالٍ وما كان صاحباً ... دعوت بناري مَوْهِناً فأتاني
فلما دنا قلت ادنُ دونك إنني ... وإياك في زادي لمشتركانِ
فبتّ أقدُّ الزادَ بيني وبينه ... على ضوء نار مرة ودخان
فقلت له لما تكشّر ضاحكاً ... وقائم سيفي من يدي بمكان:
تعشّ فإن واثقتني لا تخونني ... نكُنْ مثلَ من يا ذئبُ يصطحبان
وأنت امرؤ يا ذئب والغدر كنتما ... أخيَّين كانا أرضعا بلبان
ولو غيرنا نبّهت تلتمس القِرى ... أتاك بسهم أو شَباة سنان
وكل رفيقَي كلِّ رحْل وإن هما ... تعاطى القنا قوماهما أخوان

وله قصة شعرية فيها الأحداث السابقة نفسها، ولكن مع تغيير بسيط في العوالم، وربما وجد الشاعر في حكاية الذئب مع الإنسان دافعاً ليكرر الأمر، ففيه موضع شعري متوهّج(٤):

وليلة بتنا بالغريّين ضافنا ... على الزاد ممشوق الذراعين أطلسُ
تلمّسنا حتى أتانا ولم يزل ... لدُنْ فطمته أمه يتلمسُ
فلو أنه إذْ جاءنا كان دانياً ... لألبسته لو أنه كان يلبَسُ
ولكنْ تنحّى جنبه بعدما دنا ... فكان كقيد الرمح بل هو أنفسُ
فقاسمته نصفين بيني وبينه ... بقية زاد والركايب نُعَّسُ
وكان ابن ليلى إذ قرى الذئب زاده ... على طارق الظلماء لا يتعبّس

---

(٣) ديوان الفرزدق ٢ / ٣٢٩ .

(٤) ديوان الفرزدق. ٣٨٧/١.

ومن روائع شعرنا العربي القديم هذه الصلة الحميمة بالحيوان، ولا سيما الذئب، إذ نعثر على إحدى قصائد الأصمعيات وهي لأسماء بن خارجة وفيها[٥]:

أحسبتنا ممن تطيف به فاخترتنا للأمن والخصبِ
وبغير معرفة ولا نسب أنى؟ وشعبك ليس من شعبي
وألحّ إلحاحاً بحاجته شكوى الضرير ومزجر الكلب
ولوى التكلح يشتكي سغباً وأنا ابن قاتل شدة السغب
ورأيت حقاً أن أضيفه إذ رام سلمي واتقى حربي
فوقفت مُعْتاماً أزاولها بمهند ذي رونق عضب
فعرضته في ساق أسمنها فاجتاز بين الحاذ والكعب
فتركتها لعياله جَزَرَاً عمداً وعلق رحلها صحبي

إذاً هو موضوع قديم في شعرنا، تابعه كثيرون كعبيد العنبري (وتروى للأحيمر السعدي) الذي قال[٦]:

أراني وذئب القفر إلفين بعدما بدأنا كلانا يشمئزُ ويذعرُ
تألفني لما دنا وألفته وأمكنني للرمي لو كنت أعذرُ
ولكنني لم يأتمني صاحب فيرتاب بي ما دام لا يتغيّرُ

إلا أن شاعرنا البحتري كان له مع الذئب شأن آخر، في حكاية وردت كثيراً في الكتب المدرسية، حيث يصور صراعه مع الذئب، و يرميه بسهم[٧]:

فما ازداد إلا جرأة وصرامة وأيقنت أن الأمر منه هو الجدُّ
فأتبعتها أخرى فأضللت نصلها بحيث يكون اللبُّ والرعب والحقدُ

---

(٥) الأصمعيات . ص ٤٩.

(٦) منتهى الطلب . ٢/٦١٤ .

(٧) ديوان البحتري ٢ / ٧٤٠ .

وللطغرائي حكاية شعرية معروفة صاغها على نحو مشوق، ورسم تفاصيلها بمهارة، وهي من الحكايات المشهورة في أدب الأطفال العالمي، وإن كان أصلها مشرقياً، وهي(٨):

لقد جاء في أمثالهم أن ثعلباً ... وذئباً أصابا عند ليث تقدُّما
أضرّ به جوع شديد فشقه ... وأبقى له جلداً رقيقاً وأعظما
ففاز لديه الذئب يوماً بخلوة ... فقال: كفاك الثعلب اليوم مطعما
فكلْه وأطعمْه فما هو شكلنا ... ولست أرى في أكله لك مأثما
فلما أحسّ الثعلبان بكيده ... تطبب عند الليث واحتال مقدما
وقال: أرى بالمَلْك داء مماطلاً ... تهدّم منه جسمه وتحطما
وفي كبد الذئب الشفاءُ لدائه ... فإن نال منه ينجُ منه مسلما
فصادف منه ذا قبولاً وعندها ... أحال على الذئب الخبيث فصمّما
فأفلت مسلوخَ الإهاب مرمّلاً ... فلمّا رآه الثعلبان تبسّما
وصاح به يا لابس الثوب قائلاً ... متى تخْلُ بالسلطان فاسكت لتسلما

يعثر الباحث على عدد لا بأس به من القصص الشعرية في تراثنا، وكلها تدور بالاشتراك مع الحيوان أو على لسانه، ولعلّ كتاب الدكتور داوود سلوم "قصص الحيوان في الأدب العربي" الصادر عن دارالشؤون الثقافية في بغداد من المراجع المهمة في هذا الخصوص، كما قام الباحث شاكر هادي شكر بوضع كتاب ضخم من ثلاثة أجزاء بعنوان "الحيوان في الأدب العربي"(٩) جمع فيه ما قيل من شعر في الحيوان وصفاً أو قصة، ومن طرائف الكتاب تلك الحكاية التي نظمها أبو زيد الكلابي في أعرابي أكلت الضباع شاته، فخاطبها قائلاً(١٠):

---

(٨) مستهل الآداب . سلطان . ص ٣١ .

(٩) إصدار مكتبة النهضة العربية في بيروت ١٩٨٥.

(١٠) الحيوان في الأدب العربي . شكر ٢/٢٥٠.

ما أنت يا جَعار من خطابك ... علىّ دقّ العُصل من أنيابك
على حذا حجْرك لا أهابك

ما صنعت شاتي التي أكلتِ ... ملأت منها البطن ثم جُلتِ
وخنتني وبئس ما فعلتِ

قالت له: لا زلت تلقى الهمّا ... وأرسل الله عليك الحمى
لقد رأيت رجلاً مُعْتمّا

قال لها: كذبت يا خباثِ ... قد طال ما أمسيت في اكتراثِ
أكلت شاة صبية غراثِ

قالت له والقول ذو شجونِ: ... أسهبت في قولك كالمجنونِ
أما ورب المرسل الأمينِ ... لأفجعن بعيرك السمينِ

ومن المعروف أن الجاحظ قد وضع أضخم موسوعة عن الحيوان في كتابه المشهور بالاسم نفسه، وإن حوى أكثره استطرادات حول مختلف نواحي الحياة.

وكان من شهرة كتاب "كليلة ودمنة" الذي ترجمه ابن المقفع عن الفارسية أن نظمه كثيرون شعراً، مثل أبَان عبد الحميد اللاحقي وسهل بن نويخت وابن الهبارية وابن مماتي، لكن لم يصلنا من عمل أبان إلا سبعون بيتاً مبعثرة، ولو لم يذكرها الصولي في كتاب "الأوراق" لضاع كل أثر لما فعله كغيره، ومن هذه الأبيات (١١):

هذا كتاب أدب ومحنه ... وهو الذي يدعى كليل دمنهْ
فيه دلالات وفيه رشدُ ... وهو كتاب وضعته الهندُ
فوصفوا آداب كل عالم ... حكاية عن ألسن البهائم
فالحكماء يعرفون فضلة ... والسخفاء يشتهون هزلهْ

---

(١١) الأوراق . الصولي . ص ٤٦.

وهــو علــى ذاك يــسير الحفــظِ لذ ُعلــى اللــسان عنــد اللفــظِ
يــا نفــس لا تــشاركي الجهــالا في حبّ مــذموم كــأن قــد زالا
مــا لــم ينلــه أحــد إلا نــدمْ إذا تــولى ذاك عنــه وســدمْ
دنيــاك بالأحبــاب والأخــوانِ كثيــــرة الآلام والأحــــزانِ
وهــي وإن نيــل بهــا الــسرورُ آفاتهــــا وغمّهــــا كثيــــرُ
يا نفس لا يحملْــك حــبّ أهلــكِ ولا أدانيــك علــى أن تهلكــي
في جمــع مــا يرضــيهم فإنــهْ يضرب مــن أمثــال ذاك الدجنــه
ينــال قــوم عرفهــا وتحتــرقْ رأي به يرضى أخو الرأي الحمــقْ
وجدت ذا النسك الذي قــد فكــرا فــــزاده تفكيـــــره تــــوقرا
وقــلَّ لمَّــا رضــيَ اهتمامــهْ وتــمّ مــن ســروره تمامــهْ
وترك الــدنيا لمــن يــشقى بهــا ومن يقاسي الكد مــن أنــصابها
فعنــدها نجــا مــن الــشرورِ ونــال أقــصى غايــة الــسرورِ
ثم سخت عن كــل فــان نفــسهْ فلقــي الــسعد وغــاب نحــسهْ
وأبــصر الثــواب فــي القيامــهْ فــأمنَ الحــسرة والندامــهْ
ومثــل الــدنيا كبــرق الخلــبِ من يغتررْ منــه بــسقي يكــذبِ
وهو قياســاً مثــل نــوم النــائمِ تفرحــه أضــغاث حلــم الحــالمِ
حتــى إذا اســتيقظ صــار همّــا ما كــان فــي النــوم بــه ألمّــا
فكيــف بالــصبر علــى أيــامِ عمّــا قليــل هــنّ لانــصرامِ
وكيــف والــدنيا بــلاء كلهــا لا يــأمن الآفــات فيهــا أهلهــا
أشــهد أن الله فــرد واحــدُ أقــرّ أو أنكــر ذاك جاحــدُ
ليس لــه كــفء ولا نــدّ أحــدْ لــم يولــد الله ولا لــه ولــدْ
وإننــي بمــا عملــت مــرتهنْ ما كان منه مــن قبــيح وحــسنْ

ومن باب الأسد والثور:

وإن من كان دنيء النفسِ يرضى من الأرفع بالأخسِّ
كمثل الكلب الشقيّ البائسِ يفرح بالعظم العتيق اليابسِ
وإن أهل الفضل لا يرضيهمُ شيء إذا ما كان لا يعنيهمُ
كالأسد الذي يصيد الأرنبا ثم يرى العير المجدَّ هربا
فيرسل الأرنب من أظفاره ويتبع العير على إدبارهْ
والكلب من رقته ترضيه بلقمة تقذفها في فيه
ومن يعش ما عاش غير خاملْ له سرور دائم ونائلْ
فهو وإن كان قصير العمرِ أطول عمراً من حليف فقرِ
ومن يعش في وحشة وضيقِ وقلة المعروف في الصديقِ
فهو وإن عمّر طول دهرهِ ليس بمغبوط بطول عمرهِ
وقيل أيضاً إنه قد ينبغي للرجل الفاضل فيما ينبغي
أن لا يرى إلا مع الملاكِ أو يعبد الله مع النساكِ

إن هذه الأبيات تدلّ على لغة رفيعة وصلتها لغة الشعر القصصي على يد هذا الشاعر، وقد ذكر مؤلف كتاب "أخبار الشعراء" والمشهور بـ "الأوراق" أنه نظم "كليلة ودمنة" شعراً في ثلاثة أشهر، وفي أربعة عشر ألف بيت "وذكر حمدان ابنه أنه كان يصلي ولوح موضوع بين يديه، فإذا صلى أخذ اللوح فملأه من الشعر الذي صنعه ثم يعود إلى صلاته."[١٢]

ويبدو أنه قام بهذا بناء على طلب يحيى البرمكي الذي ألزمه بالإقامة في دار *"لا يخرج منها حتى ينقل كتاب كليلة ودمنة من الكلام إلى الشعر فنقله، فوهب له*

---

(١٢) سا . ص ١ .

عشرة آلاف دينار. قال ويقال: *إن كل كلام نقل إلى شعر فالكلام أفصح منه إلا كتاب كليلة ودمنة.*"[١٣]

وفي خبر آخر أنه قام بعمله حتى يسهل على الوزير يحيى البرمكي حفظ الكتاب.[١٤]

ومعروف عن هذا الشاعر المتوفى عام ٢٠٠ هجرية أنه مكثر، ويصوغ الكلام الموزون بسهولة عجيبة، وقد عرف بميله إلى الأدب الشعبي من خلال تأليفه سيرتيْ "أردشير" و"أنوشروان"، وكتاباً عن "مزدك".

والملاحظ أن الأبيات التي اختارها الصولي قد جاءت مفككة تبعاً للأحداث في الأصل لأن "*ما اختاره الصولي لم يكن من موضع واحد، وأنه جمع الأبيات مع اختلاف مآخذها من الكتاب.*"[١٥]

لكن العجيب والجميل أن نظم كليلة ودمنة شعراً قد وصلنا كاملاً في مخطوط "نتائج الفطنة في نظم كليلة ودمنة" لناظم هذا الكتاب الفريد ابن الهبارية المتوفى سنة ٥٠٩ هجرية، وقد طبع طبعة يتيمة عام ١٩٠٠ في لبنان بعناية الخوري نعمة الله الأسمر.

ووصلنا للمؤلف أو الناظم نفسه الكتاب الذائع الصيت "الصادح والباغم" وقد اطلعت على طبعة يتيمة له في القاهرة عام ١٨٧٤.

وكتابه هذا ذو تأثير كبير على الكتب التعليمية العربية المبكرة، فقلما يخلو كتاب من أبيات منه، ويبدو أن ابن الهبارية كان يميل إلى تحويل الحكايات النثرية إلى منظومات، إذ نظم أيضاً حكاية حي بن يقظان، وبدأها بقوله[١٦]:

حي بن يقظان ما حيٌ بـن يقظانـا　　　سبحان موجد ذاك الشيخ سبحانا

---

(١٣) سا. ص ٢ .

(١٤) راجع أخبار الشاعر في بداية كتاب الصولي .

(١٥) الشعر القصصي. د . حسن محسن . ص٢٠ .

(١٦) راجع "ابن الهبارية – حياته وأدبه" للدكتور محمد فائز سنكري .

لقد أحدث كتاب كليلة ودمنة حركة جديدة في أدبنا الشعبي، فظهرت بعده كتب عديدة مشابهة وإن كانت أقل قيمة مثل "عفراء وثعلة" لسهل بن هارون، و"النمر والثعلب"، لعلي بن داود، و"الصاهل والشاحج" و"القائف" لأبي العلاء المعري، "وسلوان المطاع في عدوان الأتباع" لابن ظفر الأندلسي، و"فاكهة الخلفاء وفاكهة الظرفاء" لابن عربشاه.[١٧]

إننا نرى أن هذه الكتب كنوز غنية من كنوز تراثنا لا بد من إعادة طبعها، وجعلها مصدراً من مصادر إغناء ثقافة طفلنا، ومصدر إعداد لمواد ثقافية يصوغها المبدعون له.

ولكي يأخذ القارئ فكرة عن كتاب "نتائج الفطنة" أورد منه هذه المقتطفات[١٨]:

أمـا سـمعت قولـة الحكـيمِ الفاضـل المجـرّب العلـيمِ
إذا رأى السلطان مـن يـساويهِ في الفضل والقـوة أو يـضاهيهِ
بالمـال والرجـال فليفتـك بـهِ مـن قبـل أن يفجـأه بحربـهِ
ورأيـك الأعلـى وأنـت أعلـمُ لكـن فتكـاً بالعـدوّ أحـزمُ
بادره ما اسـطعت إلـى هلاكـهِ إن فات لم تقدر على اسـتدراكهِ
فالنـاس فيمـا ذكـروا ثلاثـةْ وللبيـب فطنـة بحّاثـةْ

وفي مكان آخر: [١٩]

وإنّ مـن لـم يقبـل النـصائحا ولم يرَ الـرأي الـسديد صـالحا
يكون كالمريض يبغـي شـهوتهْ ولـو عـصى طبيبـه وصـفتهْ
وواجـب حـتم علـى الـوزيرِ أن ينصح الملـوك فـي التـدبيرِ
منبهـاً علـى الجميـل الأصـلحِ وناهيـاً عـن الـدنيّ الأقـبحِ

---

(١٧) سا . ص ٢٢ .
(١٨) نتائج الفطنة . ص ٦٢ .
(١٩) سا . ص ٦٤ .

والنصح والصدق دليل الشفقة	وخير إخوان الفتى من صدقة
وخير أعمال الفتى ما كان لـه	عاقبة محمودة مفضلة

لا بد من الإشارة هنا إلى أن كتاب "كليلة ودمنة" قد فقد أصلاه الهندي والفارسي، حتى أن الفرس عادوا وترجموه عن العربية على يد حسين واعظ كاشتي، وعن ترجمته نقلها إلى الفرنسية داود ساهد الأصبهاني، ومنها انتقلت إلى العالم.[٢٠]

أما الكتاب الهام الآخر لابن الهبّارية فهو "الصادح والباغم" وقد اشتهر كثيراً كما أسلفت، وفيه حكم وقصص على ألسنة الحيوانات، وعن الكتاب يقول ابن الهبارية[٢١]:

هـذا كتاب حسنُ	فيه تحار الفطنُ
قضيت فيه مده	عشر سنين عده
لو ظل كل شاعرِ	وناظم وناثرِ
كعمر نوح التالدِ	في نظم بيت واحدِ
من مثله لما قدرْ	فجاء كله غررْ

وهذا المدح الطريف والمبالغ فيه يشي بأنه قرآن لا يستطيع أحد أن يأتي بآية واحدة من آياته، ولا شك أن في هذا مغالاة ممجوجة، ويضيف ابن الهبارية:

هذا كتاب الصادحِ	والباغم المناصحِ
ليس به عيب يرى	بل فضله مشتهرا
حتى أتى مليحا	موشحاً توشيحا

وقد واصل هذه النرجسية في كتاب "نتائج الفطنة" حيث قال في المقدمة:

كلت طباع القوم دون نظمهْ	وعجزوا عن سبكه لعِظمهْ
ثم أبو يعلى أنا فإنني	نظمته بالجهد والتعني
متبعاً فيه إبان اللاحقي	وليس وهو سابقي بلاحقي

---

(٢٠) خرافات لافونتين . د . نفوسة سعيد . ص ١٥ .

(٢١) الصادح والباغم . ص ١٠٥ .

ووردت في الكتاب قصص كثيرة عن الحيوانات، وبعض القصص عن البشر كقصة الناسك واللص الفاتك أو قصة امرأة الراعي أو قصة زوجة البيطار أو قصة التاجر التي يقول فيها(٢٢):

قلت ومن ذاك فقال تاجرُ ... ذو ثروة كانت له جواهرُ
أراد أن يبيعها على ملكْ ... فعابها لديه دلال أفكْ
لعله يكرهها في نفسه ... وربما أرخصها بوكسه
فقال فيها صفرة تبينُ ... وثم تضريس لها يشينُ
فردها في وقتها من سفطةْ ... وقام من ساعته لغلطةْ
يقول قد رأيت في مكتوبِ ... إصلاح ما فيها من العيوبِ
فدقها في هاون وبلها ... بلبن الكلب يريد حلها
واعتمد الشمس بها لعلها ... تحله يا ويله ما أبلها
ولم يزل في مثل هذي الحالةْ ... حتى غدت سوداء كالسحالةْ
فأكل المسكين كفه ندمْ ... كذاك من باع الوجود بالعدمْ
لأعملن حيلة لطيفةْ ... فالرأي زبد الهمم الشريفةْ
كامرأة الراعي فقلت من هيةْ ... جللي من قصتها بالكنيةْ

في هذا الشاهد نأخذ صورة عن طريقة المؤلف في نسج حكاياته وكيف تتصل الواحدة بالأخرى.

إضافة إلى الحكايات نقع على حكم كانت أكثر دوراناً في كتب القراءة المدرسية الأولى في الوطن العربي ومنها مثلاً من "الصادح والباغم" لابن الهبارية نفسه(٢٣):

---

(٢٢) سا . ص ٢٥ .

(٢٣) سا. ص٦٥. وراجع كتاب أصول القراءة للويس صابونجي حيث يورد الكثير من حكم الكتاب.

في الناس من لا يصلحهُ إلا عقاب يجرحهْ
وفيهم الأديبُ يصلحه التأديبُ
ومنهم ترضيه معيشة تكفيه
كرامة اللئيمِ إهانة الكريمِ
كم راحة في العزلهْ وعمل في العطلهْ
كم كثرة في الوحدهْ كم سهر في رقدهْ
شرّ الرجال اللمزهْ للأصدقاء الهمزهْ
لا كان ذو وجهينِ وصاحب اللونينِ
إن كان خيراً سترهْ أو كان شراً نشرهْ
ليس احتمال العارِ من شيم الأحرارِ
إياك واللجاجهْ فإنها سماجهْ
لا تعجلن فالعجلهْ مذلة ومخجلهْ
وعجل الثوابا وأخر العقابا
لا تستشر سفيها لا تحتقر نبيها
من حفظ الصديقا كان له رفيقا
لا تصحب اللئاما لا تترك الكراما
الصبر في الشدائدِ من شيم الأماجدِ
أسوأ خلق أدبا من جرّب المجرّبا
ما للفتى من دهرهْ غير جميل ذكرهْ

ويبدو أن الأدب القصصي ما كان له أن ينتشر في تراثنا إلا بعد تمكن الحضارة، ونشوء حركة ثقافية شاملة، ورقي في التنوع الفني، فكان الفن القصصي نثراً وشعراً من نتاج هذا الانفتاح الجديد.

ومع هذا فإن شعر القصة ظلّ في حيّز ضيق، وإن كنا نقع هنا وهناك على قصص شعرية، ومن أطرف ما عثرت عليه في هذا الأدب حكايتان في قصيدة واحدة لربيعة الرقي، والطريف أن إحداهما من أشهر الحكايات التي كتبها لافونتين بعد ذلك بقرون. تقول القصيدة [٢٤]:

ظلمت كذئب السوء إذ قال مـرة **لسخل رأى، والذئبُ غرثان مرمـلُ**

فأنت الذي في غير جـرم شـتمتني **فقال: متى ذا؟ قـال ذا عـام أولُ**

فقال: ولدت العام بل رمـت غـدرة **فدونك كلني لا هنـا لـك مأكـلُ**

ثم:

فأنـت كـذبّاح العـصافير دائبـاً **وعيناه من وجْدٍ علـيهن تهمـلُ**

فلو كان من رأف بهـنّ ورحمـة **لكفّ يداً ليست من الذبح تعطـل**

فلا تنظري ما تهمل العين وانظـري **إلى الكفّ ماذا بالعـصافير تفعـل**

وهذا شاهد قوي على أن البيئة العربية قد عرفت حكايات شعبية مطابقة لمثيلاتها في الحضارة اليونانية، إذ وردت ضمن خرافات إيسوب [٢٥].

هذه الحكايات وأمثالها شكلت ذاكرة جمعية دفعت إلى إعادة صياغتها في العصر الحديث لتكون نواة شعر الأطفال العربي.

فإذا نظرنا إلى بداية شعر الأطفال الكبرى على يد محمد عثمان جلال في مصر، فإننا نجد أنه جعل حكايات لافونتين والتراث العربي والشعبي معينه الوحيد في هذا التأسيس الذي قام به.

---

(٢٤) شعر ربيعة الرقي. للعاني . ص ٥٠ .

(٢٥) راجع أيضاً حكاية عن الديك والغراب وردت في ديوان أمية بن أبي الصلت. السطلي. ص ٥٣٣ . و للتفصيل راجع الفصل السادس من الأدب القصصي في تاريخ الأدب العربي لبلاشير .

الباب الثاني

التجربة المصرية

الفصل الأول

العيون اليواقظ لمحمد عثمان جلال

من المؤكد أن رائد النهضة العربية رفاعة الطهطاوي هو أول من كتب قصيدة خاصة بالطفل، إلا أن ما فعله لم يزد على عدة قصائد وأناشيد، أما ما فعله محمد عثمان جلال فهو عمل ضخم، تدهشنا لغته وأفكاره وصياغته وحجمه، وذلك عندما وضع كتاب "العيون اليواقظ في الأمثال والمواعظ" الذي لا يُعرَف تاريخ طبعته الأولى بدقة، بل إن هذه الطبعة ظلت مفقودة حتى من المكتبات العامة في مصر، إلا أن الباحث المحقق الدكتور أحمد زلط يذكر أنه عثر على نسخة أصلية من هذه الطبعة، وهو يعمل على تحقيقها(١)، والمرجَّح أن الطبعة الأولى صادرة بين عامي ١٨٤٩ و١٨٥٤(٢).

كما أن عامر بحيري محقق أحدث نسخة صادرة من الديوان يذكر أنه اعتمد على الطبعة الثانية عام ١٩٠٨، مع أن للعيون اليواقظ عدة طبعات قبل هذا التاريخ، فقد اطلعت

محمد عثمان جلال (١٨٢٨ - ١٨٩٨)

ولد في بلدة "ونا" من بني سويف ، وكان من أوائل تلاميذ رفاعة الطهطاوي النجباء حيث أدخله مدرسة الألسن، عمل في وظائف متعددة خاصة بالترجمة عن الفرنسية، ترجم عدداً من الكتب والمسرحيات منها "عطار الملوك" و"أرجوزة في تاريخ مصر" و"الأربع روايات في نخب التياترات" و"الروايات المفيدة في علم التراجيديا" و"سيد" وله رواية "المخدمون" وديوان شعر بالعامية وآخر بالفصحى .

(١) أدب الأطفال بين محمد عثمان جلال ... ص ٥٩ .

(٢) سا . ص ٢١ .

شخصياً على طبعتين من الكتاب إحداهما صادرة عام ١٩٠٦، أما الثانية فهي صادرة عام ١٨٧٠ عن المطبعة الكاستلية في القاهرة، ولم أعثر على إشارة إليها في كل المراجع التي تحدثت عن المؤلف والكتاب، وطبعة عامر بحيري فيها تصويبات على الأصل، وبعض التصرف، مع الإشارة إلى موضع التدخل.

ويبدو لي أن الدافع الأساسي لإخراج هذا الكتاب كان المتعة، إذ يذكر محمد عثمان جلال أنه بعد استقراره في الوظيفة تفرغ إلى عمل ممتع خاص، فقال:

"فأخذت أترجم في الأوقات الخالية كتاب العلامة الفرنسي لافونتين.. وهو من أعظم كتب الآداب الفرنسية المنظومة على لسان الحيوان، على نسق (كتاب الصادح والباغم) و(فاكهة الخلفا).. وسميتها "العيون اليواقظ في الأمثال والمواعظ".. وتعاقدت مع رجل فرنسي يدير مطبعة من الحجر، ولكنه أخلف وعده لي، فجهزت مطبعة أخرى، وأنفقت عليها كل ما عندي.. فلما تمَّ طبعها، عرضتها على العزيز عباس باشا الأول.. وكان واسطتي إليه المرحوم المغفور له مصطفى فاضل باشا.. فرمى كتابي في وجه حامله. فعاد إليّ بخفي حنين.. بعت حماري، وبقية ما أملك، وقد ركبني الهم والغم."(٣)

وربما كانت المتعة والمزاج الخاص عاملين مهمين في أن الكتاب جاء من أمتع ما كتب للأطفال لما يحويه من شعر سهل عموماً، ومليء بالظرف والرشاقة والمتعة.

والحقيقة أن ما ذكره جلال قد يوحي بأن الكتاب ترجمة دقيقة وكاملة لحكايات لافونتين، لكن من يتفحص في العيون اليواقظ سيعلم أنه حوى قصصاً من التراث الشعبي المصري والتراث العربي، إضافة إلى قصائد ليس فيها حكاية بل فكرة وموعظة.

وأورد جلال في مطلع كتابه قصيدة قصيرة تصف عمله ومنها(٤):

بسم الزمان وعن كتـــابي أســـفرا وبه النسيم على محبتـــه ســـرى

---

(٤) سا . ص ٣٣ وقد تصدرت القصيدة غلاف طبعة عام ١٩٠٥.

فيه النكات مع النوادر أينعت وظلام ليل الجهل منه أقمرا
يا قوم إني قد نصحتكمُ به والنصح أغلى ما يباع ويشترى
فإذا ملكتم منه أية نسخة نسختْ لديكم ما أهمّ وأكدرا

ويتحدث عن الكتاب في مكان آخر قائلاً (٥):

وإن أكن أكثرت في كتابي من قصص النعاج والذئابِ
إياك أن تبخس قط ثمنه فقبله.. كليلة ودمنه
وقبله فاكهة للخلفا والصادح الباغم حسبي وكفى

ثم ينص على أمر هام يعكس احتقار الجوّ العام لما يصلح للأطفال:

لكن أراك تعكس الآمالا تقول: هذا ينفع الأطفالا
قل ليَ بالله على الصحيحِ بلفظك المستعذب الفصيحِ
حكاية تعلم الأطفالا وتسحر النساء والرجالا
أحلى، وإلا سيرة لعنترةْ تقرأ فيها سنة بل عشرةْ
أو سيرة الظاهر أو ذي الهمةْ أراك لا تنطق لي بكلمةْ

لقد أورد جلال هذه القصيدة "زجر المؤلف للمعنف" لأن الكثيرين من ذوي العقول الجامدة سخروا من الكتاب وهاجموه عندما اطلعوا عليه، أو سمعوا بعضه قبل أن يُطبَع.

وفي القصيدة التي سمَّاها "الخاتمة" نجده يعيد التذكير بفكرة كتابه وأهميته، ولا ينسى أن يوجه التحية إلى الخديوي عباس(٦):

من الكتاب حين تمّ الطبعُ تكلم الذئب له والسبعُ
وختل الغرابَ فيه الثعلبُ وغلب الليثَ العظيم الأرنبُ
فكل ما قيل عن البهائمِ مقصده التعليم لابن آدمِ

---

(٥) سا . ص ٣١٣ .
(٦) سا . . ص ٣٣٤ .

حــوادث الزمـــان فيـــه جُمِعـــتْ ... فـــي حِكَـــم بروقهـــا قـــد لمعـــتْ
وصـــبحه زحـــزح ليـــل الجهـــلِ ... بكـــل تركيـــب لطيـــف ســـهلِ
وازداد بهجـــة برســـمه الـــصورْ ... كـــالعين تـــزداد جمـــالاً بـــالحورْ
في ظل من تعنـــو لديـــه النـــاسُ ... وهو خـــديوي مـــصرنا عبـــاسُ
أيـــــده الله بأيـــــد النـــــصرِ ... في عـــصرنا هـــذا وكـــل عـــصرِ
يغرســـه فـــي ســـائر المـــدارسِ ... لأنـــه مـــن أحـــسن المغـــارسِ
ويقتنـــي الحمـــد بـــه والـــشكرا ... مـــن كـــل مـــن ينظـــره ويقـــرا

إن هذه الدعوة المباشرة من المؤلف كي يقرِّر كتابه على المدارس لم تلاقِ استجابة من الخديوي عباس، وهو المشهور برجعيته وعدائه للتعليم، حيث أغلق الكثير من المدارس وعلى رأسها دارالألسن، واضطهد الطهطاوي ونفاه إلى السودان، وأغرق مصر في ظلام استمر طوال عهده.

ولكن محمد عثمان جلال رأى بعينيه ثمار عمله الكبير، وعلى نحو يتمناه كل مؤلف، ففي عام ١٨٩٤ قررت نظارة المعارف العمومية – كما كانت تسمى– كتابه في المدارس الابتدائية، وظل المصدر الرئيسي للكتب المدرسية العربية ما يزيد على نصف قرن، وإلى الآن قد لا تخلو كتب بلد عربي من حكاية لجلال، وهذا يدلّ على قدرتها على الحياة على الرغم من مرور كل هذه السنوات عليها.

وعلى ما يبدو زُيِّن الكتاب بالصور، وقد رأيت أن طبعة عام ١٩٠٦ قد حوت رسماً لكل حكاية، وهو مأخوذ من الأصل الفرنسي(٧).

وقبل أن يبدأ الشاعر حكاياته المترجم أكثرها بتصرف كبير يزيدنا قصيدتين، إحداهما حديث خالص عن عمله، ومنها(٨):

وقـــضى الله أن تتبعـــت أصـــلاً ... كـــان بـــالنظم شـــمله موصـــولا

---

(٧) أرى ذلك من خلال صور أدق ترجمة وأكمل عن لافونتين لنقولا أبي هنا المخلصي .
(٨) العيون اليواقظ . ص ٣٤

طالمـــا أمتطــي الأراجيــز فيهـــا وقلـــيلاً أجتـــاز بحـــراً طـــويلا
وتخلعـــت نـــادراً فـــي القـــوافي وتبـــسَّطتُ فـــي اقتفاهـــا قلـــيلا
ومن العجـــز لـــم أقـــارب ولكـــن دارك الله عـــــاجزاً مهــــــزولا
علـــم الله أن ذلـــك للـــوعظ فأضـــــحى بعونـــــه مقبـــــولا

أما الثانية فهي بعنوان "إهداء" موجه إلى خديوي مصر، ومنها(٩):

يـــا ملـــك الـــسؤدد والـــسعاده أنـــت بجيـــد الـــدهر كـــالقلاده
يا خيـــر والٍ فـــي الـــورى وراعِ يـــا حـــسن الخـــلاق والطبـــاعِ
العفـــو منـــك فاقبـــل الهديـــه واستنـــشق الرائحـــة الزكيـــه
وانظر فتلـــك روضـــة المعـــاني ودوحـــة المنطـــق والبيـــانِ
نظمـــت فيهـــا مـــالتي حكايـــه وكلهـــا بالحـــسن فـــي نهايـــةْ
ولـــم أجـــد لهـــا ســـواك أهـــلا ولا جنابـــاً فـــي الأنـــام ســـهلا
وامنن عليه بـــالقبول والرضـــى فإن فـــي يمنـــاك أحكـــام القـــضا

في أول حكايات الكتاب "الصرّار والنملة" حديث عن الصرار الذي جاء في فصل الشتاء، ولم يجمع مؤونة في الصيف، لأنه أمضاه بالغناء، ويختم جلال الحكاية بهذه الأبيات (١٠):

قالت: وما ادخرت فيـــه للـــشتا؟ قـــال لهـــا مـــستهزئاً منكتـــا:
كنـــت أغنـــي للحميـــر القمّـــصِ قالت له: ياصـــاحبي الآن ارقـــصِ!
واعلم بأن السعي فـــي الـــذخيره يـــدفع كـــل غمّـــة وحيـــره
والدرهم الأبيض وهو فـــي يـــدي ينفعنـــي فـــي كـــل يـــوم أســـودِ

و"الكلب والذئب" من أجمل الحكايات وأهمها مغزى، وقد صاغها الشاعر أنجح صياغة وأطرفها، وتبدأ هكذا (١١):

---

(٩) سا . ص ٣٥
(١٠) سا . ص ٣٧ .
(١١) سا . ص ٤١ .

ذئب ضعيف مرَّ بعد العصرِ ... يسعى على القوت بجنب القصرِ
فجاءه كلب كبير الجرمِ ... مُغْرى من الدنيا بمصّ العظمِ
ومذ رآه وحده ضعيفا ... مكسراً مهشماً نحيفا
قامت به مروءة الكلابِ ... ولم يعُدَّه من الذئابِ
وإنما أقرأه السلاما ... فطأطأ الذئب له، وناما

وبعد أن يتعافى الذئب تستمر الأحداث على هذا النحو:

قال له الكلب: ولمْ أراكا ... دون الذئاب.. السقم قد براكا
ما ضرّ لو جئت معي في الدارِ ... تأكل بالليل وبالنهارِ
حتى تعود في مجاري الصحة ... وتأكل اللحمة كل لمحة
وكلٌ ذا أحسن من نطٍ الخلا ... وربما نطٌ يقطٌ الأرجلا

وهنا تصل الحكاية إلى نهايتها التي تأتي قوية ذات دلالة جوهرية دائمة:

وبينما الكلب يزجّي النصحا ... والذئب يرجو في يديه الصلحا
إذ لمح الذئب بجيد الكلبِ ... آثار أطواق الأذى والكرْبِ
قال له: يا كلب ما بالجيدِ؟ ... فقال: هذا أثر الحديدِ
لأنهم بالليل يطلقونني ... وإن أتى النهار يربطونني
قال: وهل تريدني أرتبطُ؟ ... دعني إلى الشوك به أختبطُ!
لا رأي في الأكل وفي التنعُّمِ ... ما دام في جيديَ طوق الأدهمِ
وبالغنى ليس لي افتتانُ ... ما دام فيه الذل والهوانُ

إن قوة المعنى في هذه الحكاية جعلتها تصاغ شعراً للأطفال والكبار من قبل عدد كبير من الشعراء في العالم كله..

وقريب منها في القوة، الحكاية التي ترمز إلى أن الظالم القوي لا يحتاج إلى سبب منطقي للعدوان، كما في "الذئب والخروف" المشهورة حيث يتهم الذئب

الخروف بأنه قد عكّر عليه الماء مرة، أو شتمه مرة ثانية، أو لعل أحداً من أهله قد شتمه، وينهيها الشاعر بقوله[١٢]:

فـانظر إلـى الظـالم والمظلـومِ   واحكم بما تـرى مـن المعلـومِ
وقـل لأهـل العقـل والفتـوّه: أحسن ما احـتج الفتـى بـالقوّه

ونموذج آخر من العيون اليواقظ هو حكاية "الضفدعة والفأرة" وفيها تفاصيل ساخرة أبدع الشاعر في رسمها بلغة ناجحة من غير تكلف، حيث طلبت الضفدعة من الفأرة أن تأتيها لترتاح في الماء[١٣]:

أربـط يـا فـأرة فيـك رجلـي   وتـستوي أرجلنـا فـي الحَجْـلِ
حتـى إذا عُمنـا نعـوم صـحبهْ   ونـستوي إذ ذاك فـي المحبـهْ

وانطلت الحيلة على الفأرة وبعدها:

وسـبحت بهـا بـلا امتنـاعِ   وقطعت فـي المـاء قـدر بـاعِ
وهي تروغ تحتهـا فـي المـاءِ   وتطلـب العفـو مـن الـسماءِ
كم رفصت برجلهـا واضـطربتْ   وروحها إلـى الخـروج قربـتْ
وكان هـذا فـي مـرور النسرِ   وكـان كـل منهمـا لا يـدري
فـسقط النـسر سـقوط البـينِ   ورفـع الربـاط بـالاثنينِ
فقالـت الـضفدعة المكـاره   ورجلهـا مربوطـة بالفـاره:
للبغـي سـيف قـاطع ومعتـدلْ   مَن سله على امـرئ بـه قتـلْ

وفي حكاية "اللبّانة" امرأة تبيع اللبن، كانت سائرة نحو المدينة بلبنها، فراحت تحدّث نفسها حالمة بأنها بعد أن تبيع اللبن، ستشتري مئتي دجاجة، فتبيض فيكثر ما عندها، ثم تقتني الأغنام، وتكنز المال، وتشتري جاموسة وبقرة، وتتكاثر العجـول، وهنا يكمل جلال على لسان اللبانة[١٤]:

---

(١٢) سا . ص ٤٤ .
(١٣) سا . ص ٦٩.
(١٤) سا . ص ١٣٦ .

فنعم تلك نعمةٌوحبذا		عجلٌ ينطُّ في الحظير هكذا
قالت ونطت نطة وبرطعت		فعثرت برجلها، ووقعتْ
وسقطت آنية اللباءِ		وسال ما فيها مسيل الماءِ
ووقفت تنظره اللبانهْ		يروي الثرى وهي به ظمآنهْ
وذهب البيض مع الدجاجِ		وعدم المال مع الخراجِ
وهكذا حاد عن الفلاحِ		من يبتني قصراً على الرياحِ

وتبلغ المهارة والظرف مبلغهما في صياغة الشاعر لحكاية "آذان الأرانب" وهي تتحدث عن الاحتراس من الخطر إلى درجة الجبن، وهي من الحكايات القصيرة نسبياً في الديوان [١٥]:

حكاية نظمت من فنوني		عن حيوان من ذوي القرونِ
مرّ على السبع فقام نطحهْ		في صدره بقرنه فجرحهْ
فغضب السبع من القرونِ		وسار في الغابة كالمجنونِ
وقال: لا أترك منهم أحدا		يرعى الحشيش في جواري أبدا
وشاعت الأخبار في البوادي		فهرعت سكان هذا الوادي
لم يبقَ لا ثور ولا غزالُ		ولا نعاج لا ولا أحمالُ
ومذ درى الأرنب أمر أمسِ		وقد رأى خياله في الشمسِ
وشاهد الآذان كالقرونِ		قال لمن في البيت: خلصوني
فربما أدخل بالآذانِ		ضمن ذوات القرن يا إخواني
قالوا له: إن القرون تعرفُ		قال: ولو !.. فالاحتراس ألطفُ

أما الحكاية الأقصر من هذه فهي "التعوُّد" المؤلفة من ستة أبيات، وهي من الحكايات المميزة في الديوان، ونصها[١٦]:

أول شخص في الخلا رأى الجملْ		خاف لقاه ثم ولى ورحلْ

---

(١٥) سا . ص ١٦٩ .
(١٦) سا . ص ١٧١ .

ومـــذ رآه بعـــدُ شـــخصٌ ثـــانِ — لـــم ينـــزعج، وراح باطمئنـــانِ
ومـــــذ رآه ثالـــــث قفَّـــــاهُ — وربـــط الحبـــل علـــى قفـــاهُ
وباعتيـــــاد حـــــصل التـــألفُ — حتى غـدا مـع الـصغير يقـفُ
فانظر إلـى هـذا وقـسْ عليـه — في كل شـيء لـم تـصل إليـه
واحكـم بالاعتيـاد فهـو أحكـمُ — إذْ كـل شـيء معـه مـسلمُ

و"الثعبان والمبرد" حكاية في طول "التعود" تتحدث عن ثعبان يلحس المبـرد من الجوع، وفي بعض الحكايات عند شعراء آخرين يبدلون الثعبان بفأر(١٧):

حكايـــة الثعبـــان ذي الحكايـــةْ — قد بلغت مـن حـسنها النهايـةْ
أذكـــره إذ مـــرّ وهـــو آتـــي — بمبـــرد لرجـــل ســـاعاتي
وكـان جوعانـاً فـرام يقرضـةْ — فـلا تعنفـه، فهـذا غرضـةْ
قـال لـه المبـرد: يـا ثعبـانُ — ما تبتغي ؟ قـال: أنـا جوعـانُ
قال لـه: كُـل ْإن يطعـك نابـكْ — والله قـد شـرّفني جنابـكْ!
فإنمـا تأخـذ مـن سـماطي — مـا تأخـذ الـريح مـن الـبلاطِ

وعلينا أن نتذكر دائماً أن محمد عثمان جلال من أوائل من نهضوا بالعربية المعاصرة، ففي الوقت الذي كان الأسلوب النثري والشعري يدور في حلقة مفرغة من الصنعة الشكلية الجامدة، استطاع المؤلف أن يقدم نصوصاً همّها أن تقول شيئاً جميلاً وبلغة سهلة.

لا يعني كلامي هذا أن المؤلف نجا من تأثيرات مرحلته شعرياً، لكنه خطا خطوات طويلة نحو تجديد لغة القول، ولا سيما في إحساسه الشعبي وهو يصوغ قصائده.

وعلى الرغم من ضعف الطباعة التي كانت تحبو آنذاك فإن الشاعر قد اطلع على أمهات الكتب سواء أكانت مطبوعة أم مخطوطة، فقد نشر في مجلة

---

(١٧) سا . ص ٢٣٦ .

"روضة المدارس المصرية" أرجوزة في فن الشعر عام ١٨٧٦ تدل على هذا الاطلاع ومنها(١٨):

لا تحسب المرء يكون ناظما ... ولا يعدّ في القوافي ناظما
ولا يكون في القريض عدّه ... يعرف جزر بحره ومدّه

. . . . .

وروّقوا الأذهان بالمطالعة ... في الكتب التي تراها نافعة
كالمتنبي وأبي تمام ... وأمراء ذلك الكلامِ
وكالعتاهيْ وأبي نواسِ ... والبحتريّ وأبي فراسِ
واطلعوا على الصفيّ الحلي ... وما حكى السريُّ ثم الصولي
ترون هذا ينشد الحماسة ... في غاية الرقة والسلاسة

ومن يطلع على طريقة الشعراء والناثرين في زمن المؤلف يعرف مقدار الإنجاز الذي تحقق على يديه لغة وأفكاراً وثقافة.

ولنعد إلى نماذج أخرى من الديوان لنأخذ فكرة شاملة عنه، وليكن الجديد حكاية "الذئب والكلب الضعيف" التي تبدأ بقوله (١٩):

الذئب وهو سالك في الغيطِ ... شاهد كلباً رقّ مثل الخيطِ
فرام أن يقتله مذْ شافهْ ... لولا رأى ما فيه من نحافهْ
قال له الكلب: أما تراني؟ ... بين الكلابِ السقمُ قد براني؟

ثم يستبطنه الكلب:

دعنيَ أسبوعين علي أشبعُ ... قال له السرحان: مني أربعُ
وبعد هذا الذئب راح ومشى ... والكلب ولى خائفاً مرتعشا
ثم انقضت يا صاح تلك المده ... والذئب جاء كي يلاقي ضدهْ

---

(١٨) أدب الأطفال بين محمد عثمان جلال .. زلط . ص ٧٠ .

(١٩) العيون اليواقظ . ص ٢٤٧ .

وتنتهي الحكايه على هذا النحو:

وقال: يا كلب الديار اخــرجْ لــي	فــإنني جئــت هنــا برجلـــي
قال له الكلب: اصطبر يا من عـوى	إني مـع البـوَّاب نأتيـك سـوا
وكان ذا البـواب كلبـاً جارحـا	حـين رآه الـذئب ولـى رامحـا
وســار للبـــرّ يعــض يــدهُ	وقال: بئس الـرأي مـا أفـسدهُ!

إن المتأمل لحكايات الشاعر لا بد أن يلاحظ المهارة في لغة القص شعرياً، حيث يبرع في الحوار الساخر المركز، وفي تسلسل أجزاء الحكاية، وأغلبها ذات روح مرحة ومكثفة، ولا ينسى أن يضيف إضافات ذات أثر خاص في التشويق والإثارة كما في "الغزالة المريضة" (٢٠):

ومرضـت غزالــة فــي الغابــة	وقــد أصــيبت غايــة الإصــابة
فاقبلـــت أحبابهـــا إليهـــا	تعودهــــا ســــائلة عليهـــا
قالت لهم وقـد رأت مـا فعلـوا	ومـا لمرعاهـا القريـب أكلـوا
جزيتم خيراً عن الـسعي الـذي	حرمنـــي طعـــامي الملــــذِّ
انصرفوا عني كفاني مـا جـرى	يا ليتني كنت دُفنت فـي الثـرى
فانصرفوا من بعد شرب القهـوه	وبعدما استكفت أصـول الـشهوه
وغادروهـا فــي أشـد حـسره	مما جرى..بعد خـراب البـصره

ثم تموت الغزالة في آخر الأمر.

فاللمسة التي أضافها الشاعر في انصراف الحيوانات بعد شرب القهوة، أو أن الأرض غدت كرأس قرعاء ملمح بارز وناجح في حكاياته، نلحظه على الدوام كما في "القط العجوز والفأر"(٢١):

فأر صغير لـيس أهـل تجربـه	أمـسكه قـطٌ عجـوز شـهربه
فاضطرب الفـأر وقـد تـضرَّعا	مذ خَاف عنـد القـط أن يقطعـا

---

(٢٠) سا. ص ٢٩٦ .

(٢١) سا . ص ٢٩٩ .

قال لـــه: يـــا قـــط فـــك قيـــدي | واترك سبيلي ليس كـــل الـــصيدِ
اتـــرك ســـبيلي ســـنتين أكبـــرْ | وبعدُ في هـــذا المكـــان أحـــضرْ
قال له القط: اتئِـــد يـــا سيـــسي | أنت رويت المَكـــر عـــن إبلـــيسِ
وكيـــف قـــطٌ هـــرم يـــسامحُ | وبك قـــد مُنِحـــت؟ جـــلَّ المـــانحُ
أدخـــل ببطنـــي، وأقـــم دلـــيلا | وأظهـــر المعقـــول والمنقـــولا

إن "العيون اليواقظ" اختار في لغة القص كالعادة بحـــر الرجـــز بـــصورة أساسية، وكما جرت العادة في الشعر العربي كلـــه تقريبـــاً، إلا أن ذلـــك لا يعنـــي اقتصار الشاعر عليه، ففي هذا الديوان الذي ضم مئتي قـــصيدة غالبيتهـــا العظمـــى حكايات هناك مئة وستون نصاً على بحر الرجز أما الباقي فيتراوح بـــين البحـــر الطويل والبسيط إلى الخفيف والكامل وغيرها.

وكما هو الأمر دائماً، فإن البحر الطويل تحديداً يجرُّ الشاعر جراً إلى قدر من التكلف والصنعة والانشداد إلى الروح التقليدية، وهذا ما نلمسه في هذا النموذج من حكاية "الخرج"(٢٢):

لقد جمع السيف المقـــذَّف جنـــدهُ | وأدخلهم يومـــاً ببـــاطن جحـــرهِ
وقال لهم: من منكم ســـاء خلقـــه | فلا يخشَ مني أن أرى كُنـــه أمـــرهِ
ومن يرَ عيباً شانه فليـــبح ْ بـــه | لعلي أرى شـــيئاً يقـــوم بجبـــرهِ

وفيها أن القرد قال:

وقال: أراني قـــد خلقـــت متمَّمـــاً | ولم أرَ عيباً فـــيَّ أرجـــو لـــسترهِ

وكذلك امتدح الدب والفيل نفسيهما:

وكلٌّ رأى في جسمه حـــسن خلقـــه | وشاهد كل العيب في جـــسم غيـــرهِ
فقام أبو الأشـــبال يخطـــر بيـــنهم | وقال كلاماً حار فكـــري لـــذكره:
لكل امرئ خُرْجٌ من العيب ملـــؤه | على كتف منه ومن أهـــل دهـــره
فعين عيوب الغير نصب عيونـــه | وعين عيوب النفس من خلف ظهـــره

---

(٢٢) سا . ص ١٦٧ .

بينما نجد أن الإيقاع السريع الملائم للناشئة هو أفضل وعاء للحكاية، إذ يعسر على الصغار خاصة تذوُّق القصائد المكتوبة على البحور الطويلة أو حفظها. لذا يكون من أنجح الإيقاعات ما نجده في "الكرمة والأيل"(٢٣):

حكايـــة ابـــن الأيـــلِ وهو الغـــزال الجبلـــي
أدركـــه الـــصياد فـــي ليـــل بهـــيم أليـــلِ
ففـــرّ منـــه هاربـــاً بخفـــة فـــي الأرجـــلِ

أو ما في "الذئب والأم وولدها"(٢٤):

حكاية الـــذئب تهـــدّى إلـــى الملـــوك حـــلالا
إذ مـــرّ يومـــاً بـــدار نوقاً حـــوت وجمـــالا
ونعجـــة ذات صـــوف أحمالهـــا تـــستلالا

ومما يلفت النظر أن محمد عثمان قد صاغ عدداً من الحكايات بالعامية المصرية، وسبق أن أشرت إلى أنه مشبع بروح شعبية نحس أثرها حتى في شعره الفصيح من خلال العديد من المفردات والجمل والأفكار المبثوثة في ثنايا الحكايات، إلا أن إدخال نصوص عامية أمر في غاية الطرافة والدلالة كما في حكايات "الموت والحطاب" و"الحمار والحصان" و"الضفادع يطلبون ملكاً" و"المسعد الساعي والمسعد النائم" و" الكلبتان" و"القطة التي قلبت امرأة" و"القط والفأر" و"الفرارجي" و"الغابة والحطاب" و"الكلب الأقطش والذئب "ومن أجواء هذه الحكايات ما نقرؤه في حكاية "الغابة والحطاب"(٢٥):

اســـمع دي الحدوتـــه حقـــا واعمل طيـــب طيـــب تلقـــى
عن حطاب إيد فاسو ضـــاعت والا انـــسرقت منـــه ســـرقه
من غير فاس يتعطـــل شـــغله يعمـــل طحـــان ولا ســـقا

---

(٢٣) سا . ص ١٢٠ .
(٢٤) سا . ص ٢١٢ .
(٢٥) سا . ص ٣٠٣ .

راح للغابـــه يترجاهـــا   في حقه مـن فـرع النبقـه
قالـت لـه: خايفـه أعطيـك   تعمـل إيـد للفـاس الزرقـه
بعدين تنـزل فـوق فروعـي   وتـدق علـى راسـي دقـه

ونسجل أن في الديوان موقفاً سلبياً من المرأة، حيث تصور كالعادة خائنة بلا أمانة و نمّامة، ومن الصعب إصلاحها، وهو أمر كان طاغياً في المجتمع آنذاك.

وقد يبلغ تساهل الشاعر وترخصه أحياناً مبلغ الخطأ الواضح، مما جعل محقق الديوان البحيري يصحح ما يراه من سقطات لا يجوز أن تبقى، وقد أشار إليها في الهوامش.

كما إن الشاعر أثبت نصوصاً لا علاقة لها بالحكايات، كما ورد في "البنت" و"زجر القادح" التي دافع فيها عن كتابه، وهاجم من سخروا من عمله وفيها(٢٦):

لئن كنت سحبان الفصاحة فـي المـدحِ   وضاهيت قُساً ما سلمت مـن القـدحِ
يقولون: ما هذا الكتاب ؟ وما بـه ؟   أكاذيـب أقـوال البهـائم فـي قـبحِ
وقد زعمـوا أن البلاغـة لـم تكـن   بأحسن مما قيل فـي القـد والـرمحِ
وتشبيه لون الخد بـالورد واللظـى   وتمثيل نور الوجه إن لاح بالـصبحِ

وفي هذا ما يعكس وعياً فنياً مجدّداً في تلك المرحلة. ومثل هذا قـصيدة "حـب العزلة" التي عبرت عن وجهة نظر شخصية في الناس والحياة(٢٧).

---

(٢٦) سا . ص ٦٦ .

(٢٧) تراجع في كتاب أحمد زلط المشار إليه في هذا الفصل تفصيلات مهمة حول الكتاب وأسلوبه الفني . وكذا في "الشعراء المجهولون في القرن التاسع عشر" للدكتور طه وادي .

الفصل الثاني

نظم الجمان لعبد الله فريج

عبد الله فريج أديب مغمور، حتى إن الباحث يعثر على نتف من أخباره بصعوبة بالغة، كأن تقع له قصيدة في مدح أو رثاء في هذا المصدر أو ذاك، وقد قام الدكتور طه وادي بجهد كبير عندما تتبع أخبار بعض الشعراء الذين ظلمهم التاريخ الأدبي كثيراً في كتابه "الشعراء المجهولون في القرن التاسع عشر"

ومما له بالغ الدلالة أن عبد الله فريج هو الشاعر الذي نصّ صراحة في مقدمة كتابه "نظم الجمان" على أنه وضع هذا الكتاب لتلامذة المدارس، وأجد من المهم هنا أن أثبت نصّ المقدمة القصيرة له(1):

" الحمد لله ذي العظمة والإجلال، الذي أنطق الإنسان بالحكم والأمثال. ثم الصلاة على أنبيائه أجمعين، الذين أرشدوا إلى الحق واليقين.

أما بعد فيقول عبده الفقير لمراحم ربه القدير:

عبد الله فريج (··· – ١٩٢٧)

شاعر من أصل شامي، عاش في الإسكندرية، رئيس معلمي اللغات في المدرسة الخيرية، انتقل إلى طنطا، كان صديقاً لعبد الله النديم، عمل وقتاً قصيراً في التعليم في القاهرة، له الدواوين الشعرية التالية "سمير الجلاس في بديع الجناس" ١٨٦٦ ، و"الروض النضير في صناعة التشطير"١٨٩١ ، و"أريج المدام في الجناس العام" ١٨٩٤ و"نظم الجمان في أمثال لقمان" ١٨٩٣، و"أريج الأزهار في محاسن الأشعار" ١٨٩٥، و"سمير الجليس في محاسن التخميس" ١٩٠٦ .

(١) نظم الجمان . ص ٣ - ٤.

إنني لما رأيت الديار المصرية، قد رقت في الحضارة إلى درجة عليّة، لا سيما في زمن مولانا العباس، الذي أينعت فيه المعارف كرياض الآس، هذا وقد قرر المجمع اللغوي في بعض جلساته، وبعد النظر المدقق في مباحثاته، أن تكلف تلامذة المدارس الأميرية، في عهد الوزارة الرياضية، بحفظ منتخبات من أشعار البلغاء، فيكتسبوا بذلك ملكة الإنشاء، قد أخذتني الغيرة الوطنية، أن أخدم بلادي بخدمة رضية، تعود على أبنائها بالفائدة، وتأتي لهم بالمنافع الزائدة، فاستعنت في ذلك الواحد الفتاح، مصدر الحكمة وينبوع الصلاح، وعمدت إلى أمثال سيدنا لقمان الذي شهد له بالحكمة في منزل القرآن، وإلى ما جرى مجرى ذلك من الأمثال الرائقة ، ذات المواعظ المفيدة والمحاسن الشائقة، ناظماً كلاً منهما أرجوزة وافية وبديع النظام، ثم جعلتها خدمة أدبية، لتلامذة المدارس الابتدائية، ليلتقطوا ما فيها من دُرّ النصائح والحكم، التي يحق أن يسعى لتحصيلها القدم، فتجعل له استعداداً في الأفكار، يتوصلون به لإدراك ما فوقها من الأشعار ".

ويُظن أن الشاعر وضع هذا الكتاب ليكون داعماً له في قبوله في التعليم، وقد أهدى فريج عمله إلى أحمد حشمت باشا ناظر المعارف وقتها، ومدحه بقصيدة في أول كتابه(٢).

ويتملكنا العجب من ذلك التجاهل التام للشاعر حتى من قبل مؤلفين يشاطرونه المنبت والديانة كلويس شيخو وجرجي زيدان.

يدور في خلدي على الدوام أن كتابة شعر الأطفال كانت تثير السخرية والاحتقار في الوسط الثقافي آنذاك، وما حصل لكتاب الرائد محمد عثمان جلال، ودفاعه عن نفسه وهجاؤه لمنتقديه أدلة واضحة على ذلك.

"نظم الجمان" تجربة ريادية متقدمة كان لها شرف المشاركة في التأسيس لشعر الأطفال العربي، وتمتاز بأنها ليست ترجمة عن نص أجنبي، بل نظم شعري لقصص شعرية عربية معروفة عن الحيوان.

---

(٢) الشعراء المجهولون . ص ١٣٠ .

يبدأ الكتاب بالحكاية المشهورة "أسد وثوران" حيث استطاع الثوران أن يتصديا للأسد، فاحتال للتفريق بينهما فجاء إلى أحدهما وقال[٣]:

وهاك عهداً يا أخي وثيقا   بأن تراني دائماً صديقا

فاغترّ ذا المخدوع بالتمليق   وظن أن العهد ذا حقيقي

وإذ تخلى الغرُّ عن أخيه   وذاك شأن الأحمق السفيه

فقد أتى ليث الشرى إليهما   ومزقت أنيابه كليهما

وصحَّ أن يُقال تلك الساعه   أن يد الله مع الجماعةْ

ومن الحكايات التي تظهر قدرة عبد الله فريج على إعمال خياله وأسلوبه الجميل في رواية قصة معروفة ما فعله في "الأسد المريض والثعلب والذئب" التي تحكي عن أسد مريض جاءت كل حيوانات الغابة لعيادته، وهنا وشى الذئب وتآمر على الثعلب عندما قال للأسد أن جميع الحيوانات مخلصة له إلا الثعلب[٤]:

وفيك طراً تحسن الظنونا   في الودّ إلا الثعلب الخؤونا

فإنه للآن ما وافاكا   ليكسبنَّ مثلها رضاكا

ويعلم الثعلب بالأمر، فيدبر مكيدة أدهى للذئب يرويها المؤلف على طريقته إذ يقول الأسد للثعلب عندما يقدم عليه:

فها أنا من مدة أقاسي   داء شديداً مُخْمِداً أنفاسي

تعودني الوحوش والسباعْ   وأنت عني غافل منصاعْ

أجابه الثعلب وهو يعتذرْ   لسوء ظن سيدي لا تبتدرْ

واعلم بأني حافظ الولاءِ   إليك في الشدة والرخاءِ

وحسبك اليوم أخا الرشادِ   أصدق برهان على ودادي

بأنه لما أتاني ذا الخبرْ   قد اعتراني كل أنواع الكدرْ

وها أنا قد صار لي شهورْ   على أطباء الورى أدورُ

---

(٣) نخب الجمان . ص ٩ .

(٤) سا ص ١٥ .

مستقصياً في سائر الأرجـاءِ   لسيدي عـن أنفـع الـدواءِ
ولم أزل فـي ذلـك المنهـاجِ   حتى ظفرت اليـوم بـالعلاجِ

ويصف له قطعة من الذئب الذي ينال عاقبة ما فعل، ومن الحكايات الجميلة والقصيرة في هذا الكتاب "الأرنب والسلحفاة" ونصها(٥):

لقد حكوا عـن أحـد السلاحفِ   حكايـة مـن الزمـان السـالفِ
بأنهـا مـعْ سـيرها المقـاربِ   تـسابقت مـعْ أحـد الأرانـبِ
واتفقا أن جعـلا الحـدّ الجبـلْ   ليكسب الرهان مَن قبْلاً وصـلْ
فـاغترّ هـذا الأرنـب الخفيـفُ   وقال: خـصمي مـشيه ضـعيفُ
فنـام وهـو جفنـه قريـرُ   والـسلحفاة أخـذت تـسيرُ
فوصـلت مـن قبلـه للحـدّ   وهـذه لا شـك عقبـى الجـدّ
فهاكهـا نـصيحة يـا قـاري   منظومـة كـساطع الـدراري
إذا أردت الفوز داوم في العمـلْ   إذ كل من سار على الدرب وصـلْ

و"صبي كذوب" من الحكايات المتميزة، وقد كررها كثيرون من بعده نظماً، وهي تبين عاقبة الكذب(٦):

قد صاح في يوم صـبي راعِ   وهو مع القطعان في المراعـي
الذئب هذا اليوم قـد وافـاني   هيا أغيثـوني أيـا جيرانـي
فهرعت إليـه تلـك الجيـره   والكل وافـى بعـصا كبيـره
وإذْ رآهـم ذلـك الغبـيُّ   مبـادرين مغهـم العـصيُّ
صاح بهم مـستهزئاً ضـحّاكا   إذ لم يكن ذئـبٌ أتـى هنـاكَ
فرجعـت بالخجـل الجيـرانُ   والكل منهم حاقـد غـضبانُ
وثاني يوم جـاء ذاك الـذئبُ   حقيقـة ولـيس فيهـا كـذْبُ
وقد غدا يـصيح ذا الكـذوبُ:   هيا الحقوني إننـي مكـروبُ

---

(٥) سا . ص ٣٢ .
(٦) سا . ص ٤٣ .

لكن أحداً لم ينقذه، فقد اعتقدوا أنه كذب كما فعل في المرة السابقة، لذا تنتهي الحكاية بنهاية الراعي:

فبطش الذئب بذا الغلامِ ... ولم يغثه أحد الأنامِ

ويروي الشاعر في "ثعلب وديك وحجل" أن الثعلب جاع في أحد الأيام، فاحتال للحجل والديك إذ أظهر الورع والتقوى، وراح يعظ ويرشد، بل إنه اقترح أن يحج مع الحجال تكفيراً عن الذنوب، وفي الطريق ليلاً عرجا على مغارة ليناما، فوقف الثعلب عند بابها(٧):

وقال ذاك الثعلب المكيرُ: ... إني هنا عليكما غفيرُ

ولازم الباب له مقاربا ... مبرماً عليهما الشواربا

وقد احتال الحجل على الثعلب، إذ طلب أن يصلي قبل الموت:

وعندما قد ركع المسكينُ ... قال له وقلبه حزينُ:

أرجوك يا رب الوفا التماسا ... فضلاً بأن تـوطئنَّ الراسا

حتى أرى شيئاً من السماءِ ... فمنه أدعو صاحب الآلاءِ

قال: نعم. وطأطأ المغرورُ ... رأساً له وقلبه مذعورُ

فاغتنم الفرصة ذيَّاك الحجلْ ... وطار منه حيث فاز بالأملْ

وحكاية "ليث وأشباله" من الحكايات الطويلة في الكتاب، تدور حول أن الإنسان أقوى المخلوقات لأن له عقلاً مدبراً، فالليث حذَّر أشباله من الإنسان، وعندما صادفه شبل طلب منه المصارعة فقال له الإنسان(٨):

قال له: لبيك والكرامةْ ... وإنما يا صاحب الشهامةْ

هيا انتظرني برهة يا صاحِ ... حتى إليك آتي بالسلاحِ

ويتابع الشاعر بأسلوب ساخر جميل:

وعند ذا قد غرَّه الإنسانُ ... بحيلة يجهلها الشيطانُ

---

(٧) سا . ص ٤٥ .

(٨) سا . ص ٥٢ .

وقــال وهــو ضــاحك: أخــاف تهــرب منـــي أيهـــا الخـــوّافُ

فخلني إن كــان فيــك مقــدره أربط منك الجسم في ذي الــشجره

. . . .

وإذ مــــضى لغابـــــة هنـــــاك وقــد نــوى لخــصمه الهــلاكْ

لــــه ســــريعاً عـــاد بالقــضبان مقطوعةً مـــن شـــجر الرمـــانِ

ولـــم يـــزل يثخنـــه بالـــضرب حتى استجار الشبل من ذا الكــربِ

وقال: إن الــرأي يــا إخــواني من دونــه شــجاعة الــشجعانِ

إلا إننا قد نجد ما لا نرضاه أن يكون شعراً للكبار فما بالكم للصغار، فهو يطرح أفكاراً عنصرية واضحة، أو تفريقاً بين أعضاء المجتمع لأسباب دينية أو قومية أو جنسية، ومن المؤسف أن الشاعر يكتب قصيدة "زنجي" التي تقول(٩):

مرّ حكــيم مـــن ذوي الفــضائلِ يوماً على بعض مـــن الـــسواحلِ

وقد رأى هنــاك عبــداً أســودا فوقــف الحكــيم حتــى يــشهدا

وإذ رآه فاركـــــــاً بالثلـــــــجِ جسماً وما أدراك جسم الزنجـــي

فـــي أمـــل بأنـــه يبـــيضّ والاســـوداد عنـــه قـــد يـــنفضّ

قال لـــه الحكــيم فــي الكــلامِ: أقصر عنــاك يــا أخــا الأوهــامِ

إن اسوداد الثلج يا بــن الخــالِ أقـــرب مـــن بياضـــك المحـــالِ

إذ قيل إن الطبع يبقى في البــدنْ ولم يغيــره ســوى درج الكفــنْ

ومن المؤسف أن الحكاية قد أوردها شعراء آخرون ممن كتبوا للأطفال بهذه العقلية(*).

---

(٩) سا . ص ٣٧ .

(*) يقول الدكتور طه وادي في كتابه المذكور "أسلوب فريج أقرب من حيث الصياغة الفنية المتواضعة إلى أسلوب محمد عثمان جلال ، وكلتا المحاولتين أضعف – بالضرورة – من قصص شوقي في الحيوان" ص ١٤٧ .

وهذا ظلم كبير لا يسنده تحليل ، ففريج وجلال قدما ما هو أفضل من تجربة شوقي .. ولكنها الشهرة !

الفصل الثالث

أحمد شوقي وشعر الأطفال

لن أجادل في أن أحمد شوقي واحد من أهم شعراء العربية في الربع الأخير من القرن التاسع عشر حتى وفاته. إلا أنني أحد المؤمنين بأنه حقق جزءاً من مكانته وشهرته بسبب حياته الخاصة وما فيها من عوامل النجومية.. مع هذا فشوقي على رأس مجددي الشعر العربي، والغلوّ في الهجوم عليه لم يخدم الحقيقة الأدبية، إذ إنه من رواد المسرح الشعري، ومن الذين نقلوا لغة الشعر العربي إلى حالة متطورة، ساعفت شاعريته في تألق صياغاته وأهميتها، ومن مظاهر ريادته واستنارته انتباهه لشعر الأطفال، وهذا مما يحسب له، على الرغم من أبّهة وضعه الشخصي كونه مقرباً من القصر الخديوي وقتها.

وعندما نعود إلى الجزء الأول من الشوقيات الصادر عام ١٨٩٨ نقرأ في المقدمة[١]:

"جربت خاطري في نظم الحكايات على أسلوب حكايات لافونتين الشهيرة. وفي هذه المجموعة شيء من ذلك، فكنت إذا فرغت من وضع أسطورتين أو ثلاث أجتمع بأحداث المصريين وأقرأ عليهم شيئاً منها فيفهمونه لأول وهلة! أو يأنسون إليه. ويضحكون من

أحمد شوقي (١٨٦٩ - ١٩٣٢)

شاعر كبير أعاد للشعر الكلاسيكي رونقه، له ديوان ضخم، كان مقرباً من القصر، كتب العديد من المسرحيات، درس الحقوق في فرنسا، ومن أشهر أعماله "مجنون ليلى" و"مصرع كليوباترا" و"قمبيز".

(١) الشوقيات . الجزء الأول . المقدمة.

أكثره، وأنا أستبشر بذلك، وأتمنى لو وفقني الله لأجعل للأطفال المصريين مثلما جعل الشعراء للأطفال في البلاد المستحدثة منظومات قريبة المتناول، يأخذون الحكمة والأدب من خلالها على قدر عقولهم. والخلاصة إنني كنت ولا أزال ألوي في الشعر على كل مطلب، وأذهب من فضائه الواسع كل مذهب.

وهنا لا يسعني إلا الثناء على صديقي خليل مطران صاحب المنن على الأدب، والمؤلف بين أسلوب الإفرنج في نظم الشعر وبين نهج العرب، والمأمول أن نتعاون على إيجاد شعر للأطفال والنساء، وأن يساعدنا سائر الأدباء والشعراء على إدراك هذه الأمنية."

واضح أن اختيار شوقي الكتابة للأطفال كان بوعي كامل بطبيعة التجربة وخصوصيتها، وواضح أيضاً أن اهتمامه قد بلغ إلى حد أن يشرك الأطفال في الحكم على نجاح ما فعل.

ومن الحقيقة أن نذكر أن شهرة شوقي في هذا المجال طبقت الآفاق، وطغت على ما قد عداها، وهذا بلا شك جاء بسبب مكانة الشاعر في الدولة، وتأثر الرأي الثقافي العربي السائد بهذه المكانة.. لأننا لا نستطيع أن نفسر شهرة الشاعر بنجاحه في شعر الأطفال، بل كان للسلطة الأدبية المكرسة دور كبير في هذا الأمر، فالشاعر تجاهل تماماً أن يشير إلى من سبقه من الرواد الكبار كمحمد عثمان جلال وعبد الله فريج ومصطفى كامل، وهو في ظني تجاهل مقصود، لأن الشاعر عامةً كان حريصاً على الانتشار والتقريظ بوسائل كثيرة معروفة عنه، وكان يمارس سلطة على النقاد بوسائل متعددة ليعطوا نجوميته الكثير من اللمعان، والغريب أن الكثير من الدارسين والمتابعين يحسبون أن الرجل هو مؤسس شعر الأطفال في أدبنا المعاصر، وإذا تركنا أنه قد سُبق إلى هذا اللون من قبل شوقياته بما يقارب الخمسين سنة، فلن ننسى أن رفاعة الطهطاوي هو رائد الالتفات والكتابة في شعر الأطفال، ولكن الكتب المدرسية كانت تعطي حصة الأسد لقصائد شوقي، بينما تقلل من الاستشهاد بتجارب أغنى وأغزر، وهكذا نال شوقي من الاهتمام في هذا الجانب ما يفوق إنجازه بكثير.

ومع هذا فإنه قدم واحدة من أهم التجارب المبكرة في شعر الأطفال العربي من خلال أناشيده وقصائده وحكاياته التي أبدعها.

ها نحن نقرأ في الجزء المنشور عام ١٨٩٨ من الشوقيات:

"وهذه أناشيد وطنية دعائية موضوعة لصغار أبناء الأمة من النوعين وهي مما ينبغي للطفل أن يقرأه عن ظهر قلب كيما تسبق الفضيلة إليه الرذيلة ويشب على حبّ الله والوطن والناس:

هيا بنــي وطنــي نــسود — نبني كما بنــت الجــدودْ

هيا بنـــا رغــم الحــسود — نسمو على سعد الــسعودْ

.....

طلب الفخــار بــلا ثمــن — عار علــى أهــل الفطــنْ

هيا افتدوا مصر الــوطن — فالحر عن وطــن يــذودْ"

وله أيضاً مما "يتلى في مدارس البنات" على حسب قوله[٣]:

نحن بنـــات المدرســـه — لنـــا عقـــول كيّـــسةْ

آدابنـــــا مؤســـــسه — علـــى متـــين ســـببْ

بنـــا عمـــاد العائلـــه — قامت وكانـــت مائلـــةْ

فمـــــا لأم جاهلـــــه — مـــن ولـــد مهـــذبْ

اليـــوم عنـــد المرشـــد — وأمهـــات فـــي غـــدِ

نـــصلح شـــأن الولـــد — للـــــوطن المحبـــــبْ

وقد وضع شوقي في هذا الجزء من شوقياته في طبعته الأولى ما سماه "باب الحكايات" من الصفحة ١٦١ حتى ١٩٨ "إضافة إلى أربع قصائد في ابنته أمينة من الصفحة ٢٠٠ حتى ٢٠٥.

ولم يكتف الشاعر بكتابة الشعر للأطفال، بل ترددت في ديوانه دعوات حارة للعلم وأهله، وإعلاء لشأن الطفولة في حياتنا[٤]:

البنـــون هـــم دمنـــا — والحيـــاة والـــورَدُ

---

(٣) سا . ص ١٤ .

(٤) الشوقيات ٣ / ٥٩ .

فتنـــــة إذا صـــــلحوا   محنـــــة إذا فـــــسدوا

وفي قصيدة سماها "رسالة الناشئة" كتب الشاعر(٥):

اطلـــب العلـــم لـــذات العلـــم لا   لظهـــور باطـــل بـــين المـــلا
إنمـــا الأيـــام والعـــيش كتـــاب   كـــل يـــوم فيـــه للعبـــرة بـــابُ
إقـــرأ التـــاريخ إذ فيـــه العبـــر   ضاع قوم ليس يـــدرون الخبـــرْ
خيمة في البيد خير من قـــصور   تبخل الشمس عليهـــا بـــالمرورْ

ومن مظاهر الاهتمام الرسمي بالشاعر إضافة إلى طغيان نصوصه على ما عداها في الكتب المدرسية، أن وزارة المعارف لم تكتفِ بذلك، بل أصدرت كتاباً فيه مختارات من شعره لم تكتب أساساً للأطفال لتكون مقرراً على طلاب المدارس، حيث يطالعنا كتاب "الشوقيات للمدراس" بطبعته الأنيقة. ومن قصائده "العلم والتعليم" و"قم للمعلم" و"أيها العمال" و"محمد علي باشا الكبير" و"أبو الهول" و"بين الحجاب والسفور" و"بنك مصر".

والذين كتبوا عن تجربة أحمد شوقي لم ينتبهوا إلى الإنجاز الأهم الذي حققه، وأعني به أن ما كتب للطفل قبله كان حكايات شعرية معروفة، إلا في الندرة التي تمثلها عدة أناشيد وضعها الطهطاوي، فجاء شوقي، وقدم قصيدة للطفل من غير أن تكون حكاية، بل وصفاً أو مشهداً مأخوذاً من عالمه الصغير، كما في "الهرة والنظافة"(٦):

هرتـــــي جـــــدّ أليفـــــه   وهـــــي للبيـــــت حليفـــــةْ
هـــــي مـــــا لـــــم تتحـــــرك   دميـــــة البيـــــت الظريفـــــةْ

أو "الجدة" التي يقول فيها(٧):

---

(٥) سا ٤ / ٣٨ .
(٦) سا. ص ١٨٨ .
(٧) سا. ص ١٨٩.

لــي جــدة تــرأف بــي أحنــى علــيّ مــن أبــي
إن غــضب البيــت علــيّ كلهـــم لـــم تغـــضب

أو أنشودته الجميلة "النيل"(٨):

النيل العذب هــو الكــوثر والجنة شــاطئه الأخــضرْ
ريان الــصفحة والمنظــر ما أبهى الخلد وما أنــضرْ
جارٍ ويرى لــيس بجــار لأنـــاة فيـــه ووقـــارُ
ينـــصبُّ كتـــلٌ منهـــار ويضجُّ فتحـــسبه يـــزأرْ

أو "المدرسة"(٩):

أنـــا المدرســـة اجعلنـــي كـــأم لا تمـــل عنـــي
أنـــا المـــصباح للفكـــرِ أنـــا المفتـــاح للـــذهنِ

أما الحكايات فقد كانت أكثر إبداعاته غزارة في هذا المجال، وقد أضاف إلى من سبقه كونه اعتمد على حكايات شعبية معاصرة من ناحية، وأبدع حكايات شعرية من ملاحظته أو خياله من ناحية أخرى، مثل حكاية "ضيافة قطة" إذ يروي الشاعر كيف تعرف إلى قطة ولدت عدة هررة ودافعت عنهم بقوة، ولما كانت القطة في بيت الشاعر فقد أكرمها(١٠):

أتيتهـــــا بـــــشربةِ وجئتهـــــا بـــــسترتي
وزدتهـــا الـــدفء فقربـــت لهـــا مجمرتـــي
ولـــو وجـــدت مـــصيداً لجئتهـــا بفـــأرةِ

وينهي شوقي حكايته بقوله:

تمخَّـضي عــن خمــسةِ إن شئت أو عــن عــشْرةِ
أنـــت وأولادك حتـــى يكبـــروا فـــي خفـــرةِ

---

(٨) سا . ص ١٩٥.
(٩) سا . ص ١٩٦.
(١٠) سا . ص ١٢٢.

وكتب الشاعر واحدة من حكاياته المتميزة هي "النملة والمقطم"[(١١)]:

كانت النملة تمشي ... مرة تحت المقطمْ
فارتخى مفصلها من ... هيبة الطود المعظمْ
ليت شعري، كيف أنجو ... إن هوى هذا وأسلمْ

. . . .

سقطت في شبر ماء ... هو عند النمل كاليمْ

ويمتلك أحمد شوقي قدرة كبيرة على السخرية والصياغات الضاحكة، ومن النماذج البارزة على ذلك حكاية "ثعالة والحمار" وهي قصيرة لا تزيد على ستة أبيات[(١٢)]:

أتى ثعالة يوماً ... من الضواحي حمارُ
وقال: إن كنت جاري ... حقاً ونعم الجارُ
قل لي فإني كئيب ... مفكر.. محتارُ
في موكب الأمس لما ... سرنا وسار الكبارُ
طرحت مولاي أرضاً ... فهل بذلك عارُ
وهل أتيت عظيماً ... فقال: لا يا حمارُ!

ويبدو أن الفكرة المسيطرة عن الحمار بأنه رمز للغباء والثقل جعلت الشاعر يخصه بحكاية صغيرة جداً من ثلاثة أبيات عنوانها "الحمار في السفينة" يقول فيها[(١٣)]:

سقط الحمار من السفينة في الدجى ... فبكى الرفاق لفقده وترحَّموا
حتى إذا طلع النهار أتت به ... نحو السفينة موجة تتقدمُ
قالت: خذوه كما أتاني سالماً ... لم أبتلعه، لأنه لا يُهضمُ

---

(١١) سا. ص ١٤٨.
(١٢) سا. ص ١٨١ .
(١٣) سا. ص ١٦٧.

لقد مرّ معنا أن أحمد شوقي قد ذكر في مقدمة الشوقيات تأثره بصنيع لافونتين، فسار على منواله، ولم يشر إلى من سبقه في هذا السبيل، بل إنه لم يذكر الحقيقة الكبرى في هذا المجال، وهي أن لافونتين نفسه قد أخذ حكاياته من التراث الشرقي وكليلة ودمنة في مقدمته.

إن أحمد شوقي في حكاياته وأناشيده للأطفال انطلق من وعي نظري بخصوصية ما يفعل، فانتبه كثيراً إلى طبيعة الموضوع وصياغته اللغوية وقالبه الموسيقي، ولكن لم يحافظ على ذلك دائماً، بل إن لغة الشاعر أقل سلاسة من لغة جلال أو إبراهيم العرب، فقد كثرت في قصائده التعقيدات الأسلوبية من نوع قوله في قصيدة "الجدة"[14]:

وكــلّ شــيء ســرّني ... تــذهب فيــه مــذهبي

و:

ألــم تكــن تــصنع مــا ... يــصنع إذ أنــت صــبي ؟

والأمومة مثلاً لا تتفق مع فكرة حكاية "الفأرة والقط" حيث تتمنى أن تظل بعد ابنها[15]:

وأشــرفت تقــول للــسفيه ... إن مت بعد ابني فمن يبكيــهِ؟

ومن النصوص البالغة الإرباك صياغة وفكرة قصيدة "الأم" ونصها[16]:

لــولا التقــى لقلــت: لــم ... يخلــق ســواك الولــدا !
إن شــئت كــان العيــد أو ... إن شــئت كــان الأســدا
وإن تــرد غيــاً غــوى ... أو تبــغِ رشــداً رشــدا
والبيــت أنــت الــصوت فيــه وهــو للــصوت صــدى
كالببغــا فــي قفــص: ... قيــل لــه، فقلــدا

---

(١٤) سا . ص ١٨٩ .
(١٥) سا . ص ١٨٣.
(١٦) سا . ص ١٩٢ .

وكالقــضيب اللــدن قــد طاوع فــي الــشكل اليــدا
يأخــذ مـــا عودتـــه والمـــرء مـــا تعـــودا

بينما يتألق الشاعر في بعض الحكايات الخالية من الحذلقة اللغوية، والتي تراعي الخصائص الأساسية لنصوص الأطفال الشعرية، أي اللغة السهلة والطرافة والوزن الخفيف، كما في حكاية "الثعلب والديك" (١٧):

بـــرز الثعلـــب يومـــاً فـــي ثيـــاب الواعظينـــا
فمشى في الأرض يهــذي ويـــسبّ الماكرينـــا
ويقـــول: الحمـــد لله إلـــه العالمينـــا
يـــا عبـــاد الله توبـــوا فهـــو كهـــف التائبينـــا
وازهـــدوا فـــي الطيـــر إن العـــيش عـــيش الزاهـــدينا
واطلبـــوا الـــديك يـــؤذن لـــصلاة الـــصبح فينـــا
فـــأتى الـــديك رســـول مـــن إمـــام الناســـكينا
عـــرض الأمـــر عليـــه وهـــو يرجـــو أن يلينـــا
فأجـــاب الـــديك: عـــذراً يـــا أضـــلّ المهتـــدينا !
بلـــغ الثعلـــب عنـــي عن جـــدودي الـــصالحينا
عن ذوي التيجـــان ممـــن دخـــل الـــبطن اللعينـــا
أنهـــم قـــالوا وخيـــر القـــول قـــول العارفينـــا
"مخطئ مـــن ظـــنّ يومـــاً أن للثعلـــب دينـــا"

---

(١٧) سا . ص ١٥٠ .

الفصل الرابع

آداب العرب لإبراهيم العرب

كتاب إبراهيم العرب "آداب العرب" مجموعة إرشادات مما يربى به الطفل، ومن غلافه نعرف أنه صدر عام ١٩١١(*) مصدَّراً بعبارة " نظارة المعارف العمومية " أي ما يوازي وزارة التربية والتعليم في أيامنا، وقد كتب على الغلاف أيضاً:

"قررت نظارة المعارف العمومية طبع هذا الكتاب على نفقتها وتدريسه في المدارس الابتدائية بنين وبنات وفي مدارس المعلمات السنية ومدارس معلمي الكتاتيب" وفي الكتاب تسع وتسعون حكاية شعرية مأخوذة من لافونتين وكليلة ودمنة والتراث العربي، وجاء في مقدمته[1]:

"أما بعد فهذا كتاب خدمت به نابتة الوطن المحبوب وأجريت فيه الأمثال والحكم المأثورة ليأخذوا منه ما يربي نفوسهم ويقوم أخلاقهم ويطبعها على أصوب آراء المتقدمين.

وقد التزمت أن أجعل مواعظ كتابي أقاصيص قريبة التناول واضحة المعنى سهلة النظم يقرؤونها بلا ملل وينتهون منها إلى تلك الكلم الجوامع كأنها نهايات طبيعية لتلك المواضع العذبة المشرب.

(*) ذكر د . هادي الهيتي خطأ أن الكتاب صدر عام ١٩١٣ في كتابه "ثقافة الأطفال" والصحيح ما أثبتناه. ابراهيم العرب (.... - ١٩٢٧)

(١) آداب العرب . ص ١ .

على أنني جاريت السابقين من كتاب العرب وأدباء الغرب فجعلت حكم تلك العظات دائرة على ألسنة بعض الحيوانات المعروفة ليكون الإخبار بذلك أفكه والمواعظ أبلغ في ضرب الأمثال وسرد الحكم.

فإن كنت قد وفقت إلى ما يرضي أو بعض ما يرضي فما ذلك إلا من فضل النهضة العلمية الحاضرة ".

ثم أثبت فاتحة الكتاب على شكل قصيدة منها(٢):

وبعــد فهــذي حكمــة ومــواعظ	**لتهذيب أخــلاق وإصــلاح أحــوالِ**
لخدمــة أوطــاني وإعــلاء شــأنها	**صرفت نفيس النظم والعمر والمــالِ**
وما أرتجي حسن الثناء من امــرئ	**فيا ليتني أنجو مــن القيــل والقــالِ**

ثم إهداء الكتاب للجناب العالي عباس باشا حلمي الثاني خديوي مصر في قصيدة، وبعد ذلك *" تحية الوزير الجليل* أحمد حشمت *باشا ناظر المعارف العمومية المصرية"* في ثلاثة أبيات.

ثم يبدأ الكتاب بدايته الفعلية في العظة الأولى "الطاووس"، وقد رتب العرب كتابه بتسمية العظات حتى يصل إلى العظة التاسعة والتسعين.

في قصة "الديكان والنسر" يقول(٣):

قــام ديكــان يطلبــان قتــالا	**مثــل ليثــين قــوة وصــيالا**
فانجلى النقع والــذي نــال فيــه	**ظفــر النــصر للمفــاخر نــالا**
فتوارى المهزوم في ركن عــشٍّ	**كان يخفي عن العيــون الظــلالا**
وتعالى المنصور في الطيــر حتــى	**صار يرقى الربى ويعلــو الــتلالا**
نافش الريش باسط العــرف كبــراً	**ثــاني العطــف معجبــاً مختــالا**
ثم وافــى نــسر فحــطّ عليــه	**واحتــواه بمخلبيــه وشــالا**

---

(٢) سا. ص ٣ .

(٣) سا. ص ٩ .

وراه المهزوم في منسر النسر | فأبدى سروره واستطالا
ومضى يملأ الجهات صياحاً | وأقامت له الدجاج احتفالا
بات ذاك الضعيف فيها زعيماً | حين ولى حكم القوي وزالا

ثم ينهي الشاعر حكايته ببيت مشهور للمتنبي:

وإذا ما خلا الجبان بأرض | طلب الطعن وحده والنزالا

وبعد هذه الحكاية نقرأ "الفتاة والنحلة" حيث نحلة تلسع فتاة في شفتها[٤]:

فأعولت واستصرخت من الألمْ | فجاءها بسرعة كل الخدمْ
فأخذوا النحلة للعقابِ | بلا سؤال وبلا جوابِ
فقالت النحلة: يا أصحابُ | ليس لمثلي ينبغي العقابُ
رأيت في مبسمها احمرارا | ظننته في ثغرها أزهارا
وليس بين ريقها وشهدي | فرقٌ فكيف لا أراه وردي
فأطرب الجواب تلك العَذرا | وعندها قالت قبلت العذرا
سامحتها في لسعها الخفيفِ | كرامة لقولها اللطيفِ

ومع ما تحمله هذه الحكاية من طرافة إلا أنها لا تناسب الأطفال في تفصيلها وفي بعض مفرداتها، وهو أمر سنلقاه في مواضع كثيرة من الكتاب.

وتحت عنوان "عدل خلفاء الإسلام" نقل العرب حكاية شعرية عن الخليفة المأمون وهي تبدأ هكذا[٥]:

شيّد في زمانه المأمونُ | قصراً أبانت حسنه الفنونُ
لم يحكه قصر من القصورِ | في سالف الأيام والعصورِ
وكان كوخ بإزاء القصرِ | ككلف يشين وجه البدرِ
لحائك من الورى فقيرِ | مبتهج بعيشه النضيرِ

---

(٤) سا. ص ١٠ .

(٥) سا. ص ٢٨ .

ويمضي الشاعر العرب مع هذه الحكاية التي امتازت بأنها خلت إلى حد كبير من الأسلوب الجزل والمفردات الصعبة التي طبعت أكثر ما في الكتاب:

فــأمر الخليفــة الــوزيرا يوماً إلى الحائــك أن يــسيرا
ليشتري الكوخ من المـسكين على رضـا بـالثمن الثمـينِ
فـرفض الحائـك ذاك البيعـا ولـم يوافقــه عليــه طوعـا
وقـال: إنـي قـانع بمـالي مغتبط بحـسن هـذي الحـالِ
فمنزلـي لـست غنيـاً عنـه بأي شرع تخرجوني(*) منـهُ
فيـه تـوفي والـدي وإنـي ولـدت فيـه فإليـك عنـي

فأمر الوزير بهدم بيت الحائك، وعندما علم المأمون بالخبر غضب، وأمر بإعادة بناء البيت وإبقائه لصاحبه.

وفي "الهر والجرذان" إن هراً عاش عند صاحبه في دلال وعناية، وكان دائم الإطعام له، لهذا لم يقرب من الفئران بأذى، فظنوا أنه ضعيف سقيم لمسالمته لهم[٦]:

وعزمت في نفسها أن تهلكـه وهبَّ منهـا واحـد فأمـسكهْ
وقال للجرذان:هيـا فـاهجموا عليه حـالاً فـالهجوم مغـنمُ
لقد شبعنا من حبـوب البـرِّ ونشتهي مـذاق لحـم الهـرِّ
فحملت طـراً عليـه حَملـه عادت عليهـا خيبـة وذلـهْ
لأنه استـشاط منهـا غـضبا فقـام للفتـك بهـا ووثبـا
حتى أبـاد عـصبة الجـرذانِ فهلكـت بالجهـل والطغيـانِ

ثم ينهي بحكمة كما جرت عادته في جميع الحكايات:

من أمن الدهر أتى من مأمنهْ لا تستثر ذا لبد من مكمنهْ

(*) الصحيح : تخرجونني .

(٦) سا . ص ٤٤ .

ومثل هذه الحكاية في البساطة والسهولة ما سنجده في "السمكة" التي تدور حول ضرورة الالتزام بتوجهات الآباء(٧):

قد أخذت سمكة كبيره | تنصح أولاداً لها صغيره
قالت: بناتي كنَّ وسط النهرِ | واسبحن لا تجئن نحو البرِّ
واحذرن من حبائل الصيادِ | فإنها لكنَّ بالمرصادِ

وأمطرت الدنيا كثيراً، وفاض النهر، فغادرت الأسماك النهر إلى بعض البرك التي صنعها الفيضان، ولكن الأحداث تستمر على نحو يؤكد نصيحة الأم:

حتى إذا ما قلت المياهُ | ورجع النهر إلى مجراهُ
لم تستطع أن ترجع الأسماكُ | وعمَّ فيها الويل والهلاكُ
وهالكٌ من سار في هواهُ | مخالفاً في سيره أباهُ

و"السرطان" واحدة من أجمل حكايات العرب وأنجحها صياغة، وقد جاءت على البحر الوافر، وبقافية موحدة (٨):

مشى السرطان يوماً باعوجاجٍ | فقلد شكل مشيته بنوهُ
فقال: علام تنحرفون؟ قالوا: | سبقت به ونحن مقلدوهُ
فخالفْ سيرك المعوجَّ واعدلْ | فإنا إن عدلت معدلوهُ
أما تدري أبانا كل فرعٍ | يجاري بالخُطا من أدبوهُ
وينشأ ناشئ الفتيان منا | على ما كان عوّده أبوهُ

وعلى البحر السريع ينجح الشاعر في نسج حكاية "الشيخ وولده والعبيد" (٩):

شيخ عظيم في البرايا سعيدْ | له من الدنيا غلام وحيدْ
حلَّ ابنه يوماً ببستانهِ | والنور فيه مثل عقد نضيدْ
فعاث فيه لا يبالي الأذى | وغادر الزرع هشيماً حصيدْ

---

(٧) سا . ص ٥٠ .
(٨) سا . ص ٦٨ .
(٩) سا . ص ٧٨ .

فيأتي الشيخ ويرى ما حلّ بحقله:

وقال من أتلـف غرسـي وهـل | سطا على الغرس عـدوّ شـديدْ
فلـم يجيبـوه وقـد أطرقـوا | خوفاً على النجل العزيـز الفريـدْ
فأقبـل الطفـل مقـرّاً بمـا | جنى وقال: افعل أبي مـا تريـدْ
أنا الذي في الروض عاثت يـدي | وخـالق الكـون علـيم شـهيدْ
ففـرح الوالـد مـن صـدقه | وخـصّه مـن عطفـه بالمزيـدْ
وقال يـا نجلـي بلغـت الهـدى | فسرْ على النهج القـويم الـسديدْ
عليـك بالـصدق ولـو أنـه | أحرقك الـصدق بنـار الوعيـدْ

وفي حكاية أجواؤها مستمدة من كليلة ودمنة هي "الأرنب وطير الشرشور" عظة في الصداقة جاءت على الوزن الرئيسي الذي اختاره العرب وهو الرجز(١٠):

صاحب يومـاً أرنـب شرشـورا | لـم يـك خـداعاً ولا شـريرا
وعـاش كـل عيـشة الإخـاء | فـي شـدّة الأيـام والرخـاءِ
يجتمعان فـي الـدجى والفجـرِ | ذلك في العشّ وذا فـي الحجـرِ
فأبطـأ الـشرشور ذات مـره | ومـا درى صـاحبه مقـرهْ
فراح عنه باحثـاً فـي الـوادي | يـسأل كـل رائـح وغـادي
حتـى رآه بـسراي الملـك | في قفص ليس له مـن مـسلكِ
فأعمل الحيلة في قرض القفـصْ | وفتح البـاب لـه حتـى خلـصْ
وانطلقـا كـالريح يجريـانِ | مخافـة مـن صـولة الإنـسانِ

(١٠) سا . ص ٨٩ .

وعندما يعرف الملك يأمر بقتل كل الأرانب في كل مكان انتقاماً، وهنا يطلب الأرنب من صديقه العون:

فقال: نم ولا تخف من المحنْ — لما به طوّقتني من المننْ
أنا الصديق أفتدي صديقي — أنا الذي ينفع وقت الضيقِ
إن عريق الأصل في الإخوانِ — يقابل الإحسان بالإحسانِ

"والكلب والعلف والحمار" ذات موضوع ممتع ومفيد، حيث تتحدث هذه الحكاية عن حب الأذى عندما يكون طبعاً راسخاً(١١):

قد نام فوق علف الحمارِ — كلب منابذ من الأشرارِ
وكلما رام الحمار أكلهْ — قام له الكلب فعضّ رجلهْ
حتى غدا من جوعه هزيلا — يوسعه صاحبه تنكيلا
ماذا جنى الحمار في دنياهُ — فسلط الكلب على أذاهُ
لا زادُ هذا نافع لهذا — إيذاؤه وظلمه لماذا؟
قد جبلت طباع بعض الخلقِ — على أذى بعض بغير حقٍّ
شرُّ الورى من ليس يرجى خيره — يوماً ويرجى شره وضيره

لا بد من القول إن "كتاب آداب العرب" حوى الكثير من الحكايات المصوغة بشيء من الجفاف، وهذا يأتي من الابتعاد عن السلاسة، وعدم التدقيق في اختيار المفردة، وفي صوغ الجملة، وفي تخير الإيقاع المناسب.

فما أكثر ما تطالعنا صياغات شديدة التقليدية والثقل، أو عبارات بعيدة عن إدراك "النابتة" من الأجيال التي توجه إليها بكتابه، ولآخذْ على ذلك مثالاً بقوله(١٢):

---

(١١) سا . ص ٩٦ .
(١٢) سا . ص ٦١ .

عدا كلبُ أغنام على حَمَل بها — وعاد ومن فيه الدماء تسيلُ
فلما شكته الأم ألحقها به — وهبَّ على راعي القطيع يصولُ
وقد شاهدته الناس يأثم إثمه — ومنهم شهود صادقون عدولُ
وفي الموقف المرهوب قامت حياله — جموع ترد الطرف وهو كليلُ

وكذلك في "دودة القز ودودة الحقل"(١٣):

وجرى لدود القزّ ضمن حديثها — ذكر أرق من السُّلاف وأروقا
هي دودة هذا الحرير نسيجها — ولقد يكون نسيجها استبرقا
وهناك قامت دودة حقلية — لم تحكها نفعاً وساءت منطقا

ومثل ثالث وأخير من "الفلاح والملك"(١٤):

اسمع حديث مليك عزّ في الناس — أجرت عليه الليالي حكمها القاسي
ففارق المُلك رغماً من إرادته — وجُرِّع الذلَّ بين الكاس والطاسِ
وظن أن لا يعود الملك إن ذهبت — آماله ودهته شدة الياسِ
لكنْ أخو الجود إن تجرحْه جارحة — كانت أياديه نِعمَ الطب والآسي

وهكذا حتى نهاية الحكاية.

وعلى الرغم من هذا فتجربة العرب من التجارب المميزة بنجاحها في نقل شعر الأطفال خطوات إلى الأمام، ففي هذا الكتاب تسع وتسعون حكاية، وهو أمر يستحق الإعجاب لما منحه من وقت وجهد لكي يضيف لبنات إلى هذا الفن الوليد.

وتلفت نظرنا ظاهرة تضمين الأبيات الشعرية المشهورة، حيث يستشهد الشاعر بها، فيُدرجها بسلاسة داخل الحكاية أو في نهايتها، ولعله يرى في ذلك تقوية للنص، وعلامة من علامات اطلاعه.

---

(١٣) سا . ص ٦٤.
(١٤) سا . ص ٨٠.

ففي نهاية "الفلاحان والسحاب" نقرأ [١٥]:

دع المقادير تجري في أعنتها ... ولا تبيتنّ إلا خالي البالِ
ما بين طرفة عين وانتباهتها ... يغيّر الله من حال إلى حالِ

وفي نهاية "الجرذ والمبرد"[١٦]:

وهكذا من يعاني غير مختبر ... ما لا يطيق عراه الضر والفشلُ
كناطح صخرة يوماً ليوهنها ... فلم يُضِرْها وأوهى قرنه الوعلُ

وكذلك في "الرجل التائه في الصحراء"[١٧]:

أينفع المال والإنسان في ظمأ ... أمامه الموت لا قبر ولا كفنُ
ما كلّ ما يتمنى المرء يدركه ... تأتي الرياح بما لا تشتهي السفنُ

ويقول في نهاية حكاية "لاعبو الميسر"[١٨]:

تلقى الفتى الأهواء في العناءِ ... وربما أفضت إلى البلاءِ
إن الشباب والفراغ والجدة ... مفسدة للمرء أي مفسدة

وفي "العمدة والمضارب" يضمن العرب بيتين مشهورين يردان كثيراً في كتب العروض العربية مثالاً على ما يسمى "سناد الردف"[١٩]:

فلم يقضِ أمراً وضاعت به ... وصايا أبيه على حرصهِ
إذا كنت في حاجة مرسلاً ... فأرسل حكيماً ولا توصهِ
وإنْ بابُ أمر عليك التوى ... فشاورْ عليماً ولا تعصهِ

---

(١٥) سا . ص ١٦ .
(١٦) سا . ص ٥١ .
(١٧) سا . ص ٥٧ .
(١٨) سا . ص ٦٥ .
(١٩) سا . ص ٨٤ .

أما في حكاية "البؤساء" فالعرب يضمن شطراً من بيت مشهور لبشار بن برد[٢٠]:

إن تجنَّبْنا عشتما بضيم وفاز باللذة الجسورُ

هذه نماذج من التضمينات التي اشتمل عليها كتاب العرب، وهناك المزيد منها لمن أراد تتبعها.

ومما يلحظ في الكتاب احتواؤه على أمر آخر، لكنه مما لا يحسن أن يقدم للأطفال وكان من الأجدى أن يحتفظ الشاعر به إلى مقام آخر غير هذا المقام، فقد ظهر واضحاً تذمر الشاعر من الزمن والناس إلى حد التشاؤم والتطيُّر، لذا فنحن نقرأ في الكتاب أمثال هذا الكلام [٢١]:

إن الأديب الحرّ حرب زمانه تلفيه في الدنيا بغير نصيرِ

وحياته فيها شقاء دائم وكذا الحياة متاعب النحرير

كتب الشقاء على الحكيم الفيلسوف لعفة فيه وحسن ضمير

أو قوله[٢٢]:

لا خير في الناس على الإطلاقِ فودّهم ضرب من النفاقِ

أو[٢٣]:

والناس في طريقهم أجناسُ أغلبهم في فعلهم أنجاسُ

و[٢٤]:

خلائق كلها ضعف ومنقصة فلا كمال ولا فضل ولا جودُ

---

(٢٠) سا . ص ٩٢ .

(٢١) سا . ص ٢٢ .

(٢٢) سا . ص ٢٦ .

(٢٣) سا . ص ١٠١ .

(٢٤) سا . ص ١١٠ .

ولعل حكاية "محب الوحدة" تلخص هذه الطيرة من البشر التي تتردّد بين ثنايا الحكايات (٢٥):

عاقـــل حـــاول جهـــده   أن يعيش العمـــر وحـــده
عاهـــد الـــنفس علـــى أن   تثبـــت الأيـــام عهـــده
ســـيئ الحـــظ ولكـــن   فـــضله شـــيّد مجـــده
باحثـــاً فـــي كـــل فـــن   قادحـــاً للفكـــر زنـــده
عالمـــــاً أن كثيـــــر الـــــصحب لا يرجـــــى لـــــشده
مـــارس الخلـــق فـــزادت   ترّهـــات الخلـــق زهـــده
بلـــغ البهتـــان عنـــد النـــاس فـــي التمليـــق حـــده
كـــل مـــن يفعـــل خيـــراً   واجد فـــي النـــاس ضـــده
فرأى فـــي البعـــد عـــنهم   مغنمـــاً لا غـــنم بعـــده
إن فـــي الوحـــدة فـــضلاً   لفتـــى يعـــرف قـــصده
كـــل مـــن عـــاش فريـــداً   نـــال فـــي الأيـــام ســـعده
وحـــــده العاقـــــل خيـــــر   من جليس الـــسوء عنـــده

إن هذه الأفكار مجال للأخذ والردّ حتى بين الكبار، إذ من غير الصحيّ أن نزج الطفل في فكرة أن البشر أشرار ناكرون للجميل وغدارون، ولا ننطلق من فكرة مثالية عن الحياة، ولكن في أدب الطفل لا يجوز أن نفسد فهمه للحياة بشكل مسبق تابع لنوعية علاقتنا بالحياة والبشر، إن الحسم في هذه المسألة شيء مبكر جداً ومتروك لمستقبل الأطفال، بل من المفيد عموماً أن ينشأ الطفل على فكرة أن البشر خيّرون، والحياة جميلة تحتاج إلى الكدّ والثقة والتفاؤل.

---

(٢٥) سا . ص ٩٥ .

وعلى نحو قريب من هذا الاتجاه قصة "نكران الجميل" وهي ترسيخ معنى يميز بين البشر بسبب التفاوت في المعيشة، ليس هذا فحسب، بل إن الشاعر يغلق الطريق أمام التحول والتغيير ليقول بشكل جازم بأن العبد لا يمكن أن يكون صالحاً في يوم من الأيام، وهذا يدلّ على فداحة النظرة السائدة وقتها تجاه العبيد قبل أن تنتهي هذه الظاهرة الآن[٢٦]:

أعتــق لله أميــر جاريــةْ وهــذه عــادة خيــر جاريــةْ

فهــمَّ حتــى جاءهــا ببعــل كفء لها تساويا في الأصلِ

فولــدت مــن بعلهــا بُنَيــه ثــم دهتهــا بعــدها المنيــةْ

فأحضر الأمير تلــك الطفلــه إليــه مغــدقاً عليهــا فــضلهْ

ترفل في العــز وفــي النعــيم رائعــة فــي خيــره العمــيم

ثم يزوجها ويكرمها بالهبات، ولكن الجارية مع زوجها قابلا ذلك بنكران الجميل:

فبــدَّلا الــشكران بــالكفرانِ وأنكــرا صــنيعة الإحــسانِ

إن اللئيم وخــسيس الأصــلِ لا يــستحقان لبــاس الفــضلِ

ومن المؤسف أن نعثر هنا وهناك على إعلاء مبالغ فيه للرجل، وإظهــار المرأة ماكرة جاهلة خبيثة في الغالب، بل يصل الأمر إلى الحديث عــن المــواطن الحقيقي وكأنه الرجل فقط [٢٧]:

فإنمــا الأوطــان بالرجــالِ وبالرجــال قيمــة الأعمــالِ

هذه النظرة سادت إلى حد كبير فيما كتب للأطفال في البدايات، ولم يحدَّ منها إلا تقدم النظرة إلى الجنسين، منذ تلك الإشارات القليلة الهامة عن المساواة عند رفاعة الطهطاوي.

---

(٢٦) سا . ص ٧٧ .

(٢٧) سا . ص ١٠٢ .

ومن الطريف أن نلاحظ أن النزعة الدينية الطاغية عند الشاعر لم تمنعه من إيراد عبارات غير لائقة، ومن الضروري إبعادها عن اهتمام الطفل كقوله[٢٨]:

للبلبـــل الغريـــد مـــا أحلى على الـنفس انـسجامة
يـــشدو ويلعـــب بـــالقلوب وبـــالنهى لعـــب المُدامـــة

وقوله[٢٩]:

عَبَّ من خمرة الغرور فأضــحى بين جمع الدجاج يبــدي الــدلالا

أو [٣٠]:

وكـــان كـــل جملـــة يقولهـــا سُـــلافة تـــسكرهم شـــمولها

وكما في حكاية "الفتاة و النحلة"[٣١]:

وليس بين ريقهـــا وشـــهدي فـــرق فكيـــف لا أراه وردي

وهناك حكاية المعجب بآبائه وهي تعكس التفوق التركي في التفاخر بالمكانة الاجتماعية وفي بيئة عربية، لذا فالشاعر يعالج الأمر دون أن يجرح الترك، لأن مصر كانت ما تزال شكلياً من مناطق النفوذ التركي على الرغم من وقوعها تحت الانتداب الإنكليزي، فقال العرب [٣٢]:

فتى من بني الأتراك كان له حــسب وكان يجرّ الذيل فخراً علــى العــربْ
يعدد بـــين النـــاس فـــضل جـــدوده ويذكر تـــاريخ المناصـــب والرتـــبْ
ويحسب أن المجـــد فـــي بيتـــه لـــه تراث وأن المجـــد يـــورث بالنـــسبْ

---

(٢٨) سا . ص ٥.
(٢٩) سا . ص ١٠ .
(٣٠) سا . ص ٢٣ .
(٣١) سا . ص ١١ .
(٣٢) سا . ص ٥٣ .

إلى أن ينهي الشاعر حكايته ببيت حكمة:

إذا الغصن لم يثمر وإن كـان شـعبة من المثمرات اعتدّه الناس في الحطـبْ

ومن غرائب هذه المجموعة احتواؤها على حكايات منظومة شعراً على شكل عظات، مع ذلك فإننا واجدون عدة قصائد ليس فيها أية حكاية بل مجموعة من الحكم الجافة، أو التأوُّهات والشكاوى التي يصبها الشاعر على الورق، كما فعل في " شكاة الدهر " شديدة الكآبة(٣٣):

مـا لآبائنـا ومـا لبنينـا في أمان من الزمان الخـؤونِ

خلفـتهم آبـاؤهم لحيـاة كلها شـقوة كمـا خلفـوني

حملتهم نوائب الدهر صـرعى وسـريعاً لحكمهـا تركـوني

حمّلتهم ما لا يطيقـون منهـا وهم من همومهـا حملـوني

ثم يقول من القصيدة نفسها:

غرّ غيري يا دهر فالموت حـتم فإذا جاء موعـدي قبروني

ليتنـي لـم أكـن خلقـت ولا كنـت عرفـت الـورى ولا عرفـوني

رب أنت العليم ما ليَ ذنـب بشقاء الحيـاة قـد ظلمـوني

وعلى هذا النحو من لغة الكبار وأفكارهم يكتب الشاعر عظتـه الخامـسة والتسعين بعنوان "الحياة" وهي قصيدة طويلة، لكنها لا تخرج عن كونها مـواعظ لا علاقة للطفل بها، فهي تبدأ هكذا (٣٤):

إن الحيـاة نـصَبٌ يناصـب نلعـب فيهـا وبنـا تلاعـبُ

أثمارهـا زاهيـة ودانيـةْ كثيـرة النعـيم لكـن فانيـةْ

فما لنا في الدهر مـن نـصيب غير الأسى والرزء فـي الحبيـبِ

---

(٣٣) سا . ص ٨٧ .

(٣٤) سا . ص ١٠٠ .

وينهيها بهذه الأبيات:

يا طالب الراحة في الحياة	لا راحةً إلا مع الممات
حقيقة الحياة ليس تدركُ	إلا لمن بالله ليس يشركُ
مستمسك بصحة الإيمانِ	مسلم الأمور للرحمنِ
فيعرف الممات منتهاه	ويؤثر الأخرى على دنياهُ
الترك للدنيا النجاة منها	لم ترَ أنهى لك منها عنها

ونجد في آخر الكتاب قصيدة طويلة تبدو في وقتها شديدة الأهمية، فقد خص إبراهيم العرب الحرية بقصيدة طويلة حافلة بما هو مستنير من الأفكار، واللافت للنظر أنه قالها في محيط شامل من الاستبداد الاجتماعي والسياسي(٣٥):

ما وهب الرحمن للبرية	أفضل من موهبة الحرية
فضيلة رفيعة المكانِ	وأكبر الصفات للإنسانِ
سرُّ النبوغ ونجاح الأممِ	سر الرقي وعلوُّ الهممِ
سر النظام سر فعل العقلِ	سر القوانين وسر العدلِ

وفيها أيضاً:

والرجل الحر بأصغريهِ	يعرف ما له وما عليهِ
له القيام بالذي يراهُ	من عمل ورفضُ ما يأباهُ

ويذكر المزيد مما يؤكد اطلاع الشاعر على الفكر الحديث وتأثره بدعوات النهوض والمساواة:

وينبغ الكتاب في التحريرِ	بنشرهم مذاهب الضميرِ
وتفتح الأبواب للمدارسِ	في وجه موسر ووجه بائسِ

---

(٣٥) سا . ص ١٠٣ .

وتـــــدخل الأرزاق للتجـــــارِ   **من سائر الأجناس والأقطــارِ**
هذي هي الحريـــة الـصحيحة   **وهـــذه نعمتهـــا الرجيحـــة**
تمتع الإنـــسان فـــي الحيـــاةِ   **بحقـــه مـــن أعظـــم الهبـــاتِ**

وينهي الشاعر كتابه بما سماه "الخاتمة" وهي قصيدة من تسعين بيتاً مكتوبة على البحر البسيط، وهي مجموعة تأملات ومواعظ في الحياة لا تناسب أن تكون مما يقرؤه الطفل، وفيها[٣٦]:

ما لذة الملك إن دار الزمـــان بـــهِ   **والملك كالرزق مقـــسوم ومحـــدودُ**
والدر في البحر لا يـدري بقيمتــهِ   **إلا إذا ضـــمه فـــي عقـــده الجيـــدُ**
والخلق شتى فلا عتـــب ولا عنـــتٌ   **كلٌّ له موقف فـــي الأرض مـــشهودُ**

وقد ظلت حكايات كتاب العرب مصدراً رئيسياً في الكتب المدرسية العربية، إلى أن خفَّ الاعتماد عليها منذ ما يزيد على نصف قرن.

(٣٦) سا . ص ١٠٨ .

الفصل الخامس

محمد الهراوي وتجديد شعر الأطفال

تتفرّد تجربة الشاعر المصري محمد الهراوي بتميز خاص، إذ وقف معظم ما كتب على شعر الأطفال، فجميع من سبقوه لم يتفرغوا لهذا اللون، ولم يقدموا هذا الحجم من العطاء، إضافة إلى أن قصيدة الطفل العربية دخلت أول مرة على يديه في الخصوصية الفنية الحديثة لشعر الأطفال، وكانت نقلة نوعية خلصت ما كتب للأطفال من اللغة الصعبة، والوعظ المباشر الخالي من الظرافة والإيحاء والبساطة.

إن مطالعة ما كتبه محمد الهراوي تكشف عن قدرة خاصة في الصياغة العفوية المتدفقة في الغالب الأعم، إضافة إلى مراعاته للمراحل العمرية بما يناسب بداية تجربة ما زالت المحاولات فيها شديدة الندرة. وأدرك الهراوي منذ البدء خصوصية كتاب الطفل أيضاً، فقد حرص على أناقة خاصة في طباعة كتبه حروفاً وإخراجاً وصوراً، فزين كل قصيدة بصورة فوتوغرافية ملائمة لها، وعمل الشاعر ما استطاع على تنويع موضوعات قصائده، فحاول أن يتناول أكثر ما يهم الطفل، أو ما يراه مناسباً له من أهداف تربوية متنوعة.

فاجأ الهراوي الوسط الثقافي والتعليمي بكتاب "سمير الأطفال للبنين" ١٩٢٢ ثم أتبعه بعد سنة بـــ "سمير الأطفال للبنات" في ستة أجزاء.. وفي عام ١٩٢٤ أصدر "أغاني الأطفال"، وفي عام ١٩٢٦ أصدر "السمير الصغير" للأطفال الصغار جداً، أما آخر أعماله فكان "الطفل الجديد" وقد اطلعت على طبعته الثالثة عام ١٩٣٣.

ونصوص الهراوي أكثر النصوص التي استفادت منها كتب القراءة والاستظهار العربية، فلا يخلو كتاب من نص أو أكثر له وفي جميع الأقطار العربية منذ العشرينيات حتى الآن، وإن كانت نصوصه تثبت من غير ذكر لاسم كاتبها أحياناً كما درجت عادة الكتب المدرسية مع الأسف إلى زمن قريب.

ومن الواضح أن ما امتازت به قصائد الهراوي من بساطة وسهولة وجمال كان العامل الأساسي في انتشاره، فعلى الرغم من نجاح من سبقوه وفضلهم في هذا المضمار إلا أن قصائدهم حوت الكثير الكثير من المفردات الصعبة والصياغات المعقدة.

فجاء الهراوي ليخلص شعر الأطفال من روح التعالم والحذلقة ويدفعه إلى روح تعليمية عذبة، تقرب الأشياء إلى الطفل في المحتوى والصياغة الفنية.

ظهرت في ساحة شعر الطفل قصائد وأناشيد مثل "تلميذ ونجار"(١):

أنا في الصبح تلميذٌ وبعد الظهر نجارُ

فلي قلم وقرطاس وإزميل ومنشارُ

وعلمي إن يكن شرفاً فما في صنعتي عارُ

فللعلماء مرتبة وللصناع مقدارُ

إذاً.. هكذا عبر بأبيات قليلة، وإيقاع خفيف وراقص يقوم على لوحة جميلة تعلي من قيمة العلم والعمل معاً، وإذا اعتبرنا أن من الخطأ أن يكون الطفل عاملاً،

محمد الهراوي (١٨٨٥ - ١٩٣٩)

شاعر ومربٍّ، عمل في التعليم وفي دار الكتب المصرية، منح كل جهده لكتابة شعر الأطفال، فأصدر عدة كتب، وهو أول من أدخل الصور الفوتوغرافية المرافقة للقصائد، من أعماله "سمير الأطفال - للبنين" في ثلاثة أجزاء. و"سمير الأطفال - للبنات" في ثلاثة أجزاء. و"أغاني الأطفال" في أربعة أجزاء. و"السمير الصغير" و"الطفل الجديد" و"ديوان ألف باء" و"أبناء الرسل للأطفال" وله مسرحيات للأطفال هي "الذئب والغنم" و"حلم الطفل ليلة العيد" و"الحق والباطل" و"المواساة".

(١) سمير الأطفال للبنين ١ / ٩ .

فعلينا هنا ألا ننسى أن عمل الأطفال في البيئة الشعبية أمر عادي جداً من ناحية، ومن ناحية أخرى فتلاميذ ذلك الزمن كانوا أحياناً في سن يقرب من المراهقة حتى لو كانوا في الصف الأول.

والهراوي في "سمير الأطفال" كان يكرر أكثر القصائد، لنأخذ مثلاً الجزء الأول للبنين فهو يحوي القصائد التالية بالترتيب:

١-أنشودة فتية المدارس ٢-الشاعر الصغير ٣ -تلميذ ونجار ٤-أنشودة لكرة القدم ٥-أنشودة لركوب الحصان ٦-الطفل والببغاء ٧-وصف الهر ٨-وصف الكلب ٩-أنشودة لركوب السيارة ١٠-وصف سيارة ١١-وصف طيارة ١٢-وصف دراجة ١٣-الترام ١٤-وصف بستان ١٥-وصف المحمل وركابه ١٦-جمعية الإسعاف ١٧-رجال المطافئ ١٨ -العطف الأخوي ١٩-طفل يحادث أمه ٢٠-أنشودة الصباح ٢١-أنشودة المساء.

وفي الجزء الأول من "سمير الأطفال للبنات "يحذف القصائد الست الأولى الخاصة بالبنين، ويضع بدلاً منها القصائد:

١- أنشودة طفلة تتوجه إلى المدرسة ٢- أنشودة الطفلة لدميتها ٣- أنشودة لعبة الكرة ٤- أنشودة قفز الحبل.

أما باقي القصائد فتظل كما هي من "وصف الهر" إلى "أنشودة المساء" وهكذا.

في قصائد الهراوي اهتمام بالاختراعات العصرية التي كانت مثار دهشة الناس، لذا تكثر عنده موضوعات تشيد بالآلات والأجهزة المتنوعة كالطيارة والسيارة والدراجة والهاتف والآلة الكاتبة والترام والباخرة إلخ.

ومن ذلك قصيدة "وصف طيارة"[٢]:

---

(٢) سا . ص ٢٧ .

سفينة الهواءِ تطير في الفضاءِ
تسير في الرياحِ مبسوطة الجناحِ
منظرها في الجوّ كالطائر المدوّي
تئزُّ وهي طائره مثل أزيز القاطره
ربانها يرفعها بآلة تدفعها
يجتاز فيها الأفقا يخط فيه طرقا
وقت الحروب نقمه وفي السلام نعمةْ
وهكذا ابن آدم أعجوبة في العالمِ

وفي قصيدة أخرى يخص "الآلة الكاتبة" بقوله(٣):

وآلة كاتبةٌ من اختراع العصرِ
لها شريط طابع يغني غناء الحبرِ
يخرج من أوراقها من نسخة لعشرِ
أحرفها سلكية تنبض عند النقرِ
وكل حرف رسمه مبين في زرٍّ
يرنُّ فيها جرس عند انتهاء السطر

. . . .

إنا نريد آلة من اختراع مصري

والمثال الآخر هو "الخَيَالة" والمقصود السينما، وقد كانت فناً وليداً في العالم كله وقتها(٤):

ماذا يلوح من الخيالة صور تحركهن آلة

(٣) سا . ٣ / ٤٩ .
(٤) سا . ص ٤٧ .

فوق الستارة يبصر الإنسان من كل مثاله

فيرى البحار وما حوت ... ويرى الثرى ويرى جباله
ويرى بلاداً لم يكن ... من قبل حط بها رحاله
ويرى الزمان ممثلاً ... تاريخه، ويرى رجاله
إن ابن آدم قادر ... بالعلم يفعل ما بدا له

وله قصيدة "الترام" التي يقول فيها(٥):

مركبة الترامِ ... تسير بانتظامِ
تجتاز كالسفينه ... شوارع المدينه
شريطها الحديد ... على الثرى مديدُ
وسلكها المكهرب ... في عمد مركبُ
ذراعها من فوقها ... متصل بسلكها
سائقها والجابي ... للسير والركابِ
صفت بها المقاعد ... وخلفها المساندُ
يركبها الجمهور ... وهي بهم تسيرُ
مسافة بعيده ... بأجرة زهيده
قرّبت الديارا ... عمّرت القفارا
أنارت الظلاما ... مهدت السلاما
وهكذا فالكهربا ... قد سهّلت ما صعبا

وعلينا أن نلاحظ أن الهراوي لا يترك وصفه للآلات والمخترعات محايداً، بل يستغل ذلك لتوجيه عظة ما، أو الحث على العلم والوطنية والإبداع إلخ، فحتى حين

(٥) سا ١ / ٣١ .

يتكلم عن "وصف دراجة" لا يترك الأمر دون استخدام ذكي وخفيف الظل لمثل شعبي يحضُّ على النشاط(٦):

دراجة من عجلِ ندفعها بالأرجلِ
محكمة الرباط منفوخة المطاط
فيها جهاز النور وجرس المسيرِ
في الوسط البدَّاله في الطرف الحمَّالة
كرسيها من خلف بقدر حجم الكفِّ
تقرُّ وهي جاريه ولا تقر راسية
تدلُّ أن البركه تحلُّ عند الحركة

حتى في "حصالة النقود" يقول للأطفال(٧):

حصالة النقودِ خزانة الوليدِ
فكل قرش زائد ينفع في الشدائدِ

والهاتف الذي يكتب عنه الشاعر بتسمية لم يكتب لها الانتشار أي "المِسرَّة" يختلط فيه الوصف بالإرشاد والتوجيه(٨):

مسرة في علبة صغيرة في الحجمِ
تدير فيه جرساً يرن عند الأمّ
تطلب من تطلبه من عندها بالرقمِ
تنقل ما تقوله بسلكها الأصمّ
تسعف عند حاجة أو حادث مهمّ
فهذه معجزة من معجزات العلمِ

(٦) سا . ٢٩ .
(٧) سا ٢ / ٢٣ .
(٨) سا . ٣٣ .

إن هذا التركيز من قبل الشاعر على الأدوات والمخترعات الحديثة لم يُسبَق إليها، اللهم إلا ما شاع في الشعر الموجه للكبار من حديث عن المخترعات ومظاهر العصر، فقد كان تركيز الهراوي شديداً هنا، لإدخال قصيدة الطفل في مشاهد الحياة الجديدة، فلم تنحصر الأشعار في وصف الطبيعة أو رواية قصص الناس والحيوان، وفي هذا تجديد مهم قياساً على تلك الأيام، ورحلة شعر الأطفال القصيرة.

ولا تتوقف هذه الروح العصرية عند عالم الآلة والاختراع، بل نجد فيما كتب الهراوي حديثاً عن "دار الآثار المصرية" و"المصرف المالي" و"التمثيل" و"الكشافة" و"الكمنجا" و"عيد ميلادي" و"جمعية الإسعاف" و"رجال المطافئ" وهكذا.

يقول الشاعر في "دار الكتب المصرية" مخاطباً طفلة(٩):

في مـصر دار للكتبْ ... يؤمها أهـل الأدبْ
معروضـة الأسـعارِ ... بالليـل والنهـارِ
معرضـها ذو الطـرَفِ ... مـزين بـالتحفِ
مـن صـور العظـامِ ... وكتـب الأعـلامِ
مـصاحف القـرآنِ ... بالرسـم والألـوانِ
والـورق البـرديْ ... وخطـه الكـوفي
هـذا.. إلـى نقـودِ ... فـي الـزمن التليـدِ
مـن فـضة وذهـب ... باسـم ملـوك العـربِ
أمـا خـزائن الكتـب ... مـن كـل علـم وأدبْ
فإنهـا مبـوَّ بـه ... فـي فنهـا مرتبـةْ
وقاعـة المطالعـه ... للبحـث والمراجعـةْ
صُفت بهـا المناضـد ... وحولهـا المقاعـدُ

(٩) سا ٣ / ٣٨ .

فللعلـــــوم راجعـــــي وفي الكتـــاب طـــالعي
فـــالعلم فـــي الكتـــاب تغذيـــــة الألبـــــابِ

في أمثال هذه القصائد يضع الشاعر الأطفال في جوٍّ منفتح من البيئة العصرية علماً وسلوكاً، ويدفعهم إلى الإحساس بالتغير الذي يجري في المجتمع حولهم.

والكتابة عن الأم واجب أخلاقي قبل أن تكون واجباً فنياً، لهذا يتفنن شعراء الأطفال في صياغة العواطف نحوها، والهراوي من أوائلهم بالطبع، فقد غناها بأكثر من قصيدة، من ذلك "طفل يحادث أمه" (١٠):

مـــن ذا الـــذي يحنـــو علـــيّ إذا غفـــوت وإن صـــحوت تبـــسمت شـــفتاه؟
أمـــي العزيـــزة أنـــت يـــا أمـــاهُ
من ذا الذي يبدي الحنان ومن لـــه بي شاغل وأظــل فـــي ذكـــراه؟
أمـــي العزيـــزة أنـــت يـــا أمـــاهُ
من ذا الذي لنفسي أعـــز مكانـــة من نفسه ومنـــاي فـــوق منـــاهُ؟
أمـــي العزيـــزة أنـــت يـــا أمـــاهُ
فإذا هرمـــت، وللأمومـــة حقهـــا أفتعلمـــين مـــن الـــذي يرعـــاهُ؟
أمـــي، أنـــا. أنـــا يـــا رعـــاك اللهُ

وله قصيدة أرادها للأطفال الصغار جداً، لا تزيد على أربعة أبيات بعنوان "عيد الأم الفضي"(١١):

أكملـــت يـــا والـــدتي خمساً وعشرين ســـنة
فعيـــدك الفـــضي مـــا أجملـــه... وأحـــسنه
إليـــك أهـــدي طاقـــة أزهارهـــــا مزيّنـــــه
تعـــرب عـــن تهنئتـــي والزهر فيهـــا ألـــسنه

---

(١٠) سا ١ / ٤٢ .
(١١) سا . الطفل الجديد . ص ١٧ .

وفي تجربة الهراوي موضوعات أخرى مأخوذة مــن عالم الطفل، وخاصة عالــم الأسرة والمدرسة، فلا ينسى الشاعر أن يكتب عن عواطف الأخوّة والأبوّة، والحرص على الصدق والنظافة والترتيب وما شابه ذلك.

وكما غنى الشاعر للأم على لسان الطفل، فقد كتب للطفل على لسان الأم كما في قصيدة "أغنية الطفل عند النوم"(١٢):

نم في ســريرك يــا ملــكْ أنت الفتى مــا أجملــكْ !
ما في الثرى أو في الفلــكْ لك مــشبه حتـــى القمــرْ

. . . . .

فعلـــى ســـريرك تـــنعسُ وأنــــا جــــوارك أجلــسُ
والعـــين منـــي تحـــرسُ ما طال أو قــصر الــسهرْ

. . . . .

أو ما حلمت بمــا حــصلْ لمــا أتيــت علــى عجــلْ
وحملت صحناً من عــسلْ والصحن من يدك انكــسرْ

. . . . .

ودعــوت كلبــك سنبــسا وأمرتـــــه أن يجلـــــسا
وحــشوت فـــاه ملَبَّـــسا وســـقيته لـــبن البقـــرْ

. . . . .

ولبـــست كـــسوة ضـــابطِ متحليـــــاً بـــــشرائطِ
ووقفـــت جنـــب الحـــائطِ تنهى وتـــأمر مـــن عبـــرْ

. . . . .

إن الـــذي حملـــت يـــدي هـــو ســـيد مـــن ســـيدِ
ولسوف يصبح فـــي غـــدِ رجـــل الـــبلاد المنتظـــرْ

---

(١٢) سمير الأطفال للبنين ٣ / ١١ .

ومن قصائده التي خص بها الفتيات، أظهر لنا في "محاضرة فاطمة" ما يصور الفتاة المجتهدة ذات الشخصية القوية، إذ يقول(١٣):

فاطمة تلقي على أسماعنا محاضره
قد ذاكرت وأظهرت نتيجة المذاكره
ظلت تقص سيَراً عن العصور الغابره
تقول: مصر أمنا تحتاج للمؤازره
والنيل لا ننسى له على المدى مآثره
بالعلم نعلو بهما إلى النجوم الزاهره

وفي السياق نفسه يكتب الهراوي "أنشودة طفلة تتوجه إلى المدرسة" حيث يذكر تفاصيل من مشاهد السلوك اليومي للطفلة التلميذة(١٤):

أقوم في الصباح قبل الشمسِ أغسل وجهي ويدي ورأسي
وبعد أن أخلع ثوب النوم ألبس ثوباً غيره لليومِ
وأغتدي وفي يدي كتابي نظيفة الحذاء والكتابِ
قاصدة مدرستي مبكره ساعيةً راضيةً مستبشره
أهدي إلى صواحبي سلامي وأدخل المكتب بانتظامِ
وأكتب الدروس بالإتقانِ وأحفظ العلوم بالإمعانِ
كذاك فعل الطفلة الرشيده لكي تعيش عيشة سعيده

ومما هو شديد الخصوصية للطفلة يكتب الشاعر "أنشودة الطفلة لدميتها" وينجح في ذكر تفاصيل ممتعة وبروح ساخرة من مثل(١٥):

يا دميتي يا خيره يا طلعة منوره
هل تأكلين عسلاً عليه سمن البقره

---

(١٣) سمير الأطفال للبنات ٢ / ١١ .
(١٤) سا ١ / ٥ .
(١٥) سا ١ / ٧ .

أو تـــشربين لبنـــاً مزجتـــه بـــسكره ؟
أو تأخذين مـــن يـــدي تفاحـــة مقـــشّره ؟

ومن أهم تجديدات محمد الهراوي براعته في كتابة قصائد قصيرة للأطفال الصغار جداً، وقسم منها له هدف تعليمي مباشر، ولكنه ينجح في كسر جمود التعليمية وجفافها، فيمنح قصائده طرافة ومفارقات مدهشة، مما يشد الطفل ويثير فضوله وتساؤلاته كما في قصيدته المهمة "الحروف في قصيدة"(١٦):

ألـــف ألـــفٌ نظمـــت إبـــرة
بـــاء بـــاءٌ لفـــت بكـــره
تـــاء تـــاءٌ أكلـــت تمـــره
جـــيم جـــيمٌ مـــلأت جـــرّه
ثـــاء ثـــاءٌ قطعـــت ثمـــره
حـــاء حـــاءٌ لبـــست حَبـــره
خـــاء خـــاءٌ زرعت خـــضره
دال دالٌ ملكـــــت درّه
شـــين شـــينٌ غرست شـــجره
صـــاد صـــادٌ ربطـــت صـــرّه
ضـــاد ضـــادٌ منعـــت ضـــرّه
طـــاء طـــاءٌ قفـــزت طفـــره
ذال ذالٌ نفخـــــت ذرّه
راء راءٌ رأس الهـــــرّه
زاي زايٌ قطفـــت زهـــره

(١٦) ديوان الهراوي للأطفال . يوسف . ص ٢٧٤.

سين سينٌ خاطت ستره
ظاء ظاءٌ قصّت ظفره
عين عين عدّت عشره
غين غين سكنت غمره
فاء فاء أبدت فكره
قاف قاف ألقت قشره
كاف كافٌ طعِمَتْ كسره
لام لامٌ لبن البقره
ميم ميمٌ مصر الحرّه
نون نونٌ صادت نمره
هاء هاءٌ حملت هرّه
واو واوٌ وجه المهره
ياء ياءٌ يدكم عطره

وسأعرض عدة نماذج أخرى حتى نتعرف أكثر على هذا النمط من الشعر التعليمي المتميز، وأكثرها ذات أبيات قليلة كما في "أب"(٧١):

أبي امتحني يا أبي في أحرف الهجاءِ
فإنني أعرفها من ألف لياءِ
وأنت في أولها من ألف وباءِ

ففي هذه القصيدة القصيرة استطاع الشاعر أن يذكر للطفل الاسم الرئيسي للحروف "أحرف الهجاء" ثم يذكر معلومة مهمة أخرى وهي أن هذه الحروف تبدأ بالألف وتنتهي بالياء، وأخيراً أن كلمة أب مكونة من الألف والباء.

---

(١٧) الطفل الجديد . ص ٣٣ .

والتنوع الأسلوبي واضح، فهناك نداء يعقبه طلب ثم توكيد وتوازن (من ألف لياء من ألف لباء) وإيقاع خفيف مدعوم بتقفية أساسية وتقفية هامشية تزيد من الإيقاعية (أعرفها أولها).

ومن هذا النمط أيضاً "الحساب" ونصها[18]:

لي في الحساب عــددٌ — يجــري بـــه لـــساني
بـــه أجيـــب ســـائلي — فـــي يـــوم الامتحـــانِ
أمـــا أنـــا: فواحـــد — فـــرد مـــن الإنـــسانِ
واثنـــان: أمـــي وأبـــي — فـــي القلـــب يـــسكنانِ
وجمعنـــا ثلاثـــة: — طفـــل ووالـــدانِ

وقريب من هذا الشعر التعليمي نمط آخر برع فيه شاعرنا، ويقوم على ما يمكن تسميته بقصائد الألعاب، وكم كان الهراوي مجدداً في هذا النمط النادر والصعب من شعر الأطفال، حيث يضع المؤلف في ذهنه أن قصيدته ستكون مرافقة للعبة معينة، وقد ظهرت لدى عدد من الشعراء السوريين محاولات من هذا الشعر في فترة موازية لظهور تجربة الهراوي، مما سيأتي في مكانه من هذه الدراسة.

من قصائد اللعب للهراوي "الحلقة الدوارة" وهي ذات إيقاع سريع جداً[19]:

دار الـــصـفُّ — لفـــوا لفـــوا
لفـــوا الأيـــدي — لـــف القيـــدِ
قيـــد الـــصحبِ — هو في القلـــبِ
وطنـــي مـــصرُ — ولـــي الفخـــرُ

وكذلك في قصيدة "الغمامة" ومنها[20]:

---

(18) سا . ص ٢٣.
(19) سا . ص ٣٥ .
(20) سا . ص ٣٣ .

هيـــا هيـــا		نجــري جريـــا
غـطّ البـصرا		وخذِالحــــــذرا
أنا في الخلـفِ		أنا فـي الـصفّ
أنـــا يمنـــاكَ		أنـــا يـــسراكَ
سارع ســارعْ		أنـــت البـــارعْ
أدرك نــــدكْ		تبلـــغ قـــصدكْ

ويبدع الهراوي في كتابة قصائد ضاحكة تحوي المثير من المفارقات بالصياغة العذبة نفسها كما في "حيلة"[٢١]:

رمـــى غـلام بـــالكره		فاقتربت مــن شــجره
وكـــان مربوطـــاً بهـــا		كلـــب يخـــاف ضـــرره
فـــدار حـــول جـــذعها		والكلـــب يقفـــو أثـــره
فقـــصر الحبـــل بـــه		وعـــاد يأخـــذ الكـــره

ومثلها قصيدة "الكلب والحصان"[٢٢]:

الكلـــب جـــاء مـــرة		إلى الحــصان يمــزحُ
فقـــام عنـــد بابـــه		يطرقــــه وينــــبحُ
فانتبه الحـصان مـن		نــوم وجــاء يفــتحُ
فوقـــف الكلـــب لـــه		بذيلـــــه يلـــــوّحُ
وقال "هو" فـي وجهـه		ومــال عنــه يمــرحُ
قال له الحصان: "خـذ		عنــدي كــلام يفــرحُ"
فرجـــع الكلـــب لـــه		وقال: "قل ما يـشرحُ"
فقال: "توت" في اذنـه		وعـــاد وهـــو يـــرمحُ

(٢١) سا . ص ٣١ .
(٢٢) السمير الصغير . ص ٢٩ .

وللطبيعة نصيب عند شاعرنا، فله قصيدة تحتل مركز الصدارة في النصوص التي انتشرت في الكتب المدرسية عربياً، لهذا ربما كانت أشهر قصيدة للهراوي عرفتها الأجيال وهي "الطائر"(٢٣):

الطــــائر الــــصغيرُ ... مــسكنه فــي العــشّ
وأمـــــه تطيـــــرُ ... تــأتي لـــه بـــالقشّ
تخالـــــه الطيـــــورُ ... إذا بـــدا فـــي الفــرشِ
كأنـــــه أميـــــرُ ... يجلس فـــوق العــرشِ

. . . .

يا طـــائراً مـــا أجملـــكْ ... يا زهرة فـــي الـــشجرِ
أنت على الغصن ملـــكْ ... مكلـــــل بـــــالزهرِ
سر في هواءٍ حملـــكْ ... وطـــر بغيـــر حـــذر
لـــولا جهـــاد الأم لـــكْ ... يـــا طـــائراً لـــم تطِـــر

إن هذا النص بإيقاعه الجميل وقوافيه الثنائية زاخر بالصور الخيالية البديعة وقادر على الوصول إلى قارئه الصغير بسلاسة.

ومن أهم مظاهر التجديد عند شاعرنا قدرته على كتابة قصائد قصيرة ومكثفة، ذات بناء متقن ومدروس يعتمد على قفلة مفاجئة وذكية، كما في " تحية الوالدين في الصباح "(٢٤):

(١)

أبـــي، وأمـــي الغاليـــةْ ... أصبحتما فـــي عافيـــةْ
تقبيلتـــــان لكمـــــا ... ظـــــاهرة وخافيـــــةْ
إحـــداهما علـــى فمـــي ... وفي فـــؤادي الثانيـــةْ

(٢٣) الطفل الجديد . ص ٣٧ .
(٢٤) سا . ص ٧ .

(٢)

صباح الخير يا أبتـــي   صباح الخير يـــا أمـــي
أقبـــل منكمـــا كفـــاً   أعيش بفـــضلها الجـــمّ

وتقابلها قصيدة "تحية الوالدين في المساء"(٢٥):

(١)

ساعة نـــومي هاهيـــهْ   تـــدق لـــي ثمانيـــهْ
فيـــا أبـــي وأميـــهْ   أمـــسيتما فـــي عافيـــهْ

(٢)

أمي، انعمـــي عـــشيةً   ويـــا أبـــي ســـلاما
تحيتـــــي إليكمــــا   مـــن قبـــل أن أنامـــا

وكما في "قلبي للجميع"(٢٦):

لا تظنـــوني صـــغيراً   ليس قلبـــي بالـــصغيرْ
يـــسع النـــاس وداداً   مـــن صـــغير وكبيـــرْ

إن ما أنجزه الشاعر محمد الهراوي كان نقلة نوعية في شعر الأطفال العربي بتحقيقه بساطة أكثر في الصياغة، ومراعاة المراحل الطفولية، واعتماد الإيقاع القصير وتلوينه، وإدخال عوالم طفولية مبتكرة..

كل هذا وغيره جعل منه واحداً من أهم من عرفهم شعر الأطفال العربي(٢٧).

---

(٢٥) سا . ص ٩ .

(٢٦) سا . ص ٢١.

(٢٧) الهراوي من رواد المسرح الشعري والنثري للأطفال.. لكن الأمر خارج اهتمام هذه الدراسة.

الفصل السادس

(زعموا أن) لمحمد عبد الرحيم ترَّه

بيانُ ابن المقفع عـاد شـعراً وفـصن للحقيقـ بالـصوابِ
أتى عبد الرحيم بـه فـصولاً روائع في التحاور والخطـابِ
جزاك الله "ترَّ ة" كل عن النشء المثقف والـشبابِ
وعـن حكـم وآداب غـوال تروع العقل في هـذا الكتـابِ

هذه من سبعة الأبيات التي قدم بها أحمد شوقي لكتاب "زعموا أن. أو كليلة ودمنة بالصور" لناظمه محمد عبد الرحيم تره والصادر بعد وفاته عام ١٩٣١.

وقد تقاطر على تقريظ الكتاب مجموعة من أهم شعراء تلك الفترة وناثريها وهم على التوالي: الدكتور إبراهيم ناجي وأحمد شوقي ومحمد حسين هيكل وخليل مطران وعباس العقاد، وكتب مؤلفه في مقدمته مشيراً إلى كتاب كليلة ودمنة الذي *" قررت وزارة المعارف تدريسه بمدارسها فرأيت حين تدريسه بالمدارس الثانوية أن الطالب لا يخرج منه بفائدة كبرى إلا إذا أعاد قراءته مراراً مع التدبُّر. لما أن قصصه مشتبك متداخل يأخذ لاحقه برقاب سابقه. ففكرت في أن أقرِّبه إلى عقول النشء بنظمه مع المحافظة على مغزاه. فأقدرني الله بتوفيقه على ذلك."*[1]

(١) زعموا أن . ص ٢ .

وترة كأكثر من اهتموا بالكتابة للطفل كان معلماً عرف ضرورة هذا اللون من الشعر للأجيال، فهو يدرك أن اللغة في الاستخدام الحياتي تتطلب أن تتماشى مع سن الإنسان سواء أكانت مفردة أم جملة.

ونلاحظ أن التقريظ الذي ناله كتابه يعكس ما يمثله من رؤية معاصرة لقيت الترحيب من الكتاب والشعراء الذي ذكرتهم، وكلهم ممَّن ربط نفسه بحركة التقدم في ذلك الوقت، فبعضهم داعية تجديد وانطلاق كإبراهيم ناجي ومحمد حسين هيكل، والآخر ممن اهتم بالطفل وكتب كالعقاد ومطران وشوقي، أما مطران فواحد من أهم من دعا صراحة وبقوة إلى ضرورة شعر الأطفال، وكتب لهم الكثير من القصائد، أما شوقي فعمله الريادي من أشهر الأعمال المخصَّصة للأطفال.

هذا الاهتمام كان على الدوام يعكس رؤية تجديدية، فكل من اهتم بالطفل فكراً أو شعراً مثل استنارة تشمل مناحي عديدة في الحياة.

وإذا أخذنا تره نفسه فإننا نلاحظ أنه سبق له أن خاض معركة مع الجامدين في قضايا تخص أمور التشريع وإلى هذا يشير العقاد قائلاً في تقريظه:

"وصاحب هذا الكتاب من نوابغ الأزهريين السابقين إلى أفكار الإصلاح والتأمل في أسرار الشريعة: سبق إلى رأي في الأحوال الشخصية لقي من جرائه عنتاً ثم عاد العلماء فأقرُّوه في أساسه وجرى العمل به في النظام الحديث."(٢)

وكتاب "زعموا أن" في غاية الأهمية في تلك الفترة المبكرة التي لم تعرف إلا الندرة من الكتب التي وضعت للأطفال، وقد سار في الوقت نفسه مسار أكثرية الشعراء إذ ترجموا شعراً أو نظموا حكايات عربية شعراً.

ومما يلفت النظر أن تره حرص لأول مرة ربما أن ترافق القصائد رسوم أطفال غير منقولة عن أصل أجنبي كما رأيت في بعض طبعات "العيون اليواقظ"

---

(٢) سا . في المقدمات بلا ترقيم.

بل وجدناه يستعين بواحد من أهم رسامي الكاريكاتير الذين عرفتهم مصر وهو الفنان "رخا".

ولنأخذ من الكتاب قصيدة جميلة بعنوان "الحمامة المظلومة"(٣):

قد سمعنا بأن زوج حمام	ملأ العش حنطة وشعيرا
ثم قالا: إذا تركناه يبقى	لزمان احتياجه موفورا
حسبنا أكله إذا عدم القوت	شتاء أو صار أمراً عسيرا
كان ذا الحب حين ذاك ندياً	وأتى الصيف فاستدقَّ ضمورا
ظن هذا الحمام أنثاه نالت	منه في السر فاستشاط نفورا
وأتاها وظل ينقر حتى	لقيت حتفها وساءت مصيرا
وتندى المخزون بعد شتاء	فبدا الحب عند ذاك وفيرا
فرأى أنه تعجل في الحكم	فأضحى بحزنه محسورا
وقضى نحبه حزيناً فبانت	عظة كان أمرها مستورا
كل من يظلم البريء بظنٍّ	يسخط الله والورى والضميرا

وعند ترة الكثير من الشعر القصصي الناجح، حيث يجعل الفكرة واضحة، ولا يضيع جمله في زخارف بلاغية فارغة، وهذا مما يقوي من لغة القص الشعرية، كما نلاحظ في هذا المقطع من قصة " البوم والغربان "إذ يروي حيلة الغراب حتى يأمنه البوم في أنه اختلف مع إخوانه الغربان(٤):

ولدى الخلوة لما أن خلا	معه قد أعلن الرأي الخطيرْ
ربَّ تدبير سديد نافع	قد غدا خيراً من الجيش الكبيرْ
قال: خذني وانتهرني خارجاً	وانتزع ريشي وأتلف ذنبي
واطرحني قرب أوكار العدا	علني أخدع أو يخدع بي

---

(٣) سا . ص ٦١ .

(٤) سا . ص ١٥.

والأمر نفسه نجده في حكاية "الناسك وابن عرس" حيث يشك الرجل في أن ابن عرس قد قتل ابنه، لأنه شاهد دماً على فمه فهجم على ابن عرس الذي قتل الحية عند الطفل(٥):

حسب الناسك وهماً أنه / جرح الطفل فأبدى وجلهْ
وهوى بالسوط مغتاظاً على / رأسه في البيت حتى قتلهْ
وسعى في لهفة ينظر ما / تمَّ للطفل وما قد وقعا
فإذا الطفل سليم آمن / وإذا الحية تبدو قطعا
فهوى يبكي وفياً محسناً / لقي الضد لما قد فعله
نعم ما قالت له زوجته / إذ أتت "تلك ثمار العجله"

ومن منظومات الكتاب الجميلة "الحالم اليقظ" والتي شاعت لدى كثيرين ونظموها مع تغييرات متنوعة، فمرة تكون بطلة الحكاية امرأة لبانة أو رجلاً يبيع البيض وهكذا، ونصها عند تره(٦):

ناسك أجرى عليه راتباً / من نقيِّ السمن بعض المحسنينْ
يأكل البعض ويُبقي جله / دائماً في جرة يبغي الخزينْ
نام مشغولاً يمني نفسه / وهو صاح إن غلا السمن الثمينْ
فاشترى في الوهم شاة ولدت / ونما أولادها طول السنينْ
فاشترى من ذاك أرضاً واصطفى / زوجة جاءت بمرضيِّ البنينْ
ورأى أن ابنه شذَّ فلم / يقبل التأديب والنصح المبينْ
فهوى وهماً عليه بالعصا / فأصاب السمن ضرباً باليمينْ
كسر الجرة سهواً فغدا / يندب الحظ ولا يخفي الأنينْ
والأماني ضلة إن صادفت / يقظاً كان أشرّ الحالمينْ

---

(٥) سا . ص ٢١ .
(٦) سا . ص ٥٩ .

والنموذج الأخير الذي أود إيراده من كتاب "زعموا أن" بعنوان "اللص والبخيل" وهو من القصص المتميزة والضاحكة في كليلة ودمنة، وقد نجح ترة في صوغه على نحو سهل وممتع[٧]:

زعموا أن لصوصاً قد علوا ... ليلة منزل ذي مال بخيلْ
فصحا إذ نبهته زوجه ... فجرى بينهما قال وقيلْ
سألته زوجه عن ماله ... فنهاها قائلاً: خلي الفضولْ
ربما يسمع شخص قولنا ... فنرى في غمرات لا تزولْ
أقسمت أن ليس من يسمعه ... ثمّ لجّت وألحت أن يقولْ
قال: إني كنت لصاً سابقاً ... وبفنّ السحر لي باع يطولْ
أسرق المال وآتي كوة ... رسم النور بها خط الوصولْ
أنقل المال إليه ممسكاً ... بيدي عند صعود ونزولْ
قائلاً: " شولم " سبعاً فأرى ... ما وعاه السحر من سرّ الفحولْ
قال هذا مسمعاً من أنصتوا ... فابتغوا تقليده فيما يقولْ!
فهوى الأول منهم ساقطاً ... بالذي يحويه من بيت البخيلْ
جاء ربّ البيت يسعى بالعصا ... قائلاً من أنت يا هذا الجهولْ؟
قال: مخدوع بما زوّرته ... غرّه ما قلت من تلك النقولْ

ومن ثوابت منظومات ترة أنه ينهي كل حكاية شعرية بحكمة، فقد أنهى "اللص والبخيل" بقوله:

زخرف القول إذا أحكمته ... ضللت عن باطن الأمر العقولْ
كل من صدقنا يروى له ... دون تمحيص وتدقيق ضلولْ

---

(٧) سا . ص ٤٨ .

وامتاز كتاب "زعموا أن" ببنائه الموسيقي، إذ جرت عادة من كتبــوا شــعراً للأطفال في الغالب الأعم أن يكتبوا أكثر قصائدهم على بحر الرجز ومشتقاته، إلا أن ما فعله ترة يدلّ بوضوح على أنه أراد أن يخرق هذا المألوف في شعر الحكايات تحديــداً، لهذا نجد عنده تركيزاً دائماً على بحر الرمل..

ثم ينوّع الشاعر على إيقاعات أخرى كالخفيف والهزج والمتقارب والسريع والطويل ومجزوءات بحور أخرى كالكامل والخفيف، ولا يكتفي بهذه الخصوصية بل نجده ينوع في نظام التقفية لديه، فالشكل الرئيسي عنده لاستعمال القافية الثنائية أن تكون موحدة في كل بيتين، ثم تتغير في البيتين اللذين بعدهما وهكذا، وأحياناً تكون موحدة وهي قليلة في الشعر القصصي.

ومع أن الكتاب لا يخلو من مآخذ منها على الأخص صياغاته ومفرداته، فإنه من آثار شعر الأطفال الهامة في القرن الماضي، وقد استحق ما قاله فيه الدكتور إبراهيم ناجي في أول الكتاب:

يا شهيداً في حومة المجــد والفــضل صــريعاً فــي ســاحة التعلــيم

عشت عــيش العظــيم تمــلأ دنيــاك فخــاراً ومــتّ مــوت العظــيم

فسلام على السجايا الغــوالي وسلام عليــك عبــد الــرحيم

الفصل السابع

تجارب مصرية في شعر الأطفال

الشرارة الأولى في شعر الأطفال أطلقها رائد النهضة العلمية والثقافية رفاعة الطهطاوي، ومن المثير للإعجاب أن رفاعة الذي كان منغمراً في مشروعه النهضوي التأسيسي قد وجد لديه الوقت والحماسة ليكتب للأطفال أول النصوص الشعرية التي عرفها شعرنا في العصر الحديث، إضافة إلى كتاباته الدائمة في التربية والتعليم متوجاً ذلك بكتابه الضخم "المرشد الأمين للبنات والبنين" عام ١٨٧٥ إذ وضع فيه خلاصة تجربته وتوجهاته، مع مختارات منتقاة من الشعر والنثر العربيين عبر العصور، باثاً في ثنايا كتابه آراءه التنويرية التي ترى *"أن التربية فن تربية الأعضاء الحسية والعقلية وطريقة تهذيب النوع البشري ذكراً أم انثى على طبق أصول معلومة."*[١]

وقد كان رفاعة الطهطاوي صاحب الريادة الأولى في إنشاء أول مجلة للأطفال كان لها صدى عميق في النهوض الثقافي والتعليمي، هي مجلة "روضة المدارس المصرية" الصادرة عام ١٨٧٠[٢] والتي نشرت مقالات وقصائد كثيرة لأساتذة وتلاميذ، وقد أدارها ابنه علي في حياة والده وبعد رحيله عام ١٨٧٣، وليس من قبيل المبالغة أن يقول الأديب المعروف نعمان عاشور عن رفاعة الطهطاوي[٣]:

---

(١) المرشد الأمين . ص ٥ .

(٢) راجع تفصيلات عنها في كتاب "روضة المدارس .." لحسن و الدسوقي .

(٣) رفاعة الطهطاوي أو بشير التقدم . ص ٣ .

"إن نتاجنا الثقافي المعاصر.. يرجع في أصله ويرتد في كافة منابته إلى البدايات التي خطها رفاعة رافع الطهطاوي بكتاباته وترجماته وآرائه وأفكاره وجهوده العلمية ومواقفه النضالية، فطبع منطلق المسيرة لثقافتنا المصرية المعاصرة في كافة جوانبها.. ورفاعة الطهطاوي هو الصورة البارزة الحية للمثقف المصري الأصيل الذي أوجدته ظروف عصره في مفترق العديد من الطرق.. والذي استطاع بفضل وطنيته الخالصة وشخصيته الصلبة أن يشق للثقافة المصرية أسلم وأصح وأقوم المسالك."

وكان تفتح الطهطاوي الشامل خلاصة لأخذه بثقافة عربية عميقة، والانفتاح على الثقافة الغربية التي تحدث عما هزّه فيها من علوم وحريات جعلته يتحسر على خلو ممالك الإسلام منها كما قال، وقد أراد لكتابه الأشهر "تخليص الإبريز إلى تلخيص باريز أو الديوان النفيس بإيوان باريس" *"أن يوقظ به من نوم الغفلة سائر أمم الإسلام من عرب وعجم"*(٤)

ومما له عظيم الدلالة أن رفاعة قد خط بيتين خالدين تحت ترويسة مجلة "روضة المدارس المصرية" وهما:

تعلمِ العلـمَ واقـرأ ... تحزْ فخـار النبـوّه

فالله قـال ليحيـى: ... خذِ الكتـاب بقـوّه

قلت إن الطهطاوي وضع أولى محاولات شعر الأطفال وقد جاءت على لونين، لون النشيد المدرسي الذي صارت الحاجة ماسة إليه، ولون الإرشاد التربوي المباشر، لهذا وضع مثلاً نشيداً وطنياً بعنوان "حب الوطن"(٥):

يا صاح حـب الـوطنِ ... حليـة كـل فطـنِ

محبـة الأوطـان ... مـن شـعب الإيمـانِ

فـي أفخـر الأديـان ... آيـة كـل مـؤمنِ

---

(٤) تخليص الإبريز . ص ٥ .

(٥) ديوان رفاعة الطهطاوي . ص ٩٣ .

وللطهطاوي منظومة طويلة نسبياً أسماها "منظومة في تأديب النشء" قدم لها بقوله:

"وقد كنت نظمت في كتاب تعريب الأمثال في تأديب الأطفال منظومة لطيفة، تحسن بمنوال التعريب نسجها، فيحسن هنا بمناسبة المقام إدراجها" ونصها [٦]:

الحمد لله وصلّ ربي ... على النبيْ و آله والصحب(*)
وبعد، فالتأديب للأبناء ... آكد واجب على الآباءِ
من أجل ذا نظمت للتنبيه ... خمساً وأربعين بيتاً فيه
في نحو ساعتين والمولى على ... قصدي أعان جل ربي وعلا
في بر والديك بالغ تغنم ... لا سيما في العيد أو في الموسمِ
وإن ترم سرور أم أو أب ... يوماً فكسب العلم خير مكسبِ
من رام عند الناس طراً أن يحب ... فليلتزم حسن السلوك والأدبْ
وأن يكون طيب السريره ... مهذب الأخلاق زاكي السيره
من رام بين العالم ارتفاعه ... فليلزم العفة والقناعةْ
هل ذل عند الناس عبد يقنع ... أو عزّ سيد لديهم يطمعُ
إن رمت أن تشوّق الأولادا ... وأن ترى من نجلك اجتهادا
فعده بالإتحاف يوم العيد ... وقدم الوعد على الوعيدِ
يعاقب الجاني بما جناه ... وذاك في دنياه أو عقباهُ
والظلم لا يتركه المولى سدى ... مآل كل ظالم إلى الردى
من رام أن يكتسب اللطافه ... عليه طول العمر بالنظافه
فإنها من شعب الإيمان ... تطلب في الثياب والأبدانِ
وشرّ أوصاف الفتى هو الغضب ... يفضي إلى ارتكاب ما لا يرتكبُ

---

(٦) سا . ص ٢١٨.

(*) في الأصل : وآله الصحب .

فيـا لـه مـن خـصلة ذميمـه | فـي تركهـا مـصلحة جـسيمة
وقــوة الــرأس مـع العنـاد | من أقـبح الخـصال فـي الأولادِ
والامتثـــال صـــفة جليلـــه | للـــودّ لـــيس مثلهـــا وســـيلةْ
ممـا يعـد مـن صـفات الـذم | كـتم الـصغير عـن أب وأمّ
سراً حقيراً أو جليلاً بـل يجـب | إبــداؤه وعنهمــا لا يحتجــبْ
يطلع المولى علـى مـا تعملـه | بعلمــه لكنـــه قـــد يمهلـــهُ
من يعصِ والديـه ضـلَّ ونـدم | وســاء حالــه وللرشــد عُــدِمْ
وضــاع سـعيه وخـاب أملـه | ما لم يتـب فـلا يـضيع عملـهْ
وعفــة الـشريف عنـد الفقـر | وصــبره لعــسره مــع شــكرِ
خيــر فـضيلة عليهـا يحمـد | يعقبها اليـسر ويبقـى الـسؤددُ
والولــد الـصالح عنـد الأهـل | يحـب بـل يكـرم عنـد الكـلِّ
يمتاز عن أقرانـه فـي المكتـب | تـــشمله بركــــة المــــؤدبِ
فضل البنات الـشغل والتطريـز | ومـا حـوت علمـاً بـه تفـوزُ
في سـائر الحـال(*) والاحتـشام | مــن جنــسهن والحيــا يــرامُ
الرفــق بـــالفقير والــضعيف | من حسن أخلاق الفتى الـشريفِ
وخوف رب العـرش والمراقبـه | أمن من الـشر وسـوء العاقبـهْ
من رام نظمـه بـسلك الـسعدا | فليسعد النـاس ليبقـى مـسعدا
يحــب مثـــل مالـــه لغيـــره | يعطي أخاه جانبـاً مـن خيـرهْ

وفي قصيدة أخرى بعنوان " مجموعة حكم " نقرأ للطهطاوي:(٧)

يحـسن حفـظ اللـوح للـصغير | علـــى مـــرار بـــل وللكبيـــرِ
يرسخ في الذهن ولـيس يمحـى | جربه بالتقـسيم واقبـل نـصحا

(*) في الأصل : الأحوال.
(٧) سا . ص ٢١٨ .

الكبــر ناشــئ عــن الحماقــه	ومــا لعاقــل عليــه طاقــة
يبغض كـل النــاس رب الكبـر	وبــالرفيع والوضــيع يــزري
تستحسن الطبــاع وصــف الأدب	وأحــسن الآداب آداب النبــي
ومــا ســوى أخلاقــه فباطــل	ومــن تحلــى بــسواها عاطــلُ
ولا يليــق مــن غــلام الطاعــه	خــروج رأيــه عــن الجماعــه
ففي اجتمــاع الكلمــه الــسلامه	بهــا يــتمم الفتــى مرامــه
والحمــــــد لله وصــــــلى الله	علــى النبــي وكــل مــن والاه

وكان من تلاميذ رفاعة الطهطاوي محمد عثمان جلال الذي ترجم عدداً من الكتب في موضوعات شتى وألف بعضها، وكان أحد كتاب "روضة المدارس المصرية" التي يتحدث عنها الدكتور أحمد زلط قائلاً(٨):

"ونستطيع القول في اطمئنان، إن أول رافد ثقافي غزا مسار أدب الأطفال في إطار انبثاقته الأولى في مصر أنه تمحور عند سائر النتاج الأدبي الذي نشرته" روضة المدارس المصرية "للطفولة والناشئة بين أعوام ١٨٧٠ – ١٨٧٧ بما نشرته لتلاميذ المدارس مع أساتذتهم وكوكبة الأدباء للناشئين، حقاً لم يكن قد تأصل بعد المفهوم الاصطلاحي لأدب الطفل، و لكنه من الإنصاف القول بأن ميلاد أدب الطفل الحديث في مصر بمعناه العام سار في خط مواز مع مجلة روضة المدارس، كأول وأهم مجلة مدرسية واسعة الانتشار، حظي الأدب بنصيب موفور فوق صفحاتها، من التلاميذ أنفسهم وإليهم".

لكن محمد عثمان جلال أحد المترجمين، والكاتب المعروف في هذه المجلة الرائدة، كان قد سجل الريادة الكبرى بنشره لكتاب "العيون اليواقظ" في منتصف القرن التاسع عشر، بعد أن كان الطهطاوي قد سجل ريادة التنبيه إلى شعر الأطفال و كتابة بعض النصوص القليلة فيه.

وسجل الدكتور زلط أن كثيرين نشروا في "روضة المدارس المصرية" قصائد من شعر الألغاز كإسماعيل عاصم ومصطفى صبحي وأسعد طراد وأحمد

---

(٨) أدب الطفولة بين كامل الكيلاني ومحمد الهراوي . ص ١٤ .

نظمي وحسين الشباسي ومصطفى جلال وآخرين، ويورد نصاً للشاعر الشباسي فيه توجيه أخلاقي مباشر(٩):

البـــر بالآبـــاء فـــرض لازمُ

من برهم فهــو النجــيُّ الحــازمُ

فأطع أباك وكن لأمــك تحــت رقْ

مــسترضياً لهمـــا لــئلا تحتــرقْ

واحذر عقوقهما الذي قــد حرمــا

ويحل صاحبها المــسيء جهنمــا

وقد ظهر في مصر بعد محمد عثمان جلال الشاعر عبد الله فريج في كتابه "نظم الجمان" ثم ظهرت أعمال شوقي للأطفال في الجزء الأول من شوقياته عام ١٨٩٨، وكتب المربي الكبير عبد الله فكري مقطوعات شعرية نادرة، وهو الذي كان ناظراً للمعارف في زمن الخديوي إسماعيل، وله بعنوان "إلى ولدي"(١٠):

إذا نام غرّ في دجى الليــل فاســهر وقــم للمعــالي والعــوالي وشــمّرِ

وسارع إذا ما رمت ما دمت قــادراً عليه وإن لم تبصر الــنجح فاصــبرِ

وأكثر من الشورى فإنك إن تــصب تجد مادحاً أو تخطئ الــرأي تعــذرِ

وعوّد مقال الصدق نفسك وارضــه تصدّق ولا تركن إلـــى قــول مفتــر

ولا تقــف زلات العبـــاد تعــدها فلست على هــذا الــورى بمــسيطر

وقد ورد في آثاره الكاملة أنه أملى على أول تلميذ تقدم للامتحان عنده البيتين التاليين(١١):

أدمْ يـــا إلهــي لأوطاننـــا جناب الخــديوي وأنجالــهُ

ووفــق بتوفيقـــه قطرنـــا لما هو أبقى وأنجــى لــه

---

(٩) سا . ص ١٩ .

(١٠) مجموعة من النظم والنثر . سليم . ص ٣ .

(١١) الآثار الفكرية . ص ٣٧ .

وفي قصيدة يخاطب فيها ابنه يقول[١٢]:

تقدم إذا ما رمت ما دمت قادراً ... عليه فإن لم تبصر النجح فاصبرِ
ولا تأت أمراً لا ترجّي تمامه ... ولا مورداً ما لم تجد حسن مصدرِ
ولا تستشر في الأمر غير مجرب ... لأمثاله أو حازم متبصّرِ
وخير عباد الله أنفعهم لهم ... كما جاء في قول العزيز المبشر

وأصدر علي فكري عدداً من الكتب التي ضمت نماذج شعرية مبكرة في مؤلفاته "النصح المبين في محفوظات البنين" و"النصح المبين في تربية البنين" و"مسامرات البنات" والنسخة التي اطلعت عليها من الكتاب الأخير هي الطبعة السادسة، وصادرة عام ١٩١٨ مما يدلّ على رواج الكتاب ودعمه من قبل الجهات الرسمية، إذ كان علي فكري أميناً لدار الكتب السلطانية ومن رجال التربية المعدودين، وهو وإن كان حالة متقدمة على منظومات والده، إلا أن نصه ظل شديد الجهامة والجفاف والصياغة التقليدية كما يظهر في هذا المثال[١٣]:

أطع الإله كما أمرْ ... واملأ فؤادك بالحذرْ
الدين لا تلعب به ... لعب الصوالج بالأكرْ
حافظ عليه فإنه ... نعم السعادة تدخر
وأطع أباك لأنه ... رباك من عهد الصغر
واخضع لأمك أرضها ... فعقوقها إحدى الكبر
حملتك تسعة أشهر ... بين التمرّض والضجر،
فإذا مرضت فإنها ... تبكي بدمع كالمطر

وكان لظهور كتاب "آداب العرب" معنى الإضافة الكبرى لأنه ديوان كامل من الحكايات الشعرية للأطفال ألفه إبراهيم العرب وقررته نظارة المعارف في مصر على تلاميذ المدارس الابتدائية[١٤]

---

(١٢) دروس الاستظهار . الحنبلي . ص ١٣ .

(١٣) مسامرات البنات . ج ١ . ص ١٨ (الطبعة الأولى صدرت عام ١٩٠٣)

(١٤) لا يخفى أنني أترك الحديث عن تجارب من خصصتهم ببحث مستقل . كجلال وشوقي وغيرهما.

إن الدعوات التي أطلقها الطهطاوي في النهضة الثقافية، ترددت أصداؤها لدى كثيرين ظهرت واضحة عند الزعيم الوطني الكبير مصطفى كامل، عندما دعا عام ١٨٩٣ إلى الأدب التهذيبي الموجه للتلاميذ على صفحات مجلة "التلميذ" التي أنشأها للأطفال لبث الروح القومية فيهم وتربيتهم تربية عصرية، ومن الجميل أن يكون شعار المجلة "حبك مدرستك.. حبك أهلك ووطنك" لكن المجلة أصدرت تسعة أعداد وتوقفت. قال مصطفى كامل في افتتاحية المجلة (١٥):

"ولما كان أسمى غرض لنا هو تهذيب الأحداث فقد عزمنا أن ندرج في كل عدد من أعداد جريدتنا نشيداً أو نشيدين على نمط السلاسة والتهذيب التام، حتى إنه بعد مضي خمسة أو ستة أشهر يمكننا أن نجمعها في كتاب نضم إليه بعض الشذرات والمحاورات المفيدة يكون قاعدة أساسية لتهذيب الأبناء، وإنا لا نعدم في ذلك العمل مساعدة الفضلاء والأدباء والشعراء، وإلى القراء نشيداً جاءت به القريحة لعده باكورة لهذا العمل:

هلموا يا بني الأوطان طرًا ... لنرجع مجدنا ونعزّ مصرا
هلموا كي نوفي القطر حقا ... نسيناه فضاع بذاك قدرا
هلموا وادركوا العلياء حتى ... تنال بلادنا عزاً وفخرا
هلموا واتركوا الشحناء منكم ... وكونوا أوفياء فذاك أحرى
أليس يشيننا ترك المعالي ... تباع بغير وادينا وتشرى
ونحن رجالها وبما لديها ... من الإسعاد والخيرات أدرى
نسينا البر للنيل المفدى ... وخلنا أننا جئناه برا
فعار أن نسمي الذل(*) عزاً ... وعار أن نسمي الشح برا
وعار أن يكون لنا وجود ... ويحظى غيرنا فوزاً ونصرا
فقوموا واطلبوا للنيل عزاً ... ولا تبقوا بذل كي يسرا

---

(١٥) أدب الطفولة بين الكيلاني ومحمد الهراوي . ص ٢٢ .

(*) الأصل : الذال .

وسيروا نحو هذا النهـر[**] حتـى   تنادوا أجمعـين بعـز مـصرا "

نخلص من هذا إلى أن مصطفى كامل قد سبق احمد شوقي بالدعوة إلى شعر الأطفال بخمس سنين.

ومن المصادفات الجميلة أن أقع على نص نادر لشاعرة مصرية اسمها أمينة نجيب / عاشت بين ١٨٧٣ ١٩١٧ وعنوانه "العصفور" ونصه:

امـرح صـغير الطيـور   واقفـز هنـا لا تبـالِ
إنـا نعـدُّك منـا   بـل واحـدُ الأطفـالِ
كـم وثبـة لـك كانـت   تحيـة للجمـالِ
عبـرت عنهـا فـصيحاً   عـن حبـك المتعـالي
كمـا شـدوت بلحـن   مـن روح هـذا الجـلالِ
ونحـن والله نهـذي   بالـشعر أو بالمقـالِ

والشاعرة أخت لشاعر وصحفي كان معروفاً في أوائل القرن العشرين هو مصطفى نجيب له قصيدة عن "سكة الحديد" في الكتاب المدرسي المشهور"القراءة الرشيدة" يقول فيها[١٧]:

طرائق في ضواحي القطر تبلغنـا   أقصى المراد ولم ننقل بها قـدما
مصر كصفحة قرطـاس بتربتهـا   غدا الحديد عليها الخط والقلمـا
أرض بها كان خصب النيل منتشراً   حتى أتاها قطار النـار فانتظمـا
لنا غنى عن قطار السحب منـسجماً   ولا غنى عن قطار النار مضطرما
يجري به الرزق في جسم البلاد كما   يجري دم في عروق الجسم منتظما
تحكي المحطة قلباً والخطوط لها   تحكي الشرايين منه والقطار دما
مع السلامة يا من سار مـرتحلاً   عنا وأهلاً وسهلاً بالـذي قـدما

(**) في الأصل الفهد .

(١٧) القراءة الرشيدة ٣ / ٨ .

إن المساهمة النسائية في شعر الأطفال ظلت نادرة، ولا تزيد على قصائد، و لم نجد ديواناً كاملاً للأطفال من تأليف امرأة عدا الشاعرة السورية جسماني شقرا في "روضة الأطفال" عام ١٩٣٢.

إلا أن مصر شهدت في مطلع القرن العشرين واحدة من أهم أعلام التربية والتعليم وأكثرهم استنارة وأعني بذلك السيدة لبيبة هاشم (ذات أصل لبناني) فدعت إلى تعليم حديث، ونقدت حال التعليم والفكر الذي يحكمه في زمنها(١٨).

كان الدور المصري بارزاً في حركة تأليف الكتاب المدرسي المعاصر التي تدرجت بصعوبة منذ "رسالة أدب الناشئ" الذي يحلو لمؤلفه أن يذكر أمراً كأنه حقيقة إلهية:

"أيها الناشئ اعلم أولاً أن الحكمة الإلهية اقتضت أن يكون الناس صنفين، صنفاً يقال لهم الخاصة وصنفاً يقال لهم العامة."(١٩)

وقريب من هذا كتاب "هداية الأطفال" الذي قرر تدريسه عام ١٨٩٠ لمؤلفه حسن توفيق أفندي حيث يقول:

"وأما هنّ فخلقن للمنزل والتأثير في الأسرة وقد أحسن من قال: إن دنيا المرأة المنزل، ومنزل الرجل الدنيا."(٢٠)

ومن النمط نفسه كتاب "مقتطفات أدبية لطلبة الإعدادية" لعبد القادر البرزنجي.

إلا أن الكتاب كان يترقى قليلاً قليلاً شكلاً ومضموناً، وإن كانت الكتب محتشدة بالمدائح لأولي الأمر والتركيز على التوجه الديني بشكل جامد، مع قساوة لغوية لا تراعي أنها كتب موجهة لتلاميذ، كما نلاحظ في كتاب أنيق وبلا مؤلف هو "كتاب المنتخبات العربية" وهو يشبه كتاب "العقد الفريد" في التقسيم والاختيار ويقع في ٢٧٢ صفحة من القطع الكبير جداً.

---

(١٨) راجع كتابها المهم " كتاب في التربية " .

(١٩) رسالة الناشئ . ص ٤٦ .

(٢٠) هداية الأطفال . ص ٢٧٥ .

ومن الكتب المهمة "المطالعة العصرية الحديثة" لمحمود صبور و"الطريقة الجديدة في الهجاء والتمرين والمطالعة" لأحمد زناتي، و"التهجي والمطالعة" الذي لم يذكر اسم مؤلفه، وصولاً إلى أكثر كتابين اقتربا من الطريقة الحديثة وهما "القراءة الرشيدة" الذي ظل لعقود من أهم كتب القراءة والمحفوظات في الوطن العربي، وهو من أربعة أجزاء، وتأليف عبد الفتاح صبري وعلي عمر، وفيه رسوم جميلة مرافقة للنصوص، ومثله كتاب "المحفوظات المختارة" من أربعة أجزاء لأستاذين كبيرين هما أحمد علي عباس وعباس حسن، والكتابان من أهم المصادر التي يقع فيها الباحث على نصوص من شعر الأطفال العربي.

وهناك كتاب في غاية الأناقة، يحسبه المرء قد طبع هذه الأيام، مخصص للمدارس الأولية، ومن أربعة أجزاء، وفيه ما يصلح لأطفال الروضة واسمه "روضة الأطفال" تأليف السيدة إنصاف سري ناظرة مدرسة البنات الأميرية بالحلمية، وهو مطبوع في مصر عام ١٩٢٤ وبقطع كبير جداً، وفيه ٣٨ صفحة من الكرتون مع رسوم ملونة.

واطلعت على كتاب خاص بالرياض أكثره ملوّن من تأليف الآنسة إحسان محمد زوبع من المدارس الأميرية ويحوي ١٧٠ صفحة بخط يدوي جميل وعنوانه "القراءة للأطفال".

ومن الواضح إن هناك كتباً انحصر اقتناؤها وتداولها بين الأطفال الميسورين، لأن انتشار الكتاب المدرسي شعبياً لم يحصل إلا في النصف الثاني من القرن العشرين، إذ انتشرت المدارس، ودعمت الدولة الكتاب، وصارت الكتب المدرسية شأناً حكومياً رسمياً فقط.

ومما يلفت النظر أن أكثر شعراء مصر المعروفين والمغمورين قد حاولوا كتابة شعر الأطفال بتأثير حاجة الكتاب المدرسي والمدارس إلى القصائد والأناشيد، فكانت هناك مساهمات لحافظ إبراهيم من مثل (٢١):

للوالـــدين كرامـــة　　　ومحبـــة منـــي وفيـــه

---

(٢١) المحفوظات الطريفة . ص ١٧ .

كم أسديا من نعمة أو أهديا خيراً إليّه !
بهما أعيش منعماً وظلال برّهما نديّه
وهما عماد مسرتي ومعيشتي بهما هنيّه
إني أطعتهما فلم أرَ منهما غضباً عليّه
ما عشت لا أنساهما عظم الجميل لوالديّه
لهما ثناء طيّب وعليهما مني التحيه

وقصائده التي قد تصل إلى العشر تكشف عن جانب مرهف ونبيل عند الشاعر، فلغته كانت سهلة إلى حد ما، مما يدلّ على تحسس خاص لهذا اللون من الشعر.

وأسهم الشاعر أحمد الكاشف في هذا اللون أيضاً، ومن محاولاته هذه القصة الشعرية المأخوذة من قصص إيسوب اليوناني بعنوان "النعجتان" [٢٢]:

في وسط قنطرة تلاقت ذات يوم نعجتانِ
بالكبرياء شهيرتان غليظتان عنيدتان
إحداهما نظرت إلى الأخرى بعين الإمتهان
ودنت تصيح الآن لي: أخلي الطريق بلا توان
فأجابت الأخرى بكِبر لست أبرح عن مكاني
واشتدّ بينهما اللجاج فهاجتا تتدافعان
حتى هوت في لجّة اليمّ الخضمّ الإثنتان
عظم المصاب فصاحتا مما جرى تتأسفان
أيريحنا ذا الاتساع الآن في هذا الهوان ؟
ويلاه من عقبى التناهي في الشراسة والتفاني !
إن السلامة والكرامة في التسامح والليان

---

(٢٢) ديوان الكاشف ، ص ٨٦ .

ويقترب العقاد من عالم الطفل في قصائد "عيش العصفور" و"يا قمر" و"طفل" التي يقول فيها(٢٣):

يستعبد الناس كأن لــم يكــن   يسمع بالدستور فــي عمــره
وينزل الأهــل علــى حكمــه   ويرغم الصحب علــى أمــره
لم ينه عن شيء يعنــى بــه   إلا ارتمى يسعى إلــى كــسره
ويجذب القطــة مــن ذيلهــا   ويضرب الكلب علــى ظهــره
فــإن تلــوّى منهمــا واحــد   على يديه طــار مــن ذعــره
وصاح يستعدي عليه الــورى   كأنــه البــادئ فــي شــره
ألا ترانــا وهــو يلهــو بنــا   أســرع مــا كنــا إلــى بــره
بحيلــة منــه فــلا غيرهــا   يردنــا طوعــاً إلــى أســره

وأسهم مصطفى صادق الرافعي بعدد من القصائد الموجودة في ديوانه أوالمبعثرة في بعض الكتب والمجلات ومن قصائده الجميلة "الحمار" (٢٤):

يا راجياً لطــف الحمــار ظلمتــه   هل عند رجليه ســوى رفــساته
كل الكــلام يــضيع فــي آذانــه   ما دمت لا تحكيــه فــي نهقاتــه
والعقل تخلقه العصا فــي ظهــره   ضــرباً يتــرجم جلــده لذعاتــه
إن الحمار وإن تلقب في الــورى   بالفيلسوف هــو الحمــار بذاتــه

وله "نشيد الطفل الصغير" وفيه يقول(٢٥):

دفتري صاحبي ولوحي رفيقي   وكتابي في كــل فــنّ إمــامي

---

(٢٣) ديوان العقاد ص ١ / ١٢٩ – ١ / ١٤٦ – ١ / ١٥٨.
(٢٤) مجلة أبولو ٧ / ١٩٣٣ .
(٢٥) ديوان مصطفى صادق الرافعي . ص ٢٠ .

فتعلمت ما تعلمت مما أتباهى بعلمه في الأنام
راجياً أن أكون بالعلم يوماً في بلادي بين الرجال العظام
سادتي انشروا العلوم لتشفي ما بجسم البلاد من أسقام
إنها روحها وما بسوى الروح تكون الحياة في الأجسام

وشهدت مصر ظهور أهم الأدباء الذين تفرغوا لأدب الطفل، فكامل الكيلاني قدم للمكتبة العربية أغزر عطاء عرفته حتى الآن، بلغة سليمة جميلة، ورؤية إبداعية شاملة. ولم يكتفِ الكيلاني بالترجمة والإعداد والتأليف القصصي والمسرحي، بل وضع للأطفال عدداً لا بأس به من القصائد، وهي مبثوثة في مختلف الكتب التي نشرها، وقبل ذلك عاشت أجيال من الأطفال العرب على كتابته لرحلات السندباد البحري.

ومما يلاحظ على ما كتبه الكيلاني من شعر ونثر أنه نقل أدب الأطفال خطوات واسعة إلى الأمام من جميع النواحي التي تخصّ التربية والخصائص الفنية، ولنأخذ نموذجاً من شعره للأطفال وهو "نشيد الحمار" (٢٦):

آنست يا حماري حللت خير دارِ
أحسنت إذ أتيتنا أنعم بما فعلتنا
حمارنا الظريفا الوادع اللطيفا
لست تلاقي عندنا إلا السرور والهنا
منذ حللت بيننا أصبحت فيه ضيفنا
تنام فوق فرش ملمنم من قشٌ
تطعم خير مأكل منخل مغربلِ
نهدي إليك سكره مع الشعير والذره
منك القليل تبذلهْ لك الكثير تأكلهْ
لا تحزننْ ولا تخفْ سوف نضاعف العلفْ

---

(٢٦) ديوان كامل الكيلاني للأطفال . ص ١١٣ .

ومن تجاربه قصيدة عن الحيوانات(٢٧):

جمعٌ من الحيوان قد سعدوا وطاب لهم مقامْ
قد رتبوا البيت الجميل وأتقنوا طبخ الطعامْ
متعاونين على الحياة بكل جد واهتمامْ
قد ذللوا كل الصعاب وأدركوا أقصى المرامْ
وتبادلوا من فرط حبهم احتراماً باحترامْ
قد أخلصوا وصفت قلوبهمُ فعاشوا في وئامْ
في كل شيء قلدوا الإنسان إلا في الكلامْ

وكان من وجوه نشاط الكيلاني اهتمامه بثقافة الأطفال المتعددة الألوان بما في ذلك إلقاء المحاضرات، وتعليقاً على محاضرة له عن جحا كتب الشاعر محمود غنيم(٢٨):

إني حسبت جحا مَجانة ماجنٍ فإذا به رجل جليل الشانِ
هو فيلسوف قام ينشر فضله بين البرية فيلسوف ثانِ
ما زال يطريه ويعلي شأنه متحدثاً عنه بكل لسان
حتى حسبت جحا ابن سينا عصره أو من أقارب كامل الكيلاني

وفي الفترة نفسها شهدت مصر تجارب لكتاب كثيرين في أدب الأطفال، حتى إن مجلة أبولو المشهورة كانت تفرد صفحات خاصة للأطفال، و في هذه الصفحات قرأنا لعلي عبد العظيم قصيدة "الطائر" (٢٩):

أيها الطائر غرّد كل صبح ومساءْ
وإملأ الروّض حنيناً وتفرّد بالغناءْ
وامض في الجو طليقاً آمناً كل اعتداءْ
إن من يقتل طيراً هو والجاني سواءْ

---

(٢٧) سا . ص ٧٦ .

(٢٨) ديوان محمود غنيم ١/ ٢٦٧.

(٢٩) مجلة أبولو العدد ٨ / ١٩٣٣ .

كذلك للصاوي محمد شعلان في "بين شاعر وطائر"[٣٠]:

غنت على زهر الربى — عصفورة عند الصباح
وترنمت في بهجة النو — ر المقدس حين لاح
فسألتها من أنت ؟ قا — لت: لا تسل غير الكفاح
عصفورة قد كان يغ — ري نومها ضعف الجناح
لكنها لم تستبح — نوماً على الرزق المباح
إني أغار من الشعا — ع إذا سرى و من الرياح
و أحب أن أسعى كسع — يهما لأحظى بالنجاح
مالي أرى الإنسان يس — بقني بألحان فصاح
ما باله لم يسع مثلي — جاهداً يبغي الفلاح
قد صار دوني في الجهاد و كان قبلي في الصباح
وأعيد أنغام الصفا — ويعيد آلام النواح
بشراك يا بنت السما — ء وحبذا الأمل المتاح
وليستنرْ بك عاقل — في ظلمة الليل استراح
يا ملهم الطير الجها — د الحق ألهمنا النجاح

وللدكتور أحمد زكي أبو شادي تجارب لطيفة في شعر الأطفال، وقد كان اهتمامه بهذا اللون كتابة وتشجيعاً ونشراً له في مجلة أبولو الشهيرة يعكس حسه الحضاري وإدراكه لأهمية أدب الأطفال، ولنأخذ نموذجاً له هو "العصفور"[٣١]:

ساكن الأغصان غرّد — للمنى شعراً وغنّ
صوتك الصداح سحر — يطرد الأحزان عني
. . . .
أنت لا تخشى هموماً — أنت تحيا في اجتهاد

---

(٣٠) مجلة أبولو المجلد الثاني ١٣١ / ١٩٣٣.

(٣١) الحديقة . الخطيب ٤ / ١٣٣ .

تبصر الدنيا نعيماً لم ينغص بحدادِ

. . . .

كل ما فيها جميل طالما لم تلق أسرا

كل ما تهوى خليل صادق لا ملك كسرى

. . . .

تنفق العمر مجدّا دون أن تنسى القناعه

لا ترى عساً وجدّا ركن مجد أو براعه

. . . .

ساكن الأغصان غرّد صفو ما يهوى الربيعْ

أعطني درساً شهياً ينعش القلب السميعْ

ويبدو لي أن الاتجاه الرومانسي قد أسهم في دعم شعر الأطفال والكتابة فيه، فهذا الدكتور عبد العزيز عتيق يكتب قصيدة "العيد"(٣٢):

أيها العيد مرحباً بك يا عيدنا السعيدْ

أنت أقبلت زائراً فلبسنا لك الجديدْ

وفرحنا كما ترى نتلقاك بالنشيد

واشترينا لك الدمى وجمعنا لك النقود

كل بيت مزين لك بالزهر والورود

فلتدم فرحة لنا وليدم وجهك السعيد

وظهر للمرأة المصرية الشاعرة أثر في هذه المساهمات، فكتبت جليلة رضا حكايات مترجمة عن الفرنسية شعراً مثل "الصخرة والزورق" و"أغنية إلى طائر" و"الزهرة والفراشة" كما كتبت تأليفاً "مأساة دوحة" و"اذكري يا أم" (٣٣) وقصيدة "ولدي" ومنها(٣٤):

بنيَّ فديتَ بالعمر القصيرِ فخذ ما شئت من عهد السرورِ

---

(٣٢) القراءة والاستظهار . ص ٨٤ .

(٣٣) راجع "اللحن الباكي" للشاعرة .

(٣٤) سا . ص ٤٦ .

بنيّ جعلتنـــي أهـــوى بقـــائي فعشت بغصنك الغضّ النضير
ولكني ســـقيتك مـــاء قلبـــي وجدت عليك بالحـــب الـــوفير
وكان الشوق في الدنيا نصيبي وكان لك الزهور مع العبيـــر
وما للموج يلطمني فأرضـــى وأخشى فيك لمسات الحريـــر

وفي قصيدة "إلى ولدي" لروحية القليني خطاب للولد ليتوجه إلى الدفاع عن الوطن(٣٥):

إلى الميدان يـــا ولـــدي إلى الميدان يا ولـــدي
فمن لـــلأرض يحميهـــا سوى الأبطال والأسد؟
ومن أغلى علـــيّ هنـــا لأهديـــه إلـــى بلـــدي؟
سوى ولدي الذي أرجو حمى يومي وحصن غدي
إذا ما رحت يا ولـــدي شهيداً للحمى الغـــالي
وتعلم أنـــت أنـــك لـــي حياتي أنت لـــي مـــالي
وأنك لـــم تغـــب أبـــداً حبيب القلب عن بـــالي
فأنت بخـــاطري فجـــر ينـــورّ كـــل آمـــالي
برغم الحبّ يـــا ولـــدي وهبتك للحمى الغـــالي

ويكتب محمود أبو الوفا حكاية شعرية بعنوان "ريش الطاووس" وهو من الذين كتبوا عدداً من الأغاني والأناشيد(٣٦):

نشر الطـــاووس ذيـــلا واستوى يمشي اختيالا
يبـــسط الزهـــو أو العُجْـــب حواليـــه ظـــلالا
مـــا لـــه لا يمـــلأ الأعطـــاف تيهـــاً أو دلالا
وهـــو مـــا وجّـــه عينيـــه يمينـــاً أو شـــمالا
لا يرى إلا عيوناً تتمنـــــــــاه ابتهـــــــــالا

---

(٣٥) نسمات وأعاصير . غريب ص ٤١٣ .
(٣٦) أشواق . ص ٦٠٢ .

ذات يـــوم فكـــر الطـــاووس واشـــتطّ خيـــالا
قـــال: يـــا قـــوم ألـــسنا أمـــة ضـــاعت مـــآلا؟
انظروا ريشي هذا هـــل رأيـــتم لـــي مثـــالا؟
بـــايعوني الآن بالملـــك وجيئـــوني امتثـــالا
بايعوني بايعوني واحمـــــدوا الله تعـــــالى
وإذا الطيـــر بـــصوت واحـــد تهتـــف: لا..لا
وانبرى فـــرخ ضـــعيف ناحـــل الـــريش كَـــلالا
قال: يـــا هـــذا ســـمعنا فاســـتمع منـــا مقـــالا
هل تظنّ الملك حـــسناً أو رياشـــاً تتلالـــى
إن للمُلـــك تكـــاليف وأعبـــاء ثقـــالا
نحـــن نبغـــي الملـــك حزمـــاً واعتزامـــاً ونـــضالا
نحـــن نبغيـــه فعـــالا نحـــن نبغيـــه كمـــالا

وإبراهيم ناجي الشاعر الرومانسي الكبير كتب "نشيد الطالبة" الذي يقول فيه(٣٧):

إنـــي أحـــب العلـــم فهـــو التـــاج يرفـــع كـــل أمّـــة
إن تحمـــدوا نعـــم الإلـــه فـــإنّ حـــبّ العلـــم نعمـــه
وإليه أغـــدو كـــالطيور طبعي التغني والبكـــورْ
وإلـــى الحيـــاة أسـير تملـــؤني البـــشاشة والـــسرورْ
ويـــدي لمـــن حـــولي تمـــدّ علـــى المحبـــة والـــودادْ
أغدو على حـــب لهـــم وأعود صافية الفـــؤادْ
لأبي وأمـــي طـــاعتي ورضاهما هو مغنمـــي
وعلـــيّ أن يغـــدو احترامـــي كـــاملاً لمعلمـــي

---

(٣٧) الأعمال الشعرية الكاملة . ص ٨٠٧ .

وكذلك فعل الشاعر الغنائي المعروف أحمد رامي في قصائد "الطالب" و"أمي" و"حفيدتي" التي يقول فيها[٣٨]:

أنـــا أحــب رانيــةْ   قرة عيني الغاليــةْ
إذا رأيــت وجههـــا   نسيت كل ما بيــه
أشتاق أن أضــمها   وهي عليّ حانيــه
وأســـتطيب قبلـــة   من العيون الساجيه
لله مـــا أجملهـــا   حين تكون راضــيه
ومـــا أرقّ خطوهـــا   رائحـــة وغاديـــه
تقول: جـدو وأنـــا   أقول: يـــا حياتيــه
أفديك يا صــغيرتي   بالروح وهي غاليه
وأسأل الــرحمن أن   تحيا حيـــاة هانيــه

والكاتب المعروف سيد قطب كان ذات يوم ناقداً تحديثياً وشاعراً رومانسياً، فله نقد مهم وشعر رقيق، ومن ضمن اهتماماته كتابته شعراً للأطفال كقصيدة "الوادي المقدس" التي يقول فيها[٣٩]:

على ضفاف الخلودْ   وفي شعاب الــزمنْ
والدهر يحبو وليــد   قد كان هذا الــوطنْ
يا نيل كم من شراع   يا نيل كم من سفينْ
على مــدار الــسنينْ!
وينشط الــزر زور   يجمّـــع العيـــدانْ
لعـــشه المعمـــور   بفرخـــه الوســـنانْ
هذا الثرى المنثــور   في صفحة الــوادي
عرفته في الــضمير   رفـــات أجـــدادي

(٣٨) ديوان أحمد رامي . ص ٦٣ – ٢٧١ – ٢٣٨ .
(٣٩) ديوان سيد قطب . ص ٢٤٧ .

وله قصيدة عن "الصيف" يقول فيها[٤٠]:

ما أجمل المصيفا وجـــوّه اللطيفـــا
وظلــــه الخفيفـــا للنـــاس أجمعينـــا

. . . .

على الرمال نمرح ونرتمـــــــي ونفــــــرحُ
وفي المياه نسبح ونركـــــــب الـــــــسفينا

. . . .

إلى الجبال نذهب علـــى الــــسفوح نلعـــبُ
من العيون نشرب سلـــــــسالها المعينـــــا

. . . .

ما أحسن الــسياحه والقفز والــسباحه!
هناك نلقى الراحه مـــن عمـــل يـــضنينا

إن هذه المساهمات الكثيفة لم تتخذ شكل اهتمام دائم، فقد دلت على واجب جميل شعر به عشرات من الشعراء، باستثناء الرائد الذي كتبت عنه مطولاً، وهو محمد الهراوي الذي لا يكاد يعرف إلا شاعراً للأطفال، كذلك محمد عبد الرحيم ترة، وإن كان أقل أهمية ونتاجاً، إضافة إلى أنه لم يفعل سوى تحويل حكايات كليلة ودمنة إلى نظم شعري.

فالمساهمات التي لم تتوقف جاءت من شعراء أحبوا أن يكون لهم شرف المساهمة كأحمد زكي أبو شادي في "الزنبور والنحلة" و"المعلم" و"الكناري السجين" و"الكتاب" وغيرها[٤١].

ومحمد غنيم في "الفأر" و"المحراث" و"الذئب" و"الراعي والقطيع" و"الكبش والذئب" و"الحدأة والعصفور" و"أيها النشء" و"معهدي" و"تحية الكلب هول" و"أنا وأبنائي" إذ يقول في قصيدة "معهدي"[٤٢]:

---

(٤٠) القراءة والاستظهار . ص ١٤٢ .

(٤١) الشفق الباكي . ص ١٠٧٦ – ٢٠٢ – ٣٤٤ – ٤٤٤ .

(٤٢) الأعمال الكاملة . ص ١٣٨ – ١٣٩ – ٢٨٤ – ٢٨٦ – ٦١٠ معهدي: القراءة والاستظهار. ص ٦٤ – ٦٥ – ٥٤ .

معهدي معهـــدي　　　كم له مـــن يـــدِ
كـــل يـــوم إلـــى　　　بابــــه أغتــــدي
علمـــــه وحـــــده　　　عُدَّ تي في غدي
دمت يا معهـــدي　　　صافيَ المـــوردِ
. . . .
معهـــدي قبلتـــي　　　حبــــه شـــيمتي
داره جنتـــــــــي　　　أرضـــه منبتـــي
معهـــدي أهلـــه　　　كلهـــم أســـرتي
دمت يا معهدي　　　صافيَ المـــورد

وممن قدموا نتاجاً معروفاً محمد السنهوتي ومحمد عـــوض محمـــد وعلـــي متولي صلاح وعبد العليم القباني، وبرزت بشكل جميل قصائد شاعر موهوب لامع في هذا اللون هو سعيد جودت السحار، وخاصة في القـــصائد المناســـبة لأطفـــال السنوات الابتدائية الأولى، وكمثال على شعره قصيدة "الأرجوحة" (٤٣):

ما عشت لا أنـــسى　　　أرجوحــــة الخيـــلِ
زدنـــا بهـــا أنـــسا　　　أرجوحــــة الخيـــل
في العيـــد زرناهـــا　　　يـــا مـــا أحيلاهـــا!
طارت بمـــن فيهـــا　　　لمــــا ركبناهــــا
صـــرنا أغانيهـــا　　　صـــرنا حكاياهـــا
. . . . . .
أرجوحـــة الخيـــل　　　دوري بنـــــا دوري
يـــا حلـــوة الـــشكلِ　　　ملهـــى العـــصافيرِ
يـــا بهجـــة الطفـــلِ　　　دوري بنـــــا دوري

(٤٣) الأناشيد . وزارة التربية . ص ٤١٤ .

والتجارب التي ظهرت منذ السبعينيات تعطي مؤشرات على أن نهضة نوعية قد حصلت في شعر الأطفال العربي، انطلقت مع العناية الجديدة بأدب الأطفال انطلاقاً من نشره في المجلات بصورة خاصة، فبدأت تظهر تجارب كثيرة ومتواصلة من قبل شعراء مثل: أحمد الحوتي وأحمد سويلم وسمير عبد الباقي ومحمد الشافعي وأحمد زرزور، وقد امتازت تجربة الشاعر أحمد زرزور بلغتها وأجوائها، وإليكم قصيدة له باسم "بيوت"(٤٤):

بيـــوت هنـــاك   بيـــوت هنـــا
بيـــوت لنـــا   ولمـــن حولنـــا
فمنهـــا الكبيـــر   ومنها الـصغيرُ
ومنهـــا الغنـــيُّ   ومنهـــا الفقيـــرُ
بيـوت علـى الغـصن فـوق الـشجرُ
وأخـرى علـى الـورد أو فـي الحفـر
تعـــالوا نغنـــي   لهـــا كلنـــا
لنحيـــا بهـــا   وهي تحيا بنـــا

وله "صديقتي الأرجوحة" وفيها من هذه الشفافية والعذوبة والخيال والسهولة الكثير(٤٥):

أرجوحتي تلـفُّ   أرجوحتي تدورْ
فأعبر الفـضاء   مثـــل الـــشذا
أطير كالعصفورْ   أعـانق النـسيمْ
أصادف الشعاعْ   وأمسك الغيـومْ
أرجوحتي تلـف   أرجوحتي تدورْ
تلامـس الـتلالْ   وتعبر الجـسورْ

---

(٤٤) أطفالنا في عيون الشعراء . سويلم . ص٢١٦ .

(٤٥) تجربتي في الكتابة للأطفال . يوسف . ص ١٩٩ .

لكنهـــا تعـــودْ في آخر النهـــارْ
ترتاح في هدوء تنـــام كالـــصغارْ

ولسمير عبد الباقي الذي كتب للأطفال كثيراً نقرأ[٤٦]:

وإن كنت مثلي تحس التعبْ
فلا تنس عطر حقول الوطنْ
ولا تنس أني صديق قديمْ
برغم الحروبْ
ورغم المحنْ
أراك بقلبي وأنت تغني
وترسم لي تحت ضوء القمرْ
وتقرأ لي في كتاب الحكايا
حكاية بنت تحب السنابلْ
وتهوى الغناء وصوت المطرْ

لقد انطلقت التجربة المصرية، وتعددت فيها المجلات، وصار للشعر حيز فيها، وإن كانت تتفرد بنشر الشعر المكتوب بالعامية، خلافاً لمجلات الأطفال العربية الأخرى، وهو اتجاه لست من أنصاره وأرى فيه خطورة على الفصحى مستقبلاً.

---

(٤٦) العربي الصغير . العدد ١٢٤ / ٢٠٠٣.

الباب الثالث

التجربة السورية

الفصل الأول

النفثات لحسون... ريادة سورية

التجربة السورية في شعر الأطفال تعرضت لتجاهل عجيب سواء من قبل أبناء هذا القطر أم من قبل دارسين من أقطار عربية أخرى، فقد توافر للتجربتين المصرية والعراقية من يتحدث عنهما إلى حد مقبول.

إن الغرابة في هذا التجاهل أنه وقع على الرغم من غنى ما قدمته سورية لنهوض شعر الأطفال، إلى جانب انفتاح هذا البلد على العالم بصورة مبكرة وما تبع ذلك من انتشار للتعليم وحركة الترجمة والتأليف.

فأول كتاب طبع في بولاق عام ١٨٢٢ كان للسوري رفائيل زخور الذي وضع كتباً عديدة بالعربية والفرنسية، ومطبعة بولاق نفسها كان يديرها نيقولا مسابكي من سورية، بل إن حركة الترجمة في مصر كانت بدايتها محصورة بجهود سورية خالصة.(١)

عرفنا أن أول كتاب صدر في قصص الحيوان شعراً هو "العيون اليواقظ في الأمثال والمواعظ" لمحمد عثمان جلال في منتصف القرن التاسع عشر تقريباً.. لكن لم يمض على ذلك إلا ما يزيد على العقد بقليل حتى شهد الأدب العربي ولادة الكتاب الثاني في شعر الحكايات التربوية، وكان للأديب والشاعر السوري رزق الله حسون.

---

(١) تاريخ الترجمة... الشيال. ص ٧٦ و ١٣١ .

ولد رزق الله حسون في مدينة حلب عام ١٨٢٥، وبعد أن نال ثقافة جيدة حسب مقاييس تلك الفترة عمل ترجماناً في قنصلية النمسا في حلب، إضافة إلى عمله في التجارة، وكان من أصدقاء الأمير عبد القادر الجزائري، وزار مبكراً عدة بلدان كبريطانيا وتركيا وروسيا، وأصدر في لندن جريدة "مرآة الأحوال" وعندما حضره الموت قال في الغربة(٢):

قد قضى الله أن أموت غريباً — في بلاد أساق كرهاً إليها

وبقلبي مخدراتٌ معانٍ — نزلت آية الحجاب عليها

ويبدو أن رزق الله حسون كان لديه ميل كبير إلى القصة في الشعر، فقد كتب "أشعر الشعر" حيث حول الكثير من القصص الدينية إلى منظومات شعرية. إن ما يعنينا هو كتابه الرائد والفريد "النفثات" الصادر في لندن عام ١٨٦٧ وقد أهداه إلى عبد القادر الجزائري قائلاً: *"أهديتها إلى ذي الهمة العلياء المتباهي بالشيم العربية الشمّاء العربي محتداً والجزائري مولداً، السيد الأمير مولاي عبد القادر محيي الدين تولاه الله"(٣)*

وما يميّز النفثات كونه منقولاً عن اللغة الروسية، ومؤلفه الأصلي إيفان كريلوف من رواد قصة الأطفال في روسيا والعالم، وقد أشار حسون بوضوح إلى ذلك في المقدمة حيث قال: *"وضعها كريلوف شاعر الصقالبة على طريقة بيدبا الهندي سالكاً مذاهبه رواية عن ألسنة الطير والبهائم"(٤)*

وحكايات كريلوف شكلّ مطابق أو مقارب لحكايات شرقية معروفة في كليلة ودمنة وغيرها، ولا بد من الإشارة إلى خصيصة امتاز بها كتاب "النفثات" وهي احتواؤها على حكايات مترجمة شعراً أو نثراً، ونلاحظ أن المؤلف يميل إلى السجع

---

(٢) راجع الترجمة في أعلام الأدب والفن . الجلدي .

(٣) النفثات . المقدمة.

(٤) النفثات . المقدمة .

في النثر، وهو فن كان شائعاً في زمنه، وتلفت نظرنا في القصائد تنوعاتها الإيقاعية، حيث لا تقف عند حدود معتادة في توزيع التفعيلات أو القوافي.

لكن الشاعر كان في كل نفثاته شديد التصنع، إذ نصادف على الدوام تقعراً في الصياغات، ويبدو أنها لم تستطع أن تخرج على شرطها التاريخي.

من ذلك ما في حكاية "بلبل وحمار"(٥):

من حمى بين الروابي لحمى　　بلبل حوّق وقت الغلسِ
عاين الدوح فوافى علما　　كاسياً من عشبه للسندسِ

بات في ذيالك الغاب حمار
يرتعي ما بين قطعان النعمْ
أبصر البلبل وسط الدوح مارْ
قال قف تسمع كلامي المفتهمْ
لك عند الناس صيت واعتبارْ
لرخيم الصوت بل حلو النغمْ

و"فارس وفرسه" (٦):

فارس بالأمس ربى عنده　　فرساً يركبهْ
في دروب السير قد عوّده　　كيفما يرغبهْ
لا بسوط بل بصوت وحده　　رائضاً أدبهْ
فتظنى ربطه أو جرده　　لا بقيد أو زمامْ
قال مالي وكماة ركبوا　　ظهر خيل ملجمهْ
حسب مهري في المسير الأدب　　عارفاً بالهمهمهْ

---

(٥) سا . ص ٦ .
(٦) سا . ص ٤٤ .

إنـــه طبـــع مـــدرب فعـــلام المـــشكلةْ
حل عنه اللجم قـوداً يجـذب ثم في الميدان قامْ

وعلى نحو تنويعي آخر في "صِلٌ ونمام"(٧):

قول جرى علـــى لـسان الخلـقِ
إبلـــيس ملعـــون عـــدوّ الحـقِ
لـــم يتفـــوه بكـــلام الـصدق
فيمـــا عليـــه يجـــب الإقـــرارُ
لكننـــــي أقـــــول بالتأكيـــــدِ
مـــا كـــل وقـــت شـــيمة العنيـدِ
يهـــضم حقـــاً واجـــب التأييـــدِ
وإن يكن مـــن طبعـــه الإضـــرارُ

وفي "موت الحيوان" شكل جديد من توزيع الأشطار والقوافي والتلوين التفعيلي(٨):

مذ خمسة أو ستة مـــن الـــسنينْ
والثلج في الآفاق غطى الأرضينْ
علفنا قـــد قـــل فـــي ذاك الحـــين
فوسوست في صدري الـــشياطين
برَّح بي في الجوع طـــول مكثـــي
ولـــيس مـــن يقرضـــني للغـــوثِ
فحثنـــي إبلـــيس كـــل الحـــثِ
من عشب قس نلت قدر الـــضغثِ

(٧) سا . ص ١٧ .
(٨) سا . ص ٣٢ .

وحكاية " تربية الشبل"(٩):

فأعدوا مسرعين الألزما قدر الطاقة في أسرع آنْ

ومضوا للنسر بالشبل كما أجمعوا رأياً بقلب ولسانْ

وزها عامين في الغاب اشتهرْ

عن لسان الطير مدح ابن الأسدْ

نقل الطير عن الشبل السيرْ

من علوم وفنون ورشدْ

أعجب الكل به لما انبهرْ

معشر الطير ومن جد وجدْ

هذه الشواهد تقدم أمثلة على رغبة الشاعر حسون في التلوين الإيقاعي، وهو أمر لم يسبق إليه من قبل، كما ندر أن حاول شاعر بعده بعقود عديدة أن ينوع في قصيدة أو حكاية مكتوبة للأطفال.

لكن الشاعر يكتب حكايات عديدة على الأوزان الكلاسيكية المألوفة كما في "قرد ونظارة" (١٠):

قرد على الزمان أعياه الكبرْ وساءه من ضعفه مدّ البصرْ

بلغه فيما مضى من النفر دواء هذا الداء فيهم مشتهرْ

بآلة الزجاج تحديق النظر فابتاع نظارات بلور أغرْ

مجرباً أحسنها للمختبر في رأسه يضعها كما ائتمرْ

ثم على ذُنيبه إذا اسبكر وكان هذا دأبه وما ظفرْ

بما تمنى نفعه ولا شعر حتى اعتراه اليأس من فرط الخورْ

---

(٩) سا . ص ٣٨ .

(١٠) سا . ص ٥٢ .

ألقى بها يقـول موفـور الكـدر | أحمق من صدق أقـوال البـشرْ
مـديحم كـذب نفـاق وهـذر | صدقتهم بـذا فكنـت المغتـررْ
ضربها ضـرباً شـديداً بـالحجر | بددها على الثـرى شـذر مـذرْ
وقد فشا هذا الخطـاء وانتـشر | في الناس من أفعالهم على غررْ
فكـل شـيء نـافع لـه خطـر | عنـد الـذي يجهلـه لمحتقـرْ
لا قـدر الله جهـولاً إن قـدر | في فرصة يكافئ الخيـر بـشرْ

وينظم حكاية "صيد الأسد" المشهورة بهذا الإيقاع السريع السلس(١١):

ليـث وذئـب وثعلـبْ | وكلـب صـيد مجـربْ
تـشاركوا باتفـاق | في الصيد من كل مـا دبْ
وأن يكونـوا جميعـاً | والكـل يـسعى ويتعـبْ
تـشاركوا بالتـساوي | قـسماً بعقـد مرتـبْ
فـراح أول يـوم | ثعالـة اصـطاد أرنـبْ
دعـا الرفـاق إليـه | وبالـشروط تـدربْ
ليقـسموه رباعـاً | ما بيـنهم سـدّ مـسغبْ
فجـرّه الليـث حتـى | بـه البـراثن أنـشبْ
بالغـدر حملـق فـيهم | وشـقه يتغـضبْ
وقـال إنـي علـيكم | أقـسم الـصيد أرغـبْ
هـذا لأول قـسم | بالشرط لـي قـد ترتـبْ
وذا نـصيبي لأنـي | ليـث مليـك مرجـبْ
وذاك سـهمي لأنـي | أشـد بطـشاً مجـرّبْ

(١١) سا . ص ٥٥ .

وذلــــك القــــسم بــــاقٍ   ينالـــــه مـــــن تطلـــبْ
ومــــن تقـــرَّب منـــه   يطـــيح رأســـاً ويعطـــبْ

إن هذه المعاضلة في الأسلوب جعلت تجربة رزق الله حسون قليلة الانتشار(*)، حتى ندر أن أدخلت الكتب المدرسية العربية المبكرة حكاياته في ثناياها، حيث تكثر المفردات الصعبة، والدوران والحشو الذي قد يضيع المعنى على الكبير قبل الصغير.

من هذه الناحية بالذات نستطيع القول إن ترجمة محمد عثمان جلال كانت أجمل صياغة، بل فيها الكثير من الإبداع والمهارة والطرافة والسهولة.. وهي جميعاً من عوامل انتشار أي نص.

أما إيفان كريلوف الذي نقل عنه حسون حكايات "النفثات" فهو أحد رواد قصص الأطفال في روسيا، وذو شهرة واسعة في بلاده وخارجها، وقد عاش في مطلع القرن التاسع عشر يتيم الأب، وذاقت أمه مرارة العيش، لكنها فعلت الكثير لتربي ابنها إيفان على أحسن ما يكون، وتوفيت وعمره عشرون عاماً، فسطع نجمه عندما ترجم حكايات لافونتين إلى الروسية، وألف بعض الحكايات، فكرمه اثنان من قياصرة روسيا هما إسكندر الأول ونيقولا الأول، وظل مقرباً من القصر، وله تمثال يشمخ في الحديقة الصيفية في بطرسبورغ.

عربياً.. بعد ترجمة شاعرنا ظهرت ترجمة حديثة لإيفان كريلوف قام بها أمين سلامة عام ١٩٦٩ بعنوان "حكايات من روسيا"، وفيها ما بلغ ضعف ما ترجمه حسون تقريباً، وتمتاز بتكثيف شديد.(١٢)

(*) بلغ به التصنع أن الإشارة إلى الخطأ الطباعي جاءت كما يأتي :

صواب خطأ في الطباعة صدر زاغ عن تصحيحه البصر. النفثات . ص ٨٤.

(١٢) حكايات من روسيا . كريلوف .

وسأختم حديثي بنص كامل لحسون عنوانه "بستاني وحمار" يحكي واحدة من حكايات "النفثات" وفيها جوانب من قوة التجربة وضعفها(١٣):

جنينـــة لنزهـــة النظـــار تـــشقها جـــداول الأنهـــارِ

محفوفـة بـالورد والأزهـار مغدقـة بـالكرم والأشـجار

من سائر الأعناب والأثمـار وسلطة العصفور والغربـانِ

تـــستهلك الغلـــة بالمنقـــارِ

فاختار في الحراسة البستاني وحفظها بالـصون والأمـانِ

لأنه قـد كـان غيـر جـاني مـن غلـة كثيـرة الأثمـانِ

فعقلـه دل علـى الأتـان فابتاعها من يومها بالمرتخصْ

وسـلم الجنـة للحمـارِ

يحرسها من طارق أو منقص والجحش قد كان أميناً مخلص

ما خان ما مان ولم يستفحص من غفلة لسرقة يـستفرص

طول النهار في مكان مربص لم يقتطم من قصة خـضراء

إذ كثـرة العلـف عليـه جـاري

لكنما الأمـر لعـين الرائـي متضح من دون مـا خفـاءِ

ما نال عام الخصب والإمراء صويحب الجنـة مـن ثـراء

لجهل ذاك الجحش بالأشـياء وعـدم العرفـان بـالإدارةْ

وطاحـت الثمـار بـالبوارِ

فأصبح البـستان كـالكواره عشاً لأطيار الـسما الطيـاره

وكـل طيـر معمـل منقـاره بقولـه أعنابـه ثمـاره

شنت عليها كل سـاع غـاره تهرسها كالجحش دوس النعلِ

---

(١٣) النفثات . ص ٤٦ .

مـــا تركـــت أوراق عـــرق طـــاري

لما رأى صــاحبه ذو العقــل | ما نال ذاك العام أجر المثـلِ
من عنــب فاكهــة أو بقــل | بادر في الحال لسعف النخـلِ
تشفياً بالضرب ضرب القتــل | من ظهر ذياك الحمار الناهقِ

الأبلـــــه المـــسبب المـــضارِ

فشمت الجيران بالجحش الشقي | والكل قالوا ذا جزاء الأحمـقِ
مستوجب للضرب ممن لا يقي | جلداً ولا يبقي عليه ما بقــي
أهلٌ حمار جاز يوماً يرتقــي | لمثل هذا من جليل المنـصبِ

أم حطـــــب يحملـــــه للـــــدارِ

لقد فهمتم من كلامي أربي | وللحمار لــم يكــن تعــصُّبي
هلباجة أحمق حيــوان غبــي | قد نال بالحق جزاء المــذنبِ
لكــن حكمــي بــالتزام الأدب | الذنب أيــضاً للــذي وجّهــه

يحـــرس بـــستاناً مـــن الأطيـــارِ

بعد أن نشر رزق الله حسون "النفثات" في لندن لم نعثر على تجربــة سورية في كتاب مستقل واصلتها في القرن التاسع عشر، إلا أننــا لمــسنا أن حركة تأليف مدرسي متطور قد بدأت دائبة في سورية (بلاد الشام كلها) ومن نماذج هذه الكتب "أصول القراءة العربية والتهذيبات الأدبية" للويس صابونجي عام ١٨٦٦، و"النفائس لتلامذة المدارس" من دون مؤلف وهــو صــادر عــام ١٨٨٦، وصولاً إلى الكتاب المهم ذي الأجزاء الستة "مدارج القراءة" لجرجس همام عام ١٩٠٠..

إلى أن جاء جرجس شلحت فوضع التجربة الرائدة الثانية في "النخبة" عام ١٩١٠.

الفصل الثاني

النخبة لجرجس شلحت

كأن جرجس شلحت(١٨٥٦ ١٩٣٨) في كتابه "النخبة من أمثال فنلون" قد تابع رزق الله حسون في نهجه إلى حد كبير، فقد ترجم قصائد الكتاب شعراً، وبعض الحكايات نقلها نثراً، وفي المقدمة التي كتبها عكس ثقافته الرفيعة في ذلك الوقت إذ يقول(١):

"وبعد. فإن الأمثال صناعة سامية سماوية حتى إن الحق سبحانه لم يكلم العالم إلا بالمثال فلو خيرت الحكمة لما اختارت لها مظهراً غير المثل. ولقد أورد بعضهم السبب في ذلك فقال: "عرض الحكمة عريّة من برد القصة القشيب إنما هو مدعاة الملل والسأم". وعليه فمنذ القديم عني حكماء كل أمة بوضع القصص وأجروها على أفواه البهائم وألسنة الطير ظاهرها فكاهة وألهية وباطنها عبرة وذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد. وأعظم من اشتهر في ابتكارها الفيلسوف الهندي واضع كليلة ودمنة. ولقمان الحكيم المنسوبة إليه الأمثال العربية. وإيزوب الأديب اليوناني وقد حاك على منواله فادر الروماني. وكريلوف شاعر الصقالبة وقد عرّب حكاياته صاحب "النفثات". ولافنتين الشاعر الفرنسوي وقد حاكى نغمته صاحب "الشوقيات" وسواه من فحول الشعراء المعاصرين.

---

(١) النخبة . ص ٨ .

هذا لما كانت أمثال مؤلف تلماك الحَبْر البحر النحرير السيد فنلون رئيس أساقفة كمبراي الخطير لم تنقل إلى لغتنا الشريفة مع أنها علِق الروائع بل فلق البدائع، وكنت ممن يروم الدخول في دهماء ذلك السواد وورود هذه الشرعة مع الورّاد، رحت على ما أنا فيه من قصر الباع وسقط المتاع أعمل بعونه تعالى على تعريب نخبتها نثراً ونظماً مطرفاً بها أبناء وطني الكرام، وأنا أسأل جهابذة الأدب منهم غضّ الطرف عن الملام إذا عثروا على زلل في النقل وخلل في السبك والسلام ".

إلا أن تجربة جرجس شلحت كانت متقدمة كثيراً من الناحية الفنية على "النفثات" فالشعر فيها أجمل وأسلس، ويبدو لي أن شاعرية شلحت في الأساس أغنى من شاعرية حسون لهذا جاءت "النخبة" حالة أرقى من "النفثات".

وليس غريباً أن تأتي الحكايات التي نقلها نثراً خالية من الزخرفة البلاغية والسجع المقيت، بل نثر متطور على نثر زمانه، ويكفي أن تتأملوا هذا المقطع من حكاية "دبة وزاغ"[٢]

"لقد ولدت دبة ديسماً في القبح والدمامة، حتى كنت لا تكاد ترى فيه صورة حيوان. فهو شنع بشع لا هيئة له. فذهبت به وهي خجلة إلى جارتها أنثى الزاغ وقد كانت تحت أيكة تحدث لغطاً ودوياً بنقنقتها ونعيقها ولقلقتها. فسلمت عليها وقالت: أعلميني يا صديقتي الثرثارة ما أفعل بهذا المسخ الصغير. فإني مزمعة أن أخنقه خنقاً. فأجابتها المهذار أن: احذري من ذلك كل الحذر."

ويبدو لي أن لرهافة جرجس شلحت دوراً في أن تكون لغته متطورة وحية، فإنه أثبت في بداية كتابه قصيدة مؤثرة فيها حنين إلى الطفولة والبساطة بمعان رقيقة فياضة وروح ما زالت الطفولة حية في حناياها[٣]:

---

(٢) سا . ص ٩ .

يا ليتني عدت صغيراً راكباً دراجة بين هتاف وجلبْ

ألاعب الأحداث في مسيرهم ومعهم أمشي الهوينى والخَبَب

تخلصاً من زمرة زعانف نزَغة بين السراة في حلب

أولئكم ملاك وهؤلاء كالشيـ ـاطين غدوا في المصطخب

وإن تنزهت ففي مدرسة أنشأتها حباً لأبناء العرب

أكرم بها من روضة أريضة تزهو برمان ونخل وعنب

قصدي بها إنارة لمعشر لا يقدِرون قدر أرباب الأدب

ويبخسون العلما أشياءهم وعندهم كل الأماني في الرتب

وفاتهم أن يعلموا أن العلى بين أولي علم وفضل ودأب

ويقول في ختامها:

عدنا بحكم الحال نمشي للورا لما غدا مقدماً فينا الذنب

يا حبذا لو نوَّرت شهباؤنا وكنت في التنوير شمعاً ذا لهب

لقد كتب هذه القصيدة عام ١٩٠٢ وأهداها إلى إبراهيم اليازجي، وكم حملت من توثب روحه إلى مجتمع ناهض تسوده روح العلم والتطور.

أما "النخبة" فقد حوت خمس حكايات نقلها نثراً وسبعاً نقلها شعراً هي "ثعلبان" و"ثعبان وثعلبان" و"بوم" و"حمام الزاجل" و"أرنب" و"ثعالة" و"نحل"، وقد نظم جرجس شلحت حكاياته على بحري الرجز والرمل.

ومن حكايات "النخبة" التي تعطي صورة عن قدرة الكاتب على القص والحوار والتشويق حكاية "ثعلبان"(٤):

اثنان من ثعالب البيداء تصاحبا للصيد في الظلماءِ

---

(٣) سا . ص ٦ .

(٤) سا . ص ١١ .

فواحد كان كبير السن ... وقد غدا أديمه كالشنّ
وهو شديد البخل لكن يدعي ... مع ذاك حكمة الحريص الألمعي
وعكسه الثاني فتيٌّ غرُّ ... إذ كان لم يحكم نهاه الدهرُ
فدأبه الطيش وهمه الجشع ... ليس له في غير ذاك من طمعْ
حتى إذا ما بلغا إحدى القرى ... والناس غائصون في سكر الكرى
تسللا إلى بيوت القريه ... فخنقا بعض الدجاج خفيه
وبعد ذاك انتشب اللجاج ... بينهما واحتدم الحجاجُ
قال الكبير للصغير: يا ولد ... خذ منيَ النصح وإياك اللددْ
من زاد عنك عمره يوماً غدا ... أعلم منك سنة وأرشدا
فكيف من مرت به الأعوام ... وهذبت آراءه الأيامُ
فحلب الأيام شطراً شطراً ... ونال في كل الأمور خبرا
أصغِ له سمعاً وخذ بنصحه ... في كل مسعاك تفز بنجحه
كل بعض ما خصّك واذهب وعدِ ... معي لنأكل البقايا في غدِ
فإن صاحب الحجى من يقتصد ... ولا يكون مسرفاً في ما يجد
قال الصغير: بل وهمت في الذي ... رأيته لكن برأيي فخذِ
كلْ ما أصبت كله في وقعه ... تكفيك من دون طعام جمعةْ
واعلم بأن أينا عاد غدا ... يعرض النفس لأشراك الردى
فصاحب الدجاج لا بد لنا ... مرتقب حتى إذا صرنا هنا
فاجأنا بالضرب أو بالقتل ... جزاء ما جلنا به من ختلِ
فبات كلنا رهين حتفه ... كباحث عن حتفه بظلفه
إذ من غدا مخاطراً بنفسه ... منقر عن حينه بضرسه
هذا مقالي فانتصح في المسأله ... فرب در يلتقى في مزبله

وبعـد ذا كـل برأيـه عمـل   إذ قد أبـى كلاهمـا أن يمتثـلْ
فالتهم الصغير حتـى انتفخـا   وكـاد للحظـة أن ينفـسخا
فقـام ثـم جـر نفـسه إلـى   وجـاره فمـات قبـل يـصلا
أمـا الكبيـر وهـو المعتقـد   بأنـه الأحكـم والمقتـصدُ
فآب في غـد لكـي يأكـل مـا   ذخـره مؤونـة وينعمـا
إذا بصاحب الدجاج قـد رصـد   فانقض في الحال عليه كالأسـدْ
أشبعه ضـرباً ففاضـت نفـسه   فكان في مأوى الـدجاج رمـسةُ

وليس صعباً أن نلاحظ أن شلحت قد تصرف تصرفاً كبيراً في الترجمة عن الأصل، حيث زيادات من مشهور العبارات العربية الخاصة ومألوفها، عدا عن أن النص الأصل مأخوذ عامة من حكايات شرقنا، وليس غريباً عنا في الأساس.

يبدأ الشاعر في "بوم" حكايته قائلاً:

ذات يوم فرخ بـوم أبـصرا   وجهه الأغبر في ماء الغـديرْ
خالـه أجمـل شـيء نظـرا   وله لم يلفِ في الدنيا نظيـر
قال في النفس الغبي الأخرق   إن إبّـان زواجـي قـد دنـا
فـرأى الأم أتـت فاحتـشما   عارضـاً مازجـه بـالهجسِ
هاتفاً: كان رضـاكم مغنمـا   إنني مـن نيلـه لـم أيـأسِ
فأجابـت أمـه: يـا ولـدي   أنت لي فخر ومدعاة طـربْ
وإذا ما شخت يومـاً سـندي   فافعلن ما شئت فوزاً بـالأربْ
واملأ الأدغال نـسلاً وارغـد   إن وُ لد البوم درّ ات الحقـبْ

ورفض ملك النسور تزويجه، وازدراه، إذ إن فرخ البوم لم يستمع إلى نصيحة أمه، ثم تنتهي الحكاية:

هذه عقبى الذي قـد عظمـا   ومشى مستكبراً فـي أطلـسِ
وادعى تيهـاً وإعجابـاً بمـا   ليس فيه وهو للأصل نـسي

وضح لدينا أن الشاعر يعمد إلى تقفية متعددة كما في الحكاية السابقة، إذ إنها تتكرر بشكل ثنائي أو ثلاثي، ويعمد إلى تشابه قافية صدر البيت مع صدر البيت الثاني، وتفرُّد عجز البيت بقافية مع عجز البيت الثاني وهكذا.

ليس صعباً أن يلمس القارئ الفارق الواضح بين لغة شلحت وحسون، فلا تصنعَ يخل بالإيصال هنا، بل إن الكثير من الأبيات والمقاطع قد استطاعت أن تكون أمثلة جميلة على تجربة رائدة في شعر الأطفال عرفها الناس مطبوعة عام ١٩١٠.

ويبدو أن جمال تجربة شلحت قد جعل الكثير من الكتب المدرسية قديماً تستعين بحكاياته الشعرية، وتقررها على تلاميذها.

الفصل الثالث

د. جميل سلطان

ولد الدكتور جميل سلطان في دمشق عام ١٩٠٩ وتوفي عام ١٩٨٠. ودرّس في ابتدائياتها وثانوياتها وجامعتها بعد حصوله على الدكتوراه في فرنسا، وعمل فترة في وزارة المعارف مديراً للتعليم الابتدائي، وأسهم في وضع عدد من كتب القراءة والمطالعة والاستظهار لجميع المراحل. (١)

ألف سلطان عدداً من الكتب منها "جرير" و"الحطيئة" و"صريع الغواني" و"كتاب الشعر" و"شاعر على سرير من الذهب" و"حقوق الطفل"، إلا أن الجانب الريادي لديه هو إسهامه الدؤوب والمتميز في شعر الأطفال.

يعود أقدم نص استطعت العودة إليه لشاعرنا إلى عام ١٩٢٧، حيث وضع الشاعر قصيدتين، الأولى محاورة غنائية، وعنوانها "الولد والعصفور" وقد قام بتلحينها مصطفى الصواف أحد الرواد الأوائل للأناشيد في سورية. وفيها يقول(٢):

غنّ يا عصفوري
وازرِ بالطيور
وأعد سروري
لي بالإنشادِ

---

(١) راجع ترجمته في "الأعلام" للزركلي و"أعلام الأدب والفن" لأمين الجندي .

(٢) علم الموسيقى . ص ٨٣ .

العصفور:

خلِّ عنك الوهما
وتلــقَّ العلمـــا
يا فتى كن شـــهما
وامضِ للمدرســـه

أما النص الثاني فهو " يا مربض الشم الأسود " ومنه[٣]:

يا مربض الشم الأسودْ
هل أقفرت منك الربوع
ما للعلـى عنـا تحيـدْ
هلاّ لهـا فينـا طلـوعْ
يا مهبط العـز التليـدْ

نلاحظ أن النصين حويا أهم قيمتين كانتا محور فكر النهضة في تلك الفترة، وأعني العلم والوطنية، ولا شك أن في هاتين المحاولتين آثاراً تدلّ على طراوة التجربة وارتباكها من حيث الصياغة والفكرة، وليس من غرابة لأن هذا الفن كان وليداً في الوطن العربي كله.

فيما بعد ستنمو تجربة الشاعر جميل سلطان، وستقترب لغته أكثر من البساطة والسلاسة، وتعكس قيماً متعددة لا تقتصر على العلم والوطنية، أو تغني هاتين القيمتين بطريقة أحدث وأبرع في التناول.

في قصيدة "عش الحمامة" يربط الشاعر بين العش والوطن وضرورة الدفاع عنه[٤]:

سمعت حمامة تــشدو
على فرع من الشجرِ
فجئت لعــشها أدنــو
فكانت بهجة للنظــرِ

---

(٣) علم الموسيقى . ص ٩٨ .
(٤) الجديد. للخامس. ص٦٧.

ثم يضيف:

مددت يــدي إلــى فــرخ

أداعــب ريــشه الغــضا

فلــم أر غيــر منقــارِ

علــى كفــي قــد انقــضّا

وفي نهاية القصيدة:

دع الأفـــراخ والعـــشا

فلست أخاف مــن يغــشى

وهذه الروح قد رخــصت

لدى وطني ومــا أخــشى

وعلى النهج الوطني نفسه يكتب الشاعر قصيدة "بلادي" ولكن من غير أن يدخل فيها رمزاً حيوانياً، بل يكتب مباشرة بأداء رقيق(٥):

قـــالوا: أحـــب بـــلاد

إليـــك ؟ قالـــت: بـــلادي

أبـــي وأمـــيَ فيهـــا

ومهجتـــي وفـــؤادي

بهـــا أقـــام جـــدودي

إقامـــة الأمجـــاد

إلى أن يقول:

فكـــل شـــبر عزيـــزٌ

نفديـــه بالأجـــسادِ

وقـــد نـــذرنا لتحيـــا

ما قد عـــلا فـــي العبـــادِ

فليس فـــي الكـــون أرضٌ

تفـــوق شـــأن بـــلادي

(٥) الجديد . للثالث . ص ١٢٠.

نستطيع أن نلحظ لغة الشاعر وقد عذبت، فسهلت مفرداته وجمله، وصار أقرب إلى عالم الطفولة، الأمر الذي لا نجده في بداياته، فهو عندما يخاطب الطفل سابقاً كان يمزج بينه وبين الكبير في لهجة عالية الموجة، كما حصل في "أغنية الصغير"(٦):

أنـــا فـــي ســـن الـــصغرْ
لـــست أعـــرف الـــضجرْ
همتـــي فـــوق البـــشرْ
واجتهـــادي لا يلـــينْ

أو:

أبـــذل الـــروح لمـــنْ
علمـــوني فـــي الـــزمنْ
ولمـــن يهـــوى الـــوطنْ
بـــين أضـــلاعي حنـــينْ

ولا ينسى الشاعر أن يبعث في الطفل شعوره الحماسي بالأمة العربية وأمجادها، وبذلك يكمل دائرة الهدف الوطني والقومي.

والاتجاه نحو مفهوم العروبة يعود إلى مرحلة عطاء الشاعر الأولى عندما كتب عام ١٩٢٧ "يا مربض الشم الأسود"، ومنها(٧):

---

(٦) الاستظهار المصور . ص ١٥ .
(٧) علم الموسيقى . ص ٩٨ .

يا هبـــة المجـــد الوطيـــدْ

يا هـــزة العـــرب الحمـــاةْ

قد نـــابكم خطـــب شـــديدْ

فاستعذبوا كأس الممـــاتْ

فـــالحر خفـــاق البنـــودْ

وفي المحاورة الغنائية "الولد والعصفور" يمزج الشاعر بين مجموعة من القيم، إحداها تمجيد الأمة(٨):

اجتهـــد طـــول الـــزمنْ	ســـاعياً ســـعياً حـــسنْ
ثـــم صـــح عـــاش الـــوطنْ	ولـــنعش للأمـــــةِ

ومن بين قصائد الشاعر "عمل الصباح" حيث يتحدث فيها عن السلوك اليومي لطفله، دافعاً إياه إلى الترتيب والنظافة وإشراق الملامح وشكر الخالق(٩):

ألـــم تنظـــر إلـــى شـــعري	علـــى مهـــل أســـرّحهُ
وثـــوبي دائمـــاً بالمـــاء	أغـــسله وأمـــسحه
ووجهـــي مـــا بـــه كـــدرٌ	ولا شـــيءٌ يقبحـــهُ
وثغـــري كـــل إصـــباحٍ	بفرشـــاتي أصـــبّحه
وأذكـــر نعمـــة المـــولى	تعـــالى مـــن أســـبحه

---

(٨) سا . ص ٨٣ .

(٩) الجديد . للثاني . ص ٣٢ .

لكن أكثر قصائد الشاعر تدور حول أشياء وأدوات تحيط بالطفل في البيت والمدرسة والشارع، فتتحدث القصائد عن المدفأة والشراع والمسبحة والديك والدجاجة والقلم والدكان والكتاب، وفي حديثه عن ذلك ينجح الشاعر بعض الأحيان في تقديم ما يريد مع شيء من المرح والطرافة كما في "المدفأة"(١٠):

نفـــذت للغرفـــة عاصـــفةٌ حملت معهـا ريـح المطـرِ

فهلـــمّ لنوقـــدْ مـــدفأة ولتـــسمعْ ألحـــان الـــشررْ

* * *

هـــات الكبريـــت لنوقـــدها نـــاراً كـــالبرق إذا برقـــا

وتجنـــب لـــذع شـــرارتها فيعـــود بـــساطي محترقـــا

* * *

هيـــا هيـــا واجلـــب حطبـــا وانظـــره بهـــا غـــدو لهبـــا

الجمـــر يـــصيح بهـــا ألمـــا وتزغـــرد مـــدفأتي طربـــا

ولا يترك القصيدة حتى يدخل فيها قيمة تربوية غالباً، ففي قصيدة "الديك" يتحدث عن شكله الخارجي، ثم يتحول تحولاً لطيفاً إلى الإشادة بالنشاط والعمل(١١):

تـــوَ يجـــي لونـــه أحمـــرْ جميـــل حـــسن المنظـــرْ

وذيلـــي ذهـــب أصـــفرْ وفـــيّ محاســـن تـــذكرْ

إذا مـــا الفجـــر قـــد حانـــا مـــلأت الكـــون ألحانـــا

---

(١٠) الجديد . للثالث . ص ١٠٢ .

(١١) الاستظهار المصور . ص ١١ .

وصـــحت: نهـــاركم بانـــا لأنـــي لـــست كـــسلانا

أنـــادي: أيهـــا الرجـــلُ دع النـــوم دنـــا العمـــلُ

فيـــنهض مـــن لـــه أمـــلُ ويحلـــم مـــن بـــه كـــسلُ

ولشاعرنا قصيدتان تتحدثان عن الطبيعة حديثاً سهلاً عذباً، وكأني به قد حاول أن ينوع في الموضوعات التي أراد أن يقدمها للطفل قدر الإمكان، ففي "الحر" يقول(١٢):

قـــد أقبـــل الحـــرُ فالجـــأ إلـــى الظـــلٍ

حـــصباؤها جمـــرُ وماؤهـــا يغلـــي

* * *

والـــشمس فـــي الـــشرقِ تـــشع نيرانـــا

كأنهـــا تلقـــي للنـــار عيـــدانا

* * *

الحـــر والبـــردُ حاجـــات دنيانـــا

كلاهمـــا يبـــدو خيـــراً لمَحْيانـــا

هنا نكون مع الوصف مترافقاً مع التوجيه الصحي والمعلومة العامة في إطار لا يخلو من تشويق ورهافة، أما القصيدة الثانية فهي "الربيع" حيث يغمرها وصف لطيف، وبعض الصور الماتعة(١٣):

ألا غنـــي ألا غنـــي أيـــا عـــصفورة الـــوادي

وهـــاتي منـــك مـــا يُغنـــي عـــن الألحـــان والـــشادي

* * *

تـــولّى موســـم المطـــرِ وبـــات الـــروض نـــديانا

---

(١٢) الجديد . للثالث . ص ٢١٨ .

(١٣) سا . ص ١٦٠ .

وهـذا الزهـر فـي الـشجر حـــلا شـــكلاً وألوانــــا

* * *

تظــن الزهــر فـــي الفـــنن إذا مــــا اهتــــزّ أو لاحــــا

فتـــى فـــي ثوبــه الحـسن علـــى الأغــصان مرتاحـــا

ولدى شاعرنا قصيدة تلفت النظر، لأنه من خلالها قدم لوناً يعتمد على الطرافة في الشكل والفكرة، ففي "احزر" نكون مع قصيدة تقدم أحجية، يترك للطفل أن يحزر الكلمة المقصودة، فيقول(١٤):

مـــا قـــشرة رقيقـــةٌ كأنهــــا فنجــــانُ

مغلقـــــة داخلهــــا اللؤلـــؤ والمَرجـــان

مـــن مونـــة البيـــت وممـــا يثمـــر البـــستان

ينالهــــا المجـــــدّ والأديـــب والكـــسلان

وأنـــت تهـــوي أكلهـــا فـــاحزر هـــي:.....

ويترك الشاعر هذا الفراغ ليملأه الطفل بالطبع بكلمة "الرمان".

إن هذه التجربة تزيد من متعة الطفل، وتشركه في صناعة النص، وتحرك قابليته العقلية، إنها ألعاب شعرية ممتعة إن صح القول.

وللشاعر قصيدة عن أحب الناس إلى الطفل وأكثرهم قرباً منه، حيث سنلتقي مع "الأم" التي يقدمها على هذا النحو(١٥):

حنـــت علـــيّ بمهـــدي وقـــد رعتنـــي صـــغيرا

وحملـــت فـــي ســـبيلي مـــن العـــذاب مريـــرا

وغايـــة القلـــب منهـــا بــــأن أرى مـــسرورا

---

(١٤) الاستظهار المصور . ص ٨ .

(١٥) الجديد . للثالث . ص ١٧٢ .

فلست أنكر شيئاً   منها ولست كفورا
ولن ترى في صفاتي   مشاكساً أو عسيرا
وسوف أبغي رضاها   طفلاً وشيخاً كبيرا
وليس تسمع إلا   حمداً لها وشكورا

فنحس أن الشاعر كتب قصيدة طفلية حقاً بموضوعها الحنون، ووضوح العبارة فيها، والأسلوب التربوي المناسب داخل الأبيات.

ولجميل سلطان قصيدة لعلها من أواخر ما كتب من تجارب الأطفال، وهي تجري على وزن قصيدة "أمي" السابقة.. إنها "عائدون" وهو نص مكتوب بعناية وشجن، يتحدث عن مأساة فلسطين بصوت تفاؤلي واضح(١٦):

قال المشرد يوماً:   لا بد أننا نعودُ
فالأرض أرض جدودي   ولن يضيع الجدودُ

* * *

الروض لي والصحارى   والساقيات العذابُ
وكل تل وواد   لنا به أحبابُ

* * *

ويقول أيضاً:

والدار بين هدير   يبكي وقفر ينوحُ
فما بهن حديث   إلا الدما والجروحُ

* * *

كفكف دموعك وانهض   للحق شاكي السلاحِ
فلن تعود بلادي   بغير بذل الأضاحي

* * *

(١٦) الجديد . للسادس . ص ١٩٧٥.

من شاء بغياً رددنـــا   خطـــاه حـــين يجـــورُ
فـــنحن نـــار تلظـــى   ونحـــن أمـــن ونـــورُ

* * *

إنـــي لأســـمع رعـــداً   يلقـــى بــــه الهادرونـــا
يقول: يـــا أرض إنـــا   إلى الحمـــى عائـــدونا

عندما نقيّم القصائد التي كتبها الشاعر جميل سلطان، لا بد أن نضع في اعتبارنا أنها بدايات، لها فضل المحاولة والتأسيس، لذلك فهي نصوص تبدو فيها التجريبية بوضوح، بسبب افتقاد هذا اللون الشعري إلى الانتشار والاتساع، حيث يبدو المحاول فيه يسير في طريق موحشة.

قد نلمس أن الشاعر يستخدم بعض المفردات الصعبة، وأن جملته تشكو قليلاً من كونها جملة للكبار بطولها أو أسلوبها اللغوي، إلا أن ما يحسب لجميل سلطان كونه استطاع أن يسهم في وضع اللبنات الأولى لشعر الأطفال الحقيقي في سورية، من خلال الفكرة الطفولية والنص السهل والعذب والحامل لعدد من القيم الإيجابية.

إلا أن أبرز نجاح حققه الشاعر في رأيي هو التنوع اللافت في الوزن والقافية، كل هذا في أوزان تعتمد على القصر، وقصيدة الشاعر محدودة الطول دائماً، لأنه وعى مبكراً أن على النص المكتوب للطفل أن يكون محدود الطول، فأطول نص لا يتجاوز ما فعله الشاعر في "المدفأة" وفي "الربيع" حيث يقول:

الأرض خـــضراء عليهـــا ظـــل   كقطـــع الـــسحاب إذ يطـــل
والزهر مثل الثلج في الأغصان   أو إنـــــه قلائـــــد الحـــسان

أما باقي القصائد فتتراوح بين تفعيلتين متساويتين، أو تفعيلتين مختلفتين، وهذا يثير الإعجاب لتركيز الشاعر على الإيقاع الراقص السريع، وهو مما يعد من خصائص شعر الأطفال.

فها هو يقول في "مسبحة أبي" معتمداً على مجزوء الرجز:

مستفعلن مستفعلن

مستفعلن مستفعلن

إذ نقرأ له:

رأيــت فــي كــف أبــي مــــسبحة كالــــذهبِ

تمــــر فــــي إصــــبعه كالمـــاء مـــن منبعـــه

أما في "أغنية الصغير" فقد استخدم تفعيلتي: فاعلاتن فاعلن.

ويستخدم في باقي النصوص تفعيلتين متساويتين كما في "الشراع" و"الربيع" و"يا مربض الشم الأسود" و"الديك" و"دجاجتي" و"دكان البيت" و"كتابي" و"المذياع" بينما يختار الشاعر تفعيلتين مختلفتين في "الحر" و"احزر" و"أغنية الصغير" و"القلم المداد".

تبقى مسألة مهمة تخص شاعرنا، فجميل سلطان لم يأتِ إلى شعر الأطفال مصادفة، لقد رأينا أن محاولاته مبكرة، تعود أولاها إلى كتاب منشور عام ١٩٢٧ وهو كتاب "علم الموسيقى" لمصطفى الصواف، ولكننا نعلم أن الظروف التي تشجع هذا اللون من الكتابة كانت شبه منعدمة، لهذا ظلت إطلالات الشاعر على قصيدة الطفل متباعدة، ولكن دون انقطاع، علماً أن كثيراً من القصائد مبثوث في الكتب من غير إشارة إلى اسم كاتبها.

وقد حيرتني نصوص موجودة في الكتب التي كان الراحل المؤلف الرئيسي لها، فهي مغفلة من اسم الشاعر، وأعتقد أن جميل سلطان هو مبدع هذه القصائد، وإذا تركنا جانباً الإحساس الفني فإن هذه الكتب نفسها، إما أن تنص على اسم الشاعر صريحاً أو نقرأ أحياناً تحت القصيدة "ج. س"، أو نقرأ أحياناً "ج" فقط !.

لا أعرف ما هي دلالة هذا الإهمال في نسبة النص إليه شخصياً، هل كان راغباً عن أن تنسب إليه، وأنه كان يؤدي واجباً تربوياً فقط؟ ربما !.

فمثلاً في قصيدة "المذياع" نقرأ في آخرها حرف الجيم بين قوسين "ج" ونعرف أن الكلام ينتسب إلى أسلوب جميل سلطان(١٧):

---

(١٧) الجديد . للسادس . ص ١٨٣.

أي صـــــندوق حبيـــب فنيـــت فيـــه كروبـــي
عينـــه تفـــتح لكـــن لا يـــرى أي قريـــبِ

وفيها:

قوله إن شئت همـــس غيرُ مسموع الوجيـبِ
وإذا كـــان جهيـــراً جاء بالصوت الرهيـب

لكن في الكتب التي ألفها نجد قصائد لم يسمّ قائلها مع أنها من أنجح النماذج التي تمرّ معنا سواء لجميل سلطان أو لغيره، ونحن – وإن كنا نعتقد بأنها له – لانستطيع القطع بذلك.

ومن أمثلة هذه القصائد التي أعتقد أنها لشاعرنا قصيدة "لكل ما يناسبه" ومنها[١٨]:

قصدت الحقل أســتلقي بظـل الجـوز والتـينِ
أريح النفس مــن هـمّ وحـرّ بـات يـؤذيني

* * *

وفي الأغصان قد علقت صغار الجوز من فوقي
ولليقطـــين أغـــصان ضعاف فهـي تـستلقي

* * *

فهذي رخـوة جملـت ثقـيلاً بـالغ الـوزنِ
وغصن الجوز لم يحمل سوى هيْن على الغصن

كذلك قصائد "الحطاب والموت"[١٩] و"احزر"[٢٠] و"يد الفلاح"[٢١] و"المطر"[٢٢] و"رقص الثلج" المميزة[٢٣]:

---

(١٨) سا . ص ٧٣ .
(١٩) سا . ص ١٠٠ .
(٢٠) سا . ص ١٩٩ .
(٢١) سا . ص ٦١ .
(٢٢) الجديد . للثاني . ص ١٤١ .
(٢٣) سا . ص ١٢١ .

رقـصاً رقـصاً قطــع الـثلجِ
هيــا غطـــي وجـــه المـــرج

* * *

دوري دوري كالعـــــــصفورِ
هيــا ارتـــاحي فـــوق الـــدور

* * *

غطـــي غطـــي وجـــــه الأرضِ
كـــوني فيهـــا الثـــوب الفـــضي

لقد اكتفى الشاعر الدكتور جميل سلطان بنشر قصائده في الكتب المدرسية، ولم يحاول أن يصدر مجموعة خاصة به، ولعل أقصى ما فعله هو إصدار مختارات شعرية له ولغيره، كما فعل في كتاب "الاستظهار المصور" الذي شاركه في تأليفه مربيان آخران هما عبد الرحمن السفرجلاني وأنور سلطان عام ١٩٣٢.

الفصل الرابع

حديقة الأشعار المدرسية للحيدري

على الرغم من الأهمية البالغة لمحاولات شعر الأطفال الأولى في سورية إلا أن ما قدمه عبد الكريم الحيدري[*] كان نقلة نوعية كبرى فيه، إذ امتلك هذا الشاعر موهبة خاصة جعلته يتفهم خصوصية الطفل خاصة أنه أمضى حياته في التعليم، ويعكس ذلك فيما أنتجه من شعر.

وقد نشر الحيدري "حديقة الأشعار المدرسية" في حلب نهاية الأربعينيات عن مطبعة النصر في حلب، ثم أعاد نشرها في وقت آخر على شكل طبعة مزيدة ومنقحة اعتمدنا عليها في هذه الدراسة، ويرجح أن تكون صادرة في أواخر الأربعينيات أو أوائل الخمسينيات.

بالمعنى الفني أرى أن عبد الكريم الحيدري هو الرائد الحقيقي لشعر الأطفال في سورية، وهو في تجربته النوعية يشبه محمد الهراوي في مصر، وأهدى الشاعر كتابه "إلى حضرات رجال التربية والتعليم المحترمين في الوطن العربي الحبيب. وإلى أبناء أمتنا العربية المجيدة وبناتها."[1] وقد جاء في مقدمة الكتاب[2]:

" أبناء الوطن وبناته الأعزاء !

(*) المعلومات التي حصلنا عليها من ابن الحيدري مظفر الحيدري مشكوراً .

(١) حديقة الأشعار المدرسية . ص ٢ .

(٢) سا . ص ٣ .

هذه قصائد نظمتها لكم قديماً وحديثاً، أما قديمها، وهو النزر اليسير، فقد نشرته في "مجلة الطفل". وما كاد يظهر حتى تهافت عليه نخبة من كبار الأساتذة المؤلفين، ودونوا مختارات منه في مؤلفاتهم. فسرني اختيارهم كثيراً، إذ دلني على أنني كنت موفقاً في إرضاء ميولكم اللطيفة وأمانيكم الطيبة.

وهذا التهافت امتزج برغبتي الصادقة في تقدمكم، فحملني على أن أجمع قصائدي المدرسية، وأن أنسقها وأخرجها مشروحة في ثوب أنيق......

ولا تظنوا كتابي هذا محفوظات فقط، بل هو إلى ذلك كتاب مطالعة شائقة، تبعث قراءته في نفوسكم الذوق الشعري الجميل، وتربي فيها ملكة الإنشاء كما تربيها مطالعة القصص والكتب النثرية.

على أن مكتبتكم اليوم أشد حاجة إلى الكتب الشعرية من غيرها لقلة من ينظم الشعر لكم خاصة."

تبرز هذه المقدمة بوضوح الفهم النوعي الجديد لشعر الأطفال، وهو نتاج ما شهدته الثقافة العربية حتى ذلك الوقت من انفتاح على العالم وعناية بالتعليم، وترجمة للكتب الأجنبية، ودخول الثقافة العربية في حوار مع ماضيها وحاضرها. هذا كله دفع إلى ترقي الوعي بما يحتاجه الطفل من أدوات تعبير أدبية تخاطبه على نحو أكثر تطوراً وفهماً.

وشاعرنا كان جم النشاط على ما يبدو في مجال ثقافة الطفل، فقد ألف كتب مختارات مدرسية، وأسهم في قصة الطفل ومسرحه، وبالطبع كان تألقه الكبير في شعر الأطفال، حيث استطاع أن يكتب نصوصاً من أجمل ما كتب للأطفال، الموضوع الوطني يحتل صدارة ما أراد الشاعر غرسه في قلب الطفل العربي، ولا ننس أن الحيدري كان يتحدث على الدوام عن وطن عربي، ولم يحصر الوطنية في إطار بلده الأول (سورية). ها هو يقول في "وطني"[٣]:

---

(٣) سا . ص ٥ .

لا أنثنـــــي عن وطنـــي

أكـــرمْ بـــه أعظـــمْ بـــهِ

مـــن سـكنِ

مهد الـشممْ بحـر الـنعمْ

والمـــــــننِ

ما لـي لـه روحـي لـهُ

مـــع بـــدني

حتى إن الشاعر يخص "البضائع الوطنية" بقصيدة يحض فيها على شرائها، والعزوف عن الصناعات الأجنبية.(٤)

وينشد الحيدري في "علمي" قائلاً(٥):

علمي المحبوب رفرف زاهيـاً فـي كبريـاءْ

مشرق الطلعـة حـراً لابـسـاً أبهـى رداء

رافع الـرأس بعنـف نحو هامـات العـلاء

وحّـد العـرب وقـوّ فـيهم روح الإخـاء

. . . .

علمـي لا زلـت فـي عـز وأمـن وصـفاء

حاطك المولى بلطـف ما بدا نجـم الـسماء

ويقول في " دعاء العربي"(٦):

يا إلهي صنْ بـلادي من إساءات الأعـادي

واحبُنا النصر علـيهم فـي ميـادين الجهـادِ

* * *

---

(٤) سا . ص ٩ .

(٥) سا . ص ٤٥ .

(٦) سا . ص ٦٥ .

وأنـــرْ أفكارنـــا بـــالعلم: مـــصباح الرشـــادِ
وعلى الحسنى أعنـا   وعلـى حفـظ الـودادِ

ولأن القصيدة مزيدة على الطبعة الأولى، فإن الشاعر لا ينسى أن يوجه الكلام لـ "إسرائيل" التي كانت قد زرعت في قلب الوطن العربي، لكن بأداء هابط شعرياً:

واحرق اسرائيل حرقاً   مثل إحـراق الـسمادِ
ذاك سؤلي فاستجب لي   يـا رؤوفـاً بالعبـادِ

ويدعو إلى الاتحاد بين أبناء الوطن، وإلى التآخي بغض النظر عن الدين أو القطر فيكتب في " أنشودة الاتحاد قوة "(٧):

إن التـضامن قـوة   لرجالنـا وأخـوة
وكرامـة مرجـوة   تدع المـواطن سـيدا

* * *

أدياننـا كغـذائنا   ليست مجـال خلافنـا
ما دام صرف دمائنـا   للموطن الغـالي فـدى

وفي قصيدة "نشيد الوطن" وهي من المزيدات على الديوان في طبعته الثانية، تظهر إشارة أخرى إلى الدولة الصهيونية الوليدة أيضاً(٨):

طـرْد غـدار وغاصـب   عنـدنا أقـدس واجـبْ
في الوغى نفنـي الكتائـب   ولنا فـي الـبطش ذكـرْ

* * *

عاش جيش العرب عاشا   طاش سهم الخصم طاشـا
وبنـو صـهيون حاشـا   بيننـا أن يـستقروا

---

(٧) سا . ص ٦٧ .

(٨) سا . ص ٦٩.

والملاحظ أن القصائد الوطنية من الناحية الفنية أضعف ما في مجموعة الشاعر، ولا سيما حين يبلغ الأمر حد نظم قصيدتين يمكن أن نعدهما للكبار ببساطة هما "عيد الجلاء" و"تأهب لأخذ الثأر"(٩) ولم يستطع الشاعر أن يدخل إلى المعاني الوطنية من زاوية قريبة من عالم الطفل ولغته.

على العكس تماماًمن خشونة التناول ودعائيته العالية يتألق الشاعر في قصيدة "العصفور والطفل" و ينجح في كتابة المؤثر الجميل لغة ومعنى(١٠):

أماناً أيها الطفلُ ودع ما يفعل النذلُ

أخي لا تمش كالوحشِ

تمد الكف للبطشِ

بأفراخي، وبالعشِ

فعيشي بعد لا يحلو فرفقاً أيها الطفلُ

تصور حزن أهليكا

إذا أخفاك مُخْفيكا

فإن الأم تبكيكا

وعنك الدهر لا تسلو فعطفاً أيها الطفلُ

وعلى نحو قريب من هذه القصيدة، ولكن أكثر طرافة ومرحاً نكون مع قصيدة طويلة نسبياً هي "حيوانات الفلاح تستيقظ"(١١):

قد صفق الديك وصاح: هبوا إني أرى نور النجوم يخبو

هيا إلى الأعمال يا نيام فالنوم بعد يقظتي حرامُ

فهب ما في الخم والاسطبل من طائر وحيوان أهلي

(٩) سا . ص ٥٤ و ٦١ .

(١٠) سا . ص ١٣ .

(١١) سا . ص ٤٩ .

وارتفع الصهيل والنقيق	والسجع والخوار والنهيقُ
واختلط النباح بالمواء	في الدار والهدير بالثغاءِ
كأن كل حيوان كانا	يريد أن يشنف الآذانا
فمد في أنغامه الأنفاسا	كمن يريد الفن والقياسا
يزعم أنه المغني المطرب	وأن غير صوته لا يعذبُ
فنهض الفلاح من فراشه	يحمد مولاه على معاشهْ
مبتسماً يقول: " يا هنائي	فإن عندي فرقة الغناء "
وسار فوراً يطعم الدجاجا	والوز والحمام والنعاجا
والكلب والهرة والحصانا	والثور والبعير والأتانا
فهمدت جلبة شديده	مضحكة غريبة فريده
أفرغت البهائم المجهودا	فيها، ونالت أجرها المنشودا
مثنية على نشاط الديك	ذاك الذي قد صاح "كيكي، كيكي"

وفي "أحدوة الجمال" و"الطيور" يكتب الشاعر نصين ناجحين مأخوذين من عالم الطفل أيضاً[١٢].

وكما يقترب الحيدري من الطفل وهو يتناول موضوع الحيوانات، فإنه ينجح كذلك عندما يكون العلم والتعليم موضوعاً شعرياً، فله نصان اشتهرا كثيراً في الكتب المدرسية، الأول بعنوان "حسابي"[١٣]:

أعدُّ في مكانيه	دراهمي في ثانيه
أقول قرش واحد	واثنان بعض ماليه
ثلاثة أربعة	إن قروشي وافيه
وخمسة فستة	فسبعة ثمانيه
فتسعة عشرة	أحصيتها علانيه

(١٢) سا . ص راجع ص ١٦ و ٢٨ .

(١٣) سا . ص ٧ .

والنص الثاني هو "تعلمت القراءة"[١٤]:

قد تعلمت القراءه وأنا طفل صغيرْ
وتعلمت الكتابه في قليل من شهورْ
صرت ذا علم غزير وفؤاد مستنير
فسروري لسرور لا يجاريه سرور
ربِّ وفقني وكن لي دائماً خير نصير

وللأم كتب الشاعر قصيدتين خاصتين بها، وفيهما سلاسة معهودة تشيع في أكثر قصائد الشاعر، وهما: "عيد الأم"[١٥] و"الأم في المنزل"[١٦] وهي من أنجح تجارب الشاعر لأنها تعتمد على تكرار لغوي جميل تحتاجه قصيدة الطفل، ولم يكن شائعاً في ذلك الوقت المبكر، وقد قدم لها الحيدري بجملة "تلقى مع الحركات التقليدية" وهي تتحدث عن مجموعة مشاهد تتعلق بـ "الأم في المنزل" نختار هذه الأبيات منها:

تطبخ الأكل في المطبخ هكذا، هكذا، هكذا
فوق نار غضا تلتهبْ
توقد النار بالمطبخ هكذا، هكذا، هكذا
وتضيف إليها الحطبْ
مثلما تكنس المنزلا هكذا، هكذا، هكذا
بنشاط يثير العجبْ
هذه بعض أعمالها عوفيت، عوفيت، عوفيت
ولذا حبها قد وجبْ .

وللطبيعة عند الحيدري ست قصائد كاملة تتناول الشجرة والفصول والمطر والحدائق، ولكن الشاعر استطاع في قصيدة "الخريف" أن يقدم نموذجاً متميزاً، عن

(١٤) سا . ص ٨ .
(١٥) سا . ص ٤١ .
(١٦) سا . ص ١١ .

الطبيعة إذ قدم هذا الفصل تقديماً خاصاً، وبهذا اكتسب النص خصوصية، إذ امتزج بتجربة حياتية ملموسة في إطار ضاحك، وأسلوب يعمد إلى القص والحوار والتنوع في البناء اللغوي والإيقاعي، لذا ننقل لكم النص كاملاً(١٧):

الصيف ولى وأتى الخريفُ وجوه المعتدل اللطيفُ
وجاء غيم وافر كثيف كأنه قطن سما أو صوفُ
أو غنم في أفقنا تطوفُ
أهلاً بفصل نفعه منيف قد فتحت فيه لنا الصفوفُ
وأقبل المعلم الألوف يرشدنا ورشده معروفُ

* * *

كم سرَّ قلبي حادث طريف في الصف والصفُّ به مشغوفُ!
من ذاك أن قام فتى عنيف يصيح تيهاً: "إنني العريفُ"
إني بمن أطاعني رؤوف ومن عصاني فله توقيفُ!"
فنادت الطلاب: " يا لطيفُ!"
وفي الخريف طابت القطوف ثم ابتلت أشجارها الصروفُ
آه، فأين الورق الطريف وأين أين الظل والرفيفُ
لم يبقَ إلا النادر الطفيفُ
وإنما خطافنا العفيف والقبَّر التي حواها الريفُ
هذي ومن أمثالها صنوف قد هاجرت، لا نالها مخوفُ
إلى اللقا.. أيتها الضيوفُ!

وهناك قصيدة متميزة أخرى هي "حيوانات الفلاح تستيقظ" أضاف الشاعر إليها هدفاً تعليمياً مباشراً، ففي ثناياها يتعلم الطفل أسماء الأصوات كقول الشاعر(١٨):

---

(١٧) سا . ص ٢٥ .

(١٨) سا . ص ٤٩ .

وارتفع الـصهيل والنقيـق والسجع والخـوار والنهيـق
واخـتلط النبـاح بـالمواء في الدار، والهـدير بالثغـاءِ

وينهيها الشاعر نهاية عذبة إذ يقول إن الحيوانات في النهاية قد أنهت استعدادها:

مثنيةً علـى نـشاط الـديك ذاك الذي قد صاح "كيكي، كيكي"

وفي "حديقة الأشعار المدرسية" عدد من الموضوعات الأخرى مثل الحديث عن الأخ الصغير والفقراء والتوجيهات التربوية والدراجة والأرجوحة والدمية والرياضة.

وفي قصيدة جميلة هي "الملعب" يقول الحيدري(١٩):

أسـاحة للهـو فـي مدرسـتي أم مـسرحُ
نلعـب فـي أنحائهـا بخفـة ونمـرحُ
من زارنا في فرصـة فـصدره ينـشرحُ

إلى أن يقول:

وصـبية قـد نظمـوا صـفوفهم وأصـلحوا
يجـرون كالقطـار والوجوه بشراً تطفـحُ
أولهـم يـصفر أو يصيح: "إخواني افسحوا"
هل بعد هـذا منظـر يـروق أو يفـرّحُ
ما أنفع اللعـب لمـن في الدرس كان يكـدحُ

ويحسب للشاعر أنه من أوائل من كتب المسرحية أو التمثيلية أو الحوارية للأطفال في الوطن العربي كله، فقد بدأ المسرح الشعري للأطفال الشاعر أحمد شوقي،(٢٠) ثم

---

(١٩) سا . ص ٢٠ .

(٢٠) يقول عبد التواب يوسف في كتابه "الهراوي رائد مسرح الطفل العربي" إن أحمد شوقي "لم يكتب مسرحيات للأطفال" ص ٣٩ . والحقيقة أنني عثرت على مسرحية شعرية للأطفال لأحمد شوقي في كتاب مدرسي، كما أن الحيدري نفسه معاصر للهرواي وكان المفترض أن يحترس المؤلف من الجزم بالريادة دون اطلاع كاف على التجربة العربية.

ثم تابعه محمد الهراوي، ولا نعلم هل سبق الهراوي الحيدري أم تزامنا أم أن الحيدري قد سبقه، فليس لدينا ما يشير بدقة إلى تاريخ تأليف الحيدري لمسرحياته الشعرية والنثرية، ولكنها على الأغلب كتبت ما بين أوائل الثلاثينيات وأواخر الأربعينيات.

إن المسرح ولا سيما المسرح الشعري للأطفال على الأخص خارج خطة هذا البحث، ولكن الإشارة واجبة إلى مساهمات عبد الكريم الحيدري، ففي "حديقة الأشعار المدرسية" عدة حواريات شعرية وفيها أيضاً عدة تمثيليات هي "الأرانب والثعالب" و"فخر العاملين" و"استيقاظ الربيع" و"هزيمة الاستعمار" وهناك نص نثري سماه المؤلف" من ليالي الأندلس" وقال إنه فصل تمهيدي لرقصة السماح".

ولا بد لي من الإشارة إلى أن حديقة الحيدري تحوي نصوصاً للأطفال الصغار جداً، وأخرى للأكبر سناً، وهذا يتضح من الموضوع وتنوع الأسلوب، ويكفي أن نقارن بين قصيدتي "حسابي" و"العودة إلى المدرسة".

وقد اختار الشاعر أوزاناً قصيرة في الغالب، مما يناسب قصيدة الطفل، ولكنه يفاجئنا أحياناً بما هو خارج خصائص شعر الأطفال فكرة ولغة ووزناً إلى حد أن نقرأ قصيدة على البحر الطويل بعنوان "تأهب لأخذ الثأر" يقول فيها:

أراك جزوعاً لا تني تتوجـــع ... وتشكو زماناً للأسافل يرفـــعُ

ومنها:

كأن رجـــال الغـــرب لا درّ درُّهـــم ... حوا خيم في جيش اليهود تطوعـــوا

أخا العرب كفكف أدمع الغيظ والأسى ... فما في البكا نصر، ولا فيه مفـــزعُ

أبت سنة الأكوان أن يرحم الـــورى ... نفوســـاً تلظـــى أو محـــاجر تـــدمعُ

إن هذه القصيدة وأمثالها نشاز بارز في قلب مجموعة شعرية رائدة حملت الكثير من إنجازات شعر الأطفال في سورية والوطن العربي كله.

الفصل الخامس

روضة الأطفال لجسماني شقرا(*)

مشاركة المرأة في شعر الأطفال ظلت نادرة، ومن الغريب ألا يكون ضمن اهتمامات شواعرنا كما يتوقع المرء للوهلة الأولى، وفي وقت كان وجود المرأة الشاعرة استثناء في حدّ ذاته، نفاجأ بشاعرة سورية تصدر مجموعة شعرية كاملة للأطفال بعنوان "روضة الأطفال" عام ١٩٣٢، وقد كتب على غلافها "نشائد تهذيبية لصغار التلاميذ إناثاً وذكوراً" إنها جسماني حبيب شقرا التي تقول في مقدمة كتابها(١):

"وبعد. فهذا ما اقتطفته يد العناية من بستان القلب الذي يشكر لوالدي تربيتهما الصالحة. ولمعلماتي والمدارس التي بثت في روح التهذيب العناية الناجحة. أزهاراً تنعش الخاطر، وتروق للناظر. في إكساب الصغار من صبيان وبنات. كريم الأخلاق وحميد الصفات. دفعني إلى إبرازها اقتراح وزارة المعارف اللبنانية الجليلة على الأدباء والأديبات إنشاء نشائد لطيفة المغزى. قريبة المعنى. سهلة المبنى. فأعانني في تنسيق غاياتها وتنميق كلماتها شريك حياتي، فجاءت حرية برضا أهل الفضيلة والعلم.

والله أرجو أن تروق للأدباء والأمهات. وينتفع بها الصبيان والبنات. ويصفح أهل العلم عما فيها من الهفوات. وإنما الأعمال بالنيات."

(*) جسماني حبيب شقرا (.... – ١٩٤٨) شاعرة من حمص لم نعثر على سيرة وافية لها.

(١) روضة الأطفال . ص ٢ .

يتضح من هذه المقدمة الصغيرة أن الشاعرة واعية للسمات العامة في قصيدة الطفل، وتكتب انطلاقاً من هدف تربوي واضح، وإدراك للشروط الشكلية التي كانت تتعلق باللغة والوزن.

المجموعة أربعون صفحة، وفي كل منها ما لا يقل عن خمسة عشر بيتاً شعرياً، ويظهر من مقدمة الشاعرة أن المدارس كانت في حاجة ماسة إلى القصائد إلى حد أن طلبت وزارة المعارف من الشعراء أن يزودوها بها، وهو ما يؤكد أن شعر الأطفال في الغالب كان استجابة لغرض تعليمي، وهذا ما جعل البدايات مثقلة بالتعاليم والوعظ والإرشاد وبشكل مباشر.

تبدأ المجموعة بقصيدة "تسبيحة الصباح"(٢):

يا إلـــه الرحمـــاتِ   يا جزيل البركـــاتِ
لك في نور وليــل   كل يــوم صــلواتي
أبقِ لي بابا ومامــا   وأشــقائي الكرامــا
أعطهم عمراً سعيداً   وصــلاحاً وســلاما

وبوضوح يظهر التوجيه الديني كثيراً في المجموعة، وهو أمر سائد في ذلك الوقت، وإن كان يتوجه بشكل عام(٣):

وفي الــسما لنــا أب   أفــضل مــن كــل أبِ
نعمتـــه أنفـــس مـــن   ملابـــس ولعـــبِ
رحمتـــــه عظيمـــــة   في كــل حــين وارده
إذا ارتضى لنلنا الرضى   مــن والــد ووالــده

والغناء للأم والأب يتكرر في المجموعة (٤):

نكرم دومــاً أمنــا   ونكرم الأب الحنونْ

---

(٢) سا . ص ٣ .
(٣) سا . ص ٣٢ .
(٤) سا . ص ٧.

فهـــــل لأم وأب   بكل حب تكرمون؟

هــذا الــصنيع الأفــضلُ

ويتجلى الحس التربوي في لهجة المجموعة الخطابية الوعظية المباشرة، بحيث يضيع الكثير من جماليات الصور والتعبيرات المرحة، كما هو مفترض في النصوص الناجحة للأطفال.

ولسنا هنا في معرض مطالبة تجربة رائدة مبكرة بذلك، بل من قبيل الإشارة إلى طبيعة النص الذي كتبته الشاعرة جسماني، لذا سنقرأ على الدوام في المجموعة أبياتاً من هذا النوع[٥]:

فالألى يبـدون صـنعاً   حسناً إذ هـم صـغارْ

يكرمون الشيخ حتـى   يُكرَموا إذ هـم كبـارْ

أو[٦]:

عناية الكبير بالصغير   شاهدة بجودة التـدبيرِ

يحرزها كل فتى شكور   وكل بنت قلبها كالنورِ

فشكر كل محسن ضــروري

وزارة المعارف الجليله   تحارب الشرور والرذيلةُ

وتنشر العلوم والفضيله   حتى تعم الشيم الجميله

فيا لها مـن غايـة نبيلــه

لكن الشاعرية تستطيع مع ذلك أن تحقق من خلال هذه المباشرة والتعليمية قدراً مقبولاً من النجاح، وعلى الأخص عندما تكون السلاسة متوفرة في الصياغة، فيقل التصنع والحشو، ومثل هذا نجده في كثير من المقاطع كقول الشاعرة في"الملابس الوطنية" حيث تحث على الانحياز للبضاعة الوطنية[٧]:

---

(٥) سا . ص ٢١ .

(٦) سا . ص ٣٥ .

(٧) سا . ص ٣٣ .

دليل حب الـوطنِ — لبس النسيج الوطني

يبدو بديعاً منظـراً — وهو رخيص الثمنِ

. . . .

لنسمع القول الذي — حكيم دهـر قالـهْ

من لا يصون ماله — لن يحرز استقلالهْ

وفي قصيدة "حياة المدرسة"(٨):

إن حياة المدرسـه — أشهى حياة مؤنسةْ

فائـــدة أكـــسبها — خير من الملبـسةْ

. . . .

عن حفظنا الدرس الصغير — نظفر بالعلم الكثيـر

عن قطرة فقطـرة — يجتمع البحر الكبير

وتقول الشاعرة في قصيدة "نصائح الصوادح"(٩):

وشـــملنا بانتظـــام — كلؤلؤ فـــي نظـــامِ

فإن أشـــهى حيـــاة — طابت حياة السلامِ

أليفــــة البركـــــاتِ

. . . .

ومن يكون كبيـرا — منا يعـز صـغيرا

ومن يكون صغيرا — منا يجـل الكبيـرا

كمـــا يجـــل الأميـــرا

ومما يحمد لجسماني شقرا أنها غطت كثيراً من الجوانب المهمة والمتكاملة، فقد تحدثت عن الأبوين والمدرسة والكتاب واللوح والثلج والعام الجديد والمعلمة ومساعدة الآخرين والله والأسرة وغير ذلك، وكأن الشاعرة

---

(٨) سا . ص ٢٨ .

(٩) سا . ص ٨ .

أرادت أن تزود الطفل بالمجموعة المكونة لقيمه وإحساساته الجمالية، ومن نماذجها الجميلة قصيدة "الثلوج"(١٠):

مـــا أجمـــل الثلوجـــا   قــد غمــرت مروجــا
وكـــل ذي فهـــم رأى   منظرهـــا البهيجـــا
يـــــسبح الله الكـــــريمْ

....

الثلج في روس الجبال   تيجان مجـد وجـلالْ
وفي السهول والربـــى   والدور أثواب الجمالْ
فيمـــنح الخيـــر العمـــيمْ

....

الـــثلج عنـــد الأمـــم   يدعى رســول الــنعم
فـــأكرموا وفـــوده   لتظفـــروا بـــالمغنم
مـــن رحمـــة الـــرب العظـــيمْ

إلا أن الملاحظ أن جسماني شقرا لا تقدم لنا قصيدة صافية، حيث ستواجهنا دائماً عبارات ثقيلة الأداء، ومفردات محشوة حتى في النصوص الناجحة قياساً إلى ما في هذه المجموعة، ولو أخذنا قصيدة"الثلج" نموذجاً لقرأنا فيها إضافة إلى المقاطع التي ذكرتها قولها:

الثلج حيث هطـــلا   خصب عجيب حصلا
فتجتلي الناس بـــه   في رغد عيش أملا
وفـــي حمـــى يـــسر تقـــيمْ

إن هذه المعاضلات الأسلوبية تؤثر سلباً في انطباعنا عن المجموعة، إذ قد تبلغ أحياناً حد الفذلكة الأسلوبية الجامدة كما في قول الشاعرة(١١):

إنا نهـــب بكـــورا   مفارقـــات وكـــورا

---

(١٠) سا . ص ١٣ .
(١١) سا . ص ٨ .

أو[١٢]:

أبهج به مبتـسما باللحظ قـد تكلمـا

أو[١٣]:

وأعطيانـا لعبـا أبهجْ بها من لعبِ

أو[١٤]:

ومن يكن في صغر جامحـاً فهو كبيراً جالـب للـضررِ

أقبحْ بـه بـين الـورى مـن سـليلْ

وقد تذهب بعيداً في هذه الصياغات الغريبة كقولها[١٥]:

مَن شباباً أهل عزم هم شيوخاً واهنونْ

أو[١٦]:

وأقبلـت أم بأبنائهـا تطوف في الروضة بين الغراسْ

إذ شاهدوا الغرسين في جيـرة كان بما اسـتقام كـل ائتنـاسْ

أردت من خلال هذه الأمثلة التدليل على بعض ما يعسر أن يكون نصاً سائغاً أو مفردة أو جملة للأطفال، ففي المثال الأول لا يستطيع الطفل فهم "مفارقات وكورا" لأن صيغة اسم الفاعل العامل عمل فعله قد تصعب على بعض الكبار، وكذلك صيغة التعجب أفعل به، وهي صيغة كلاسيكية بقوة لدرجة أننا لا نستسيغ منها إلا الصيغتين الشائعتين أكرم وأنعم به، والمثالان الأخيران لا يحتاجان إلى تعليق، ففيهما من الحذلقة والحشو الكثير المنفر.

---

(١٢) سا . ص ٢٧ .

(١٣) سا . ص ٣١ .

(١٤) سا . ص ٣٥ .

(١٥) سا . ص ٢٠ .

(١٦) سا . ص ٣٤ .

إضافة إلى ذلك فإن ضرورات وزنية ولغوية تكررت في المجموعة مما يدل على خبرة الشاعرة القليلة في فن الأداء الشعري كقولها(١٧):

وكل مرْء جاهل بظلمة العيش سلكْ

أو(١٨):

فإذا جازيتها حسناً أوفِ حقاً من حقوق

أو(١٩):

حكومة عادلة تحبني تنشر من فوقي ظلال الأمنِ

أو(٢٠):

إن الغراس عندها حكمة من اقتناها عاش عيش الهناءْ

فكلمات "مرء" و"أوف" و"الأمن" جاءت غريبة مرة وخاطئة لغوية مرة أخرى أما الثالثة فقد حركت للضرورة بحيث انمسخ أصلها في ذهن الطفل.

بقي أن أشير إلى أن الشاعرة نجحت في تلوين بنية أشعار "روضة الأطفال" وزناً وقافية، فجاءت كلها من أوزان قصيرة متعددة الإيقاعات والقوافي، ومن نماذج ذلك قولها(٢١):

قالوا الذي لم يذهبِ برغبة للمكتبِ
لكسب حسن الأدب هو الجهولْ. هو الجهولْ
له الشقاءْ. له الشقاءْ

أو(٢٢):

جميع ما يبدو لعين الناظر من الثياب ومن الجواهرِ

---

(١٧) سا . ص ١٠ .
(١٨) سا . ص ٩ .
(١٩) سا . ص ٢٣.
(٢٠) سا . ص ٣٤.
(٢١) سا . ص ٦ .
(٢٢) سا . ص ٢٢ .

سينقضي انقضاء دهر غابر وإنمـــا يبقـــى لكـــل ذاكـــرِ

صـــيت حـــسنْ. صـــيت حـــسنْ

وفي المجموعة حكاية شعرية قصيرة هي "غرسان في روضة" تتحدث عن غرسين أحدهما مستقيم والآخر مائل، ثم تنتهي حكايتها لتؤكد دور التربية منذ الصغر(٢٣):

إن الذي استقام يحكي فتـــى أولاه عزاً نهجـــه الـــصالحُ

أما الذي مال ولـــم يـــستقم فهـــو رديء نهجـــه طـــالحُ

يعـــيش فـــي دنيـــاه عـــيش الـــذليلْ

لكن لا يمكننا أن نربط قيمة معنوية بثمن مادي خاصة في نص الطفل(٢٤):

ككوكب فـــي أفـــقِ كدرة فـــي عنـــقِ

أو(٢٥):

وأدبـــي أحـــسبه أنفس كنز ذهبـــي

أو(٢٦):

فضلها ما عشت أحـــسبه مثل عقد الدر في عنقـــي

أو(٧٢)

فوق أوراق حسان كنحور الغانياتِ

إن اسم جسماني شقرا سيظل محفوراً بقوة في تاريخ شعر الأطفال العربي، لا لأنها من أوائل من شاركوا في هذا اللون الأدبي، بل لأنها شاعرة عربية أصدرت مجموعة شعرية كاملة للأطفال.. بل ربما كانت أول من أصدر مجموعة شعرية مؤلفة وليست مأخوذة عن أصل أجنبي في سورية.

---

(٢٣) سا . ص ٣٤ .
(٢٤) سا . ص ٢٧ .
(٢٥) سا . سا . ص ٢٦ .
(٢٦) سا . ص ٩ .
(٢٧) سا . ص ٩ .

الفصل السادس

شعراء الأطفال حتى الخمسينيات

رزحت سورية تحت وطأة سيطرة عثمانية مباشرة، فنالها ما نالها من سياسات العسف والتتريك، مما نستطيع أن نعرف تفصيلاته في الكتب التاريخية التي تعرضت لهذه المرحلة، إلا أن ما يهمنا قوله هو أن شعر الأطفال كان محاولات نادرة، وعلى شكل حكايات منظومة تهدف إلى التوجيه والتربية، لكن ما إن قامت في سورية الحكومة العربية حتى فتحت البلاد نوافذها على بداية تعليم يضع العربية لغةً قومية في قلب مهماته.

ومعروف أن كوكبة من أدباء بلاد الشام ومربيها قد التفت حول هذه الحكومة الوليدة، وراح بعضهم يضع على عجل قصائد وأناشيد لتلاميذ المدارس، في جو حماسي من الدعوة إلى العروبة وسورية وقيم العلم والحضارة والوحدة الوطنية، في إيقاع موحد تردد لدى شعرائنا الذين أسهموا في هذه التجربة.

ولا بد هنا من أن أشير إلى أنني لا أستطيع في هذه المرحلة أن أميز الكاتب الشامي في فلسطين أو لبنان أو الأردن من الآخر، فقد جمعت الدولة العربية الناشئة مجموعة عملت في دمشق كأبناء سورية، وعندما انهارت الدولة العربية بسبب الاحتلال الفرنسي فإن عدداً من هؤلاء عملوا في العراق أو الأردن أو فلسطين بشعور من يعمل داخل بلده تماماً..

فعلى سبيل المثال لا أستطيع أن أستبعد مصطفى الغلاييني بل أعده سورياً أصيلاً وهو يعمل في وظيفة رفيعة في ديوان وزارة داخلية الحكم العربي ويكتب الأناشيد

والقصائد للأطفال، ومحمد الحوماني اللبناني تنقل في بلاد الشام واستقر طويلاً في الأردن، وعز الدين علم الدين اللبناني كان من رجال الثورة العربية، وخرج مع الحكومة العربية إلى العراق، وعمل معلماً في العراق والأردن وفلسطين، ثم عاد إلى سورية ليصبح عضواً في المجمع العلمي، ويعمل في التعليم، حتى إنه صار مديراً للمعارف إضافة إلى حليم دموس وتيسير ظبيان وعبد الكريم الكرمي وحسني كنعان.. وهكذا..

ونجد كثيراً من الزعماء لا يجدون فرقاً بين بقعة عربية وأخرى، فقد كانت الحركة القومية في صعود شعبي ووجداني عارم.. ألم يكن اللبناني فؤاد الخطيب شاعر الثورة العربية منذ انطلاقتها في الحجاز؟!

لا نغفل أن المساهمات تراوحت بين المشاركة في أنشودة أو أكثر، وبين عشرات القصائد والأناشيد كما لدى المربي الكبير سليم الحنفي الذي يعد من أغزر من كتب للأطفال في مرحلة العشرينيات في سورية، فهو من المعلمين البارزين الذين أسهموا في وضع اللبنات الأولى للتعليم العصري في سورية.

سليم الحنفي

هو مرب وشاعر ومن المساهمين في بداية المسرح السوري، ويرجع إلى أصول جزائرية، وثالوث سليم الحنفي في قصائده الوطن والعلم والعروبة، فها هو ينشد للوطن "أهواك يا موطني"[1]:

أهــواك يــا مــوطني يــا مطلــع الأقمــارْ
وعنـــك لا أنثنـــي يــا أجمــل الأقطــارْ

* * *

مــا لــي أرى أمتــي تطريـــك بـــالأقوالْ
هل ترضى يا منيتــي منها سوى الأعمـالْ

* * *

(١) مجموعة أناشيد . ص ٢٧ .

كم قــد ســمعنا فتــى ينشي بــك الأشــعارْ
في صوته قــد فــتن بلابــــل الأســــحارْ

* * *

لكنــــــه عنــــــدما يدعى إلــى الأعمــالْ
يجيــب دعنـــي فمـــا عندي سوى الأقــوالْ
مــن كـــان ذا حالــه فاضرب به يا صــاحْ
أقوالــــــه مالـــــه يبغــي بهــا الأربــاحْ

* * *

لنيـــل أوج العلــــى فليخلقــــوا الأســـبابْ
لا المـــال يكفــي ولا تعلــــيهم الأحــــسابْ
إن يطلبــــوا مرتقـــى فــــالعلم والأخـــلاقْ
أو لا فهـــم للـــشقا يـــسعون باســـتحقاقْ

* * *

من كان يهوى الوطن فالأمـــــة الأوطـــــانْ
إن ترتقِ تجــلِ عــن أرواحهــــا الأحــــزانْ

فالغناء للوطن في تلك المرحلة لا يمكن له إلا أن يختلط بالدعوة إلـــى العلم، أما دعوة العلم فلها مساحة أوسع عند الحنفي كمــا نجــد فــي قــصيدة "علموا"(٢):

علموا النشء الجديدا وانقذوا الشعب الطريحا
إنمـــا الـــنشء تهيـــا يطلب العلم الـــصحيحا
علمـــــوه هـــــذبوه أهلـــوه للمعـــالي

* * *

---

(٢) سا . ص ٢٣ .

أيها الـشرقي بـادر | فإلى كـم ذا الـضياعْ
والحقِ الغرب وفـاخر | باكتـشاف واختـراعْ
حيث تحيـا كالثريـا | بمحيـا كــالهلالْ

*   *   *

لا يرى شـيئاً محـالا | من غدا ماضي العزيمهْ
لا تدع يومـاً مجـالا | إن للأوقـات قيمـهْ
سـرْ بجـدّ وبوجـد | نحو مجد فهـو غـالْ

*   *   *

يا فتى العـرب تعلـم | إن تكن تبغي السياده
أو إلى المـوت تقـدم | إذ لك الموت سـعاده

*   *   *

مـن تعلـم أو تفهـم | يتقـدم كـل حـالْ
إيه يا قـومي تعـالوا | علمــوا أبنـاءكمْ
وإلى المجـد تبـاروا | واخـدموا أوطـانكمْ
حيث نحيـا كالثريـا | فـي مُحيّـا كـالهلالْ

وفـي قصيدة "العلم" يعكس الشاعر طبيعة النظرة إلى النهوض في ذلك الوقت المبكر، إذ كان الغرب قدوة للنهوض، لهذا فهـو يخاطب التلميذ العربي[٣]:

يا بن العرب العالي الهممِ | يا بن المجد السامي العظمِ
رحمـاك فـديتك لا تـنم | واذهب للدرس بلا وهـنِ

*   *   *

العلـم حيـاة للـوطن | يدريه الشهم أخو الفطـنِ
والغرّ يبيت على وسـن | عن مجد العلم مدى الزمنِ

*   *   *

(٣) سا ، ص ١٨ .

المدرسة الروض الباهر — فيها العلم الزاكي الطاهرْ
فيها الأدب الوافي الوافر — تستصرخ أبناء الوطنِ

* * *

بالعلم الغرب لقد مهرا — وعلى الشرقي به افتخرا
هل يبقى الشرقي مؤتزرا — بإزار الجهل مدى الزمنِ

* * *

بالعلم تسود بلا نسب — وبه ترقى أعلى الرتبِ
فالجهل يسوق إلى نصب — وإلى ذل وإلى محنِ

أما في "التلميذ" فنجد الشاعر يميل إلى نبرة هادئة تركز على التعلم دون أن تذهب أبعد من ذلك لهذا ينشد(٤):

أيها الطالب مني اللعب في البستانْ
وانتشاق الزهر في الروض مع الخلانْ
حسبي العلم فدعني أيها الإنسانْ

إنما الألعاب عندي — ترديد الدروسْ
حيث إن العلم يهدي — الأنس للنفوسْ

حسبي

أنا أختار لقومي — الغاية العليا
ولها كل اهتمامي — قد غدا سعيا

حسبي

وهب الدرس إلينا — راحة الأرواحْ
وبسيف العلم إنا — نقتل الأتراحْ

حسبي

(٤) سا . ص ٣٠.

درسنا يا صاح شدو   يطــــرب الأســـماعْ
من فم الأستاذ حلــو   يبــــرئ الملتــــاعْ

حســبي

أما الحس العروبي فيظهر مختلطاً بالدعوة إلى العلم على الدوام، ولا يكف الشاعر عن تقبيح الجهل وإبراز ما يفعله العلم، لا سيما إذا اقترن بالعمل(٥):

وطن العرب أيا خيــر الربــوع   أنـــا أفــديك بقلبــي والــضلوعْ
نحن في العلم سنغدو في طلوع   وكـــذا أنـــت إلـــى أوج العــلا
ديننـــا العلـــم وحـــب الـــوطن   فيهمـــا العــز الــذي لــم يكــنِ
نحن أهل الجــد أهــل الفطــن   ليس فينـــا للمعـــالي مــن ســلا

* * *

نحن بالمدرســة اليــوم قعــودْ   نحــن طــلاب علــوم لا جمــودْ
فهي مرقانا إلــى أوج الــسعود   إذ بغيـــر العلـــم لا عـــزَّ ولا
إيه قــومي إنمـــا أنـــتم نيـــام   تطلبون المجــد فالمجــد مــرام
كلنا بالمجــد صــبٌّ مــستهام   نحسن القــول ونجفــو العمــلا

وفي الإطار نفسه يقول في " يا بن العرب "(٦):

يا رجال العــرب لبــوا داعيـــا   صوته المحبوب أضــحى عاليـــا
لا تنـــاموا إنمـــا الوقـــت ثمـــينْ
آه لـــولا الجهــل كنـــا أمـــةً   فوق هام الشمس نالــت رفعـــةً

---

(٥) سا . ص ١٢ .
(٦) سا . ص ١٤ .

قد كسانا الجهل منه ذلةً ولهذا جئت أدعو صبيةً
لطلاب العلم حيناً بعد حينْ
من يحب العرب أو يهوى الوطن يطلب العلم ولا يخشى الوهنْ
إذ بغير العلم لا تمحى المحن فإلى أهل النهى أهل الفطنْ
صغت قولي فليجيبوا مسرعينْ

وفي نشيد "معشر العرب" دعوة للأحفاد أن يقتدوا بأجدادهم الذين صنعوا حضارة وصل نورها إلى العالم(٧):

معشر العرب الكرام لمتى أنتم نيامْ
عن نهوض باعتزام إنما النوم حرامْ

* * *

علمونا علمونا كيف نرقى يا كرامْ
أو إلى الموت ادفعونا وعلى الدنيا سلامْ

* * *

إيه يا قومي ألم تذكروا أجدادكمْ
يوم شادوا في الأمم أرفع المجد لكمُ؟

بقي لي أن أعرّج أثناء الحديث عن هذا الشاعر المربي إلى لفتاته المهمة في البناء الإيقاعي لهذه القصائد والأناشيد التي وضعها للأطفال.

فقد أدرك حاجة الطفل إلى الموسيقا في القصيدة، أي الاهتمام الخاص بالتنويع في تشكيل الأبيات والقوافي من خلال توزيعها المتقن، فلنتأمل في قصيدة "باب العلا" هذا التقسيم الجميل فيها(٨):

---

(٧) سا . ص ٢٥.

المدرسه	باب العلا	من يشتهي	دخولها ؟
ما أتعسه !	من قال: لا	لا أبتغي	سيراً لها
فهي الأم	فيها ننمو		

* * *

يا بن العرب	لبّ الطلب	قد فتحت أبوابها
عز الأدب	فوق النسب	لذا دعت طلابها
يا بن ودّي	خذ بجدٍّ	
فهو مُجْدٍ للملا		

* * *

أجدادكم	أبقوا لكم	مجداً رفيعاً	لا يحدْ
آباؤكم	أعمامكم قد ضيعوه		للأبــدْ
داء الجهلِ	عين الذلِّ		
سبب القتلِ	والبلا		

يندر أن نجد شاعراً يلتفت إلى التفنن الجميل في هذا التوزيع الخفيف لمقاطع قصيدة غنية بالموسيقا.

وفعل شيئاً قريباً من ذلك في " تحصيل العلم "(٩):

يا من يبكي مجــد الجــدِّ ... ويريق الدمع من الوجــدِ
فإذا ما كنــت أخــا جــد ... وتود العود إلــى المجــدِ
فعليــــك بتحــــصيل العلــــم
لقلبــه التربيـــة الحقـــةْ ... وشريف المبدأ والـصدقا
فإذا استوفى منهــا حقــا ... فإلى العليــاء إذاً يرقــى
ويــــسمى بالبطــــل الــــشهمْ

---

(٨) سا . ص ٣ .
(٩) سا . ص ٢٤ .

حسني كنعان

وفي الفترة نفسها برز شاعر آخر هو حسني كنعان، وتتردد قصائده في كتب مدرسية قديمة تعود إلى العشرينيات، وتمتاز قصائد كنعان بأنها كانت أقرب إلى مستوى الطفل من أكثر التجارب التي عاصرته، ومثل الآخرين فقد كان محور كتابته الأساس الدعوة إلى العلم كما في "روضة المدارس":

روضة العلم البهي — نرتجي منك النداءْ
نحن عشاق الرقي — عصبة المجد سواءْ

* * *

أمنا سوريا قومي — وانشري أعلامكِ
ولطلاب العلوم — فافتحي أبوابكِ

* * *

ما لنا أم سواك — في ابتداء واختتامْ
روحنا دوماً فداك — فاقبلي منا السلامْ

* * *

يا رجال العلم سيروا — لافتتاح المعهدِ
فابن سوريا الصغير — بانتظار الموعدِ

* * *

هلّ يا علم هلالك — ونفى الليلَ الضياءْ
عمّ سوريا جمالك — وملا القلب هناءْ

إن مخاطبة سورية الأم، ومطالبتها بفتح أبوابها، وعبارة "هلّ يا علم هلالك" تجعل طريقة الخطاب أكثر قرباً من الطفل، وأشد حميمية وشعبية من الجزالة القاسية التي كانت تطبع الكتابة في ذلك الوقت.

وفي قصيدة "طلاب العلوم" مزج بين روح العلم والتآخي وبين أبناء الوطن على اختلاف طوائفه، مع الالتفات إلى الوطن وعزه ومستقبله(١١):

نحن طلاب العلوم	زهرة المستقبلِ
نزدهي مثل النجوم	في الهزيع الأولِ
بيننا كل غلام	طيب الأصل همامْ
دأبه حفظ الذمام	مع كل المللِ
قد ألفنا الكتبا	وعشقنا الأدبا
ورضينا التعبا	رغبة في الأملِ
لا نبالي بالمحن	فالرزايا كالمننْ
ديننا حب الوطن	ثم حب العملِ

* * *

حكمت أقلامنا	أن ترى أعلامنا
مثمرات للمنى	في رياض الدولِ
فليعالج داؤنا	ولتمت أعداؤنا
ولتدم أوطاننا	في المقام الأفضلِ

ويبدو أن حركة الكشافة قد كانت في بدايتها، والحماسة لها على أوجها، وكتب أكثر من شاعر في هذه الحركة التي كانت تضم الأطفال والكبار، وشاعرنا وجه خطاباً مباشراً إلى "الكشاف" في القصيدة التي تحمل الاسم نفسه(١٢):

أيها الكشاف بادرْ	وارتقِ أوج العلى
اطلب المجد وفاخرْ	كي تنال المأملا
لا ترقي لا معالي	دون جدٍّ واجتهادْ
سرْ إلى أوج الكمال	لتعش فيك البلادْ

* * *

(١١) سلسلة المحفوظات العربية ١ / ١٢ .

(١٢) مجموعة الأغاريد . ص ١٦ .

فرقــة الكــشاف هيــا   للريــــاض الزاهــــره
واجتنوا رطبــاً جنيــاً   مـــن ثمـــار فــاخره
خاطبوا فيها الطبيعــه   ثــم نــاجوا الكائنــاتْ
تحيَ ســوريا منيعــه   بكـــم أبهـــى حيـــاةْ

* * *

اطلبــوا لــيلاً نهــارا   نيــل مجــد تالــد
واهتفوا سراً جهــارا   فـــي لــسان واحــد
فلتعشْ ســوريا فينــا   شــامة بــين الــبلادْ
ولتدمْ حــصناً حــصينا   تزدهي في كــل نــادْ

ومن طرائف تجربة الشاعر حسني كنعان أنه تحت تأثير الـنص الطفلـي كتب قصيدة بلغة "ثالثة" إن صح التعبير، لغة وسط بين الفصحى والعامية وذلك في نشيد الروضة، وقد يكون سبب ذلك على ما يبدو أنها كانت للأطفال الصغار جـداً، وهي قصيدة "نشيد الروضة" (١٣):

روضـــتنا حلـــوه   روضـــتنا زينـــه
روضـــتنا جنـــه   فيهـــا تربينـــا
قولـــوا معانـــا   يلـــي تحبونـــا
تحيـــا روضـــتنا   أمـــاً حنونـــا

* * *

نحـــن أطيـــار   فيهـــا نغنـــي
نطلـــب العلـــم   مـــن كـــل فـــن
هيـــا إلينـــا   نفـــرح ونغنـــي
تحيـــا ســـوريا   حـــصناً حـــصينا

* * *

---

(١٣) موسيقا وأغاريد الطفولة . العقيلي . ص ٦ .

تحيـــا ســـــوريا   أم الـــــــــــبلاد

مهــــد العلـــوم   مهــــد الرشــــاد

يـــا رب احميهـــا   مـــن الأعـــادي

كـــي تبقـــى دومـــاً   خـــره مـــصونا

وكانت للوطن حصة مهمة من تجربة الشاعر مع قصائده للأطفال، وفيمـا كتبه نلاحظ تركيزاً بارزاً على سورية إذ يقول في "النشيد الوطني"(١٤):

يا بن سوريا ويا بن الأوفيـا   عش مع العلياء عيش الأصفيا

واستعد مجداً عظيمـاً داثـرا   شاده الآبـاء قـدماً للـورى

يا بن سوريا ويا نسل الكـرام   إلزم العلم تنل أقصى المـرام

إنمـا العلـم حيـاة للـوطن   فاغتنمه واطرح عنك الوسـن

* * *

يا بن سوريا ويا بن العـرب   جد واعمل يا بن قحطان الأبي

إنما الأقـوام تحيـا بالعمـل   لا بجهـل وانقـسام وكـسل

يا بن سوريا تمسك بالوئـام   ناشراً في الشعب أعلام السلام

لا تقل طه وعيـسى والكلـيم   كلنا من نسل قحطان العظـيم

والشاعر في مقطعين آخرين من القصيدة يركزعلى سورية، ولكنه كما رأينا لا ينسى ربط ذلك كله بالجذر العربي، وهذا نتاج طبيعي للإحساس العارم بالنهوض السوري والتحديات التي تواجهه، مع الوعي بالقومية العربية الذي أذكته حركة الثورة العربية وأنصارها في بلاد الشام.

ولحسني كنعان قصيدة جميلة أخرى عن الوطن يشيع فيها إيقاع سريع، ومعانٍ بسيطة رقيقة وهي قصيدة "محبة الأوطان"(١٥):

محبـــة الأوطـــان   حقـاً مـن الإيمـانْ

---

(١٤) المحفوظات العربية . ص ٤٥ .

(١٥) سلسلة المحفوظات العربية ١ / ٢٨ .

أهــاج لـــي أشــجاني جمالهـــا الفتـــانْ

* * *

أوطاننـــا البهيـــه كالغـــادة الأبيـــةْ

أســـرتها الزكيـــه ذكــرى بنــي عــدنانْ

فهـــم نجـــوم الآتـــي بالجـــد والثبـــاتْ

فليـــدركوا الغايـــات بالفــضل والعرفـــانْ

* * *

متـــى تـــرى ســـوريا لنـــا وللذريـــةْ

مأوى قـــوى فكريـــه تحيي قـــوى الأبـــدانْ

* * *

فمـــا لنـــا ســـواها أرواحنـــا فـــداها

حـــازت عـــلا وجاهـــا على مـــدى الأزمـــانْ

* * *

فلتبقـــي يـــا أوطـــاني فريـــدة البلـــدانْ

صـــنيعة الإحـــسان دومـــاً فـــي كـــل آنْ

ولشاعرنا قصيدة تعود إلى ما بعد الاستقلال هي "عيد الجلاء" يقول فيها[١٦]:

عيد الجلاء عيدنا

عيد الجلا فيه المنى فيه المسره والهنا

فيه انجلا عنا العنا ثم استعدنا مجدنا

* * *

يا سعدنا بعيـــــــــدنا لقد جلا عـــــــــدونا

عنا ونلنا حقنـــــــــا وجاءنا اســـــــــتقلالنا

وقد قصدت أن أكتب هذين المقطعين بهذا الشكل ليبدو التنغيم الذي أراده الشاعر لقصيدته حيث امتلأت بالقوافي الداخلية.

---

(١٦) موسيقا وأغاريد الطفولة . ص ٥ .

جرجس عبد الملك

لم يقتصر عمل المربي جرجس عبد الملك على كتابة شعر الأطفال، بل وضع كتباً تعليمية، فكتابه "سلم القراءة الحديث" بأجزائه الخمسة من أهم الكتب التعليمية التي ظهرت في الوطن العربي في هذه المرحلة، إذ كان واضحاً فيها الاعتماد على مبادئ حديثة وعلمية في النظر إلى مادة التعليم وطريقته، ويكفي أن نطلع على كتابه الآخر "قاعدة السلم" لتدهشنا هذه الأفكار التي تبدو كأنها مكتوبة في أيامنا، وفي هذا الكتاب وجه المؤلف نقداًهادئاً عميقاًإلى طرق تدريس الأطفال في زمنه(١٧).

ويكفي أن نقرأ له هذا التوجيه للمعلم لندرك دقته وعلميته إذ يقول: *"وراع في إلقائك الدرس مقدرة المتعلمين. اجعل الشرح بسيطاً ليتم فهمه. ومرتباً ليهون حفظه. ومختصراً ليسهل تذكره"*.

إلا أن ما يهمنا هنا كونه شاعراً للأطفال، إذ سجل نجاحاً كبيراً قياساً إلى الفترة التي عاش فيها، فجرجس عبد الملك من النادرين الذين كتبوا بسهولة وسلاسة وموضوعات طفولية، إلى حد أنه أحد واضعي التجارب الأولى لأغاني ألعاب الأطفال والحواريات، وتلفت نظرنا حتى عناوين قصائده قياساً إلى الآخرين، فله مثلاً "القمر"(١٩):

هـذا هـذا نـور القمـرِ ... حلو حلـو نـور القمـرِ
ونجوم رقـصت رقـصت ... طرباً طرباً حـول القمـرِ

* * *

قمـر قمـر بـدر بـدر ... فرحت فرحت كل البـشرِ
يا ما أحلى الخلق الأسمى ... يا ما أحلى وجـه القمـرِ

* * *

عندي عندي صور صور ... هذا شـجر حلـو الثمـرِ
أمي أمـي غنـي غنـي ... حلو حلـو نـور القمـرِ

---

(١٧) قاعدة السلم . ص ٥ .

(١٩) مجموعة الأغاريد . ص ٣٣ .

أو "الطابة"[٢٠]:

غنوا دارت هذي الطابه	ركضت قفزت مثل الفاره
جاءت نحوي أهلاً فيها	لا ترميها يا برباره
خذها مني سيد حسني	خذها وادفع ألفي باره
فوق الأيدي قفزت قفزت	غنت قالت إني دره
يا ما أحلى لعبي معكم	أنتم فلكي وأنا الزهره

أو "ترتيب الأوقات"[٢١]:

ساعات اليوم يرتبها	عقل وتنظمها شمسُ
بالدرس بدأنا في كتب	درس درس درس درسُ

* * *

من بعد الدرس أتى وقت	للعب وذا حلو عذبُ
نحن الأولاد ينشطنا	لعب لعب لعب لعبُ

* * *

والعامل أيضاً يشتغل	بصناعته فله الفضلُ
الكار سوار من ذهب	شغل شغل شغل شغلُ

* * *

والشمس متى غابت قالت	اليوم مضى منه قسمُ
هيا صلوا فالليل أتى	نوم نوم نوم نومُ

وعن الحيوان والطبيعة يكتب قصيدته الجميلة "العصفور" التي يقول في بعض مقاطعها [٢٢]:

يا ليتني طير على	الأغصان في هذي الربى
هيا نغني كلنا	يا مرحبا.. يا مرحبا

---

(٢٠) سا . ص ٣٦ .
(٢١) سا . ص ٣٤ .
(٢٢) سا ٣ / ٣٢ .

و "ترنيمة السرير"(٢٣):

بهجتي بل نور عيني ... أنت محبوبي الصغيرْ
بدر تمّ في سرير ... بالهنا نم يا أميرْ
وإذا ما الشمس لاحت ... قم وغرد كالهزارْ
وابتسم كالزهر لما ... تنجلي شمس النهارْ
يا ملاكاً في سرير ... أنت عنوان السلامْ
ربنا احفظ لي حبيبي ... سالماً وقت المنامْ

لا أشك أن القارئ قد لاحظ التميز في هذه اللغة المفاجئة ببساطتها ورشاقتها، مما يدل على أن عبد الملك صاحب الآراء الفذة في الطفل والتربية قد استطاع أن يقدم نماذج شعرية تؤكد هذا الوعي الذي امتلكه تطبيقياً، إضافة إلى غنى الجانب التصويري في قصائده، إلى حد أنه قدم نموذجاً رائعاً يقترب فيه من الشعر المتطور للأطفال في المحاورة بين "الأم والقمر" التي يقول في بعضها(٢٤):

الأم:

انزل ولاعب ولدي ... يا قمر انزل بالعجلِ
ابني سروري مهجتي ... أحييت في قلبي الأملِ

القمر:

إني أجول في الفضا ... حتى أرى كل البشرْ
كل ينادي قائلاً ... أهلاً وسهلاً يا قمرْ

---

(٢٣) سا ٣ / ٤٢ .

(٢٤) مجموعة الأغاريد ١ / ٤٠ .

عز الدين التنوخي

عرفت سورية الشاعر والمحقق والمربي عز الدين علم الدين المشهور بالتنوخي، وقد كان شاعرنا من الرعيل القومي الأول الذي ذاق الكثير من الاضطهاد والمعاناة والتشرد بسبب ذلك، ومع أنه من أبناء لبنان إلا أنه قدم سنوات عمره المعطاءة في الكتابة والعمل والتربية في سورية والعراق.. وترقى في المسؤوليات الرسمية في التعليم إلى حد تسلمه بعض إداراته في سورية، وكان عضواً في المجمع العلمي بدمشق.

تتشابه كتابة الشاعر للأطفال مع تجربة جرجس عبد الملك في كونها انتبهت إلى بعض خصائص قصيدة الطفل، فإلى جانب اللغة والموضوع، أسهم أيضاً وبنجاح في كتابة العديد من قصائد تغنى لألعاب الأطفال، إلى جانب إدخاله الأصوات في ما كتب، كما نلاحظ في "فرخ البط"[٢٥]:

انظـــر فـــرخ الـــبط   فـــرخ الـــبط عـــوامْ
ســـابحاً فـــي الـــشط   ينـــــشد الأنغــــامْ
فمــــــن طربـــــــه   مرحــــــاً يميــــــلْ
ومـــــن زغبـــــه   اللؤلـــــؤ يـــــسيلْ

واق   واق   واق   واق
واق   واق   واق   واق

ويبدو أن شاعرنا قد أولى أغاني الألعاب اهتماماً خاصاً، إذ لم تقتصر محاولته على تجربة واحدة أو تجربتين كما فعل بعض الشعراء، بل وضع نصوصاً عديدة من هذا النوع كما نجد في "يد بيد"[٢٦]:

يـــد بيـــد   يـــد بيـــدْ
هلمـــــوا دوروا
ترالالا.. تـــرالالا

---

(٢٥) الأناشيد المدرسية ٢ / ٥ .
(٢٦) سا ٢ / ١١ .

سراعاً كالطيـر

يـا الله طيـروا

جيك جيك جيـك

واضح هنا أن الشاعر تخلى عن الفصحى الكاملة، لمـا تقتـضيه كلمـات نـص الألعاب أحياناً من ترخص في الفصاحة والإيقاع المألوف كما في "أم عميش" أيضاً:[٢٧]

دوروا دوروا وغنـوا | واعرف أنت من نحن
بالعصا يا أم عميش | أبحـث عنـا وفـتش

* * *

حزرت، حقاً، حـزرت | هذا دوري ابعد أنـت
فتح عينيك وهات لـي | عصاك ودوروا حولي

* * *

لا، لا، لا لم تعرفنـي | أم عميش أبعد عنـي
إلـزم الوسـط هنـاك | وانتظرنـا بعـصاك

وفي قصيدة مهمة هي " أنشودة الفتاة العربية " يشدّد الشاعر علـى تعلـيم الفتاة، ويربط ذلك بنهوض الأمة كلها، مما يدل على إنسانيته وسعة أفقه.. ولا بد أن ننتبه إلى التنويع الموسيقي في هذه الأنشودة، واعتمادها على التكرار، وهي[٢٨]:

نحن أزهـار المعـالي | نحن أغراس الـوطنْ
في حقول العلم تنمـو | طارحـات للوسـنْ
قـد نهجنـا جاهـدات | للمنـى خيـر سـننْ

كي نبثّ الطيب فوّاحاً على مـرّ الـزمنْ

يـا خـسار الألـى يهملـون الفتـاةْ

إن نقـم نحـن يـنهض بنـا قومنـا

---

(٢٧) سا ٢ / ٩ .

(٢٨) سلسلة المحفوظات العربية ٢ / ٢١ .

نحن للأمة إن حلت تـصاريف الزمـانْ
مرهف ماض ٍ به تغزى جيوش الحـدثانْ
نحن للمجد فؤاد   نحـن للعـز يـدان
نحن في كف الترقـي   أيهـا القـوم بنـان

*   *   *

نحن أنوار الهدى نجلو سحابات العمـى
لا نرى للمجـد إلا العلـم يومـاً سـلما
علمونا، علمونا، نحـمِ بـالعلم الحمـى
إن في الـدار لمجـداً   بالمعـالي معلمـا
إن نقـم نحـن يـنهض بنـا قومنـا
يـا خـسار الألـى يهملـون الفتـاة

مصطفى الصواف

اسم كبير في التربية الموسيقية في سورية، حيث كان من الرواد الذين درسوا الموسيقا في أوربا ثم عادوا ليمارسوا تأثيرهم الجميل في أجيال من الطلبة، وقد كتب عن الصواف مراراً في الصحف والمجلات والكتب، فالرجل من أوائل المدرسين وواضعي الكتب في مادة التربية الموسيقية.. وهو إن لم يكن شاعراً محترفاً إلا أنه حاول كثيراً أن يسد فراغاً أثناء تعليمه وتأليفه، فقد كان بحاجة إلى نصوص سهلة للأطفال، لهذا راح يحاول بنفسه نظم العديد من القصائد ويلحنها وينشرها مع السلم الموسيقي كما نرى في كتابه الرائد "علم الموسيقى" وقصائد الصواف التي عثرت عليها كانت محصورة في الغالب الأعم في هذا الكتاب.

إلا أن ما نظمه الفنان مصطفى الصواف فيه ضعف واضح في الصياغة، نلمسه من الناحية اللغوية والوزنية، إلا أن ما يعوض ذلك، وما يمنح التجربة قوتها هو امتلاكها السهولة والاعتماد على الأصوات والأفكار الطريفة، مما تحتاجه قصيدة الطفل.. إذاً هي تجربة بدت فيها علائم التحديث أكثر، فكانت خطوة أخرى إلى الأمام.

يقول الصواف في "الصباح" [٢٩]:

قــد أشرق الفجر ولاحْ
مستبشراً والديك صاحْ
كوكو.. كوكو

وفي "الطفل في المهد"[٣٠]:

نم يا بني إن الليلْ
جاء وقد ولى النهارْ
دو. دو. دو. دو

* * *

نم إن في النوم حياةْ
ترفع من شأن الصغارْ
دو. دو. دو. دو

كذلك في "الموسيقي الصغير"[٣١]:

إنني صغير السنّ
وأنا من هواة الفنِ
فاسمع اللحن مني
دو ري مي فا صول لا سي
غنّ يا أخا الأمجادِ
غن واستمع إنشادي
إني مطرب شادي
دو ري مي فا صول لا سي

---

(٢٩) علم الموسيقى . ص ٧٦ .
(٣٠) سا . ص ٩٠ .
(٣١) سا . ص ٨٦ .

إن هذه المزايا التي تحسب للصواف لا بد أنها كانت من خلال اطلاعه على نماذج غربية والمانية تحديداً حيث درس إذ لم يكن شائعاً بعد أن ينتبه شاعر في العشرينيات إلى هذه الخصائص في شعر الأطفال.

وتحسب للصواف اختياراته لموضوعات قصائده، إذ أكثرها يدل على تخيل وتنوع كما مر معنا.. كما نجد في "الناعورة"(٣٢):

هلاّ ترى الفلاحا

وزوجه قد راحا

منشدين طربا

* * *

الكون في سرورْ

يسمع للعصفورْ

لحنه المستعذبا

ويحاول الصواف أن يكتب ما يثير عواطف الأطفال في قصيدة "اليتيم" لكنه يقدم صياغة ضعيفة جداً(٣٣):

مدوا إلى اليتيم الأيدي

ذا من أقدس الواجباتْ

وكفكفوا دموع الباكي

نيل المراد، هل تذكرونْ؟

ومن المناسب الحديث عن حكايات هذا الشاعر الفنان لأنه كان من المسهمين في الحكاية الشعرية والحواريات، إذ قدم لنا عدداً منها، وبعضها اكتسب شهرة لسنوات طويلة بين تلاميذ المدارس في العشرينيات.

---

(٣٢) سا . ص ٨٩ .

(٣٣) سا . ص ٨٥.

النص ذائع الصيت لدى الذين تعلموا في تلك الأيام هو حكاية "الراعي الكذاب" الذي يعود إلى عام ١٩٢٦ ونصه[٣٤]:

الكـذابْ. الكـذابْ
إنـه شـر الـصحابْ
الكـذاب. الكـذابْ
لـيس يفلـح الكـذابْ

* * *

كـان زيـد راعيـاً
فـي البـراري والجبـالْ
صـاح يومـاً باكيـاً
الـذئب الـذئب يـا رجـالْ
سـمع القـوم الـصياحْ
فاسـتعدوا للكفـاحْ
بـسيوف ورمـاحْ
وقلـوب لا تهـابْ

* * *

وجدوا الراعي الـصغيرْ — كاذبـاً فيمـا يـذيعْ
مازحـاً لا يـستجيرْ — سـاخراً مـنهم جميـعْ

* * *

غـادروه نـاقمينْ — مـن فعـال الكـاذبينْ
جـاء ذئـب ذات يـومْ — وانقض علـى الغـريمْ

* * *

أكـل الـذئب الغـلامْ — ذا جـزاء الكـاذبينْ
فالـصدق خيـر الكـلامْ — كونوا دومـاً صـادقينْ

---

(٣٤) سا . ص ٧٨ .

ويعيد الصواف نظم حكاية "الغراب والثعلب المشهورة" التي ينهيها بقوله[٣٥]:

لـم يكـد غرابنـا يغنـي

حتى رأى قطعـة الجـبنِ

قد صارت لغيـره طعامـاً

وهو غدا صـفر اليـدينْ

أما المحاورات الغنائية فكما في "السعي والعمل" حيث يدور حوار بين الولد والفلاح والحطاب والحداد والطالب، وكل قصائد الصواف مكتوبة وملحنة من قبله[٣٦]:

الولد:

عمي الفلاحْ

دامت لك الأفراحْ

ما لي أراك تعدو في الصباحْ

الفلاح:

إلى حقلي

فمنه أجتني

جلّ قصدي

فأعيش بارتياحْ

ومنها أيضاً:

الولد:

يا ذا الأديبْ

والطالب النجيبْ

أين المسيرْ

في ذا الفجر المهيبْ؟

---

(٣٥) سا . ص ٧٥ .

(٣٦) سا . ص ٧٥ .

الطالب:

للمدرسة..

إلى مهد العلومْ

فيها النجاح   والنفع للأوطانْ!

وفي أناشيده التي قدمها للأطفال استمرار لأسلوبه الذي عرف به، إضافة إلى اهتمامه بالقيم الوطنية التي كانت شائعة بقوة، لهذا يقول في "يا بن سورية الفتية"(٣٦):

يا بن سورية الفتيه   أنت ذو المجد الرفيعْ

فانهج السبل القويه   قبلما الوقت يضيعْ

انتبه للعلم بادرْ

إن فجر العلم لاحْ

واملأ الأيام سعياً

غاية السعي النجاحْ

نصرة سعيد

علم آخر من أعلام شعر الأطفال في سورية، وهو مربٍ عمل في التعليم ردحاً طويلاً من حياته، لذا كان لديه قصائد وأناشيد ناجحة استطاعت أن تشكل مع الآخرين جزءاً مهماً من هذه التجربة الشعرية والتربوية الجديدة، ومن الجميل أن نجد عنده قصائد كتبت لأعمار مختلفة، فقد نلتقي بما هو خاص للأطفال الصغار جداً كما في "نم يا أخي البوبو"(٣٧):

نم نم يا أخي البوبو   مني لك الحبُّ

نم نم كفى تحبو   وليحمك الربُّ

نم نم يا أخي البوبو

* * *

(٣٦) سا . ص ٩٦.

(٣٧) موسيقا وأغاريد الطفولة . ص ٩ .

نم يا حبيبـــي نـــم   وقت التلهـــي تـــمْ
نم يا عيوني، احلم   نم يا فؤادي اســـلمْ
نم نم يا أخـــي البوبـــو
*   *   *
روحي ارقد الآنـــا   فالليـــل قـــد آنـــا
والـــنجم قـــد بانـــا   وقت الكرى حانـــا
نم نم يا أخـــي البوبـــو

وكما في "أهوى الغناء" التي تعتمد على إدخال أسماء العلامات الموسيقية والأصوات(٣٨):

أهـــوى الغنـــاء   نبـــع التهنـــي
أســـلو الغنـــاء   لمّـــا أغنـــي
دو دو سي سي   لا لا صـــــول
صول فا فا مي   مي ره ره دو
*   *   *
أهوى الـــصغير   مثـــل البلابـــلْ
عنـــد المـــسير   بـــين الخمائـــلْ
دو دو سي سي   لا لا صـــــول
صول فا فا مي   مي ره ره دو
*   *   *
نفـــسي تحـــب   ما كـــان لهـــوا
أهـــوى اللعـــب   والضحك أهوى
ها ها هـــا هـــا   ها ها هـــا هـــا
ها ها هـــا هـــا   ها ها هـــا هـــا

---

(٣٨) سا . ص ٣ .

وفي قصائد أخرى نجد الشاعر قد رفع من صلابة لغته، وبذلك نرجح أنه كان يفكر في طفل متوسط، أي بين الصف الرابع والسادس تقريباً، كما في "معهدي" التي يقول فيها(٣٩):

يا معهـــدي يـــا فخـــاري ‏‏ هـــواك مـــلء فـــؤادي
يـــا مرشـــدي ومنـــاري ‏ وقائـــــدي للـــــسداد
دم فـــي عـــلا وازدهـــار ‏ معـــــزّة لـــــبلادي
روض العلـــوم الجنيّـــه ‏ مدرســـــتي الوطنيّـــــه

و "وطني الحبيب"(٤٠):

يا أرض آبـــائي الكـــرامْ ‏ يا إرث أجـــدادي العظـــامْ
أرعى لك العمـــر الـــذمام ‏ لك في الحشا أسمى نصيبْ
أهـــواك يـــا وطنـــي الحبيـــبْ
يـــا جنـــة بكمالـــه ‏ يـــا روضـــة بجمالـــه
بـــسهوله وجبالـــه ‏ يا موطن الحسن العجيـــبْ
أهـــواك يـــا وطنـــي الحبيـــبْ
مهد الحـــضارة والهـــدى ‏ دمْ فـــي فخـــار للمـــدى
وإذا أتـــاك مـــن اعتـــدى ‏ يسقي ثراك دمي الصبيبْ
أهـــواك يـــا وطنـــي الحبيـــبْ

وللشاعر اختيارات تدل على فهم الطفل وما يميل إليه، إذ كتب الشاعر "أنشودة الربيع" ممجداً الطبيعة وواصفاً ما فيها من سحر وجمال(٤١):

الطير يشدو طربـــا ‏ قـــرب الحقـــولْ
والماء يجري طيبا ‏ بـــين الـــسهولْ
حـــل الربيـــع ‏ ســـلوى الجميـــعْ

(٣٩) النشيد والموسيقى . الفرا . ص ١٣١ .
(٤٠) سا . ص ١٥٠ .
(٤١) موسيقا وأغاريد الطفولة . ص ١٦ .

وللعيد يكتب نصرة سعيد "أنشودة العيد" (٤٢):

يا غنيــاً بالأمــاني وســخياً بالتهــاني
أنت نور في الزمان كل ما فيــك جديــدْ

وفي واحدة من أجمل قصائده وهي "الجمل" يقدم الشاعر قصيدة متفردة في طريقة صياغتها، حيث يعمد إلى المقاطع القصيرة، والجمل الطلبية، والتعجب واستخدام الأصوات والتنويع في المقاطع والقوافي والتفعيلات، هذا إضافة إلى الطريقة المدهشة في الحديث عن الجمل نفسه(٤٣):

من حملْ
واحتملْ
في العملْ كالجملْ ؟
ما أنفعكْ !
ما أرفعكْ !
هوب هوب هوب هوب يا جملْ

* * *

أنت سفينة البراري
بلا شراع أو بخارِ
لولاك سكان القفارِ
لم يسلكوا عبرالصحاري
مهما يَصرْ
دوماً يَسرْ
في البرّ في الحرّ في القرّ

ومن مساهمات الشاعر نصرة سعيد المتميزة أيضاً كتابته القصائد الراقصة، والتي تصلح لترافقها الدبكات والرقصات والألعاب كما في "حلقة اللعب" ببنائها الراقص(٤٤):

---

(٤٢) سا . ص ١٦.
(٤٣) النشيد والموسيقى . الفرا . ص ٩٢ .
(٤٤) موسيقا وأغاريد الطفولة . ص ١٠ .

مــن لعبــة للعبــه　　　هذي حياتي الحلوه

من رقصة لرقــصه　　　يا ما أحيلى السلوه

أحبتــي فلنلعــبْ　　　يا رفقتي فلنطــربْ

غنوا ارقصوا في الحلقــةِ

من قفــزة لقفــزه　　　هذا تمــام الــسعدِ

مــن دورة لــدوره　　　هذا مجــال الرغــدِ

فلنلعــب اللعبــاتْ　　　ولنرقص الرقصاتْ

غنوا ارقصوا في الحلقــةِ

من نزهــة لنزهــةِ　　　ذي غايــة الآمــالْ

من ضحكة لضحكةِ　　　ذي عيشة الأطفــالْ

هيا بنــا إخــواني　　　ولننــشد الأغــاني

غنوا ارقصوا في الحلقــةِ

ولشاعرنا اهتمام بالحكايات الشعرية، ومثال على ذلك ما كتبه في "الغراب والثعلب" فإن تفصيلات الحكاية معروفة، وأنقل ما قاله الشاعر في الختام على لسان الثعلب مخاطباً الغراب(٤٥):

وقــال للمخــدوعِ:　　　يا أبــشع الطيــورِ

أشبعت منك جوعي　　　بالمــدح والتكبيــرِ

نلــت مرامــي　　　فاســمع كلامــي:

من يكثر المــدائحا　　　يقصد بها مصالحا

وختاماً فإن نصرة سعيد قد أسهم في القصة الشعرية للأطفال، وبهذا يكون قد قدم للطفل القصيدة والنشيد وشعر الحكايات.

(٤٥) النشيد والموسيقا . القدسي . ص ٩٦ .

الفصل السابع

شعر الأطفال حتى الخمسينيات

الإسهام في شعر الأطفال شمل أسماء شعرية كثيرة مشهورة أو مغمورة، وقد تراوحت هذه المساهمات بين النتاج الغزير وبين المحاولات المتفرقة أو اليتيمة، لهذا أفردت لمن أعطى الكثير حيزاً خاصاً، أما في استعراضي هذا فسوف أمرُّ سريعاً بالمحاولات الكثيرة التي استطعت الوصول إليها لجميع الشعراء في سورية.

وسأبدأ بالزعيم الوطني المعروف والفنان فخري البارودي. فله عدة قصائد للتلاميذ كانت من الزاد الأول في العشرينيات، وعلى رأسها "نشيد سورية" ونصه[1]:

أنت سـورية بـلادي   أنت عنـوان الفخامـة
كل من يأتيـك يومـاً   طامعاً يلقـى حمامـة

* * *

أنت سـورية بـلادي   في جبين الأرض شامة
لـن تكـوني لـسوانا   ولأعـداك الندامـة

* * *

كم شهيد بـاع نفـساً   لـك حبـاً وكرامـة
جعـل الـنفس فـداك   أفـلا نحيـي مرامـة

* * *

---

(١) سلسلة المحفوظات العربية ١ / ٢ .

نحن في الحرب أسـود　　　ولدى العلـم حمامــة
نطلب المـوت لنحيـا　　　هل على هذا ملامــةْ؟

ومن المعروف أن الشاعر فخري البارودي هـو مؤلف النشيد الخالد "بلاد العرب أوطاني" ومن المؤكد أن الحاجة إلى الأناشيد الحماسية للكبار خلقت حاجة مماثلة إلى العناية بأناشيد الأطفال، ففي "الكشاف" يقول البارودي(٢):

سيروا بجد في المــلا　　　وامشوا بنا إلى العــلا
فــلا تنــال الأمـــلا　　　إلا بجـــد واجتهـــادْ

ومبكراً كان البارودي من أنصار تعليم الفتاة، ودلالة على ذلك فقد خصص قطعة أرض له هدية لإقامة مدرسة لتعليم الفتيات في بلدته دوما، وقد كتب "أغنيـة الفتاة" قائلاً(٣):

يا بني الشام استفيقوا　　　حـسبكم ذاك الـسباتْ
عبثـاً نيـل المعـالي　　　دون تعلـيم البنـــاتْ
لا معالي(*) لا مزايـا　　　لا ترقـــي لا حيـــاةْ
كـل هــذا مـستحيل　　　مـع جهـل الأمهـاتْ
نحن لا نحيـا بأسـر　　　جـاهلات خـاملاتْ
إنمــا نحيــا بعلــم　　　يقتضي أسمى الصفاتْ
فــإذا أبـصرتمونا　　　فتيـــات عالمـــاتْ
فاهتفوا يا قوم بشرى　　　للـــبلاد البائـــساتْ

---

(٢) منتخبات الأناشيد العربية . العقيلي . ص ٤ .
(٣) سلسلة المحفوظات العربية ١ / ٢٩ .
(*) كذا في الأصل .

وثمة شاعر آخر تردد اسمه في مصادر مبكرة هو أديب التقي، وله ديوان مطبوع، وكان ممن أسهم في كتابة بعض المحاولات الشعرية للأطفال كما في "هبت إلى السعي الطيور"(٤):

هبت إلى السعي الطيورْ
وراحت النحل تدورْ
هبوا للسعي لا تنوا
فالناس بالعلم ارتقوا

يا بن المكتبْ	جدَّ واتعبْ
باجتهاد ودوامْ	ترتقي في كل عامْ

وبإحساس قومي جميل وأداء موفق كتب التقي للأطفال "صوت الجدود"(٥):

وطننا يندبنا	للسعي والجد الكثيرْ
أمتنا ترقبنا	يا أيها الطفل الصغيرْ
أجدادنا ضمن اللحود	يدعوننا للنهوضْ
فاصغوا إلى ندا الجدود	وعجلوا أدا الفروضْ
وطننا له حقوق	مثل حقوق الوالدينْ
فعودنا عنه عقوق	مثل عقوق الأبوينْ

وقد خص دمشق مدينته الرائعة بقصيدة سلسة وبسيطة بعنوان "روابي قاسيون"(٦):

يا روابي قاسيونْ	كل قلب فيك هاما
كلما زاد بعاداً	زاده البعد هُياما

* * *

(٤) علم الموسيقى. الصواف . ١٠٨ .
(٥) مجموعة الأغاريد ٣ / ١٢ .
(٦) ديوان التقي. ص ٢٣٢ .
(**) في الأصل: تحول.

أنــت للغوطــة حِــرزٌ   صـــانك الله دوامـــا
ما ســما صــخرك إلا   ليحاذي الـنجم هامــا

*   *   *

اذكــري عهــد كــرام   ضربوا فيــك الخيامــا
وبنـــوا فيـــك قبابـــاً   نورها يمحو الظلامــا

*   *   *

أدرتْ تلـــك الرواســـي   وهـــي شُــمٌ تتــسامى
أنهـــا قامـــت تحيـــي   من مُعَلاهـــا الـــشآما؟

وميخائيل الله ويردي شاعر معروف وموسيقي كبير عرفته سورية في النصف الأول من القرن العشرين، وله ديوان كبير وأنيق مطبوع باسم "زهر الربى" إضافة إلى عدة مؤلفات في الموسيقا.

ومن إسهاماته قصيدة "الغناء العربي" يقول فيها(٧):

طلع الفجر على الفن الذي استهوى الأنامْ

فـــإذا العهـــد ربيـــع   وإذا الـــدنيا ابتـــسامْ

*   *   *

فلنردد يا رجال العرب ألحان الجــدودْ

ولنصنْ خيــر تــراث   فهـــو رمـــز للخلـــودْ
فبأنغـــــام حـــسان   مثلـــــــــت أدوارهْ
وجمال الــشرق بــاقٍ   حيـــــة آثـــــارهْ

*   *   *

والغناء الحـــيّ يـــذكي   في الورى أسمى الهممْ
فكأن الفـــن مقيـــاس لأمجـــاد الأمـــمْ

*   *   *

---

(٧) أغاني الديار . الصواف . ص ١٠٠ .

وكـــأن المجــد روح حــدثتنا فــي المهــودْ

فليــسدْ فينــا طمــوح عــلَّ ماضــينا يعــودْ

وفي "العام الجديد" نلمس روحاً إنسانية فياضة لدى الشاعر، حيث تشيع المحبة وروح السلام في تضاعيف الأبيات كقوله(٨):

كلنا في الأرض جــارْ فلنصن عهــد الســلامْ

وبــــــلاد الله.. دارْ خير ما فيهــا الوئـــامْ

هذه الروح الإنسانية تشيع في كل شعره ونشاطه الفني والفكري، إذ يقــال إنه كان من المرشحين مبكراً لجائزة نوبل للسلام أكثر من مرة، وعلى المنوال نفسه يكتب في "الوطن" التي تعود إلى عام ١٩٢٠(٩):

وطني هو الأرض التي عرفت هموم حــداثتي

منها رشفت العلم حتى نلــت منــه كفــايتي

وخلصت من درسي إلى عملي وبدء روايتـــي

والآن يا وطني ألست بحاجة لرعــايتي ؟

أفديك من راعٍ يحنّ عليّ منــذ ولادتـــي

أطعمتني الثمر الشهي وكنت دار سعادتي

وسقيتني الماء الزلال وفي هوائك راحتي

قسماً سأرعى تربك الميمون طوع إرادتي

فكرامة الوطن الذي أهواه نــدٌّ كرامتـــي

وسلامة الأرض التي أحببت مثل سلامتي

وطني كبيتي أبتنيه وأرض غيري جارتي

هذا اعتقــادي فلــيكن يوم الفخــار قلادتـــي

---

(٨) النشيد والموسيقا . القدسي . ص ١٤٦ .

(٩) زهر الربى . ص ١٥٩ .

وتمتاز تجربة ويردي بالأصالة والصياغة السليمة، إذ تخلو من الضعف الإيقاعي والأسلوبي الذي كثيراً ما يمرّ بنا عند كثيرين، ومثال أخير على ما قدمه الشاعر هذا النشيد الذي كتبه للعلم منوعاً فيه في تكوينات النشيد المختلفة(١٠):

أمـــة العـــرب تنـــادي يـــا أســـودي النـــبلاءْ

جــــــددوا العهــــــودْ

واستعيدوا بالجهادِ وادّكار الشهداءْ

عــــــزة الجــــــدودْ

فلنــسرْ نحــو العلــى بوئــــام واتحــــادِ

نــــأمن المحــــنْ

ولــنكن نــور المــلا إن عهد المجـد عــادْ

يــــا بنــــي الــــوطنْ

الشاعر بدر الدين الحامد من أعلام الشعر الكلاسيكي في سورية، وقد يصح أن نطلق على شعره أنه من الكلاسيكية الجديدة، فهو من قلائل أضفوا على الإطار التقليدي الكثير من روح التجديد والتمرد، وقد يكون من مظاهر ذلك التفاته إلى وضع الأناشيد القليلة، والتي كانت زاداً هاماً لتلاميذ المدارس، فله "يا بن سورية تقدم"(١١):

يا بن سورية تقدمْ واجنِ أثمار العــلا
واستعد مجداً قديماً صار رهنــاً للبلــى

و"نداء الوطن"(١٢):

هاج في النفس الـشجنْ طـــائر فـــوق الفــــننْ
ينــــدب القـــوم وهـــم فــــي خمـــول ووســــنْ
يا بنـــي العـــرب كفـــى مـــا لقينـــا مـــن محـــنْ

---

(١٠) سا . ص ١٦٣ .
(١١) علم الموسيقى . ص ١٠٦ .
(١٢) سا . ص ١٠٢ .

فاعقـــــــدوا نيـــــــاتكم	ترفعـــوا هـــذا الـــوطنْ
أنـــــــتم الكـــــــرام	يــــا بنـــــي الـــشآمْ
مــــــا لكـــم نيـــامْ	والأســـــــى أقـــــامْ

فـــي حمـــاكم والـــسكنْ

وكما سبق أن لاحظنا عند الشعراء الذين تحدثوا عن الكشافة فإن شاعرنا له "الكشاف السوري" وهو نشيد حماسي، يعتمد على بحر الرمل والتقفية الثنائية، وإليكم المقطع الأخير منه(١٣):

لن تراعوا من خطوب ومحنْ	تتوالى كيفما شـــاء الـــزمنْ
أنتم الذادة عن هذا الـــوطن	بقواكم فاسلكوا خيـــر ســـننْ
وخذوا العلم قنـــاة وحـــسامْ	واتحاد الرأي رمزاً ووســـامْ
لا تكونوا فرقاً بـــين الأنـــامْ	يا بني يعرب فالعيش صـــدامْ

ومن أناشيده الناجحة "نشيد خاص لمدرسة ملجأ الأيتام" لأنه بذل جهداً ملموساً في تكوين شكل تجديدي للنشيد إيقاعاً ووزناً وقوافي ومنه هذا المقطع(١٤):

دار اليتـــــامى دارنــــا	والعلـــم فيـــه نورنــــا

قـــــد طـــــاب عيـــــشنا

وراق وردنـــــــــــــــــــــا

وســــــــــار ذكرنــــــــا

بـــــــــين الأنــــــــام

بين الجنـــان اليانعـــةْ	سحر الأغاني الرائعـــةْ
فالأذن فيهـــا ســـامعةْ	والنفس فيها خاشـــعةْ

قـــــد طـــــاب عيـــــشنا

(١٣) سا . ص ١٠١ .

(١٤) مجموعة الأغاريد ج ١ ص ٤٢ .

وكتب الشاعر شفيق جبري ثلاث قصائد للأطفال هي "أغنية المغلول"(١٥) و"مناجاة الطير"(١٦) و"ترقيص الطفلة"(١٧) متأثراً كما قال بما قرأه من شعر الأطفال عند مصطفى صادق الرافعي، إلا أن النماذج التي قدمها جبري تحمل لغة الكبار وهمومهم، إضافة إلى تقليدية واضحة في الأسلوب الشعري، إذ يقول الشاعر في قصيدة "ترقيص الطفلة":

وميض البرق في ثغركْ فديت البرق والثغرا
وهذا الشعر من سحركْ فمن علمك السحرا؟
يحار الدر في نحركْ فضحت الدر والنحرا
فما أسماك في طهركْ! ملكت العفَّ والطهرا

وكان لخير الدين الزركلي دور بارز في وضع الأناشيد الأولى في سورية، وقد دخلت في وجدان الكبار قبل الصغار كما في نشيد يعود إلى عام ١٩١٢ هو "هيا بنا" ومنه(١٨):

نحن بني العرب الكرامْ من شأننا حفظ الذمامْ
وضيفنا ما إن يضامْ ومن يضيم ضيفنا؟

ونشيد "الفتيان" الذي يقول فيه(١٩):

السرى للعلى في سبيل الوطنْ

* * *

نحن فتيانه حارسو غابتِهْ
مطلعو فجره رافعو رايتهْ

---

(١٥) نوح العندليب . ص ٧ .
(١٦) سا . ص ٩ .
(١٧) سا . ص ١٠٧ .
(١٨) ديوان خير الدين الزركلي . ص ٤٨.
(١٩) سا . ص ٩٤ .

و"أجج الضرم"[٢٠]:

امـــضِ واثبـــا للخطـــى ثمـــنْ

لا مراقبـــــــا غفلـــة الـــزمنْ

صـــاح صـــاخبا صارخ الـــوطنْ

وفي "أنشودة العامل" نقرأ تجربة فيها عناية واضحة بالتكوين الفني للأنشودة، حيث التنويع ظاهر في كل شيء[٢١]:

إلى العملْ إلى العملْ أي أملْ بلا عجلْ؟

ســـــواعد شـــديده ونهـــضة مجيـــده

وأمــــة رشـــيده بجدها جـــرى المثـــلْ

* * *

الطيـــر فـــي صـــباحه يـــسعى إلـــى رباحـــه

ينفض عـــن جناحـــه ندى التواني والخبـــلْ

* * *

يـــد إلـــى يـــد تمـــدْ وســـند إلـــى ســـندْ

نعمل فـــي جـــد وكـــدْ وفي اغتبـــاط وجـــذلْ

ولشاعرنا قصيدة بعنوان "أوطاننا"[٢٢] ومنها:

أوطاننـــا نحيـــا لهـــا ونفتـــديها بـــالنفوسْ

إن لم نـــصن ظلالهـــا لا طلعت فينا الشموسْ

وقد عرفت دمشق مربياً مشهوراً ذائع الصيت في مطلع القرن العشرين هو الشيخ العلامة عبد القادر المبارك، وقد وضع عدة قصائد وأناشيد للأطفال، وإن ساد فيها جو من البناء التقليدي كما نرى في "صوت الوطن"[٢٣]:

---

(٢٠) سا . ص ٣٤٥ .

(٢١) سا . ص ١٤٥ .

(٢٢) سا . ص ٣٤٨.

(٢٣) مجموعة الأغاريد . ص ٨ .

يا بن سورية استعد مجد البلادْ   من طريف مستفاد أو تلادْ
ناهضاً نحو الترقي بالعملْ   كي ترى أثمار أشجار الأملْ

وقصيدة بعنوان "يا وطني" منها[٢٤]:

يا وطني يا أعز البلادْ   أنت كأمي وأبي
يا وطني يا صديق الفؤادْ   عندك أقصى مطلبي

وله قصيدة سماها "أغنية" يتوجه بها إلى الفتاة العربية، يقول فيها[٢٥]:

يا بنة العرب الصغيره   بادري نحو العلا
ولتكن بنت الجزيره   زهرة بين الملا
إن أسلافك كانوا   زينة القوم الألى
فليسد نسلك علماً   وليضاه(*) الدولا

ووقعت على نص قديم لشاعر اسمه عبد الرحمن قات، كتب قصيدة تقترب كثيراً من مفهوم شعر الأطفال، ولم أعثر له على نص آخر، وعنوان القصيدة "ألعوبة" وهذا نصها كاملة[٢٦]:

الطابة الخضراء:

لي طابة ظريفهْ   قد اشتراها لي أبي
خضراء لونها الحسنْ   يا فرحي يا فرحي

الطابة الزرقاء:

أما أنا يا إخوتي   هل تعرفون طابتي ؟
زرقاء مثل بطتي   ألهو بها مع قطتي

---

(٢٤) سا . ص ١٩ .
(٢٥) سلسلة المحفوظات العربية ١ / ١٤ .
(*) في الأصل : وليضاهي .
(٢٦) مجموعة الأغاريد . ص ٣٥ .

الطابة الصفراء:

وها أنـا لـي طابـه   صـفراء كالليمونـة
أعطتنهـا صـباحاً   والـدتي الحنونـه

الطابة الحمراء:

لـي طابـة طيـاره   ألهو بها مـع سـارة
حمـراء مـا أجملهـا   تـنط مثـل الفـاره

الجميع إلى الحمراء:

لم نـر قطعـاً مثلهـا   حقـاً جميـل شـكلها

الحمراء:

هيـا إذاً هيـا بنـا   نلعـب بهـا جميعنـا
ها قد وصلنا الملعبـا   يا مرحباً يـا مرحبـا

الجميع:

احذرْ احذر أين الطابةْ   الطابة ضاعت لا لا لا

وهناك الشاعر تيسير ظبيان الذي عاش في أكثر من قطر في المشرق العربي، ومارس التعليم والصحافة ومن قصائده "مناجاة الوطن"[(٢٧)]:

وطني أنـت الحبيـبْ   وأنـا صـبٌّ كئيـبْ
إن ذوى غصني الرطيبْ   فلتعش حـراً مـصونْ

ولسليم الزركلي عدة أناشيد مشهورة منها "نشيد الطلاب"[(٢٨)]:

أمـل لاح علـى فجـر الـشبابْ

---

(٢٧) الأناشيد العصرية . ص ٤٧ . وفي مجموعة الأغاريد ج ١ . ص ٧ باسم "الوطن السوري" مع تغييرات طفيفة .
(٢٨) أغاني الديار . ص ٩٨ .

مشرق الأحلام منضور الشعابْ

يملأ الدنيا بألحان عذابْ

روعة الفنون في إهابة

متعة العيون في رحابة

نحن ذاك الأمل اللامع في أفق البلادْ

نحن ذاك القبس الساطع في ساح الجهادْ

و"نشيد الكشاف" (٢٩):

بأفئدة بأسها من حديدْ

وأدمغة أولعت بالجديدْ

نريد الحياة نبوغاً وفنا ونهوى الحياة فتوناً وحسنا

تخذنا السلاح سبيلاً وهما

ورضنا الزمان نشاطاً وحزما

بأجنحة ما تني في صعودْ

تحطم ما يعتري من سدودْ

نحب الحياة صفاء وبشرا ونبغي الحياة جمالاً وشعرا

ووضع إدوار مرقص عدة قصائد وأناشيد للأطفال بشكل مباشر، خاصة أنه كان معلماً مرموقاً ومؤلف كتب مدرسية لشتى المراحل في فترة الثلاثينيات، ومن قصائده "أيها الطفل"(٣٠):

أيها الطفل المفدى أنت مجموع الأماني

أنت نور مقدسي عنه يعيا القمرانِ

ليس أفق لك في الدنيا ولكن أفقانِ

والدا فضل وحب وحنو مسعدانِ

---

(٢٩) النشيد والموسيقا . القدسي . ص ١٤٢

(٣٠) ديوان إدوار مرقص . ص ٣٠٣ .

وله "نشيد ناشئة"[٣١] و"محاورة مدرسية"[٣٢] و"نشيد استقبال مدرسي"[٣٣] و"نشيد مدرسي" الذي فيه[٣٤]:

يا بني الدرس استعدوا	أن تكونوا للبلادْ
دأبكم حزم وجهد	إنما الدنيا جهادْ
إن تكونوا اليوم ولداً	فغداً أنتم رجالْ
ترتجي الأوطان مجداً	منكمُ باهي الكمالْ

ولا تخفى هذه النظرة الذكورية التي ألغت الفتيات من بين "بني الدرس"، فالحديث موجه لمن سيكونون رجالاً.. لا نساء!.

والمربي الكبير والشاعر عمر يحيى حاول في هذا المجال أيضاً، ولكن ما فعله أشبه بمحاولة شفيق جبري، من حيث ابتعادها عما تتطلبه الطفولة من لغة وعوالم خاصة لهذا جاءت قصيدته "مدرستي" على هذا النحو، وهي مكتوبة عام ١٩٣٨[٣٥]:

مدرستي فيك المعالي تطلبُ	وفيك ينمو الأمل المحببُ
العلم في روضك معسول الجنى	وارفة أغصانه والأدبُ
كم من فتى لولاك ما كان له	في دولة الأيام ذكر يكتبُ
بالعلم نبني ما بنى أجدادنا	ويستعاد الغابر المحجَّبُ

وله قصيدة بعنوان " ابنتي رفيف " منها[٣٦]:

رفيف يا لمحة شعر حافل بالروعةِ
يا بسمة في شفتي وزهرة في روضتي
يا عطر روحي، يا صباي، يا أعز وردةِ

---

(٣١) سا . ص ١٦٦ .
(٣٢) سا . ص ١٥٠ .
(٣٣) سا . ص ٣٢١ .
(٣٤) سا . ص ١٤٩ .
(٣٥) ديوان عمر يحيى ٢ / ١٠٣ .
(٣٦) سا ٢ / ٢٢٦.

وأنور العطار واحد من شعراء سورية المجددين، وهو معروف بشعره الرومانسي الرقيق في ديوانه "ظلال الأيام"، وله عدد من القصائد والأناشيد المدرسية منها "الفتوة"[٣٧] و"مدرستي"[٣٨] التي يقول فيها:

مدرستي مدرستي يا مطلبي ومهجتي
لأنت مونل الصبا ومسرحي وروضتي
أيا سرحة الفكر الوارفه غصونك منا ومنا الطيورْ
نفديك راعية عاطفه ونصفيك أصدق ما في الصدورْ
ونحميك من قارعات الدهور
نغني وأنت النشيد الرقيق وأنت المرام وأنت المنى
حبسنا عليك الوداد الشفيق وعشنا هواك فعيشي لنا
وجودي علينا بضافي السنا
مدرستي مدرستي يا مطلبي وبهجتي
لأنت مونل الصبا ومسرحي وروضتي

وله قصيدة اشتهرت في الكتب المدرسية للمرحلة الابتدائية، وهي "الشجرة" التي يقول مطلعها [٣٩]:

أفيضي على الكون شتى الصورْ فأنت المرام وأنت الوطنْ
لقد زين الله هذا الوجودْ بوشي الحقول وزهو الشجرْ

وفي كتاب "نخبة الأغاريد" لزكريات البيات الصادر عام ١٩٢٥ نصوص عديدة لم يذكر اسم مبدعها، وهو أمر يربك الباحث، فإذا كان يستطيع أن يكتشف بعض كتاب تلك النصوص، فإن الكثير منها يبقى مجهولاً، وهو أمر نلحظه

---

(٣٧) أغاني الديار . ص ٩٤ .
(٣٨) سا . ص ٩٠ .
(٣٩) ظلال الأيام . ص ٩٠ .

أيضاً في سلسلة المحفوظات العربية بأجزائها الثلاثة الصادرة عام ١٩٢٣ لعبد الرحمن السفرجلاني، وكذلك "الاستظهار المصور" الصادر عام ١٩٣٤.. وتستمر القائمة لو أردنا تتبعها. إننا نترك أمر هذه النصوص لمن يستطيع أن يكشف عن كتابها.

وبعض هذه النصوص تجارب مهمة في شعر الأطفال، كما في "نشيد الدائرة" مثلاً[٤٠]:

امسكوا يـداً بيـد	واركضوا في دائره
رتبـوا أرجلكـم	وهي فيها سـائره

* * *

صفقوا يـداً بيـد	وقفوا فـي دائـره
رفرفـوا أجـنحكم	كالحمـام الطـائره

نلتقي أيضاً خليل مردم في قصيدة طريفة اسمها "الذُعَرة" وهي نوع من العصافير، فيصفها بشكل محبب، ويختار هذا الإيقاع الراقص[٤١]:

يا حسنها طـوَيئره	بروضـة منـوره
أيامنا من الظـلال	كالليـالي المقمـره
على ضفاف جدول	مياهـه مثرثـره
منقارهـا وعينهـا	عقيقـة وجـوهره
وكفهـا خـضيبة	وسـاقها مـشمره
تلفتـت مريبـة	مـذعورة منفـره
إلى عـل وأسـفل	ويمنـة وميـسره
وانتفـضت كأنهـا	قد بللتهـا مطـره

(٤٠) نخبة الأغاريد . ص ١١ .

(٤١) ديوان خليل مردم . ص ٦٩ .

وذبـــذبت بـــذيلها　　　تـــضمه لتنـــشره
فتـــارة منفـــره　　　وتـــارة مـــصفره
ومن هنـــا وهنـــا　　　تدور دور البكـــره
ورجعـــت بلحنهـــا　　　معيـــدة مكـــرره

كما عرف عن المربي الكبير د. أمجد الطرابلسي مساهمات في شعر الأطفال، وقد شارك في تأليفه الكثير من الكتب المدرسية في القراءة والمحفوظات، ومن قصائده المشهورة "الطفل القاسي" وهي تشبه قصيدة لعبد الكريم الحيدري في فكرتها[٤٢]:

أيهـــا الطفـــل وهـــل أقـــبح مـــن طفـــل غـــشومْ
ما جنى ترْ بك حتـــى　　　سِيمَ ألوانَ الهمتـــومْ؟
جـــسمه الأزغـــب لا يـــنهض بالخطـــب الجـــسيمْ
يتنـــزّى فرقـــاً كـــالزهر فـــي لفـــح الـــسمومْ
أو كغصن مرعش مـــا　　　بين عـــصف وهـــزيمْ

* * *

أمه يـــا طفـــل تبكـــي　　　في دجى الليل البهـــيمْ
تتمـــشى فـــوق أغـــصان الربـــى مـــشي ســـقيمْ
لم تذق طعم الكرى من　　　جرحها الدامي الألـــيمْ
غاب لا تـــدري أحـــيّ　　　هو أم بعـــض الـــرميمْ
عد به للوطن الغـــالي　　　ولـــلأم الـــرؤومْ
وارحـــم الـــضعف فمـــا يقـــسو ســـوى الباـــغي اللئـــيمْ
كـــن رحيمـــاً إنمـــا الإنـــسان ذو القلـــب الـــرحيمْ

---

(٤٢) أزهار الأدب العربي ١ / ٥٩ .

ولفخري أبو السعود قصيدة لطيفة اسمها "القطة"[٤٣]:

بادلتها الـوداد مـن زمـانِ | كأكرم الأصـحاب والخـلانِ
تهشّ لي حين تراني بـشرا | وتعقص الذيل وتحني الظهرا
تمسح بي فراءهـا الـصقيلا | ترتقـب التربيـت والتـدليلا
لهـا فـراء نـاعم كثيـفُ | مهـدّل مرجـل نظيـفُ
ثيابنـا والفـرش والوسـادُ | أو حجر من شاءت لها مهادُ
تنام فـي الظهـر وكـل آنِ | وتسهر الليـل بـلا أشـجانِ
تجوس في الدار وفي الحديقه | تطلب فأراً تبتغـي تمزيقـه
مكرمة حيث مـضت أميـره | عزيـزة مـا بيننـا أثيـره

وأختم الحديث عن محاولات شعر الأطفال في سورية حتى الخمسينيات بقصيدة رائعة للشاعر بدوي الجبل (محمد سليمان الأحمد) وهي بعنوان "البلبل الصريع" وهي مكتوبة عام ١٩٢٢ وفيها يقول[٤٤]:

عاش ما عاش طليقاً في الربى | والربى حسن ولون وعبيرْ
يتغنـى بأناشـيد الهـوى | ناعماً بالعمر والعمر قـصيرْ
فغدا اليـوم أسـيراً بعـدما | كان حراً بين روض وغـديرْ
من لباب البر قـد أطعمتـه | ولقد أرشفته المـاء النميـر
غير أن الطير فاضت روحه | بين حزن وشـهيق وزفيـر

* * *

أيها الصياد لا تنـصب لـه | شركاً واسمح بتقطيع الشركْ
دعـه حـراً فلقـد صـوره | خالق الكون الذي قد صوّركْ
تعس الصياد مـن ذي قـوة | جرّب الدنيا طـويلاً وعـركْ

---

(٤٣) الكتاب الوحيد . الحبال . ص ٣٠ .

(٤٤) ديوان بدوي الجبل . ص ٤٧٩ .

مذ رأى البلبل في غفلته صوّب السهم إليه وبركْ
فارتمى الطير صريعاً وهوى تاركاً أفراخه فيما تركْ

في نظرة متمعنة إلى شعر الأطفال الذي شهدته سورية حتى الخمسينيات نلاحظ أن هذا الشعر نشط بتأثير من حركة النهوض الوطني والقومي، ودخول البلاد معترك الانفتاح على التعليم والعلم والعالم، لذا نشط هذا اللون الأدبي على الأخص في العشرينيات والثلاثينيات، لكنه ركد وتراجع الاهتمام به فيما بعد من قبل الشعراء، لكن الاهتمام سيشهد انطلاقاً جديداً في عام ١٩٦٩ مع ولادة مجلة "أسامة" التي صدرت في ١ شباط من ذلك العام، ونبهت الشعراء من جديد إلى أهمية شعر الأطفال وضرورته.

والتقت مجلة أسامة في هذا الدور بما شاع بعد نكسة حزيران من اتجاه نحو المستقبل، والإيمان بالجيل الجديد إحباطاً ويأساً من الأجيال السابقة، فراح شعراء كثيرون يرون في الكتابة للطفل عزاء ومشاركة وجدانية في صنع الأمل.

الفصل الثامن

شعر الأطفال منذ السبعينيات

مر شعر الأطفال في سورية بما يشبه المرحلة الانتقالية فقد انقطع النتاج النشيط في هذا اللون منذ أواخر الثلاثينيات من القرن العشرين حتى انطلاق مجلة "أسامة" التي دفعت شعر الأطفال كماً ونوعاً إلى الأمام.

ثم عاضدها بقوة ظهور مجلات وصفحات خاصة بالأطفال، كذلك برامج الأطفال في الإذاعة التلفزيون، وبدأت وزارة الثقافة واتحاد الكتاب العرب في سورية بنشر مجموعات شعرية خاصة بالأطفال، إضافة إلى النشر الخاص. أما المرحلة الانتقالية فكان يملؤها نتاج مأخوذ عن الشعراء المصريين منذ القرن التاسع عشر، مع غياب ملحوظ للنتاج السوري في الكتاب المدرسي، ما عدا المساهمات النشيطة للدكتور جميل سلطان وبعض القصائد اليتيمة لأسماء لا نعرف لها نتاجاً شعرياً أو نثرياً للأطفال كنهاد الطرزي الذي له قصائد جميلة مثل "حان الدرس"(١):

حــــان الـــــدرسُ   رن الجـــــــرسُ

اســـــمعوه.. اســـــمعوه

صــــوته جميـــلُ   مـــا لـــه مثيـــلُ

دِن.. دَن.. دُن

---

(١) النشيد والموسيقا . الفرا . ص ٥٣.

هيـــا نـــسعى   نحـــو العلـــمِ

والعرفـــان.. والعرفـــانْ

جـــرس يـــرنُ   فـــي الأذن يطـــنُ

دن.. دن.. دن

أو "الوطن الغالي" لعبد المجيد المشوح(٢):

موطني غال علـــيْ   خير شيء في يدَيْ

أنا محتـــاج إليـــه   وهو محتـــاج إلـــيْ

* * *

كلمـــا ازداد علـــوا   زدت في الكون سموا

من له صار عـدوا   دســـته بقـــدميْ

ولدت مجلة "أسامة" وعلى صفحاتها درج شعراء كبار وصغار، بعضهم نجح وواصل، وبعضهم نجح ولكنه انقطع، وبعضهم لم ينجح ولم ينقطع!.

شهدت ولادة أسامة عدداً من المساهمين في كتابة شعر للأطفال، فقد نشر العدد الأول قصيدة ناجحة للشاعر حامد حسن هي "الخبز"(٣):

أنـــا الخبـــز أنـــا الخبـــز   أنـــا النعمـــى أنـــا الكنـــزُ

إذا ما كنـــت فـــي بيـــت   يتيـــه البيـــت يعتـــزُ

أنـــا الخبـــز.. أنـــا الخبـــز

أنا المولـــود مـــن حبـــه   مـــن المحـــراث والتربـــةْ

تغربـــت وعانيـــت   مـــن الأســـفار والغربـــةْ

أنـــا المولـــود مـــن حبـــةْ

أنا في الحقل في نيسان مرج ناضر أخضرْ

---

(٢) النشيد والموسيقا . القدسي . ص ٤٨ .

(٣) أسامة العدد ١ – ١٩٦٩ .

ولمـــا شــبت شـــالوني بزنـــد الحاصـــد الأســـمرْ

مـــن الحقـــل إلـــى البيـــدر

رضيت الـضرَّ مطواعـا وكـــل الـــشر والغـــبنِ

وسحق الجسم في الطحنِ وحر النـــار فـــي الفـــرنِ

لأشـــبع كـــل مـــن جاعـــا

ثم توالت قصائد أخرى له مثل "قطي"[٤] و"المظلة" التي منها[٥]:

تـــرقص كالـــشيطانه مبتلـــــة فرحانـــــة

تـــــسبح كالـــــشراع من فـــوق رأس الراعـــي

تقـــول: لـــولا المطـــر مـــا اهـــتم فـــيَّ البـــشرْ

وعـــشت فـــي الخزانـــه ذليلـــــة مهانـــــة

مغلقـــــة مطويـــــه مهملـــــة منـــــسية

لا تفـــــرح المظلـــــه إن لـــم تكـــن مبتلـــة

ظلي ارقصي ظلي العبـي فـــي المطـــر المنـــسكبِ

وله "المنجم"[٦] وهي حكاية شعرية أعاد صياغتها، ثم كتب شعراً وطنياً للأطفال، وعندها نلحظ أن صاحب تلك القصائد الجميلة كتب شعراً خطابياً مباشراً وجافاً كما في "نشيد الفدائي العربي"[٧] و"جبل الشيخ حرمون" التي يقول في بعضها[٨]:

ودمشق دمشق العربيـــه لم ترض غيـــر الحريـــه

تطلع من بـــردى بركانـــا يغرق باللهـــب الجولانـــا

(٤) سا . العدد ٧٩ – ١٩٧٢ .

(٥) سا . العدد ٨٨ – ١٩٧٢ .

(٦) سا . العدد ١٨٣ – ١٩٨٢ .

(٧) سا . العدد ١٢٦ – ١٩٧٤ .

(٨) سا . العدد ١٢٨ – ١٩٧٤ .

تسكب فيه فوق الـــوهجِ نور المقل.. ودم المهـــجِ

شعبي جيشي يمشي زحفــا قصفاً قصفاً قصفاً قـــصفا

في العدد الأول من "أسامة" كتب الراحل حسيب كيالي المسرحية الشعرية "الديك الصديق" ونشر بعض القصائد، إلا أنني أعتقد أنه أحس بضعف ما قدمه، فكف عن مواصلة التجربة، مع أن في ما قدم حداً مقبولاً من النجاح، كما في حكايته الجميلة "الحب"(٩) وقصيدة في عيد الأم، ونصها(١٠):

في عيد الأمْ

أتقنت الرسمْ

أحسنت الفهمْ

ومعلمتي قالت: " مرحى

هذا إملاؤك قد صحًا !"

فأتيت أبشر بي أمي

وأقول لها: " لا تهتمي

ماذا أهدي لك في العيدِ؟ "

قالت: " تهدي لي يا عيدي

أن تأخذ في درس الإملاءْ

أولى. هذا أحلى إهداءْ!"

أرأيتم أعظم من أمي

قولوا لي يا أهل العلمِ؟

وأسهم نجاة قصاب حسن(*) في شعر الأطفال، فكتب عدداً من القصائد الجميلة، وبعضها مما يلائم الطفل الصغير جداً كما في " الساعة "(١١):

---

(٩) سا . العدد ١٥٩ – ١٩٧٥ .

(١٠) سا . العدد ١٩٧٤ – ١٩٧٦.

(*) المرحومان حسيب كيالي ونجاة قصاب حسن كانا عضوين في أول هيئة تحرير لمجلة أسامة الصادرة في سورية .

(١١) الأناشيد . العيسى ص ٤٧٩ .

تــك تــك تــك تــت

مثـــل الـــساعه	**تك تـك تـك تـكْ**
إبـــــدأ دومـــــاً	**رتـــب وقتـــكْ**
إنهـــض بـــاكر	**واهجـــر نومـــكْ**
إغـــسل والـــبس	**وامـــلأ يومـــكْ**

وله "الشعب العامل"(١٢) و"بلاد الشباب"(١٣) و"أحلامي"(١٤) التي تقول كلماتها:

أحلامي أن أكبر أكبــر	**حتى أصبح طول البابْ**
أن أتعلم مــاذا يعنــي	**خط مكتــوب بكتــابْ**
أن تهديني أمي لعبــه	**ألبسها أحلى الأثــوابْ**
تأكـــــل مثلـــــي	**تــــشرب مثلـــــي**

وتشاركني في الألعابْ

والشاعر مصطفى عكرمة من القلة التي بدأت وواصلت كتابة شعر الأطفال منذ أكثر من ثلاثين سنة، وأصدر العديد من المجموعات الشعرية لهم، وقدم الكثير من القصائد الناجحة، وقد نوّع الشاعر، حتى إنه أراد أن يغطي معظم عوالم الطفولة، وما يريده من قيم لها، وتغلب على نتاجه أجواء دينية، والتفات دائم إلى التراث ورموزه، ولكنه لم يغفل جوانب كثيرة هامة للطفل، فله مثلاً قصيدة "الهرة" التي تبدأ هكذا(١٥):

في منزلنـــا تحيـــا هـــره	**شقراء وبالشقرة ســمرةْ**
ونــدللها حتـــى أضـحت	**في الأسرة من بعض الأسره**

---

(١٢) دليل المعلم . للرابع . أبو السعود . ص ٤٢ .

(١٣) سا . ص ٩٤ .

(١٤) دليل المعلم . للأول . أبو السعود . ص ٢٦٠ .

(١٥) أسامة . العدد ٥٥ – ١٩٧١ .

ومثلها قصيدة "شرطي السير"[١٦] أو "يا سعد" وهي من القصائد الناجحة[١٧]:

يا سعد أتذكر يـا سـعد ساعات نقـضيها نـشدو

أمـواج البحـر تـداعبنا والمـوج يجـيء ويرتـدُّ

يـا سـعد أتـذكر يـا سـعد

نلهـو ونعـد الأمواجـا أفواجـاً تتلـو أفواجـا

ونعاتـب أمـواج البحـر إن ضج الموج أو اهتاجا

يـا سـعد أتـذكر يـا سـعدُ

ونخط على الرمل الخـيلا واثبة لا تخـشى الهـولا

وعليها (عقبتنا) يسعى ليزيل عن الغرب الجهـلا

يـا سـعد أتـذكر يـا سـعدُ

كـم بيـت أسـسنا فيـه يهدمـه المـوج ويبنيـهِ

والمـوج يغنينـا لحنـا وأرق اللحـن نغنيـهِ

يـا سـعد أتـذكر يـا سـعدُ

قد عاد الصيف وما عدتا يا سـعد عـلام تأخرتـا

أرسلت كتـابي للـذكرى هـلا يـا سـعد تـذكرتا

إنـي مـشتاق يـا سـعدُ

كما دخل هذه الحلبة الشاعر المعروف شوقي بغدادي الذي أصدر مجموعتين شعريتين للأطفال فيما بعد هما "عصفور الجنة" و"القمر على السطوح" ومن شعره الجميل "صياد الفراشات" [١٨]:

ذهبت كي أصـطاد فراشـة جميلـة

رأيتهـا هنـاك تطير فـي الخميلـة

---

(١٦) سا . العدد ٥٦ – ١٩٧١ .

(١٧) سا . العدد ١٣١ – ١٩٧٤ .

(١٨) سا . العدد ٢١٢ – ١٩٧٧ .

جناحهـــا الرفـــاف　　　يـــضيء بـــالألوانْ

بـــالأحمر النـــاري　　　والأصـــفر الفتـــانْ

رأيتهـــا لكننـــي　　　وقفـــت كالمـــسحورْ

أرنو لها في نشوة　　　تـــداعب الزهـــورْ

تركتهـــا طليقـــة　　　تـــدور فـــي حبـــورْ

وكل مـــا ربحتـــه　　　حـــلاوة الـــشعورْ

بـــأنني مـــسرورْ

وأنهـــا فراشـــةً

جميلـــة تـــدورْ

وياسر المالح من الأسماء المهمة التي عرفتها سورية في مجال أدب الأطفال، إلا أن نتاجه مكرس كاملاً للإذاعة والتلفزيون في أقطار عربية عديدة، وقد كتب ما يقرب من ثلاثمئة أغنية للأطفال، وكثير منها موجود في مسلسل "افتح يا سمسم" المعروف.

ومن خلال نصين منشورين له نعرف مدى موهبة الشاعر ودقته في التعامل مع شعر الأطفال، كما في "موسيقا الروض"(١٩) و"معرض دمشق"(٢٠) ونصها:

بردى يتدفق بالنورِ

والشام عروسْ

تتهادى بثياب الحورِ

وتضيء شموسْ

ويجيء الناس على موعدْ

من شرق الأرض يجيئونا

---

(١٩) حديقتي . المالح . للثالث . ص ٧٣ .

(٢٠) حديقتي . المالح . للثاني الجزء ٢ ص ١١٨ .

من غرب الأرض يجيئونا
وضفافك يا شام الموعدْ

* * *

أطفال العالم في بلدي
أهلاً.. أهلاً
هاتوا يدكم شدوا بيدي
أهلاً.. أهلاً
شدوا فالقوة في الوحده
ولنلعب في ضوء القمرِ
نمرح نقفز تحت الشجرِ
ولنزرع للذكرى ورده

إن عناية الشاعر المالح البالغة بتفاصيل قصيدته قلما نجدها عند شاعر آخر، حيث يعمد عن خبرة إلى اختيار اللغة واعتماد الطرافة في الفكرة، ومزج المرح بالقيم.

ممدوح سكاف اسم آخر نشط منذ أواخر السبعينيات في مجال شعر الأطفال، وأصدر مجموعتين هما "شواطئ بلادي" و"نشيد الصباح" وقدم شيئاً جميلاً كما في "حفلة عيد الميلاد"[٢١]:

يا كعكعة عيد الميلادِ
يا جنة روحي وفؤادي
زيَّنك الصانع بالشمعِ
عشراً تتباكى بالدمعِ
فبرزت حديقة ألوانِ

---

(٢١) نشيد الصباح . ص ١٣ .

من أبيض أو أحمر قانِ

وتحلق حولك أحبابي

في مرح حلو جذابِ

وعلى إيقاع النغماتِ

أطفأ سماري شمعاتي

وانهال التقبيل عليا

من جدي، عمي، أبويا

مبروك قالوا يا نسرينْ

عقبى لك بالعيد العشرينْ

وكتابة سمير مراد غزيرة في شعر الأطفال، وقد انحصرت مساهمته في النشر المتواصل في مجلة "أسامة" ومن قصائده الناجحة "أغنية المطر"(٢٢):

يا قطرة المطرْ

يا أثمن الدررْ

هيا تساقطي

وأنبتي الثمرْ

سيلي على الربى

وأنعشي الشجرْ

وزيني لنا الحياة بالزهَرْ

وأبدعي دنى

ولوّني صورْ

والشاعر وفيق خنسة من الذين قدموا لقصيدة الطفل العديد من التجارب الجميلة، وأصدر مجموعة كاملة من هذا اللون هي "أغاني الطفولة" وتشيع في

---

(٢٢) أسامة . العدد ١٧٦ / ١٩٧٦.

قصائده الصور والأفكار المجنحة التي لا تسعفها الصياغة المناسبة للطفل حيناً، ولكنها تنجح حيناً آخر كما في "وطن السنبلة"(٢٣):

عندما جاء الصباحْ

كان قلبي سنبلةْ

قلت أهدي السنبلةْ

لفتى يحرث في حقل بعيدْ

يصنع الفجر الجديدْ

* * *

عندما جاء الصباحْ

كان قلبي قنبلةْ

قلت أهدي القنبلةْ

لفدائي أضاءْ

ومضى نحو السماءْ

كي تعيش السنبلةْ

* * *

عندما جاء الصباحْ

قال قلبي للرياحْ:

وطني ما أجملهْ!

وقدم الشاعر مصطفى خضر مجموعتين للأطفال هما "دفتر النهار" و"أنشودة الأرض" ومن قصائده الناجحة "شطرنج"(٢٤):

يتقدم الجندي دوماً للأمامْ

والفيل يحرسه ويحرسه الحصانْ

---

(٢٣) أغاني الطفولة . ص ٩ .

(٢٤) دفتر النهار . ص ١٧.

فإذا القلاع تهدمتْ:

خرق المكانْ

ماذا ستفعل بالوزيرْ

والشاه يطويه الظلامْ

احفظ جنودكَ

من يضحي بالصغير

غداً يضحي بالكبير

وانقل حجارك باحتراس واتزانْ

ومعشوق حمزة من الذين أسهموا في كتابة عشرات القصائد للأطفال، وكان الطابع العام لتجربته الاستعجال، وإهمال التدقيق في مكوّنات القصيدة الطفلية، إلا أنه مع ذلك يمتلك حساً طفولياً، وبساطة في أداء المعاني، وقد أصدر "سلوى تغني" و"أحلى من الوردة" و"عبير وقصائد أخرى" و"شتلة ليلى".

أما الشاعر جمال عبد الجبار علوش فقد بدأ بداية متواضعة، إلا أنه منذ سنوات يكتب نموذجاً من أفضل نماذج شعر الأطفال. ودل نتاج الشاعر على امتلاكه لأدوات النص الطفلي من جميع الوجوه.

أصدر علوش "لمن يغني النهر" و"وطني العربي" وهو غزير الإنتاج حيث ينشر باستمرار في مجلات عديدة، ولكنه على العموم يحافظ على مستوى جيد، من قصائده "لوحة ليلى"(٢٥):

في دفترها

رسمت أشجاراً خضراءْ

رسمت بيتاً

(٢٥) وطني العربي . ص ٣١ .

طفلاً يلعبْ

نهراً يضحك فيه الماءْ

قالت:

لا.. لا

لم تكتمل اللوحة بعدْ

رسمت ليلى سرب طيورْ

رسمت أيضاً حقلاً أصفرْ

وعلى طرف اللوحة بيدرْ

حام الطير وحار ودارْ

رف ولوح بالمنقارْ

ضحكت ليلى

لم تكتمل اللوحة بعدْ

تحتاج لمن يحمي الحقلا

بعد قليل رسمت ليلى

شيئاً جعل اللوحة أجملْ

ماذا.. ماذا رسمت ليلى ؟

وقد أبدع الشاعر علوش في كتابة القصائد للأطفال الصغار جداً، وهو ما نجده في قصائده المنشورة في مجلة "توته توته" اللبنانية: مثل قصيدة "نجمة وهلال "[٢٦]:

حلو.. حلو شكل النجمةْ

دوماً تبدو لي مبتسمةْ

وبجانبها يزهو هلالْ

(٢٦) توته توته . العدد ٢٥ / ٢٠٠٢ .

فضي في شكل الزورقْ

يسبح في الليل ولا يغرقْ

وكذلك قصيدة " عصفور "[٢٧]:

في صبح عذبٍ

مسحورْ

حط على الشرفةِ

عصفورْ

أخرج في فرحٍ

مزمارْ

أسمعنا أحلى

الأشعارْ

قال: صباح الخيرِ

وطارْ

وموفق نادر اسم آخر كتب الكثير من القصائد، نشر حتى الآن "الغيمة تمرح" و"نائل يلتقي أباه" و"أنشودة المطر" و"أغنيات بطعم الليمون" و"عصفور الثلج"، وكتب قصائد جميلة مثل "يوم رسمت ريما"[٢٨]:

رسمت ريما بالطبشوره

ناراً.. وبيوتاً مهجوره

عادت رسمت فوق الشارعْ

شجراً محروقاً.. ومدافعْ

قالت: هذي لوحة حربْ

---

(٢٧) وطني العربي . ص ٧٧ .

(٢٨) عصفور الثلج . ص ٧ .

بعد قليل رسمت ريمة .

نهراً يجري وسط الغابةْ

وطيوراً خضراً وسحابةْ

كتبتْ:

" هذي لوحة ريما "

مرت في الشارع دبابةْ

سوداء تمشي بصلابةْ

فمحت حالاً لوحة ريما

فبكت ريما

قالت همسا:

حسناً.. حسناً

بعد قليلْ

بعد قليلْ

أرسم شمسا

ووليد مشوح كتب مجموعة شعرية للأطفال، قدم فيها قصائد قصيرة، وله مساهمات غيرها، ومن مجموعته "أناشيد المجد" أختار "الأرض"(٢٩):

يا أمنا يا طيبةْ

يا جنةً محببةْ

نهديك كل جهدنا

وفيك ينمو كدنا

يا أرضنا يا طيبةْ

يا جنةً محببةْ

---

(٢٩) أناشيد المجد . ص ٣٢.

نسقيك من ماء الفراتْ

فأنت تعنين الحياةْ

أبناؤك الشم الأباةْ

قد ورثونا التجربةْ

يا أرضنا يا طيبةْ

يا جنة محببةْ

ونشر خير الدين الوائلي عدة مجموعات شعرية داخل سورية وخارجها، وأكثر قصائده ذات طابع ديني صرف، ويعمد إلى التوجيه المباشر الخالي من الجماليات الشعرية، ومع ذلك فقد قدم عدداً من القصائد المقبولة مثل "محفظتي"(٣٠):

محفظتـــي معلقـــه	بكتفـــي منمقـــةْ
صـــديقة الـــذهاب	رفيقـــة الإيـــابِ
غلافهـــا ملـــون	وقفلهـــا محـــصنُ
قبـــضتها متينـــه	جيوبهـــا أمينـــةْ
أحفظ فيهـــا كتبـــي	ودفتـــري ولعبـــي
في جيبها أقلامـــي	تغرق في الأحـــلامِ
أحملها بـــلا تعـــب	فالصبر طبع مكتسبْ
الجـــد والنظـــام	تحلـــو بـــه الأيـــامُ

ومن التجارب اللافتة ما قدمه الشاعر ركان الصفدي من خلال ما نشره في مجلة "أسامة" منذ أواسط الثمانينيات، ومجموعتيه " النافذة" و"أحلام أنمار" وقصائده تمتاز بمتانة البناء والسلاسة، مع كونه مقلاً في الكتابة والنشر.

---

(٣٠) ديوان حكايات الأطفال . ص ٧٤.

ومن قصائده "المعول" التي منها[٣١]:

غنى، غنى هذا المعـولْ
تدعونا الأرض لكي نعمــلْ
كم حطمت عليها الــصخرا
أفرشها أعــشاباً خــضرا
أو أزهاراً تنــشر عطــرا

* * *

غنى، غنى هــذا المعـولْ
سوف يصير العالم أجمــلْ

و" أغنية الصباح "[٣٢]:

دم دم.. تك تك.. دم دم.. تاكْ
ترنــو الشمس من الشــباكْ
طلع الصبحُ
يا أطفالْ
هيا نصحو
كالأبطالْ
ننهض من هذي الغفوه
نحو المدرسة الحلوه
نبني أحلام المستقبلْ
كي تصبح دنيانا أجملْ
ننشد: تك تك.. دم دم.. تاكْ
نزرع هذا الوطن الغالي
ورداً، وندوس الأشواكْ

---

(٣١) النافذة . ص ١٩ .
(٣٢) سا . ص ١٤ .

ومحمد منذر لطفي ممن أولوا شعر الأطفال اهتماماً خاصاً، فنشر في "أسامة" كثيراً، وأصدر ثلاث مجموعات هي "القمر يغني للأطفال" و"أغنيات الفصول الأربعة" و"من رأى العمال" ويتراوح ما قدمه بين نجاح وبين نظم سريع فلا يقدم لمسة خاصة في تكوين القصيدة، و"أنا نجار قدير" من القصائد الجيدة [٣٣]:

أنــا نجــار قــدير أصنع الشيء الكثيرْ

أصنع الكرسي والشباك واللوح الكبيرْ

عدتي قاطعــة ثاقبــة متــر حديــدْ

ومسامير وألواح من الغــاب البعيــدْ

عدتي مطرقتي تشدو ومنشار يعيــدْ

إنني أعمل كي أهنأ بالعيش الرغيــدْ

إنني أتعب كي أعطي بلادي ما تريدْ

إنني أشقى لأبني عشيَ الهاني السعيدْ

هكذا أحيــا ويحيــا كــل نجــار قــديرْ

هكذا أحيــا ويحيــا كــل نجــار قــديرْ

ومن الذين أسهموا في هذا المجال أسعد الديري الذي أصدر "أناشيد لبراعم الوطن" و"أغاريد" ونشر في أكثر من مجلة، وشعره غزير يعاني التسرع في النظم، مما يترك أثراً في الصياغة والفكرة، لكنه مع ذلك قدم أشياء جميلة كقصيدة "المطر" ومنها[٣٤]:

أهــدى لنــا أحلى الثمــرْ

مطـــــر.. مطـــــرْ

واستيقظت كل الزهورْ

---

(٣٣) من رأي العمال ؟ – ص ١٢ .

(٣٤) مجلة أحمد . العدد ٣٤٠ / ٢٠٠٢ .

عزفت لنا لحن السرورْ
في فرحة نشرت عطورْ
ومضت تغني في سرورْ
سبحان من جعل المطرْ
أغنية تهـب البـشرْ
فرحاً مليئـاً بالـصورْ

لقد أسهم كثيرون من شعرائنا ومن مختلف الأجيال في شعر الأطفال، وتفاوتت القيمة الفنية لما فعلوه وهو ما سيمر معنا أثناء الحديث على المآخذ الفنية.. ومع هذا فلا بد من التنويه بالجهد الذي بذله وما زال شعراء كثيرون على رأسهم محمد وليد المصري وعبد الحميد هلال ونادر قباني وعدنان المالح وعيسى أيوب ونور الدين الهاشمي ورياض الصالح الحسين وصالح هواش المسلط وإبراهيم عباس ياسين وجرجس ناصيف وفارس قويدر وجمانة نعمان وحسان عزت ومريم خير بك وطه حسين الرحل وفيصل خليل وياسر الأطرش وسمير رافع وخالد البرادعي وزهير هدلة وسامر كحل ومحمد وحيد علي وغيرهم.. سواء من كتب نصوصاً قليلة أو أصدر مجموعات، لأن التجريب حق مشروع للجميع في هذا المجال الجديد من الشعر بغض النظر عن مدى النجاح فيه(*).

(*) لا بد من الإشارة إلى أنني لم أفصل في الحديث عن تجربة شعرائنا الذين كتبوا منذ السبعينيات، لأن كتبهم ما زالت متوافرة، أما المرحلة السابقة فكان من الواجب التقصي والتفصيل فيها، لأنها تكاد تكون مجهولة، وحتى تقدم للقارئ فكرة وافية عن الموضوع قدر الإمكان.

الفصل التاسع

سليمان العيسى.. كثافة العطاء

الشاعر سليمان العيسى أغزر شعراء العرب إنتاجاً للأطفال، فمنذ نهاية ستينيات القرن العشرين وهو يواصل الكتابة، وانتشرت قصائده في الكتب المدرسية السورية بكثافة، وخاصة في الفترة التي كان فيها شاعرنا موجهاً أول للغة العربية وواحداً من واضعي منهج اللغة العربية من الصف الأول الابتدائي حتى الصف الثالث الثانوي في وزارة التربية السورية.

وقد حوت كتب المرحلة الابتدائية للغة العربية من الصف الأول حتى السادس ٥٤ نشيداً كان للشعراء العرب اثنان وعشرون نصاً والباقي لسليمان العيسى، واقتصر كتابا الصف الأول والثاني الابتدائي على نصوص الشاعر مع نصين مجهولي القائل هما: نشيد "إلهي" و"نشيد نعمة الله"[١].

وأعرف شخصياً أن غزارة الشاعر تفوق المتوقع، فقد اطلعت على مخطوطات لعشرات القصائد غير المنشورة، خلا العشرات من الكتب المترجمة والمؤلفة التي تنتظر من يطبعها.

أسوق هذا الكلام مدخلاً للحديث عن سليمان العيسى، لأن فيه نقاط قوة الشاعر وضعفه، فلا نملك إلا أن نعجب بهذا الدأب والحماسة لملء فراغ كبير في

سليمان العيسى (١٩٢٠ - ....)

(١) الطفولة في الشعر العربي والعالمي . كنعان . ص ٦٤ .

شعر الأطفال، إذ عمل بسرعة على رفد الطفل بمجموعة كبيرة من القصائد جعلته واحداً من أهم الأسماء التي كتبت للطفل، بل صرف في العناية به جل وقته حتى الآن، وهذا أمر نبيل ومهم، إلا أن هذا الأمر حمل في ثناياه ما يعتور الإكثار من الوقوع في التكرار والنظم الباهت والمراوحة الفنية.

غلبت على شاعرنا الموضوعات ذات الصلة بما آمن به طوال حياته كرجل قومي، فلا يمل من تأكيد وحدة العرب، والتغني بماضيهم في إطار من التفاؤل الكبير بالمستقبل، ومن نصوصه الجميلة قصيدة "وطني"(٢):

وطني أشجار وظلالُ
وترابي قمح وغلالُ
أتفيأ ظلك يا وطني
وأحب ترابك يا وطني
أرض الأجدادْ
وطن الأمجادْ
يتسلح بالعلمِ
لا يركع للظلمِ
عاش الينبـــوع المنسكبُ
عاشت شمس لا تحتجبُ
عاش العربُ
عاش العربُ

في هذا النص نجح سليمان العيسى في تطعيم الفكرة السياسية بما يخفف من جفافها وقسوتها، فيعطيها ما يقربها إلى الطفل من صور وإيقاعات راقصة نابعة من وزن سريع وقوافٍ متنوعة.

---

(٢) غنوا يا أطفال ٢ / ٢٧ .

ولكي نأخذ فكرة عن صعوبة هذا الأمر، وعما عاناه الشاعر فيه، وما أحسه أحياناًمن متطلبات قصيدة الطفل، سأنقل إليكم نصاً مشهوراً للعيسى كما نشره أول مرة في مجلة "أسامة" وهو "الرسام الصغير"(٣):

أرســـم مامـــا أرســـم بابـــا
بـــــــــالألوانْ
أرســـم علمـــي موجـــة نغـــمِ
أنـــــا فنـــــانْ
حط النجم على كفيّ وفـــرّ وطـــارْ
خلى في شفتيّ كروماً مـــن أشـــعارْ
دعنـــي أرســـم ضـــوء الـــنجمِ
دعنـــي أرســـم لـــون الكـــرمِ
أكتـــب شـــعراً بـــــالألوانْ
أرســـم حـــراً أنـــا فنـــانْ
أنا صياد اللون الـــساحر أنّـــى كـــانْ
بيت رسومي النهر الضاحك والبستانْ
أرســــــم بيــــــدي
فتنـــــــة بلـــــــدي
أكتـــب شـــعراً بـــــالألوانْ
أحيـــا حـــراً أنـــا فنـــانْ

ففي هذه الصورة التي نشر بها الشاعر قصيدته للمرة الأولى نلاحظ أسلوب الكبار قد طغى على أكثرها، وراحت فكرة الفن وحريته تتجسد في صياغات معقدة ومرتبكة، بينما نجد الشاعرقد قلص القصيدة إلى هذا الشكل فيما بعد:

---

(٣) العدد ٥٦ العام ١٩٧١ .
(٤) غنوا يا أطفال ١٣/٤.

أرســـــم مامـــــا أرســـــم بابـــــا

بــــــــــــــــــالألوانْ

أرســـــم علمـــــي فـــــوق القمـــــمْ

أنـــــــا فنـــــــانْ

أنـــا صـــياد اللـــون الـــساحرْ

أرض بـــــــلادي كنـــــز منـــــاظرْ

دعنـــــي أرســـــم ضـــــوء الـــــنجمِ

دعنـــــي أرســـــم لـــــون الكـــــرمِ

أكتـــب شـــعراً بـــــــالألوانْ

أحيـــا حـــراً أنـــــا فنـــــانْ

هذه المعضلة ستظل تواجه تجربة الشاعر العريضة حيث تحس أن شعر العيسى للكبار يلقي بظله على شعره للأطفال، ومع هذا فقد ظل واحداً من قلة نجحت في كتابة شعر جميل لهم ، فيه قدر كبير من الرهافة والوعي بخصائص الطفولة، مع متانة في البناء وسلامة في الأدوات لغة وموسيقى. والمتتبع المدقق لتجربة العيسى للأطفال يحس أن العديد من القصائد المتميزة قد جاء في مرحلة كتابته الأولى، فيما بعد أخذت تجربته تعاني من الوهن والنظم، وخفت التوهج فيها، ومن أهم قصائد الشاعر "الشتاء" وفيها يقول(٥):

أوقـــــد.. أوقـــــد نـــــار الموقـــــدْ

الـــــريح تـــــئنّ علـــــى الـــــشجرِ

وتعـــــانق خيطـــــان المطـــــرِ

الـــــريح رســـــول الـــــريح تقـــــولْ

خبأنـــــا للـــــشجر العـــــاري

(٥) غنوا يا أطفال - ٣ / ٢٢ .

خبأنـــــا أحلـــــى الأزهـــــارِ

أوقـــــد.. أوقـــــد نـــــار الموقـــــدْ

* * *

عـــصفور فـــرَّ مـــن البـــرد

وتـــسلق نافـــذة عنـــدي

عـــصفوري جـــاء والجـــو شـــتاءْ

عـــصفوري الحلـــو ســـأحميه

وســـــأطعمه وأدفيـــــه

أوقـــــد.. أوقـــــد نـــــار الموقـــــدْ

استطاع العيسى هنا أن يدخل الأجواء الطفلية بامتياز، حيث يتخلص من ضغط عالم الكبار عليه، وتتحول اللغة إلى أداة تنسج العذوبة والبساطة والدهشة. وعلى نحو مطابق تتألف قصيدة "الخريف"(٦):

ورقات تطفر في الدربِ

والغيمة شقراء الهدبِ

والريح أناشيدُ

والنهر تجاعيدُ

يا غيمـــة يـــا أم المطـــرِ

الأرض اشتاقت فانهمري

الفصل خريفْ

* * *

عدنا عدنا بدفاترنا

بأغانينا وبشائرنا

البسمة في شفتي

---

(٦) سا ٤ / ٢٩ .

ما أحلى مدرستي

والفصل خريفْ

وقد استطاع العيسى أن ينتقل بقصائده الجديدة إلى مرحلة متقدمة من كتابة شعر الأطفال، في نماذجه المهمة أعطى الكثير من العناية في اختيار ألفاظه وتكوين صوره، والدخول العذب إلى ما يدهش الطفل، ويطوف معه في الكثير من عوالمه الشعبية والتراثية الساحرة، كما نجد في "افتح سمسم"[7]:

افـــتح سمـــسمْ

ماذا عندك ؟ ماذا عنـــدك ؟	هذا اليـــومْ
افتح سمسم.. وزع وردك	قبل النـــومْ
افتح صدرك.. انشر عطرك	للأجيــــــالْ
افتح سمسم.. غنّ تحــركْ	نهر خيــالْ
افتح سمسم.. غن وعلّـــمْ	نحن صغارْ
وغداً نكبر..وطناً أخــضرْ	للأحـــــرارْ
نحن براعم.. وغد باســـمْ	في الأكمـــامْ
افتح سمسم.. أنت القـــادمْ	بـــــالأحلامْ

افـــتح سمـــسمْ..

إن هذه القصيدة مثال بارز على بناء إيقاعي غني وفريد للأطفال، من خلال هذا الغنى بالتكوينات النابعة من اختيار الكلمات والقوافي والتقطيع المدروس للمقاطع.

وعلى هذا النحو من الإحساس الإيقاعي الخاص نلتقي نصاًجميلاً آخر ذا إيقاع لافت هو" الشجرة "[8]:

دومـــي خـــضراءْ	مزدهـــــره
يـــسقيك المـــاءْ	يـــا شـــجره

* * *

---

(٧) سا ٢ / ٥ .

(٨) ديوان الأطفال . ص ٣٩٤.

في ظلك نلعبْ   يا شجره
تعطينا الملعبْ   والثمره

* * *

دومي خضراءْ   فتانةْ
بالثمر الأحلى   مزدانةْ

* * *

دومي خضراءْ   في وطني
أهواك كما   أهوى وطني

وفي قصائد الشاعر المكتوبة بالعناية المطلوبة يحافظ على الإيقاعات القصيرة، مع تنويع في التقفية، وسعي دائم إلى التبسيط الذي يحمل في ثناياه مع ذلك قيماً كبرى، من هذه الأرضية ينطلق الشاعر، وهو يكتب نصاً جميلاً آخر بعنوان "اسمي شعلة"(٩):

اسمي شعلةْ   أزرع نخلةْ
يسقي بردى   يسقي دجلةْ
هذي الحلوه   هذي النخلةْ

* * *

تكبر تكبر   وطناً أخضرْ
فيه الشمس وفيه الكوثرْ
ومع النخله   جيلي يكبرْ

* * *

يصبح أشجار الحريةْ
تخضر الأرض العربيةْ
تبقى كالأطفال نقيةْ

---

(٩) سا . ص ٣٩٢.

وعموماً يمكن أن نقول إن الغالبية العظمى من قصائد وأناشيد العيسى مكتوبة لأطفال المرحلة الوسطى والثالثة أي ما بين الصف الخامس والثالث الإعدادي على نحو نسبي، وإن كان طموحه أن يكتب لأطفال المرحلة الأولى (أي ما بين الصف الأول والرابع الابتدائي تقريباً) لأنه صرح في أكثر من موضع أنه وضع هذا النص للأطفال الصغار جداً، إلا أن قصائده لم تخلُ من صعوبة التراكيب والصور كما لاحظنا في النصين الماضيين.

وقد كان لي تجربة طريفة مع الأستاذ سليمان العيسى إذ اشتركت معه في وضع قصيدة عن أحرف الأبجدية العربية، وقد كانت بدايتها لعدة أبيات لي، إذ تبدأ[١٠]:

ألــف بــاءُ	تـــاء ثـــاءُ
هيـــا نقـــرأ	يـــا هيفـــاءُ
ألــــــفٌ	أبنــــــي
بـــــاءٌ	بلـــــدي
بيدي بيـــدي	أبنـــي بلـــدي
تـــاء تعـــدو	نحوي دعـــدُ

ومنها:

---

(١٠) غنوا يا أطفال ١ / ٢٠ .

هذه القصيدة نشرتها عام ١٩٧٧ في "مجلتي" ببغداد ، ونشرت فيما بعد في مجموعتي "الأغاني" ص ٥٢ ، وقد أراد سليمان العيسى أن يشاركني في تكملة الحروف، ففعلت، ونشرنا القصيدة المشتركة في ملحق "تموز" للأطفال في بغداد عام ١٩٧٩ العدد ٨٤ ، وفيها "بدأ هذا النشيد بيان الصفدي وأكمله سليمان العيسى" ويبدو أن الصديق سليمان العيسى نسي الأمر فنشرها فيما بعد بعنوان "حروفنا الجميلة" في أكثر من مكان دون الإشارة إلى أن القصيدة بالأصل لي، ثم اشتركنا في تكملتها .

مـــا أذكانـــا   مـــا أروعنـــا

بعـــد الكـــاف تجـــيء الـــلامْ

مـــا أحلـــى هـــذي الأنغـــامْ

ميم مهر نــــــون نهــــــرُ

مر ســـريعاً   هذا الــشهرُ

إنني هنا لست في معرض الكلام على تجربته المتعددة شعرياً، فله مسرحيات وحكايات شعرية عديدة، إذ قصرت الكلام على القصائد والأناشيد المنفردة، ودون الخوض في المآخذ الفنية التي سيكون موضعها في فصل آخر.

إن الإنجاز الخاص بسليمان العيسى كما أراه ينصب على جزء من نتاجه قد لا يتجاوز ربع ما كتبه، لأن شاعرنا كتب الكثير الكثير من القصائد العادية، أو ذات القيمة المحدودة، حيث شاع لديه الحديث عن قضايا كبرى وبلغة كبـــار، حتى لو قدمها لنا على أنها شعر للأطفال، إلا أننا مع ذلك نـــسجل لـــه الفـــضل الكبير في الجانب المضيء مما قدم، ومما أحب أن أنهي به هذه الصفحات عنه قصيدة "الثلج"(١١):

يا ريش العصفور الأبيضْ

يا ذرات الثلجِ

غطـــي أشـــجارحديقتنـــا

غطي وجه المرجِ

*   *   *

يا ريش العصفور الأبيضْ

يا لحن القيثارِ

---

(١١) سا ٤ / ٢٥ .

غني غني في شرفتنا

غطي سطح الدارِ

* * *

يا ذرات الثلج انهمري

غطـــي وجـــه الدربِ

الآن سأكتـــب تمريني

وســـــأخرج للعــــبِ

الباب الرابع

التجربة اللبنانية

الفصل الأول

روّاد شعر الأطفال في لبنان

خليل مطران

شكل خليل مطران محطة مهمة في الشعر العربي الكلاسيكي، ليس بسبب إنجازه الشعري، فقد غلبت عليه التقليدية وقصائد المناسبات التي شكلت معظم ديوانه، إلا أنه امتاز برؤية نظرية متقدمة في الشعر والفكر لم يعكسها في شعره إلا نادراً، ومن مظاهر هذا التجديد حماسته ودعوته إلى الكتابة للأطفال، كما أشار إلى ذلك أحمد شوقي في مقدمة الطبعة الأولى من الشوقيات عام ١٨٩٨.

ولم يكتف مطران بذلك، بل أسهم عملياً في هذا الفن، وشجع أحمد شوقي وغيره على الكتابة فيه، ومن قصائده المشهورة للأطفال "الطفل والعصفور"(١):

لي إبــن عــم بــالغٌ أربعــاً   من عمره أو دونهــا أشــهرا
طلق المحيــا شــعره مــذهب   وثغره كنــز حــوى جــوهرا
يختـــال كالجنـــدي مـــستكبراً   وما أحــب الطفــل مــستكبرا
قالت له المرضــع يوماًوقــد   أحسن سيراً:" حق أن تــوجرا
هيــا نــزرْ جــدتك الآن يــا   بني فالبس ثوبــك الأفخــرا "

---

(١) المنتخب . ص ١٧٦ .

فراح مثل الظبي يعـدو إلـى غرفتــه جــذلان مستبــشرا
ومر في الـدار بطيـر لهـم قـد أودعـوه قفـصاً مقفـرا
وكان فيــه صــامتاً موحــشاً كما يكـون الحـر مـستأسرا
ففــتح البــاب لــه مـسرعاً وقال " أحسنت فخيـراً تـرى
أراك مـشتاقاً إلــى جــدة تزورها فاذهب وعـد مبكـرا"

الشاعر هنا يقدم قصيدته على شكل حكاية ذات حدث وحوار وبداية متناسقة ونهاية جميلة، واختار لها البحر السريع، إلا أنه ينوع أحياناً على التشكيل الإيقاعي كما في "نشيد الحرية"(٢):

حييـت أحلـى تحيـه يا أخت شمس البريـة
حييـت يـا حريـة
* * *
الـشمس للأشـباحِ وأنـت لـلأرواحِ
كالـشمس يـا حريـة
أنـت النعـيم وأحلـى أنـت الحيـاة وأغلـى
للخلـق يـا حريـة
* * *
شـارفتنا فانتعـشنا وفـي ظلالـك عـشنا
بالعـدل يـا حريـة
* * *
كوني لنا عهـد سـعدِ وعصر فخـر ومجـدِ
يـدوم يـا حريـة

وبعد وفاة الشاعر نشر أخوه ألبير مطران مجموعة كبيرة من الأراجيز التهذيبية للأطفال والشباب بعنوان "إلى الشباب" جمعها بعد أن كانت من محفوظات

---
(٢) أزهار الأدب العربي . عباس . ص ١٦ .

الراحل، وبدأها "إلى حضرة صاحب الجلالة الملك فاروق الأول" وضح فيها أنها رسالة "للنابتين" أي للفتيان، ومنها[٤]:

مولاي في عهدك السعيد ... وفي هدى حكمك الرشيدْ
حققت أسنى آمال مصر ... في شعبها الناهض العتيدْ
وكنت أحجى الملوك رعياً ... لجيلها الناشئ الجديدْ

ومن أبرز ما في تلك القصائد التهذيبية القصيرة "التعاون" التي يقول فيها[٥]:

كل معدّ أمرا ... مما يفيد القطرا
يجدر بالإمداد ... لخدمة البلاد
فأي داعٍ يدعو ... للرأي فيه النفعُ
بقدر ما يعان ... تنتفع الأوطانُ
ما سدّ ذلك الطلب ... من حاجة فقد وجبْ
أكان جلب خير ... أم كان دفع ضيرِ
سلْ رأي عارفيه ... بدءاً وشارك فيه
وامدد بلا تردد ... له يداً إثر يدِ
إن رقيّ الأمم ... بمثل هذي الهممْ

وله "قراءة سير العظماء"[٦]:

من أفعل الأسباب ... في نهضة الألبابِ
قراءة الصغار ... لسير الكبارِ
فإن في ما جاهدوا ... وإن في ما كابدوا

(٤) إلى الشباب . ص ٥ .
(٥) سا . ص ١٤ .
(٦) سا . ص ٣٥ .

وجـــددوا وأصـــلحوا   وأيـــدوا وأنجحـــوا
وخلقـــوا مـــن العـــدم   وأخلقـــوا مـــن الهمـــمْ
درســاً جليــل القــدر   يفيــد أهــل الــذكرِ
أمـــا إذا مـــا اجتمعـــا   في الشعب شبلان معـــا
مـــن ســلف عظـــام   وخلـــف كـــرامُ
فـــثم نعـــم الأســـوه   لمـــن يـــروم القـــدوه
بـــالأثر المفيـــد   والخبـــر الحميـــدُ

وأكثر هذه المنظومات التربوية يغلب عليه الطابع التقريري الجاف، دون النظر إلى إغنائها بالصور والتنوع الأسلوبي، على عكس ما رأينا في قصيدتيه الأوليين.

فمعظم ما نقرؤه هنا لا يتفوق فنياً على شعر من نوع "أداء الواجب" التـي يقول فيها[٧]:

لا تغـــيَ بالمـــصاعب   دون أداء الواجـــبْ
ومـــا وليـــت فعلـــهُ   أتممه ثـــم ارجـــع لـــهُ
أصـــرُّ حتـــى يحـــسنا   واصبر إلـــى أن يتقنـــا
أتممـــه غيـــر طالـــب   إلا قـــضاء الواجـــبِ
لا رغبـــة فـــي الأجـــر   أو رهبـــة مـــن شـــرّ
ما من صـــنيع معجـــب   يـــأتي بغيـــر تعـــبِ
وأي شـــيء يجمـــل   إذا اعتـــراه الخلـــلُ ؟
وهل ســـريع الخـــاطر   يـــأتي بفـــن فـــاخرِ؟
سوء النظـــام والعجـــل   والطيش آفات العمـــلْ

---

(٧) سا . ص ٧٨ .

حليم دموس

في الربع الأول من القرن العشرين كان حليم دموس من شعراء التجديد في الشعر العربي، وإن كان النقد العربي قد ظلمه بالتجاهل والإهمال حتى الآن، فقد حفل شعره بالرقة والعمق والشفافية، إضافة إلى كونه واحداً من التنويريين المهمين، وممن أسهموا في النهضة العربية، وكان له دور في نهوض الحركة القومية العربية، مما جعله يعمل في الحكومة العربية التي قامت في سورية بعد دخول الملك فيصل إليها، فعمل في محطة الحجاز في وظيفة مرموقة، وبعد سقوط الحكومة العربية آنذاك انتقل إلى العراق، وعاش فيها عدة سنوات، وتنقل بعدها بين الأردن وفلسطين وسورية ولبنان من جديد.

ومن اللافت للنظر أن هذا الشاعر المجدد من أهم من أسهم في شعر الأطفال، وقد نجح في ذلك نجاحاً كبيراً، لما في لغته من بساطة وعذوبة، وقدرة على كتابة الأناشيد المتميزة أيضاً.

حتى في القصائد والأناشيد التي كتبها للشباب قدم زاداً غنياً للأطفال أيضاً، من خلال ترديدها أو وضعها في الكتب المدرسية، ومن منا لا يعرف ذلك النشيد الخالد له "أرض أجدادي" بكلماته الجميلة، ولحنه الأخاذ؟(٨):

عليك مني السلامْ   يا أرض أجدادي
ففيك طاب المقامْ   وطاب إنشادي

* * *

عشقت فيك السمرْ   وبهجة النادي
عشقت ضوء القمرْ   والكوكب الهادي
والليل لما اعتكرْ   والنهر والوادي
والفجر لما انتشرْ   في أرض أجدادي

* * *

أهوى عيون العسلْ   أهوى سواقيها
أهوى ثلوج الجبلْ   ذابت لآليها

---

(٨) يقظة الروح . ص ١٣٠ .

هذي مجـاري الأمـلْ　　سـبحان مجريهـا
سـالت كـدمع المقـلْ　　فـي أرض أجـدادي

*　*　*

يا قـوم هـذا الـوطنْ　　نفـسي تناجيـه
فعالجوا فـي المحـنْ　　جـراح أهليـه
إن تهجـروه فمـنْ　　في الخطـب يحميـه؟
يا ما أحيلـى السكنْ　　فـي أرض أجـدادي!

لعلنا نحس في مثل هذا الكلام بنفحة الشعر الحقيقية وقد هبت على أرواحنا، على عكس ما لاحظناه في تجربة مطران مثلاً من جفاف ونظم، وإليكم نموذجاً ساحراً من ثلاثة أبيات هي "تمنيات طفل" حيث يحلق دموس في سماء الخلق المبدع:(٩)

وقف الطفل ونادى: يـا أبـي　　ألنا قد خلقت هذي النجـومْ؟
فإذا كانـت لنـا مـا بالهـا　　لم تزرنا وهي في الجوّ تحومْ؟
ليتنـا يـا والـدي نلمـسها　　مثلما نلمس أطراف الغيـومْ !

إننا نحس إزاء نص كهذا شاعراً يعيش معنا الآن، وقال ما قاله بهذه اللغة الشعرية الحديثة. ولدموس نص آخر عن الوطن اسمه "أعز من الحياة" مكتوب عام ١٩٢٣ يقول فيه(١٠):

وطنـي هـواه يفـتنُ　　وبـه سـليمى تـؤمنُ
فبأرضـه وسـمائه　　أبـداً تقـرُّ الأعـينُ
إن الحيـاة عزيـزة　　وأعز منهـا المـوطنُ

وفي "لغة الضاد" تغنّ باللغة العربية والعروبة، حيث نلتقي قصيدة من أشهر القصائد التي استقبلتها الكتب المدرسية الابتدائية العربية حتى الآن(١١):

---

(٩) المثالث والمثاني . ص ٨٤ .
(١٠) سا . ص ١٠٠ .
(١١) سا . ص ٣٨ .

لا تلمني فـــي هواهـــا أنا لا أهـــوى ســـواها
ما أنا وحـــدي فـــداها كلنـــا اليـــوم فـــداها
فتيـــة الآتـــي أفيقـــوا واسمعوا صوت فتاهـــا
لم يمت شـــعب تفـــانى في هواها واصـــطفاها
وأعيـــدوا يـــا بنيهـــا نهضة تحيـــي رجاهـــا
نزلت في كـــل نفـــس وتمـــشت فـــي دماهـــا
فبهـــا الأم تغنـــت وبها المرضـــع فاهـــا
لغـــة الأجـــداد كـــوني لحمـــة نحـــن سداها

ولدى دموس عناية أحياناً بكسر القالب الوزني المتناظر، لذا يعمد في أحيان كثيرة إلى هندسة في الإيقاع والقافية كما في "التضامن الوطني"(١٢):

باسم التضامن والوطنْ تحيـــا أمانينـــا
مهما يفرقنـــا الـــزمنْ فالحـــب حامينـــا

* * *

يا شعب سر نحو العلا فالـــشرق قـــد ســـارا
فجر الحـــضارة أقـــبلا والـــدهر قـــد دارا

* * *

نمـــشي إلـــى القـــصد لنبلـــغ الغايـــة
فليـــنهض الـــشعب وليحمـــل الرايـــة

ولحليم دموس قصيدة هي "الدنيا أم" يعمد إلى الغنى التكويني للأشطار، إلى جانب نجاحه في تقديم واحدة من روائع شعر الأطفال(١٣):

---

(١٢) سا . ص ١٦٩ .

(١٣) المختارات . نخلة . ص ٢٢٠ .

أيها الراصد في الليل البهيمْ بدر تمّ
قم وجدد لذة العهد القديمْ دون همّ
إن نفسي غرفت ذاك النعيمْ قرب أمي

* * *

وإذا كرت على صدري الهمومْ وتوالتْ
ودوت أصواتها فوق الغيومْ وتعالتْ
اذكر الأم فتنجاب الهمومْ باسم أمي

* * *

لي رفاق في فؤادي حبهمْ قد جرى
هم أحبوني كما أحببتهمْ في الورى
غير أني لم أجد ما بينهمْ قلب أمي

ومع هذا فالشاعر يكتب أيضاً للأطفال نصوصا تقليدية أو وعظية جافة كما في "نصيحة أم لابنتها"[١٤]:

ليكن طفلك في هذا الزمانْ مغرماً بالعلم شهماً ذا افتتانِ
يفعل الخير ويأبى أن يهانْ يا بنة اليوم ويا أم الغدِ

وكما في "أم تصف حديقة غناء لابنتها" ومنها[١٥]:

ففي بين الخمائل يا فتاتي لأسمعك الدروس النافعاتِ
فهذا الكون سِفر قد تجلت به أسمى المعاني الرائعاتِ
فما مثل الطبيعة يا فتاتي ففي صفحاتها علم الحياةِ

---

(١٤) المحفوظات المختارة . عباس ٣ / ٦ .
(١٥) سا ٣ / ٤٥ .

وكذلك في "كتابي" التي يقول فيها[١٦]:

يا كتابي أفنيت فيك شبابي   وربيع الشباب غضُّ الإهابِ
يا أنيسي عند ابتعاد صحابي   وجليسي في وحدتي يا كتابي

إن هذه الجولة السريعة مع حليم دموس تعطي صورة عن تميزه الفني في شعر الأطفال، ولعل أفضل ما أنهي به الحديث عن تجربة الشاعر نشيد مميز في كل شيء اسمه "الشاعر والعلم" من عيون ما اختارته كتب المحفوظات العربية وهو مكتوب عام ١٩١٩[١٧]:

أيها الأبطال حيوا العلما   واحملوهْ
وانصبوه فوق أسوار الحمى   واحرسوهْ
علمي هذا فسر نحو الربوعْ   يا أخيا
فترى في ظله تلك الجموعْ   تتفيا
علمي كالنسر في برج السعودْ   حلقا
وجناحاه لدى ذكر الجدودْ   صفقا
علمي لاح صباحاً وانبثقْ   كالشفقْ
وله كل فؤاد قد خفقْ   مذ خفقْ
علمي زينة أعلام الورى   علمي
وهواه يا سليمى قد جرى   في دمي
علم الأوطان حقق لفتاكْ   أملا
فهو يأبى أن يرى يوماً سواكْ   بدلا
كن لقومي رمز مجد وعلاءْ   في الأممْ
وتموَّج فلك الشعب فداءْ   يا علمْ

---

(١٦) المنتخب ، ص ٧٦ .

(١٧) ديوان حليم دموس . ص ٢٦٢ .

مصطفى الغلاييني

الصورة السائدة عن مصطفى الغلاييني أنه لغوي ألف كتاباً من أشهر الكتب النحوية في العصر الحديث هو "جامع الدروس العربية" إلا أن الغائب عن هذه الصورة جانبان، الأول كون الغلاييني شاعراً له ديوان مطبوع، وفيه العديد من الأناشيد لتلاميذ المدراس، والثاني كونه واحداً من رجال الحركة القومية العربية منذ بداية القرن العشرين، وقد شغل منصب رئيس قلم الأمن العام في الحكومة العربية في دمشق، وسجن بسبب دوره القومي، وعمل قاضياً ومعلماً، وألف عدداً من الكتب المدرسية، ولعل "أنشودة الفتيان" أول نص للغلاييني في هذا المجال كتبه عام ١٩١٠ [١٨]:

سائلوا عنا العصور الأولا ... يوم فقنا الناس مجداً وعلا
يوم قدنا بالعوالي الدولا ... سائلوا عنا بطون الكتبِ

* * *

سائلوا الشام ومصراً والعراقْ ... وسواها سائلوا السبع الطباقْ
سائلوا الخطيَّ والبيض الرقاقْ ... ما خططنا بالقنا والقضُبِ

* * *

إن دهى البلدان قوم خرّبوا ... مجدنا العالي وعنه رغبوا
فمعالينا لنا ترتقبُ ... وتنادينا بمجد العربِ

* * *

يا بني الأبطال ما هذا التوانْ ... خصمنا يرقب والأمر استبانْ
فلنمتْ نحيَ على مر الزمانْ ... ونعش عيش الكرام النجبِ
إنما الموت حياة للألى ... خطبوا المجد فهزوا الأسلا
فغدوا بين البرايا مثلا ... ومديحاً في لسان الحقبِ

بعد هذا النشيد بثماني سنوات يواصل الغلاييني هذا النهج في فكرة النشيد، كالتغني بالماضي، والحث على إعادة ما فيه من مجد وتقدم، ومناشدة

---

(٢٨)ديوان مصطفى الغلاييني . ص ٤١ .

الجيل الجديد للتسلح بالعلم والقوة في تحقيق الهدف.. كل هذا في "الراية العربية"[١٩]:

راية العرب راية المدنيه   راية المجد راية الحرية
أنت مهوى آمالنا الوطنيه   ومنار يهدي السبيل السوية
دمت فينا مدى الزمان عليّه

* * *

بك نحمي الحمى المفدى ونجني   ثمرات تحيي الديار وتغني
ونرجي الحياة في روض أمنٍ   وارف ظله، خصيب، أغنّ
في حمى دولة العلا العربيه

* * *

ارفعوا راية الفضيلة فينا   واستثيروا مجد الجدود الدفينا
إن صوت الآباء يدعو البنينا   أن يهبوا إلى العلا مسرعينا
بنفوس تهوى المعالي أبيّه

* * *

ناشئ العرب يا سليل المعالي   أنت غصن في روضة الآمالِ
جرد العزم في صفوف الليالي   واحمِ بالنفس والظبى والمالِ
راية العرب راية المدنيّه

وخص الغلاييني فتيان العروبة بنشيدين يؤكدان المعاني السابقة، كما في "فتى العرب" الذي يكاد يطابق النشيد السابق في الأفكار[٢٠]:

نروم التعالي بسجع المقالِ   ولسنا نبالي بغير الخيالِ
ورشف الزلال وطيب الظلالِ   وسود الليالي تخيط الكفنْ

* * *

(١٩) سا . ص ٤٤ .

(٢٠) سا . ص ٤٨ .

فتى العرب أقدم وخل التغني بعز تولى ومجد أغنّ
فليست تنال المنى بالتمني فقم واشتر المجد غالي الثمنْ

* * *

وأحي العلوم بعزم خذيمْ وحزم يطول مناط النجومْ
ورأي فتى ألمعي حكيمْ تخرُّ له شامخات القننْ

* * *

ألست ترى الغرب ساد العربْ وأخضع بالعلم صيد الرقبْ
فهبَّ إلى المجد فالشرق هبْ ولم يبق إلاك عبد الوسنْ

* * *

أعد ماضي العرب الأولينا وعزاً تولى ومجداً دفينا
فصوت الجدود ينادي البنينا فلبّ النداء ليحيا الوطنْ

وعلى المنوال نفسه تقريباً نقرأ له في قصيدة أخرى[٢١]:

ودع الألى يلهون عن جد المكارم باللعبْ
هل راحة الإنسان لو يدرون إلا في التعبْ
نرجو الحياة عزيزة والعز رائده الدأبْ
واحم التليد بطارف فتكون خير ابن لأبْ

ومن الجدير بالذكر أن الصراع قد اندلع منذ القرن التاسع عشر حول المرأة، وما يجوز لها وما لا يجوز، ثم تحولت مسألة السفور والحجاب إلى ساحة أساسية بين مؤيد ومعارض، وبالطبع كان الغلاييني من المحافظين في هذا الجانب، ولكنه مع ذلك لم ينكر على الفتاة حقها في التعليم خاصة، ولهذا فقد ركز أكثر أناشيده على الفتاة بالدرجة الأولى، مطالباً بالمساواة بين الذكر والأنثى وفق الأصول الشرعية الأولى، لا ما لحق بهذه الأصول من تعتيم وقمع واستغلال كامل.

---

(٢١) سا . ص ١٧٠ .

فلنقرأ له "أنشودة البنات" التي كتب أنه نظمها لابنته فاطمة[٢٢]:

أنـــا بنــت ذات عقــل　　أنا مـــن خيــر البنـــاتْ
أحفظ الدرس وأســعى　　للخـــصال الفاضـــلاتْ
وأطيـــع الأم دومـــاً　　فهـــي روض البركـــاتْ
إنما الخيــرات تجنــى　　من رضـــاء الأمهـــاتْ
إن أكن ذا اليوم طفــلاً　　في عـــداد القاصـــراتْ
فغـــداً بـــالعلم أرقـــى　　فـــي رفيـــع الـــدرجاتْ
كل من تفعــل مثلــي　　تجتنـــي ورد الحيـــاةْ
فاجتهـــدن اليـــوم تجنـــين لذيـــذ الثمـــراتْ
إنمـــا العلـــم ســـراج　　وهدى فـــي الظلمـــاتْ
وطريـــق للمعـــالي　　والأمـــاني الغاليـــاتْ

* * *

أيهـــا الآبـــاء يـــا أهـــل النهـــى والمكرمـــاتْ
أي فـــرق بـــين فتيـــان الحمـــى والفتيـــاتْ؟
هـــذبوا بـــالعلم والآداب أخـــلاق الفتـــاةْ
وأنيـــروا بالهـــدى ألبـــاب هـــذي الناشـــئاتْ
ليس يرقى الـــشعب إلا　　بالبنـــات الـــصالحاتْ

وعلى المنوال نفسه نقرأ له "أعزوا الفتاة"[٢٣] و"الفتاة العربية والعلم"[٢٤] وصولاً إلى فتاة العرب التي نلمس فيها شيئاً من التنويع في بناء النشيد[٢٥]:

---

(٢٢) سا . ص ٢٠٤ .
(٢٣) سا . ص ٥١ .
(٢٤) سا . ص ٢٦٤.
(٢٥) سا . ص ٥٠ .

إلى العلـم سـيري فتـاة العـربْ   كظبـي عـدا
فبـالعلم يـشرق نجـم الأربْ   كـصبح بـدا
ونـور المعـارف يـوم النـوبْ   بـه يقتـدى

* * *

أيـا زهـرة فـي ريـاض الأمـلْ   سـقاها النـدى
أريجـك يـنعش مـا قـد ذبـلْ   ويحيي المنـى
ويهدي الذي عن صُوى المجد ضلْ   سـبيل الهـدى

* * *

أفيضي الشذا فـوق هـام الربـى   فيروى الصدى
فقـد بلـغ الـسيل هـام الزبـى   وجـار العـدى
وأيـدي الخطـوب تحـد الظبـى   وتذكي اللظـى

* * *

ديـارك بنـت المعـالي تنـادي   أجيبـي النـدا
يمينـك فيهـا حيـاة الـبلاد   ومنها الـردى
وفيهـا سـيوف تـرد الأعـادي   وتحمي الحمـى

كتابة الغلاييني الشعرية كما نلاحظ منظومات قليلة الشعر، بما يعنيه الشعر من إبداع وصور وبراعة أساليب وتجديد، كما إن الجزالة التقليدية بادية على نصوصه جميعاً.. وهي لا تفرق بين ما يكتب للكبار والصغار من الناحية اللغوية.

الفصل الثاني

الكتاب التعليمي وشعر الأطفال

لأسباب عديدة أدَّت بلاد الشام الدور الأول والأشمل في حركة الطباعة والترجمة والانفتاح على العالم وتأليف الكتب المدرسية، واختلط الأمر في البداية بتأثيرات دينية واضحة، كما نلاحظ ما فعله رجال الكنائس في حلب ودمشق والموصل والقدس، إضافة إلى المراكز اللبنانية المشهورة في التأليف والطباعة.

ويمثل كتاب لويس صابونجي " أصول القراءة العربية " صورة من بدايات التأليف التعليمي، فقد حوى منتخبات من التراث العربي، في مقدمتها " الصادح والباغم ".. والأبيات المختارة منه كانت زاداً لغوياً وتربوياً لتلاميذ تلك المرحلة المبكرة.

إلا أن كتاباً متقدماً في نوعيته مثل كتاب " مدارج القراءة "بأجزائه الستة قد شكل قفزة نوعية، سواء في منهجه التربوي أم في مراعاته لتسلسل المعلومات، وما يهمنا هو احتواؤه على قصائد وحكايات شعرية للأطفال، كما نلاحظ في حكاية "الحمار والكلب الصغير" لرائد من رواد شعر الأطفال هو جبران النحاس[١]:

لا تأتِ أمراً لم تكن من أهلـــهِ   تعـــاب عنـــد أهلـــه بجهلـــهِ

---

(١) مدارج القراءة . همام ٣ / ٢٨٦ .

فالجلف مهما كان يبدي لطفا ليس تـــراه العـــين إلا جلفـــا
مهما تلطف الغلـيظ واجتهـدْ فليس يـستحب لطفـه أحـدْ
وما أقـل مـا نلاقـي ظرفـا ولا نرى في ظـرفهم تكلفـا
وربنا يخـص مـن يـشابه فلا تعنّ النفس في اكتـسابهِ
وإن أبيت غير هـذا مـسلكا ينلك ما نـال الحمـار قبلكـا
فإنـه يقـال نـاجى نفـسهُ يوماً بما يصدق عنه نحـسهُ
فقال ذا الكلب الصغير الـسنّ ينال من مـولاي خيـر مـنّ
ولا يـزال عمـره معلقـا بينا أنا كأنمـا حظـي الـشقا
ليس يصيبني سوى قرع العصا فما علي يـا تـرى لأخلـصا
لست أرى يا قوم غيـر يـده يرفعهـا دلاً إلـى سـيدهْ
وسيدي مـن فـوره يـضمه وكـم رأوه مـرة يلثمـهُ
فإن يكـن ثمـة كنـه الـسر فابشر فؤادي بـزوال العـسرِ
وبينمـا أفكـاره مـشغوله بهـذه الخـواطر الجليلـهْ
إذ جاء مولاه ووجهه طلـقْ ينزع عن فؤاد عافيه الفـرقْ
فما تـوانى أن رمـى عليـهِ حـافره مخـازراً جفنيـهِ
وكـي يزيـد عنـده تحبُّبـا هزَّت شدقيه وأعلـى الـذنبا
وتـابع الـصفير والنهاقـا والفقع حتـى طبـق الآفاقـا
وبينما الحمار فـي ذا الحـالِ أهوى الفتى عليـه بالنكـالِ
حتى جرى الدم نجيعاً من فمهْ وانكفأ الحمـار عـن ترنمـهْ

والمؤلف نفسه جرجس همام كـان لـه دور فـي شعر الأطفال، ليس فـي التعليم والتأليف وحسـب، بـل فـي كتابة القصائد التهذيبية المبكرة

كما في "الأرجوحة"[2] و"من علم العصفور؟"[3] و"الفلاح وبنوه" التي يقول فيها[4]:

أصاب يوماً عاملاً في الأرضِ	داء عياء بالقضاء المقضي
وحين إذ طالت عليه العلةْ	وقد علته من جراها القلةْ
وبات يائساً من السلامةْ	دعا بنيه ساعة أمامةْ
وقال: عني هذه الوصيةْ	خذوا اعملوا بها بحسن النيةْ
طمرت في بستاننا ركازا	يدفع عنكم بعدي الإعوازا
دفنته ولم أقم عليهِ	رمزاً لكي لا يهتدى إليهِ
فأفرغوا في البحث عنه الوسعا	واتخذوا الصبر لذاك درعا
وأكثروا النقب تروه بعدُ	فإنه في البحث عنه يبدو
وأدركته بعد ذا المنيةْ	واحتفظ الأولاد بالوصيةْ
فانطلقوا للأرض بالفؤوسِ	ليكشفوا دفائن الفلوسِ
واجتهدوا في النقب عنها بحثا	وقلبوا البستان عزقاً حرثا
ولم يروا فلساً ولا ركازا	قالوا: أبونا يقصد الإعجازا
وكان أن الأرض زادت خصبا	وامتلأ السنبل فيها حبا
وكانت الغلال منها وافرةْ	فحصدوها بقلوب شاكرةْ
وعرفوا حقيقة المجازِ	في ما عناه الأب بالركازِ
لا شك قالوا: إنه الحصائدُ	فالأرض حقاً كلها فوائدُ

أما خليل بيدس فهو تربوي استطعت أن أصل إلى عطاءاته، من خلال كتابه "مرآة المعلمين" برؤيته الحديثة، واطلاعه على الفكر التربوي والفلسفي العالمي في

---

(٢) قراءتي . للرابع . شويكي . ص ١١٦.

(٣) أناشيد مدرسية . ص ٨٥.

(٤) مدارج الطفولة ٤ / ٦٤ .

ذلك الوقت، وهي حالة نادرة، نظراً إلى المرحلة المبكرة جداً من معرفة ثقافات العالم عندنا. وله "درجات القراءة" في ستة أجزاء، أما الكتاب التعليمي المباشر فهو "العقد الثمين في تربية البنين" وفيه نقرأ لبيدس نفسه شعراً صحياً إن صح التعبير، في "وصايا الصحة العشر"(٥):

شمَّ الهواء دائما نقيا	مجددا مطهراً طريا
وكلْ غذاء سالماً معتدلا	أما غليظَ كلِّ مأكول فلا
واشرب مع الماء شراباً شافيا	وليكن الماء زلالاً صافيا
والجسم رُضْ رياضة محتمله	لكي تنال صحة معتدلهْ
والبس من الثياب ما يلائم	لكل فصل أنت فيه قائمُ
وامتنعنْ عن كل ما يضنيكا	أو مادة مضرة تؤذيكا
وانتخبنْ بلدة لسكنتك	هواؤها موافق لبنيتكْ
وغسلن رأسك والجسدا	وثوبك احفظه نظيفاً أبدا
وزيجة ما بين أقرباك لا	تعقد فإنها تذيق العللا
واجعل لأوقات الرقاد حدا	فإن عملت الكل عشت رغدا

وجرجس عبد الملك تربوي آخر له مكانة هامة تقارب بيدس، من خلال كتابيه "قاعدة السلم" و"سلم القراءة الحديث" وفيه عدد من النصوص الشعرية، ومنها "الطير والإنسان"(٦):

لله زقزقة العصفور في السحر	كم فرجت عنك من هم ومن ضجرِ
لكن نفسك والعدوان شيمتها	كم حدثتك برشق الطير بالحجرِ

(٥) العقد الثمين . ص ١٤٨ .

(٦) سلم القراءة الحديث . ص ٩١ .

لا يعرف الناس قدر المحسنين فكم	راح الجميل سدى في العالم البشري
يشنف الطير مجاناً مسامعنا	بكل لحن جميل الوقع مبتكر
ونحن نصلي له دبقاً لنأسره	حياً ونذبحه للأكل وهو طري
وللرياضة والتمرين نقتله	بوبل نار من البارود منفجر
ونملأ الأرض والآفاق مرجلة	على صغير كهذا غير مقتدر
وفي سجون من الأقفاص نحصره	وإنما الصوت فيه غير منحصر
يشكو إلى الله بطش العالمين به	وظلمهم وهو من كل الذنوب بري
تأمل الطير بالألوان مزدهراً	فإنه صورة من أبدع الصور
وانظر إليه على الأغصان منتقلاً	بسرعة أين منها سرعة البصر
يبكر الطير إن حان المساء إلى	نوم وينهض للتغريد في السحر
وإنما الطير يضني جسمه شرهاً	مقصراً عمره المحدود بالسهر
والطير هام بنقد الحب منفعة	والمرء هام بحب النقد للضرر

والمربي الكبير يوسف صفير صاحب كتاب هام آخر هو "ترقي الصغار" لم ينس فيه أن يثبت عدداً من القصائد لعدد من الشعراء، تجمعها الطرافة والبساطة، وإن لم تكن أصلاً للأطفال، ولكنها تعطينا صورة ملموسة لطريقة اختيار النص الشعري المناسب لهم، ومن ذلك قصيدة "تفاخر الزيت" لواحد من رواد الإحياء الشعري في لبنان وهو نقولا الترك (١٧٦٣ - ١٨٢٨)(٧):

أنا الزيت الذي كلٌ إليه	بمحتاج ووصفي قد تنوَّع
فنوري شاهد في عظم فضلي	إذا ما في ظلام الليل لعلع
وفي حلك الدجى يغدو نهاراً	مضيئاً مشرقاً بهجاً مشعشع

---

(٧) ترقي الصغار . ص ٣٩ .

ومني يكسب الصابون عرفاً ذكياً يشبه المسك المضوَّعْ

به قد تغسل الأدران طراً عن الأبدان والملبوس أجمعْ

وكم لي من مزيات تناهت يضيق بوصفها الشرح الموسعْ

وقد لاحظت أن هذا الشاعر التقليدي قد امتاز بشيء من القدرة على كتابة ممتعة تصلح أن تكون نصاً يقدم للطفل كما في قوله(٨):

الحمد لله الذي ولدت حمارتنا العشارْ

جاءت لنا بحمارة يا ليتها كانت حمارْ

لكنما بخلاصها فرح الصغار مع الكبارْ

طبخوا حلاوتها وكم من جارة أكلت وجارْ

الله ينشدها عسى منها نرى كثر البذارْ

ونرى الحمير يبرطعون ويلعبون بكل دارْ

وفي الكتاب نص جميل هو "تحية بلاد الشام" لفؤاد سالم(٩):

بلاد الشآم مقر الكرام سلام عليك وألف سلامْ

فقد كنت مطلع شمس العلوم وقد كنت مطلع شمس العظامْ

وقد كنت مهبط أهل اليراع وقد كنت مهبط أهل الحسامْ

وقد كنت للناس خير مقام وسوف تكونين خير مقامْ

فيا أرز لبنان يا بعلبك ويا دار كل عليّ المقامْ

ويا أرض تدمر يا أرض صور ويا أرض بغداد دار السلامْ

ويا أرض عيسى ويا أرض موسى ويا أرض نوح ويا أرض سامْ

أحييك بالقلب قبل اللسان وأجثو لديك بكل احترامْ

---

(٨) ديوان المعلم نقولا الترك . البستاني . ص ٢٠٧ .

(٩) ترقي الصغار . ص ٤٥ .

وهناك نص آخر يبدو أنه وضع أصلاً للأطفال وهو "حرية الطائر" للشاعر نقولا رزق الله (١٨٦٩ - ١٩١٥) يقول فيه(١٠):

وارحمتاه لـذاك الطـائر الغـرد	هو السجين ولم يذنب إلى أحـدِ
قد كان في البر حراً لا عدو لـه	فناله الضر من مـستوطن البلـدِ
يستقبل الفجر بالتغريـد مبتهجـاً	مسبحاً للقـدير الواحـد الـصمد
يهيم في جنبات الغـاب ملتمـساً	طعامه بين ناب الـذئب والأسـد
لا يرهب الأسد الضاري لأن لـه	جناحه عدة مـن أفـضل العـدد
يطير من غصن فيها إلى غـصن	ولا يقيم على بـؤس و لا نكـد
دهته من شرك القنـاص داهيـة	فعاقبته على ما نال مـن رغـد
وبات في قفص يشكو فيـسمعه	أهل المروءة عن قرب وعن بعد

ومن الكتب التعليمية الهامة كتاب "المجاني الشهية في الحدائق العربية" من أربعة أجزاء لوديع سركيس، وفيه مختارات منتقاة بذوق رفيع سواء أكانت مكتوبة للأطفال أصلاً أم من الشعر الجميل السهل الذي يصلح أن يضم إلى محفوظاتهم.

ومما يمكننا عدّه شعراً تعليمياً ما جاء في "مجمع البحرين" للرائد الكبير ناصيف اليازجي، فهناك نصان شديدا الوضوح في كونهما شعراً تعليمياً للصغار كقوله(١١):

لمسكن الناس يقـال الـوطن	ومثـل ذاك للجمـال العطـنُ
اصطبل خيل زرب شاء وورد	وجار ضبع والعـرين للأسـدْ
ونقف الخلـد كنـاس للظبـا	والنافقـاء لليرابيـع خبـا

---

(١٠) سا . ص ٢٣٨ .

(١١) مجمع البحرين . ص ٨٦.

جحر الضباب قرية للنمل | وهكذا خلية للنحلِ
والوكر للطير وأفحوص القطا | منه، وأدحي النعام ارتبطا

ولديه منظومة تعليمية ثانية عن الأصوات منها(١٢):

هزيز ريح وحفيف الشجر | هزيم رعد ودوي المطرِ
وسواس حلية صليل النصل | قلقلة المفتاح ضمن القفلِ
رنة قوس وصريف الناب | صرير أقلام على الكتابِ
غطيط نائم عويل الباكي | وهكذا قهقهة الضحَّاكِ
معمعة الحريق والحنين | للنوق والمرضى لهما أنينُ
صهيل خيل وشحيج البغل | نهيق عفو وخوار العجلِ

إضافة إلى نصائح أخلاقية عامة في منظومة ثالثة(١٣). ومساهمات خليل سكاكيني في كتابيه "الجديد في القراءة وفي المطالعة" ثلاثة أجزاء، وشريف النشاشيبي في "القراءة الفريدة" أربعة أجزاء و"الأدب التهذيبي"، وإسعاف النشاشيبي في كتابه الممتاز "البستان" وفي "أشعار عربية يستظهرها الطلبة الصغار".

فيما سبق نماذج لأبرز الكتب التعليمية المبكرة في بلاد الشام، وهي تمثل صورة من صور تقديم الشعر للتلاميذ، حيث كان الاعتماد الأساسي على نصوص قديمة معروفة، إلى جانب بعض القصائد والحكايات الشعرية المعاصرة.

---

(١٢) سا . ص ٢٣٨ .

(١٣) سا . ص ١٠٧ .

الفصل الثالث

تجارب لبنانية في شعر الأطفال

كان للبنان كما هو معروف دوره الكبير مع باقي البقاع الشامية في النهضة التعليمية، وبذور هذا الدور نجدها لدى عدد من المتعلمين الأوائل وعلى رأسهم الشاعر والمربي والأديب ناصيف اليازجي (١٨٠٠-١٨٧١) فقد كان مثقفاً موسوعياً في زمنه، يكتب الشعر والنثر، ويسهم في الدعوة لنهوض العرب، ويدعو إلى تحرير المرأة، ويمارس التعليم، ويؤلف الكتب التعليمية.

ولدى اليازجي نصوص شعرية تعليمية مهمة في "مجمع البحرين" خاصة، إضافة إلى شعره التربوي، أما بطرس البستاني (١٨١٩-١٨٨٣) فهو رائد مهم آخر، ومعلم ذائع الصيت، وصاحب قصيدة من القصائد الذائعة الصيت في الكتب المدرسية العربية كلها وهي قصيدة "وطني"(١):

سواد العين يا وطني فداكا ... وقلبي لا يودّ سوى علاكا

نشأت على هواك فتى وفياً ... وما عودتني إلا وفاكا

رضعت مع الحليب هواك طفلاً ... فعززني وشرفني هواكا

فما لي فيك غير حمى منيع ... وهل يحمي بنيك سوى حماكا؟

فأنت حديقتي ونعيم روحي ... وحسبي نعمة أني أراكا

سأنشر في الورى ذكراك حتى ... يفوح بكل ناحية شذاكا

عليك وقفت يا وطني حياتي ... وما أشهى المنية في رضاكا

---

(١) أروع ما قيل . ناصيف . ص ٣١ .

والدعوة إلى العلم شكلت أساً في النهوض التنويري، وفي هذا يقول شاعر لبناني في أواخر القرن التاسع عشر هو أسعد طراد[٢]:

العلم أفضل هاد | إلى طريق الرشاد
والعلم للناس فرض | في مذهبي واعتقادي
والعلم أفضل واق | نفوسنا من فساد
والعلم تاج شريف | للمرء في كل ناد
والعلم أثبت خل | على الوفا والوداد
والعلم كنز ثمين | لا يبتلي بنفاد
والعلم ماء زلال | لكل آت وغاد
والعلم خير صديق | ألقي عليه اعتمادي
والعلم عوني وغوثي | بالمعضلات الشداد
والعلم سيفي ورمحي | وجعبتي وجوادي

إلا أن العناية الكبيرة والواعية بشعر الأطفال نجد إرهاصاتها المهمة لدى مرب كبير، ومؤلف لكتب تعليمية عديدة هو جرجس همام، ففي تجربته ملامح لقصيدة طفل استطاعت أن تدرك الكثير من خصوصية لغة الطفل، كما نلاحظ في قصيدة " من علم العصفور؟"[٣]:

من علم العصفور أن | يبنيَ عشاً في الشجرْ
كقصر ملك شاده | ولم يضع فيه حجر؟

* * *

من علم البلبل أن | يتلو أناشيد الهنا
يطرب كل سامع | بكل لحن وغنا؟

* * *

---

(٢) ديوان أسعد طراد . ص ٦١ .

(٣) أناشيد مدرسية . ص ٨٥ .

مـن علـم النحلـة أن تجني من الزهر العسلْ
قوتـاً لأيـام الـشتا تجمعـه بـلا ملـلْ؟

* * *

أم من هدى النملـة أن تجمع في الصيف الطعامْ
تخزنـه فـي حجرهـا لحينه علـى انتظـامْ؟

* * *

الله قـد علمهـا ذاك وأعطاها الهـدى
وهـو لكـل مرشـد لكـل خيـر أبـدا

وعلى هذا المستوى الرفيع من قصيدة الطفل المبكرة نقرأ في موضوع لافت هو "الأرجوحة" ونصها(٤):

رجّـح برفـق رجـحِ بين الصحاب النـصّحِ
فلنـشد طـرباً بالهنـا وخـاطر منـشرحِ

* * *

أنعـم بهـا أرجوحـه في روضـة فـسيحه
أطيارهـا مليحـه من كل شـكل مفـرحِ

* * *

نلعـب وقـت لهونـا نرجو السرور والهنـا
أمـا إذا الـدرس دنـا فالدرس شأن المفلـحِ

* * *

والدرس من بعد اللعبْ شأن النبيه المكتـسبْ
فالعب قلـيلاً واطلـبْ علمـاً نفيـساً تـنجحِ

والحكاية الشعرية للأطفال شكلت لوناً مهماً من شعر الأطفال، وقد برع فيه جبران النحاس صاحب "تطريب العندليب" وهي مجموعة شعرية للأطفال طبعت

---

(٤) قراءتي . للرابع . شويكي . ص ١١٦ .

طبعتها الثانية عام ١٩٥٠، وكتب إبراهيم المنذر واحدة من القصائد ذائعة الصيت مدرسياً بعنوان "قلب الأم" ونصها [٥]:

أغرى امرؤ يوماً غلاماً جاهلاً | بنقوده كيما ينال به الوطرْ
قال: ائتني بفؤاد أمك يا فتى | ولك الجواهر والدراهم والدررْ
فمضى وأغرز خنجراً في صدرها | والقلب أخرجه وعاد على الأثرْ
لكنه من فرط سرعته هوى | فتدحرج القلب المعفر إذ عثرْ
ناداه قلب الأم وهو معفر: | ولدي حبيبي هل أصابك من ضرر
فكأن هذا الصوت رغم حنوه | غضب السماء على الوليد قد انهمر
فدرى فظيع خيانة لم يأتها | ولد سواه منذ تاريخ البشر
وارتد نحو القلب يغسله بما | فاضت به عيناه من سيل العبر
ويقول: يا قلب انتقم مني ولا | تغفر فإن جريمتي لا تغتفر
واستلّ خنجره ليطعن صدره | حنقاً ويبقى عبرة لمن اعتبر
ناداه قلب الأم: قف ولدي ولا | تذبح فؤادي مرتين على الأثر

وراحت تجارب الكتابة الشعرية للأطفال تتقدم مع انتشار التعليم، وتنبه بعض الشعراء أكثر فأكثر إلى أهمية القصائد والأناشيد، وما تؤديه من دور في الوعي الوطني والتربوي، وفي إرهاف الإحساس باللغة والشعر معاً، ومن ذلك قصيدة "غن يا عصفور" لرياض المعلوف، حيث يقول فيها[٦]:

غنّ يا عصفور غنّ | لي ألحان التمني
وانتفض في الماء نفضات الوريقات بغصن

---

(٥) شعراء القصة والوصف . سابا . ص ١٦٩ .
ومن المصادفات أن الحكاية درسناها في مقرر الفارسية في الجامعة لشاعر فارسي قديم، ونظمها طانيوس عبده ثانية.
راجع ديوانه ص ١٠٦ .
(٦) حديقتي . للرابع . ص ٦٩ .

هــذه روحــيَ طــارت   فــي فــضا لحنــك منــي
فــأرى شــدوك شــدوي   وأرى لحنــك لحنــي
ليــت قلبــي فــي جناحيــك وفــي المنقــار ســني
غنّ يــا عــصفور غــنّ   ثــم طــر عنــك وعنــي

ولشاعر آخر من المعالفة هو رشدي المعلوف نقرأ قصيدة "فضل الأمهات" وفيها معانٍ نبيلة تجاه الأم، في إطار موسيقي مميز(٧):

ربي سألتك باسـمهنهْ   أن تفرش الدنيا لهنــهْ
بــالورد إن ســمحت يــداك وبالبنفــسج بعدهنــهْ
حــب الحيــاة بمنتــين وحــبهن بغيــر منــه
نمــشي علــى أجفــانهن ونهتــدي بقلوبهنــه
فردوســهن وبؤســهن ببــسمة منــا.. وأنــه
لتطــلّ شمــسك فــي الــصباح وكــل أمّ مطمئنــه

ولإيليا أبي ماضي عدة قصائد جميلة، دخلت الكتب المدرسية، وامتازت بقدر ملموس من الشفافية التي أخذت تتنامى مع تطور اللغة الشعرية كما في قصيدة "طفولة" التي يقول فيها(٨):

ما بالــك منكمــشاً كمــدا   قم نلعب في فيء الــشجرِ
ونهز الأغــصن والعمــدا   ونذود الطير عــن الثمــر
أو نصنع خيلاً من قــصبِ   أو طيــارات مــن ورقِ
ومُدى وسيوفاً من خــشبِ   ونجول ونركض في الطرق
أو نــأتي بــالفحم القــاتم   ونــصور نــوق الأبــوابِ
تنينــاً فــي بحــر عــائم   أو ليثاً يخطر فــي غــاب

---

(٧) أزهار الأدب العربي . حسن ١ / ٣٦ .

(٨) المنتقى. ص ١٥٢ .

أو كلبـــاً يعـــدو أو حمـــلاً يرعى أو نهراً أو هـــضبة
أو ديكـــاً ينقـــر أو رجـــلاً يمشي أو مهراً أو عربـــه
أو نجبـــل مـــاء وترابـــا ونـــشيد بيوتـــاً وقبابـــا
أو نجعـــل منـــه أنـــصابا أو نصنع حلـــوى وكبابـــا

وفي إطار قصصي نقرأ له "الثعلب والأسد" ذات البناء الإيقاعي المتنوع [٩]:

أشرف البدر على الغابة في إحدى الليالي
فرأى الثعلب يمشي خلسة بين الـــدوالي
كلما لاح خيال خـــاف مـــن ذاك الخيـــالِ
واقشعرًا
ورأى ليثاًهصوراً واقفاًعنـــد الغـــديرْ
كلما استشعر حساً مـــلأ الـــوادي زئيـــرْ
فإذا بالماء يجري خائفاً عنـــد الـــصخورْ
مكفهرا

أما قصيدة "من الفتى الأفضل؟" ففيها مجموعة من الحكم المهمة في تربية الطفل تربية علمية معاصرة[١٠]:

مضى زمن كان فيه الفتى يباهي بمـــا قومـــه أثلـــوا
ويرفعه في عيون الأنـــام ويخفض من قدره المنزلُ
فلا تقعدنْ عن طلاب العلا وتعـــذل بـــلادك إذ تعـــذل
فإن الخلائق حتى عـــداك متى ما ســـبقتهم هللـــوا
فثابر بجـــد علـــى نيلهـــا فليس يخيب الـــذي يعمـــلُ
وكن رجلاً ناهضاً ينتمـــي إلى نفسه عنـــدما يـــسألُ

---

(٩) ســـا .
(١٠) أزهار الأدب العربي . حسن ١ / ٦٣ .

فلست الثياب التي ترتـدي ولست الأسامي التي تحملُ
ولست البلاد التي أنبتتـك ولكنمـا أنـت مـا تفعـلُ
إذا كنت من وطن خامـل وفزت فأنت الفتى الأفضلُ

واستطاع بعض رواد شعر الأطفال في لبنان أن يركزوا على الجانب الضاحك في نصوصهم، وهو من أصعب النصوص وأكثرها قرباً من الطفل، كما في " جائزة الكسل " لأمين ظاهر خير الله، حيث يروي أن شيخاً له ثلاثة أبناء كسالى لم يورث لهم إلا حماراً أوصى بأن يكون حصة لأكسلهم، فاحتكموا إلى أحد القضاة فقال الأول إنه يمر بجدول الماء وهو عطشان، فلا يشرب منه لأنه يكسل عن ذلك، أما الثاني فقال إن الذباب يدخل فمه فلا يحرك ساكناً لطرده(١١):

وسكت الثالث عن تبيـانِ ما عنده من راجح البرهانِ
قال له الشارع: فه بالحجه فجمجمت ألفاظه المرتجه:
أكـسل أن أفـوه بـالكلام ولو حويت غبطة المـرام
فحكم القاضي له الوصـيه بلا امترا يا أكسل البريهْ
ثم عـلا حمـاره وسـارا ينشد في نجاحه الأشـعارا

وشبلي الملاط من الذين أسهموا في هذا اللون بعدة قصائد، منها "نشيد الأرز" حيث يقول فيه(١٢):

التـاج والجـلالْ والمجـد والجمـالْ
وروعـة الخيـال للأرز فـي لبنـانْ
* * *
يا جاعـل اليـراعْ في موضع الحسامْ
ومنـشئ الفتيـانْ أعـزة شـجعانْ

---

(١١) مدارج القراءة ، همام ٤ / ٣٣٢ .
(١٢) ديوان شبلي الملاط . ص ٥٥ .

وله أيضاً "نشيد الشجرة" وقصيدة أخرى تقليدية البناء يوجه فيها بشكل مباشر وعظي مثل قوله(١٣):

بنيّ إذا كبرتم واصطبرتم على نكد الزمان المستبدْ
فلا تتعصبوا أبداً لدين فكل تعصب يشقي و يردي
حذار من النميمة فهي عار ومنقصة تحط بكل فرد
ولا تنسوا لأمكم جميلاً وما عانته من تعب وجهد

وشاع لميخائيل نعيمة نص في الكتب المدرسية العربية وإن كان أساساً لم يكتب للأطفال، إلا أن صياغته جعلته واحداً من أجمل النصوص لهم بعنوان "الطمأنينة" ومنه (١٤):

سقف بيتي حديدْ ركن بيتي حجرْ
فاعصفي يا رياحْ وانتحب يا شجرْ
واسبحي يا غيومْ واهطلي بالمطرْ
واقصفي يا رعودْ لست أخشى خطرْ
سقف بيتي حديد ركن بيتي حجرْ

وله نص آخر كان معروفاً في تلك الكتب، وروحه مقاربة للأول في شكله وموضوعه هو "ترنيمة الرياح"(١٥):

هللي هللي يا رياحْ وانسجي حول نومي وشاحْ
من خرير الغديرْ واهتزاز الأثيرْ
واختلال العبيرْ في دموع الصباحْ
هللي هللي يا رياح

(١٣) سا . ص ٥٢٢ . ونشيد الشجرة ص ٥٠٩ .
(١٤) همس الجفون . ص ٦٦ .
(١٥) سا . ص ٧٨ .

وقد اشتهر للشاعر بشارة الخوري نص "البلبل"(١٦) مع أن صياغته على رقتها تظهر أنه ليس للطفل، أما النشيد الذائع الصيت مبكراً له فهو "يا علمي" الذي منه(١٧):

يا علمي يا علم العربْ　　　أشــــرق واخفـــقِ
فـــي الأفـــق الأزرقِ
يـــــــا علــــــمْ
يــا نــسيج الأمهـــاتِ　　　في الليــالي الحالكـــاتِ
لبنـــــيهن الأبــــاةِ
كيــــف لا نفــــديكْ　　　كـــل خـــيط فيـــكْ
دمعـــة مـــن جفـــنهنّ　　　خفقة مـــن صـــدرهنّ
قبلة مـــن ثغـــرهنّ
يـــــــا علــــــمْ

ويهدهد وديع عقل ابنه بقصيدة منها(١٨):

بنـــي نـــم بـــسلامِ　　　واهنأ بطيب المنـــام
نم يا سليل الكـــرامِ　　　يرعاك باري الأنـــام

والشاعر محمد الحوماني من رجال الحركة القومية العربية في مطلع القرن العشرين، لذا غادر لبنان وعاش في سورية والعراق والأردن، وعمل في التعليم، فكتب العديد من قصائد الأطفال، إلا أن لغته جزلة ترتفع فوق مستواهم، كما في قوله من نشيد كتبه لمدرسة في البلقاء (١٩):

---

(١٦) المنتخب . للرابع . ص ١٤ .

(١٧) حديقة الأطفال. ٤٦ .

(١٨) ديوان وديع عقل . ص ١٤٠ .

(١٩) الحديقة . الخطيب ٤ / ٢٢٨ .

سائلوا التاريخ عنا كيف دوخنا الـبلادا
أنجبت قحطان منـا أسداً تهوى الجلادا
تخذوا الصبر مجنـاً ضارباً فيهم خيامه

ومن أهم من انتبه لشعر الأطفال في مطلع القرن العشرين خليل مطـران وحليم دموس ومصطفى الغلاييني وقد خصصناهم بحيـز خـاص للحـديث عـن تجاربهم، وقد جمعتهم الدعوة إلى العلم والعروبة.

ورشيد سليم الخوري (القروي) كتب عدداً من أناشيد الأطفال وقصائدهم، كما في "لبنان"[٢٠] وما يصح أن يكون نصاً يقدم للأطفال بسبب رقته وسهولته كما في "معولي"[٢١] و"البلبل الساكت"[٢٢]

ويكتب للأطفال مباشرة "في الملعب" بإيقاع مناسب لأغنية مرافقة للعب[٢٣]:

صف، ركض، وثب، لعـب صفق، رقص، أنس وطرب[*]
لا درس ولا كتـب لا شـغل ولا تعـب
فلنـسرح ولنمـرح
زهـواً لهـوا عـدواً شـدوا
بأناشـيد الـسرورْ نتغنـى ونـسيرْ
فـي بـساتين الزهـور نتغنـى بـالهوا والنـورْ

ومن نشيد آخر موجه إلى الفتيات يقول [٢٤]:

زينـي الـنفس بعلـم وعفـاف وأدبْ
ولتكن هذي الـدراري عقـد زينـات العـربْ

---

(٢٠) الديوان ١ / ١٨٥ .
(٢١) سا ١ / ١٢٢ .
(٢٢) سا ١ / ١٩٣.
(٢٣) سا ١ / ١٨٥ .
(*) في الأصل : مطرب
(٢٤) سا ١ / ١٨٤ .

وعلى الرغم من أن الوعظ في الشعر أثر سلباً في شعرية النصوص وحولها إلى نثر منظوم، إلا أن الشاعر يوسف زخريا يحاول أن يضيف إلى المواعظ ظلالاً جميلة من الصور والأمثلة والطرافة في قصيدة "إلى ولدي"(٢٥):

أعدَّ يا بُني للعلى عدتكْ ... واحفظ لها طاهر ذمتكْ
وإن تخب آمال ذي همّة ... فلا تثبط خيبة همتكْ
وخذ فنون العلم عن أهلها ... وانفع بما تأخذه أمتكْ
والحق ناصره على خصمه ... واسكب على أعدائه نقمتكْ
واحترم الناس وأشياءهم ... إن هم لم ينتقصوا حرمتكْ
كن أسداً يحمي حياض الحمى ... ولم يدنس ثعلب كرمتكْ
ما في غنى المحتال من ثروة ... فاصدق وكل في شرف لقمتكْ
هذا هو العيد الذي أرتجي ... فسر وسدد نحوه عزمتكْ

ولندرة حداد قصيدة مشابهة على شكل خطاب موجه إلى ولده، وإن كان أقل شاعرية(٢٦):

كن حكيماً فكرام الناس عاشوا حكماءْ
كن دواء في الورى إياك أن تغدو داءْ
اجمع المال إذا اسطعت ولا تنس العطاءْ
حسب من يعطي ثناء الناس إن رام ثناءْ

وللمعلم يقول(٢٧):

يعطي ولم يك يوماً ... على عطاياه يندمْ
فليت كل غني ... مما يرى يتعلمْ

---

(٢٥) ديوان يوسف زخريا . ص ٢١٤ .
(٢٦) أوراق الخريف . ص ٦٤ .
(٢٧) سا . ص ١٣٠ .

إلياس أبو شبكة شاعر آخر مجدّد له مكانة خاصة في تطوير لغة الشعر شكلاً ومضموناً، وهو صاحب موضوعات جديدة قدمها في إطار رومانسي معروف، وكان من جملة تجديداته وانطلاقته نحو الحياة الحديثة أن كتب العديد من القصائد للأطفال، وكانت على العموم من التجارب المميزة على هذا الصعيد، ومن نماذجه حوارية "ألحان الطيور" التي منها قول الشحرور(٢٨):

أنا الشحرورْ

أرقــص فــي الــوادي حبــورْ

أمــلأ الغــصن حيــاة وشــعورْ

البلبل:

شــــاعر غنيــــت في كل حسن بيــتْ

من مبيتي في الخميلةْ

أنشد الدنيا فتغـدو مثل ألحاني جميلــةْ

وله "يا بلادي" و"الفلاح" و"ألحان الشتاء"(٢٩) وحوارية تعد من أشهر ما عرف لشاعرنا في الكتب المدرسية العربية، وفيها يقترب أبو شبكة كثيراً من الأطفال لغة وروحاً شعبية، إضافة إلى العناية بالشكل الموسيقي للقصيدة، ولنتأمل هذا المقطع من العمل المسمى "عيد في القرية"(٣٠):

بائع الحلوى:

حلـــوى المعطـــلْ ســـكر مـــشكلْ

أحمـــر. أخـــضر. أشـــقرْ

غزلان. رعيان. ملوك الجانْ

خيــــــل العربــــــانْ

عبلـــــه وعنتـــــر حلـــوى يـــا ســـكرْ

---

(٢٨) الأعمال الكاملة . ص ٣٥٥ .

(٢٩) سا . ص ٣٧٢ ـ ٢٥٩ ـ ٢٤٥ .

(٣٠) سا . ص ٣٦٨ .

بائع اللعب:

أنـــا بـــائع اللعـــب   عندي العجيب العجبْ
بابور   مسلخ
شختور   مصفخ
عندي مدافع   عندي دوارع   وطياراتْ
عندي قذائف   ودباباتْ

أما إلياس فرحات فقد كتب قصائد كثيرة للأطفال أو مستوحاة من عالمهم، وصاغها برقته المعروفة ومن ذلك "نشيد الراعي"(٣١):

أطلقـــت أغنـــامي   ترعـــى وتجتـــرّ
والزنبـــق النـــامي   للفجـــر يفتـــرّ
والنـــرجس النعـــسان   من ســـهرة الأمـــسِ
قـــد أطبـــق الأجفـــان   خوفاً مـــن الـــشمسِ
مـــن لقـــن الأطيـــار   أن تنـــشد الـــشعرا؟
مـــن علـــم الأزهـــار   أن تبعـــث العطـــرا؟
قد جاءني عـــصفور   مرصّـــع المنقـــارْ
ذو ريشة مـــن نـــور   وريـــشة مـــن نـــارْ
يا نعجتـــي البيـــضاء   يـــا زينـــة النعـــاجْ
ترعين في الرمـــضاء   والظـــل للمحتـــاجْ

كنا قد عرفنا أن أول شاعرة وضعت مجموعة كاملة للأطفال كانت جسماني شقرا من سورية عام ١٩٣٢، المرأة الثانية كانت اللبنانية روز غريب حيث نشرت عام ١٩٤٨

---

(٣١) أشعار وأناشيد. أبو سعد. ص ٨٧ .

مجموعة باسم "أغاني الصغار"[٣٢] ومع أنني لم أستطع العثور على هذه المجموعة إلا أن قصائد غريب منثورة في كتب عديدة، و"حماري الوديع" من نصوصها المشهورة[٣٣]:

حمــــاري الوديـــع ... رضـــيّ مطيـــع

يكـــدّ ويـــشقى ... لخيـــر الجميـــع

يكـــدّ ويـــشقى ... طـــوال النهـــارْ

بحـــرّ الهجيـــر ... وعـــصف الغبـــارْ

أحمّلـــه الحمْـــل ... لا أتعبـــــــــهُ

وإن أخطأ الـدرب ... لا أضـــــــــربهْ

لأنـــــه لـــــي ... رفيـــق أمـــينْ

وأستطيع أن أطمئن إلى القول إن تجربة روز غريب الشعرية للأطفال نقلت الكتابة بشكل نوعي إلى شروطها الفنية والتربوية بعمق واقتدار، حيث صار انتقاء الموضوع مدروساً ولغة النص شديدة الدقة في صياغتها، ولنتأمل هذه القصيدة وهي بعنوان "الدجاجة وفراخها" [٣٤]:

قق قـق قـق قـق ... يـــــــا أولادي

نمـــشي.. نمـــشي ... نحـــو الـــوادي

نأكـــــل حبـــــا ... حلـــواً رطبـــــا

ثـــــم نرجـــــع ... فـــي الميعـــادِ

والمربي الكبير عمر فروخ واحد من أعلام التربية والتعليم العرب، وله مساهمات عديدة منذ بداية القرن العشرين، واللافت أنه قدم للطفل مجموعة من أجمل القصائد، وتكاد تجربته تقارب في شكلها ومضمونها تجربة روز غريب، فهذه قصيدة " الديك الفصيح" مثلاً[٣٥]:

---

(٣٢) أدب الأطفال في لبنان . حطيط .

(٣٣) أروع ما قيل . ناصيف . ص ٦١ .

(٣٤) أشعار حلوة . ص ٣٤ .

(٣٥) أشعار وأناشيد . أبو سعد . ص ٤٧ .

أسمع الديك يصيح ولـه صوت فصيح
كلما صاحت ديوك الحي جمعاء يصيح:
كيك كيكي كيك كيكي
إنني أمدح ديكي هو أهل للمديح
كل ما فيه جميل وهو ذو ريش مليخ
آه ما أجمل ديكي
هل علمتم ما اسم ديكي؟ إنه يدعى سميحا
إنه فوق جدار مستعد أن يصيحا:
كيك كيكي كيك كيكي

إن هذه القصيدة تدل على الطرافة الممتعة في اختيار الموضوع وطريقة التعبير عنه، واللغة حية وسهلة ومتنوعة الأساليب، وهو أمر ينطبق على قصائد أخرى مثل "مكتبتي" و"طيارتي" "الفراشة الحمراء" و"الشتاء"[٣٦] ويمكن أن نذكر مثالاً أخيراً لعمر فروخ هو "العصفور الصغير"[٣٧]:

أنا عصفور صغيرْ حيثما شئت أطيرْ
وعلى الغصن أغني وعلى الأرض أسيرْ
آكل الأثمار والحب وفي الحقل أدورْ
وإذا ما كنت عطشان ففي قربي غديرْ
قد كساني الله ريشاً ناعماً، فهو حريرْ
وجناحاي صغيران ومنقاري صغيرْ
إن يكن رأسي صغيراً فبه عقل كبيرْ
إن أمي علمتني علمها وهو كثيرْ
وأبي علمني أيضاً وإخواني الطيورْ

(٣٦) سا . ص ٥٦ - ٢١ - ٣٦ - ٧٧ .
(٣٧) سا . ص ٤٣ .

ومن الشعراء اللبنانيين الذين برزوا في الكتابة للأطفال مصطفى محمود، حيث قدم العديد من القصائد الجميلة، ومنها "مطحنتي"[٣٨]:

دارت مطحنتي يا جـاري تهدر قرب النهر الجاري
تــدعو الفلاحــين إليهــا أهـــلاً أهـــلاً بـــالزوّارِ

* * *

لبّوهــا بغـــلال البيـــدر لبّوهـــا بـــالقمح الأســـمرْ
من خيرات المرج الأخضر فأغني ويطيـب نهـاري
دارت مطحنتـــي يـــا جـــاري
ما دام الموسم قد صـحّا يا جيراني هـاتوا قمحـا
وخذوا منها أبيض سمحا فأغني ويطيـب نهـاري
دارت مطحنتـــي يـــا جـــاري
جرش البرغل مـا أحـلاهْ في مطحنتـي حـين أراهْ
أدعـــو فيباركهـــا الله وأغني ويطيـب نهـاري
دارت مطحنتـــي يـــا جـــاري

ولشاعرنا وعلى نفس النحو من العذوبة والطرافة قصيدة "في ملعبنا الأخضر" وهي تجمع بين الرياضة والمرح والمتعة والهدف التربوي، حيث يقول[٣٩]:

في ملعبنا الأخـضرْ وعلى الرمل الأحمرْ
نسرح نمرح نلعـبُ بين الشجر الأخضرْ
في سـاحته نعـدو نضحك نلهو نشدو
وبنا الملعب يبـدو مرحاً حلو المنظـرْ
لا ندري ما الـسببُ حين يـدور اللعـبُ
نسرع نركض نثـبُ كعـصافير البيـدر

---

(٣٨) سا . ص ٧٠.
(٣٩) سا . ص ٦٥ .

شادي يسأل سلوى عن أقراص الحلوى
وتفاجئنا نجوى بمناقيش الزعترْ
لا ننسى لا ننسى بعد اللعب الدرسا
فهو يقوّي النفسا ويشجّعنا أكثرْ

حتى الأخوان رحباني كان لهما جهود في غاية الجمال والتأثير لأنها لم تكتف بالتلحين، بل قرنت ذلك بكتابة القصائد للأطفال، وإن كانت تجربتهما في شكلها الأساسي استخدمت العامية، كذلك الفصحى كما في "رجوع السنونو"(٤٠):

تلك أطيار السنونو
رجعت بعد الغيابْ
صوتها عذب حنون
مثله عند الذهابْ

* * *

ما تراها تتغنى
وأغانيها عذابْ؟
علها تسأل عنا
بعد أن طال الغيابْ

ونلاحظ الروح الرحبانية كيف تتجلى في التركيز على الطبيعة والطيور، واللمحات الشفيفة بلغة تغلب عليها الرقة، الأمر الذي يبدو واضحاً أيضاً في قصيدة "هيفاء ورفيقتها"(٤١):

هذي غيوم الشتاءْ
على دروب السماءْ
تغمر وجه المساءْ

* * *

---

(٤٠) أروع ما قيل . ناصيف . ص ٨٨.

(٤١) سا . ص ٥٤ .

أشعلي النار وقومي نسهرُ
أقبل الليل وطـــال الــسهرُ
خبر منـــك، ومنــــي خبـــرُ
ينقضي الليل وتبقى الذكرُ

ويمكننا أن نشير إلى مساهمات أخرى لأنيس المقدسي ورشيد نخلة وشارل الخوري ومتري بولس ومحمود باشو ورشاد دار غوث ووفاء محمد.

ومن المفرح حقاً أن جيلاً شاباً موهوباً قد دخل ساحة شعر الأطفال في لبنان، من أهم أسمائه حسن عبد الله وجودت فخر الدين ومحمد علي شمس الدين وغيرهم.

والشاعر حسن عبد الله أكثر شعراء السبعينيات اهتماماً بشعر الأطفال، إذ إن مساهمته لم تقتصر على المشاركة بين الحين والآخر، بل قدم عدداً من المجموعات الشعرية للأطفال، وما يزال ينشر في عدة مجلات عربية مرموقة مثل "أحمد" و"العربي الصغير" وغيرهما.

ومن قصائده "رثاء وردة"(٤٢):

أســـــرعتِ بالـــــذهابِ
فـــــي أول الـــــشبابِ
يـــا وردتــــي الأنيقـــهْ
يــــا زينــــة الحديقـــهْ
مـــا زلـــت فـــي عيـــوني
ميــــادة الغـــــصونِ
وعطـــــرك الفـــــواحُ
تهفـــــو لـــــه الأرواحُ

---

(٤٢) مجلة أحمد . العدد ٣٢٨ / ٢٠٠١ .

ولـــم تـــزل ذكـــراكِ

تـــــأتي بعطــــر زاكِ

وللشاعر أيضاً قصيدة "أغنية الربيع" وهي تقدم صورة أخرى على الشاعرية المتميزة الناجحة في قصيدة الطفل حقاً[٤٣]:

هذا الربيـــع قـــد أتـــى   أتى أتـــى بعـــد الـشتا

وحـــل فـــي ربوعنـــا   ولم يـــزل بعـــد فتـــى

* * *

أتى الربيـــع ضـاحكاً   كبـــرعم تفتحـــا

أتـــى أتـــى كأنـــه   طفل من النـــوم صـــحا

وفي الهـــواء رفرفـــت   فراشـــة ملونـــة

ومرّغـــت جناحهـــا الزاهـــي بعطـــر الـــسوسنة

أما الشاعر محمد علي شمس الدين فصاحب تجربة أخرى لها لونها وجمالها، ومن أبرز سماتها الاهتمام الواضح بالصورة الشعرية، والموضوع الشفاف المناسب للطفل، كما نلاحظ في "خيمة في الكروم"[٤٤]:

لي خيمة في كرمـــة العنـــبِ   خضراء من ورق وأغـــصانِ

زينتهـــا بـــالزهر والقـــصبِ   وجعلتهـــا بيتـــي وبـــستاني

* * *

تـــأوي إليهـــا نجمـــة الليـــلِ   وتنام فوق ســـريرها العـــالي

والبدر يـــدنو مـــن مـــداخلها   كالطفل يـــدخل نـــاعم البـــالِ

* * *

أمضي إليهـــا أول الـــصيفِ   وأعـــود منـــا قبـــل تـــشرينِ

ما أجمـــل الـــدنيا وألطفهـــا   في خيمـــة كالبيـــت تـــؤويني

---

(٤٣) سا . العدد ٣٣٣ / ٢٠٠٢.

(٤٤) سا . العدد ٣٣٧ / ٢٠٠٢.

وبالروح نفسها من التمكن من أدوات قصيدة الطفل يقدم الشاعر جودت فخر الدين تجربته الجميلة، وقد نجح في كتابة القصيدة للأطفال الصغار جداً من خلال ما ينشره في مجلة "توته توته" اللبنانية. ومن قصائده "فصول"(٤٥):

الأرض كالحـــــــسناءِ
بديعـــــــة الأزيـــــاءِ
تلتـــف فـــي الخريـــفِ
بالأصـــــفر الـــــشفيفِ
تبـــيض فـــي الـــصقيعِ
تخـــضر فـــي الربيـــعِ
وصـــــيفها الفتـــــانُ
ظلالـــــه الألـــــوانُ

وللأطفال الصغار جداً يكتب "مطار"(٤٦):

تحلـــق طـــائراتْ
فنـــاس يرحلونـــا
ونـــاس يرجعونـــا
وأرجـــاء المطـــارْ
تظـــل فـــي انتظـــارْ

إن متابعة ما ينشر منذ حوالي عشرين سنة تدل على أن قصيدة الطفل في لبنان تقدمت كثيراً على يد شعراء مرموقين، لأنهم يتعاملون معها كنص إبداعي له شروطه المتعددة، ويحتاج إلى عناية خاصة باللغة والفكرة والهدف التربوي.

---

(٤٥) سا . العدد ٣٣٩ / ٢٠٠٢.
(٤٦) توته توته العدد ١٦ / ٢٠٠٢.

الباب الخامس

التجربة العراقية

الفصل الأول

شعر الأطفال حتى منتصف القرن العشرين

تأخر العراق قليلاً عن باقي بلاد الشام في النهضة التعليمية، وظل حتى منتصف القرن العشرين يحتاج أحياناً إلى الاستعانة بمعلمين ومدرسين من خارجه، وكان هذا البلد أكثر انشداداً إلى الجمود والتعصب، لذا كانت معركة التحديث أصعب وأخطر، مما دعا الكثيرين من رواد التنوير يكتبون داعين إلى نهوضه من دنيا الجهل والانغلاق، ولعل الشاعر علي الشرقي من أبرز الشعراء الذين دعوا إلى العلم طريقاً للتقدم، ومنذ عام ١٩٠٩ قال(١):

ليس اللبيب مقلداً بحسامهِ	إن اللبيب مقلداً بذكائهِ
ولئن خبا للشرق نور ساطع	فالعلم نور ساطع ببهائهِ
لا تطلب المجد الأثيل براحة	فالمجد راحته بقدر عنائهِ

وله عام ١٩١٠(٢):

هذب يراعك وانصر دولة القلمِ	واحمل على الدهر في جند من الكلمِ
لم يقسم الله في الذكر المبين به	وإنما شرف الأقلام بالقسمِ
ما علم الله إنساناً بصارمه	وإنما علم الإنسان بالقلمِ

---

(١) ديوان علي الشرقي . ص ٣٨ .

(٢) سا . ص ٥١ .

وفي رؤية منفتحة واعية يؤكد في عام ١٩١١[٣]:

العلم للمجد والعلياء مرشدنا المرشدان له عقل ووجدانُ

ما اختص بالعلم قوم دون غيرهم كالشمس ليس لها أهل وعنوانُ

ويخاطب الشاعر الآباء في قصيدة "أيها الوالدون" حتى يصنعوا من أبنائهم دعائم المستقبل[٤]:

إن من للصدور نرفعهم نرتجيهم لرفعة العلمِ

كل كف لرفعهم بسطت رفعت أمة من الأممِ

وكانت للرصافي دعوات كثيرة تصب في المعنى نفسه، ومما اشتهر في الكتب المدرسية قصيدة "إلى أبناء المدارس" التي يقول فيها[٥]:

كفى بالعلم في الظلمات نورا يبين في الحياة لنا الأمورا

أبناء المدارس إن نفسي تؤمل فيكم الأمل الكبيرا

ويمكننا مراجعة قصائد عن العلم والتربية في ديوان الرصافي مبثوثة في أكثر من مكان [٦].

وأسهم آخرون في معركة التنوير التعليمي كالزهاوي والجواهري.

إلا أن التفرد في تأسيس شعر الأطفال في العراق كان لمعروف الرصافي وحده، فقد شكلت تجربته أهم وأغزر ما أنتجه العراق خلال ما يقرب من ستين عاماً، لهذا فهو يستحق أن يُتحدّث عنه بشكل منفصل.

---

(٣) سا . ص ٨٧ .
(٤) سا . ٢٦٣.
(٥) ديوان الرصافي ١ / ١٤٧ .
(٦) سا ١ / ١٠٣ - ١ / ٢١٢ - ١ / ٢١٧ - ١ / ٢٢٩ - ١ / ٢٤٦ - ١ / ٢٥٠ - ١ / ٢٥٥ - ١ / ٢٦٢ - ٤٠٤/١ - ٤٣٥/١ - ٤٦٦/١ - ١ / ٧٢٥ - ١ / ٧٣٧ - ٢ / ١٤٤ - ٢ / ٢١٣ - ٢ / ٣٦٢ - ٢ / ٥٤١ - ٢ / ٦٢١ - ٢ / ٦٦٥ .

مع هذا فالشعراء العراقيون أسهموا كغيرهم في باقي الأقطار العربية في وضع الأناشيد التي شكلت زاداً لتلامذة المدارس، كما فعل الزهاوي في "أيها الوطن"(٧):

يا أيها الـوطن اسـلمْ — مـن كارثـات الحيـاةِ
إنـا لنحميـك بالـدمْ — مـن ذلـة وهـوانِ

* * *

أوطاننـا هـي عـزٌ — ومـصدر للحيـاةِ
إن المجـرة رمـزٌ — لدجلـة والفـراتِ

* * *

نعـد للنـار نـارا — وللحديـد حديـدا
أجل ونحمـي الـذمارا — ولا نعـيش عبيـدا

* * *

ليلـى أطلـي علينـا — تـري مثـال الـسجايا
جنداً يـسير الهـوينى — إلـى لقـاء المنايـا

ولشاعر مجهول رمز إلى اسمه بالأحرف م. ح. ع نشرت جريدة "العراق" هذا النشيد الجميل(٨):

نهضتي

لـك شـجوي — بـل وشـدوي
لـك يهتـز اليـراعْ
أنـت للعاطفـة القـصوى مـلاكْ
كيف لا أشدو بمن يرعـى الـذممْ

* * *

(٧) الأناشيد القومية الحديثة . العقيلي . ص ١٣ .
(٨) الثورة العربية الكبرى (قصائد وأناشيد) أبو دية . ص ٨٣ .

صاحبي

أمـــلاً نبغـــي الـــصعودْ

مـــــد نحـــــوي

وأغني في اعـتلا(*) أفـق الـسعودْ

والتعالي

فتحـــت أبوابهـــا فـــي يـــوم عيـــدْ

* * *

فسلاما واحتراما

لـــك مـــن أقـــصى الفـــؤادْ

بل من العرب جميعـــاً إنهـــم نـــالوا المـــرادْ

ولنحـــيِّ عنـــصراً حيـــاً أفـــاقْ

من سباتْ ومماتْ

فاعتلى في مجده السالف للسبع الطباقْ

بوفاءْ ورواءْ

إنهـــا العـــرب لهـــا أســـمى علـــمْ

ومما يدل على ارتباط الكتابة للأطفال بحاجة المدارس إلى الأناشيد ما ورد في ديوان عبد الحسين الحويزي من أن وزارة المعارف العراقية الأولى عام ١٩٢١ قد طلبت من بعض الشعراء العراقيين أن يزودوها بالأناشيد الوطنية، مما حدا بالحويزي أن يكتب "دار السلام" (٩):

مل على دار السلامْ بانعطاف واســـتلامْ

إن قلبي المـــستهامْ قد سقى للحب جامْ

* * *

(*) في الأصل : اعتلاء .

(٩) ديوان الحويزي . ص ٢٤٣ .

طائر اليمن صـــدحْ منشئاً فيها المـــدحْ
بالتهـــاني والفـــرحْ في قعود أو قيـــامْ

* * *

قد رسا العلم الشرفْ عقده غـــال ثمـــينْ
نبصر الحق المبينْ ساطعاً شق الظـــلامْ

* * *

معدن العلم الشرفْ كاللآلي في الصدفْ
أو كـــدوح تقتطـــفْ منه أنواع الكـــلامْ

* * *

حسبنا فخر الحسبْ والمعـــــاني والأدبْ
فهو عنوان العـــربْ بابتـــداء واختتـــامْ

ومن الطريف أن تكون الحاجة إلى الأناشيد قد دفعت بعضهم إلى تحوير أناشـــيد معروفة، كما جرى في كتاب "الأناشيد العصرية لطلاب المدارس العراقية" فتتحول[١٠]:

ولنجعل مصر هي الدنيا

إلى:

ولنجعل بغداد الدنيا

و:

مصر العزيزة لي وطنْ

صارت:

دار السلام لنا وطنْ

وراحت المساهمات تتوالى في شعر الأطفال على يد نخبة من الشعراء والمربين، كما أخذت التجربة تتلوّن بعطاءات أكثر قرباً من خصائص الكتابة للأطفال، كما في قول عبد الرحمن البناء[١١]:

---

(١٠) راجع ص ٧٩ و ٥٠ .

بـــبلادي أتبـــاهى   ليتني صرت فـــداها
بدمي أحمي حماها   من جميـــع النـــوبِ
أنـــا جنـــدي أبـــي   وطنـــيٌ عربـــي

أنـــا حـــصن لـــبلادي
لـــم تزلزلــــه الأعــــادي
فـــإذا نـــادى المنـــادي
قلـــت لبيـــك أبـــي

أنـــا جنـــدي أبـــي   وطنـــي عربـــي

وفي مكان آخر يقول البناء(١٢):

بـــلادي حبـــك الغـــالي   على مثلي غدا فرضـــا
بلادي مهبطي وطنـــي   عليك جوارحي مرضى
خطوب فيك قـــد حلـــت   فرضَت أعظمي رضـــا
وعيشك لم تطب نفسي   وعيني ما رأت غمضا
سأدفع عنـــك كـــل أذى   ومن ذا بالأذى يرضى

ويقول الشاعر علي جميل الخطيب في قصيدة عن الوطن(١٣):

إن عزي في بلادي   وهنـــائي ومـــرادي
أنـــا منهـــا وإليهـــا   بـــاقتراب وابتعـــادِ
أنا أســـعى لأراهـــا   بنعـــيم متمـــادي
فحيـــاتي ومـمـــاتي   لـــبلادي لـــبلادي

---

(١١) الأناشيد المدرسية ١ / ٢٦ .
(١٢) الأناشيد العصرية . ص ٨ .
(١٣) الأناشيد العصرية . ص ٢٦ .

أما مصطفى جواد فهو عالم لغوي مشهور، وقد عرف واحداً من أساتذة الجامعة البارزين، وهو نحوي متشدد فيما بعد، خاصة في كتابه "قل ولا تقل" إلا أن من الطريف في سيرة هذا العلامة أنه ممن أسسوا لشعر الأطفال في العراق منذ أن كان طالباً في دار المعلمين العالية في بغداد، وقبل أن يصبح الدكتور مصطفى جواد فيما بعد، ومن محاولاته(١٤):

هـذي البلاد ترجو الرشاد
من سعيكم وهو العماد
كي تبلغوا عين المراد
إذ غيركم بالعلم فاقْ

وله أيضاً "العلم العراقي" ومنها(١٥):

أيها الشامخ فخراً قف ورفرف في ذراكا
إنما النشء حفيظ لك من بأس عداكا
علم الأمن ورمز العرب لا أهوى سواكا
فلتثق أن حياتي فدية تفدي علاكا

وأقرب محاولات الشاعر من الطفل قصيدته "البلبل" والتي يقول فيها(١٦):

رقص البلبل فوق الشجرِ يغسل الريش بماء المطرِ
وينادي بلسان طلق إن عيشي من لطيف الثمرِ
أنا حر بين غابات الهنا وسعيد كيف لم أفتخرِ
إنما الأقفاص سجني وبها أنا قاسيت عظيم الخطرِ
خلق الحيوان حراً مطلقاً هل عدلتم عن جميل الخبرِ

---

(١٤) سا . ص ١٢١ .
(١٥) سا . ص ١١٢ .
(١٦) سا . ص ١١٩ .

أنا لا أرضى سوى عش وقد — حفه الزهر وريح السحرِ
تحت بدر قد هوت أنواره — كل من يسلك نهج الخطرِ
إن قولي حكمة بالغة — لا يراعيها كثير البشرِ

في هذه القصيدة يعالج جواد موضوعاً شائعاً في بدايات شعر الأطفال، وهو البلبل رمزاً للحرية، وبهذا يكون الشاعر قد خطا خطوة حقيقية نحو قصيدة طفل موضوعاً ولغة إلى حد كبير.

ومن الواضح أن النزعة القومية العربية الصارخة في بدايات شعر الأطفال كانت نتاجاً لنهوض الشعور القومي عربياً، وفي الساحة العراقية العربية، كما نلمس لدى أحمد حقي الحلي أحد المساهمين البارزين في قصيدة الطفل العراقية إذ وضع "المحفوظات الطفلية" في جزأين وقد طبعت في دار المعارف المصرية عام ١٩٥٢.

يقول الحلي في قصيدة عن خالد بن الوليد(١٧):

يا بطلاً ليعربِ — ومن سما للشهبِ
روحك فينا لم تزل — يا خالد لم تغبِ
يا قائداً أفعاله — باتت حديث العجبِ
في الحرب كنت دائماً — منتصراً لم تغلبِ
قد كنت سيفاً قاطعاً — وللردى لم تهبِ
بك البلاد افتخرت — وأنت فخر العربِ

ومثله عبد الستار القره غولي في "الفتى العربي"(١٨):

إن الفتى العربي لايرضى الهوان ولا يضامْ
متحلياً بالمكرمات وإنها نعم الوسامْ
شيم توارثها عن الآباء أبناء الكرامْ

---

(١٧) ثقافة الأطفال . الهيتي . ص ٢٢٤ .
(١٨) سا . ص ٢٢٤.

هـو كالحمامـة للـصديق وللأعـادي كالحمـامْ
يقري الضيوف وينجد المستضعفين لدى الخـصامْ
وهو الحريص على الـبلاد وحبـه فيهـا هيـامْ
ولأجل أمة يعرب يحلـو لـه المـوت الـزؤامْ
أما الخؤون فليته لاقـى الـردى قبـل الفطـامْ
لو كنت أطلي وجهـه بـالكبلي أو بالـسخامْ
ولكنـت أركبـه حمـاراً دون سـرج أو لجـامْ
ووراءه يجـري ويهتـف "خـالف" ألفـا غـلامْ
فعسى يكـون لغيـره درساً بليغاً.. والـسلامْ

ويخاطب إسماعيل فرج الموصلي تلاميذ المدارس قائلاً[19]:

حطموا يا نشء عنكم واكسروا هذي القيودْ
وزمان النحس ولـى وأتى عصر الـسعودْ

* * *

نحن في عصر اهتمام ليس يجدينا القعـودْ
فاسـتفيقوا للمعـالي فلقد طـال الهجـودْ

* * *

واتركوا تقليـد قـوم حبذوا فينـا الجمـودْ
كل من تلقـاه مـنهم همـه فينـا يـسودْ

ولأحمد الصافي النجفي قصيدة يتحدث فيها عن قطه فيقول[20]:

يحـرك ذيلـه إمـا يرانـي ويقفز قفـزة الظبـي الأغـنّ
يلاقي الناس مضطرباً نفـوراً ويلقـاني بقلـب مطمـئنّ

---

(19) الأناشيد المدرسية ١ / ١١ .

(20) المنتخب . ص ١٨٦ .

يطارده الصغار بدون ذنب فيلجأ هارباً منهم لحضني

يراه الناس حيناً لاصقاً بي وحيناً لاحساً كفي وذقني

وعن الهرة أيضاً كتب الشاعر د. أكرم فاضل تجربة مختلفة عن تجربة النجفي ففيها ربط واضح بين عالم الحيوان وعالم الإنسان(٢١):

هرة أمثالها نهب السغبْ تخذت مجلسها فوق الركبْ

كل من مر بها جمَّشها دغدغ الرأس وثنى بالذنبْ

فروها الأبيض ثلج ناصع لاهب والثلج خلو من لهبْ

تقرأ الكتب ولا تفهمها مثل بعض الناس قراء الكتبْ

قال خلي: كل فأرها هنا ملكها، قلت له: نعم النشبْ

وإذا الهرة ساءت بغتة وتمطت وغفت دون سببْ

كل ظني أنها قد سئمت هذرنا فاصطنعت نوماً كذبْ

ومن أهم تجارب البدايات ما قدمه الشاعر داوود الوتري، وعلى الرغم من أننا لم نطلع على العديد من أعماله التي ربما يكون النسيان قد طواها فإن الباقي يدل على تحقق كبير لخصائص قصيدة الطفل عنده كما في "حب الوطن"(٢٢):

عشق البلبل أزهار الربيع فغدا يرقص فوق الشجرِ

صاغ ألحاناً من الشعر البديع طرباً ينشدها في السحرِ

* * *

وترى القمري قد ناح وباح بهوى في قلبه قد كمنا

كلما هب نسيم في الصباح هاجت الأشواق منه شجنا

ويصيح الديك آناً بعد آن مظهراً كل ابتهاج وسرورْ

قائلاً هذا مكاني في أمان إنني أحميه من كل الشرورْ

---

(٢١) الحيوان في الأدب . شكر . ص ١٧٦ .

(٢٢) الأناشيد العصرية . ص ٧٤.

فتعالوا يا رفاقي كلنا — ننشد الألحان في حب الوطنْ
وننادي بارتياح وهنا — لتعش أوطاننا طول الزمنْ

ومن الجميل أن يكتب الشاعر في محاولة أخرى قصيدة حوارية باسم "الشمسَ والولد"[٢٣]:

الولد:

يا شمس بالله قولي — في الليل أين أراكِ؟
إنـي أنام طويلاً — فهل يطول كراكِ؟

الشمس:

هل ليَ وقت لنوم — ما زلت طول الزمانِ
أزداد في كل يوم — في الوقد واللمعانِ

الولد:

يا شمس شيء عجيب — إذن غيابك عنا
فهل لغير مكان — يسري ضياؤك وهنا؟

الشمس:

إن جاءك الليل يأتي — إلى سواك النهارُ
الأرض والناس تزهو — هناك والأشجارُ

الولد:

يا شمس نفعك وافي — وما له من نظيرِ
إن غبت عنا فعودي — في أرضنا للظهورِ

الشمس:

لا تخش في كل أرض — أسير ثم أغيبُ
إن جاءك الليل فاعلم — أن الصباح قريبُ

---

(٢٣) سا . ص ١٠١ .

وفي البدايات المبكرة هذه لم أعثر على مساهمة نسائية ما عدا قصيدة تقليدية يتيمة لم يذكر اسم الشاعرة فيها كاملاً، بل اكتفي بالقول إنها للآنسة سلوم، وهي بعنوان "البنات" ومنها[٢٤]:

نرتجي أن ترتقــي أوطاننــا ... بالنساء العالمــات العــاملاتْ

نرتجي مــنهن ســعياً حــسناً ... واجتهاداً في جميع الواجبــاتْ

ليس يجدي العلم إن لم يقترن ... بالسجايا والفعال الــصالحاتْ

والبلاد اليــوم تحتــاج إلــى ... همم المجتهــدات الفاضــلاتْ

---

(٢٤) الأناشيد العصرية . ص ٨٢ .

الفصل الثاني

معروف الرصافي وشعر الأطفال

كان الرصافي واحداً من قلة صنعت روح النهوض شعرياً في العراق، إذ كان داعية إلى تجديد الحياة، والانفتاح على العصر، والأخذ بأسباب المدنية(1):

أما علموا أن الحياة بعصرنا مدارس في كل البلاد تشيَّـدُ

فيا قومنا إن العلوم تجـددت فإن كنتم تهوونها فتجـددوا

وقوله(2):

إن رمت عيشاً ناعماً ورقيقا فاسلك إليه من الفنون طريقا

واجعل حياتك غضة بالشعر والتمثيل والتصوير والموسـيقا

وقوله(3):

أيها الناس إن ذا العصر عصر العلم والجد في العلا والجهادِ

عصر حكـم البخـار والكهربائيـة والماكنـات والمنطـادِ

---

(1) ديوان الرصافي ١ / ٢١٤ .

(2) سا . ٢ / ٢٦٦.

(3) سا . ص ١ / ٧٠ .

ونبه إلى ضرورة المساواة بين الجنسين، وإلى تكريم النساء[٤]:

هي الأخلاق تنبت كالنبات ... إذا سقيت بماء المكرمات

ولم أر للخلائق من محلّ ... يهذبها كحضن الأمهات

فحضن الأم مدرسة تسامت ... بتربية البنين أوالبنات

أليس العلم في الإسلام فرضاً ... على أبنائه وعلى البنات؟

والحديث يطول لو أردنا التفصيل في علاقة الشاعر وشعره بالتربية، لأنه عمل طويلاً في التدريس في العراق وفلسطين، وكتب للعلم والمعلمين قصائد كثيرة، وأصدر في حياته "الأناشيد المدرسية" عام ١٩٢٣ ثم أتبعها بكتاب "تمائم التعليم والتربية"[٥].

ما يهمنا هنا ما قدمه الرصافي للأطفال من شعر، حيث انتشرت قصائده في جميع الكتب المدرسية العربية خلال عقود طويلة، فشاعرنا معروف وغزير العطاء، مما جعله يغطي حاجة ماسة لدى المدارس، وأول ما يطالعنا في كتابات الشاعر حرصه على العلم وتمجيده، كما في "العلم والسيف"[٦]:

ما العلم والسيف عند قومي ... إلا طريقان للتعالي

لم يبتن العرب بيت مجد ... إلا على العلم والعوالي

* * *

قد مرّ للعرب عصر عز ... يعد من أشرف العصورِ

فمجدنا خالد قديم ... باق إلى آخر الدهورِ

* * *

أنفسنا حرة رفيعه ... تصبو إلى الصورة البديعهْ

تزيدنا في العلى نشاطاً ... محاسن الكون والطبيعهْ

---

(٤) سا ٢ / ٣٥٠ .

(٥) للتفصيل راجع " الجوانب التربوية في شعر معروف الرصافي " . الحمادي .

(٦) الأناشيد المدرسية ١ / ٧ .

في موضع آخر يخص العلم بقوله[٧]:

يا علم الأمة إنا معك | حتم علينا لك أن نرفعك
مرنا بما شئت فتاريخنا | يكفل منا لك أن نسمعك
وسر إلى ما رمت من سؤدد | فالواجب الأقدس أن نتبعك
فيك شيات أربع لم تزل | توضح للناس بها منزعك
تعترف الناس لنا بالعلى | إذا رأت أعينهم أربعك
هن رموز لعصور مضت | بالعز للشعب الذي أبدعك

و"المعمار" قصيدة جملية تكرم أصحاب المهن، وتعلي من قيمة العمل، كل ذلك بلغة رشيقة ووزن خفيف منوع[٨]:

لي قطع من خشبِ | ألهو بها في اللعبِ
أبني لكم داراً بها | حاوية كل البها
أصفها فتنتظمْ | ثم جميعاً تنهدمْ
فاعترفوا لي بالفطنْ | ألست معماراً إذنْ؟

وللشاعر مجموعة من الأناشيد الوطنية للتلاميذ، تعلو فيها النبرة، وتصطخب اللغة كثيراً، ولكنها مع ذلك كانت في وقتها مما صنع قيماً جميلة في وجدان أجيال من التلاميذ كما في "أوطاننا وهي الغوالي"[٩]:

أوطاننا وهي الغوالي | أرواحنا لها ثمنْ
وإنما أحيا المعالي | من مات في حب الوطنْ

* * *

أوطاننا نحمي حماها | بكل سيف منتضى

---

(٧) الأناشيد العصرية . ص ١٩ .
(٨) الأناشيد المدرسية . ٢ / ٦ .
(٩) علم الموسيقى . الصواف . ص ١٠٥.

ما مات من منا قضى   في أرضها تحت سماها

* * *

أوطاننا وهي الأماني   عن حبها لا ننثني
طابت لنا فيها المغاني   بغيرها لا نعتني

* * *

ننشق أنفاس هواها   بكل سهل وجبلْ
لم نرض بالدنيا بدل
عن أرضها أو عن سماها

ومثله تقريباً "نشيد الاستنهاض" ومنه(١٠):

يا قومنا قوموا إلى   كسب المعالي والعلا
وابنوا لنا المجد   أساس مجد غابرِ

وكذلك "نشيد الفتيان" وفيه يقول(١١):

نحن بني الأوطان   نحمي حماها
من أقدم الأزمان   سادت سواها

* * *

نحن بنو من هم   بالعلم سادوا
كل الورى منهم   قد استفادوا

* * *

في أرضنا نحيا   تحت سماها

وفي "نشيد النشء الجديد" يتابع الفخر بالوطن ملوّناً في طريقة الأداء(١٢):

لا ننثني نحن ولا   نقعد عن نيل المنى
حتى نكون للملا   أنموذج النشء الجديدْ

* * *

---

(١٠) الأناشيد العصرية . ص ٣١ .
(١١) المحفوظات المختارة . عباس ١ / ٢٤ .
(١٢) الأناشيد العصرية . ص ٢٠ .

نحـــن الـــشباب همنـــا　　إدراك غايـــات المنـــى
أرض العـــراقين بنـــا　　تصبح في عهد ســـعيدْ

*　*　*

شعارنا حـب الـوطنْ　　في السر منـــا والعلـــنْ
نحبـــه مـــدى الـــزمنْ　　حباً على الدهر يزيـــدْ

*　*　*

فخارنا نحـــن العـــربْ　　علـــم و فـــضل وأدبْ
من كل مجـــد وحـــسبْ　　لنـــا طريـــف وتليـــدْ

*　*　*

لنا على الـــدهر علـــمْ　　يخفق في أعلى القمـــمْ
قد خضعت لـــه الأمـــمْ　　من عهد هارون الرشيدْ

وهناك للرصافي نص انتشر انتشاراً كبيراً في الكتب المدرسية العربية، لكنه ليس أنجح من غيره فنياً، وإن كان فيه قدر لا بأس به من الجمال في الفكرة والبناء، إنه "العندليب" (٣١):

سمعت شـــعراً للعـــدليبِ　　تلاه فوق الغصن الرطيـــبِ
إذ قال: نفسي نفس رفيعه　　لم تهو إلا حسن الطبيعـــةْ

*　*　*

عشقت فيها حسن الربيـــعِ　　أحسنْ بذاك الحسن البديعِ!
فالعيش عندي فوق الغصونِ　　لا في قصور ولا حـــصونِ

*　*　*

أطير فيها من فرط وجدي　　من غصن ورد لغصن وردِ
وفي فروع الأشجار بيتـــي　　فالظل فوقي والزهر تحتي

*　*　*

فسل نسيم الأسحار عني　　كم هز عطف الأغصان لحني

---

(١٣) ديوان الرصافي ٤ / ٢١٢ .

يا قوم إني خلقــت حــراً لم أرض إلا الفضا مقــرًا

* * *

فإن أردتــم أن تؤنــسوني ففي المباني لا تحبــسوني

وإن أردتــم أن تنطقــوني فــأطلقوني.. فــأطلقوني

وله نشيد آخر مشهور عن الفتاة الجديدة التي تريد أن تكون كالفتى في المدرسة والعمل ومنه(١٤):

إنتــي بنــت صــغيره زهــرة مــن ياســمينْ

لــي آمـــال كبيـــره هي في الدرس الثمينْ

* * *

إن نفــسي لمحاطـــه بالأمــــاني النيــــرةْ

مــا بتعلــيم الخياطـــةْ وحــدها مــن مفخــره

* * *

علمـــوني كـــل فـــن فيــه للــنفس جمـــالْ

واتركوا سوء التظنــي نحــو ربــات الحجــالْ

* * *

هـــذبوني، أكملـــوني كي تروا فيّ العجــابْ

ويحكـــم لا تهملـــوني تحت أســتار الحجــابْ

* * *

لـــيس للأبنـــاء نجـــح مـــع جهــل الأمهـــاتْ

فمتى يـــصبح صـــبح فتــــزول الظلمـــــاتْ

وعلى طريقة الحكاية الشعرية يصوغ الرصافي ما الذي حدث في محاورة بين "العنكبوت ودودة القز"(١٥):

---

(١٤) سا. ص ٣/٣٣.

(١٥) المحفوظات المختارة . عباس . ٣ / ٢١ .

أيها العاملون من غير جدوى هل سمعتم بقصة العنكبوتِ

حين لاقت دويدة القز يوماً وهي تنساب بين أوراق توتِ؟

* * *

جاءت العنكبوت تختال كبراً ثم قالت تجاه تلك الدوده:

لست مثلي إذا نسجت صناعاً إن ما فيك همة محدوده

إن نسجي في ليلة ونهار ضعف ما تنسجينه في عامِ

فانسجي إن قدرت مثلي وإلا فاتبعيني فأنت من خدامي

* * *

فتناهت دويدة القز ضحكاً ثم قالت للعنكبوت الحسودِ:

ليت ما تنسجين كان قليلاً أي نفع في نسجك الممدودِ

* * *

إن ما تنسجين في كل دار قذر في سقوفها وترابُ

أين نسجي وأين نسجك منه إن نسجي للابسين ثيابُ

* * *

كثرة الحرث في السماد شقاء لم يكن من ورائه حصد زرعِ

عمل نافع وإن قل خير من كثير الأعمال من غير نفعِ

وأنشد شاعرنا للأم في قصيدة "أمي"(١٦):

أوجب الواجبات إكرام أمي إن أمي أحق بالإكرامِ

حملتني ثقلاً ومن بعد حملي أرضعتني إلى أوان الفطامِ

ورعتني في ظلمة الليل حتى تركت نومها لأجل منامي

فلها الحمد بعد حمد إلهي ولها الشكر في مدى الأيامِ

(١٦) القراءة العربية ص ٣٦.

وله قصيدة شاعت في الكتب المدرسية بعنوان "في ملعب كرة القدم" ومنها[١٧]:

قصدوا الرياضة لاعبين وبينهم كرة تــراض بلعبهــا الأقــدامُ

راضوا بها الأبدان بعد طلابهــم علماً تراض بدرســه الأفهــامُ

إن الجسوم إذا تكــون نــشيطة تقوى بفضل نــشاطها الأحــلامُ

وتتراوح تجربة الرصافي على الدوام بين نظم باهت كما مر معنا في قصيدته السابقة، حيث اللغة تقليدية ذات تراكيب صعبة ومفردات لا تناسب الأطفال، حتى الفكرة تقدم بطريقة ذهنية جافة.. إلا أن الشاعر ينجح أحياناً في تقديم الفكرة على نحو يقربها من الطفل كما في "كل شيء يتكلم"[١٨]:

لا شــيء ممــا نعلــم إلا لـــــه تكلـــــمُ

تكلـــــم مختـــــصر يفهمـــــه مـــن يفهـــمُ

فهـــو لقـــوم واضـــح وهـــو لقـــوم مـــبهمُ

قد أخذ العصفور مــن بعــد وضــوح الفلــقِ

يقــول قــولاً واضــحاً بـــصوته المزقـــزقِ:

إن رمت رزقــاً طيبــاً فاســع وجــدّ تــرزقِ

وعلى هذا النحو الناجح يطالعنا الرصافي بحديثه عن "الشمس" أو "الجـــو" حيث يشيع التشبيه الحسي المناسب للطفل، والقدرة على الحديث عــن الموضـــوع العلمي بصورة أدبية[١٩]:

إنما الشمس المنيــره أصل دنيانــا الكبيــره

إن هــذي الأرض للـــشمس هـــي البنــت الــصغيره

---

(١٧) ديوان الرصافي ١ / ٦١٣.

(١٨) ثقافة الأطفال . الهيتي . ص ٢٢٢.

(١٩) المحفوظات المختارة . عباس ٢ / ٨ .

مـــن قـــديم ولـــدتها ... بعـــد أولاد كثيـــره
ولـــذا الأحيـــاء فـــي الأرض إلـــى الـــشمس فقيـــره
جـسمها قطعـــة نـــار ... في الأعالي مـستديره
في الفضا قـد علقتهـا ... قـــدرة الله القـــديره
إن هـــذا الجـــو بحـــر ... وبه الـشمس جزيـره

الجو:

ثـــم للـــشمس بهـــذا الجـــو أمثـــال كثيـــره
كـــل هـــذي الأنجـــم الزهـــر شـــموس مـــستديره
صغرت في البعد لكـن ... هي في القرب كبيـره
فبهـــــذا تتجلـــــى ... قـــدرة الله القـــديره

ويعود الشاعر للحديث عن الشمس في طريقة حوارية، ومما يزيد من أهمية هذه الحوارية أنها تدور بين الطفل والشمس[٢٠]:

الولد:

يا شمس أين تـذهبين ... في الليل بعد المغربِ؟
فهـــل تنـــامين كمـــا ... أنام في الليـل أنـا ؟

الشمس:

كـــلا فـــإني لـــم أنـــم ... لكننـــي مـــن القـــدمْ
مثـــل ســـراج أشـــتعل ... وفي الـسماء أنتقـلْ

الولد:

وأيـــن أنـــت عنـــدما ... يمسي الهواء مظلمـا؟
هل لك غيـر أرضـنا ... أرض تـضيئين بهـا؟

---

(٢٠) الأناشيد المدرسية ٢ / ٢٢ .

الشمس:

إذا غربت عندكم	طلعت عند غيركمْ

إن المساء ههنا	هناك صبح وسنا(*)

وأختم جولتي مع الرصافي حيث يقدم موضوعاً كبيراً وحساساً ولكن بطريقة مقبولة وفيها جمال وعذوبة أحياناً حيث يكتب الشاعر قصيدة "الله" ومنها[21]:

انظر لتلك الشجره	ذات الغصون النضره

كيف نمت من بذره	وكيف صارت شجره

فانظر إلى الشمس التي	جذوتها مستعره

فيها الضياء وبها	حرارة منتشره

وانظر إلى الليل فمن	أوجد فيه قمره

وزانه بأنجم	كالدرر المنتشره

والريح من أرسلها	والماء من ذا فجره

وانظر إلى الروض فمن	نوّع فيه زهره

وانظر إلى المرء وقل	من شق فيه بصره

من ذا الذي جهزه	بقوة مفتكره ؟

ذاك هو الله الذي	ويل لمن قد كفره

ذو حكمة بالغة	وقدرة مقتدره

(*) وردت هذه الحوارية بشكل آخر في "أحب لغتي" ١ / ٣ للقباني .

(٢١) ثقافة الأطفال . الهيتي . ص ٢٢١ .

الفصل الثالث

شعر الأطفال بعد ١٩٧٠

مثلما كان شباط عام ١٩٦٩ حاسماً في سورية من خلال صدور مجلة "أسامة" كذلك الأمر بالنسبة إلى العراق بعد ذلك بعد أشهر حيث صدرت مجلة "مجلتي" وبعدها "المزمار" عام ١٩٧٠.

إن تخصيص صفحة دائمة للشعر في مجلة "مجلتي" فتح الطريق أمام شعر الأطفال ليجرب الكثيرون، فانطلقت التجارب غزيرة ومتعددة الاتجاهات.

بعد ذلك عمدت "رئاسة تحرير مجلتي والمزمار" إلى إصدار سلسلة كتب، منها المجموعات الشعرية، وتحولت هذه الرئاسة عام ١٩٧٨ إلى "دائرة ثقافة الأطفال" حيث بدأت خطة مدروسة لإصدار الكتب وفق برنامج منظم، وسلاسل موزعة على العلوم والقصة والشعر إلخ..

ثم بعد ذلك ثبت الاسم الأخير لهذه الهيئة المعنية بثقافة الأطفال وهو "دار ثقافة الأطفال" التي تصدر مجلة "مجلتي" و"المزمار" وتنقسم إلى أقسام منها قسم الدراسات والبحوث، وقسم الترجمة، وقسم الإشراف اللغوي، وقسم الرسم، وقسم الإخراج، وقسم مكتبة الطفل الذي كان يصدر كتاباً كل ثلاثة أيام بنسخ تتراوح بين ٣٠ إلى ٨٠ ألف نسخة من كل عنوان مما دفع الدار إلى طبع الكثير من كتبها في لبنان واليابان بحلة فاخرة(*).

(*) كان لي الشرف أن عملت منذ أواخر ١٩٧٦ حتى أواسط ١٩٨٢ في دار ثقافة الأطفال، وكنت مسؤولاً عن الشعر طوال فترة عملي، وأسهمت في عضوية لجنة كتاب الطفل التي ضمت الأساتذة: عبد الرزاق عبد الواحد ومالك المطلبي وفاروق سلوم وجعفر صادق محمد وفاروق يوسف وعبد الرزاق المطلبي وشريف الراس وفتحي خليل بإشراف المديرة العامة السيدة أمل الشرقي.

أما اللجنة الخاصة بالشعر فكانت مكونة من د. مالك المطلبي وفاروق سلوم وكاتب هذه السطور، وصفحة الشعر في مجلتي كانت من مسؤوليتي طوال مدة عملي المذكورة.

ومن سلاسل الدار: السلسلة الشعرية والتاريخية وحكايات شعبية وحديقة العلوم وهوايات وبراعم والجغرافية والقصصية والمترجمة.

لقد بدأت في العراق حركة شعرية نشطة للأطفال كان من أبرز نجومها في هذه المرحلة الشاعر المعروف عبد الرزاق عبد الواحد، وقد جاء إلى هذه الساحة بعد نجومية كبيرة في شعر الكبار، وقد أصدر في السبعينيات مجموعتين للأطفال هما "النهر والبستان" و"قصائد للأطفال" وتتضح في قصائده متانة الأدوات والخبرة الشعرية، ومن نصوصه الجميلة "آه لو كان لي جناح"(1):

آه لو كان لي جنـــاحْ   لتبعثرت في الريـــاحْ
لتسلقت فـــي الظـــلامْ   غيمـــة فوقهـــا أنـــامْ
تحـــت بوابـــة المطـــرْ
لتعلقـــــت بالـــــشجرْ
تحـــت نـــافورة المطـــرْ

* * *

آه لو كـــان لـــي جنـــاحْ
كنت أبحرت فـــي الليـــالْ
راكبـــاً زورق الهـــلالْ
ســـابحاً أعبـــر الغيـــومْ
كنت حملت زورقـــي   بسلال مـــن النجـــومْ

---

(1) قصيدة الطفل . مجلة الأقلام . بغداد العدد ٣ / ١٩٧٩ .

أيها البلبل الصغيرْ لك ريش وأجنحةْ
كيف تبقى هنا أسيرْ
طر إلى كونك الكبيرْ طرْ، تمهل لأتبعكْ
إنما ليس لي جناحْ طرْ، وخذ لهفتي معكْ

ومن قصائد الشاعر المبكرة للأطفال "يا مرحباً بالماء" وهي تقوم على تنويع جميل يغلب على أكثر قصائده(٢):

يا مرحباً بالماءْ يجري بوادينا
سلمت يا من جاءْ بالحب يسقينا
* * *
اسق العطاش الآنْ يا نهرنا الجاري
يبقى لنا البستانْ بستان أزهارِ
* * *
يا نهرنا المسكونْ بالحب والشعرِ
غرد مع الحسونْ وارقص مع الزهرِ

ومن النصوص المميزة لعبد الواحد "طيارة الورق"(٣):

ارتفعي ارتفعي في موجة الهواءِ
ورفرفي واندفعي كالطير في الفضاءِ
* * *
خيطك ما زال معي وأنت تبعدينْ
عقدته بإصبعي فأين تهربينْ؟
إياك أن تميلي بذيلك الطويلْ
فيحدق الخطرْ

(٢) الأناشيد . ص ٣٧٠.
(٣) سا . ص ٣١٦ .

يعلـــق بالنخيـــل أو يعلـــق بـــالقمرْ

ارتفعــــي ارتفعــــي

حطّــي علــى القمـــرْ

وقد نجح الشاعر عبد الرازق عبد الواحد في كتابة الحكاية الشعرية، وهو صاحب تجربة غنية في القصة والمسرحية الشعريتين للكبار، فاستطاع أن يحول النص الشعري للأطفال إلى مجال رحب الخيال والشفافية، مع خبرة عالية في متانة البناء والمحافظة على سهولة الأسلوب وبساطة الإيصال كما في "الطفل والفراشة":

رأيـــت ذات مـــرةٍ فراشـــة ملونـــةْ

كأنهـــا لحـــسنها مـــن ذهـــب مكونـــةْ

كانت تطيـــر وحـــدها بين الزهـــور حالمـــةْ

تحملهـــا أجنحـــه مثل الحريـــر ناعمـــةْ

وبينمـــا كنـــا معـــاً فـــي فـــرح نرقبهـــا

إذا بطفـــل هـــائج بمـــضرب يـــضربها

فأفلتـــت مـــن يـــده لكن هوت فوق الثرى

وقبـــل أن يلحقهـــا أجمل مـــشهد جـــرى

كـــان أبـــوه واقفـــاً فهـــب كـــي يـــدركها

محتـــضناً صـــغيره قبيـــل أن يمـــسكها

صاح الصغير باكيـــاً أريـــدها يـــا أبـــتِ

لكـــن أبـــوه ضـــمه إليـــه فـــي محبـــةِ

قال لـــه: يـــا ولـــدي أعلـــم كـــم تحبهـــا

لأنهـــا جميلـــــة جميعنـــا نحبهـــا

لكنهـــا رقيقـــــة يقتلهـــا لمـــس اليـــدِ

أنقتل الشيء الذي نحبه يا ولدي
فوقف الطفل وما مد إليها إصبعهْ
وحين طارت مرة أخرى رأينا أدمعهْ
وكان يرنو وأبوه فرحاً يرنو معهْ

ولم ينقطع اهتمام عبد الواحد بشعر الأطفال حتى الآن، إذ ما زال ينشر القصائد لهم.

هناك شاعر مبدع آخر يكاد لا يعرف إلا شاعراً للأطفال، وهو فاروق سلوم، وقد تسلم رئاسة تحرير مجلتي والمزمار خلال العامين ١٩٧٦ - ١٩٧٧ وأصدر مجموعتين للأطفال هما "قوس قزح" و"أغاني الحصان".

وتجربة سلوم التي نجحت في الاقتراب كثيراً من الأطفال، خاصة في بعض القصائد المميزة، إلا أنها عانت من ضعف الأدوات حيناً والوقوع في الشعارات الحزبية حيناً آخر.

ومن قصائده المهمة "دو ري مي"(٤):

دو.. ري.. مي فا.. صول.. لا.. سي
حلو منظر كرّاسي
كراسي معرض ألوانْ
وطيور من كل مكانْ
وزهور حول الناسِ

* * *

دو.. ري.. مي فا.. صول.. لا.. سي
دو.. ري.. مي
دو.. ري.. مي

(٤) قصيدة الطفل . الأقلام . سا .

أرسم وجهك يـــا أمـــي

أرســـمه قمـــراً أحلـــى

أو بـــــستاناً أو حقـــــلا

و أردد: تر لا..لا..لا..لا

دو ري مي فا صول لا سي

حلـــو منظـــر كراســـي

وقد برز لدى الشاعر على الدوام احتفاؤه بالأصوات واستخدامها في قصائده، وهذا الأمر من جماليات شعر الأطفال كقوله في "القطار"(٥):

فوووت .. فوووت

صاح بنا

صاح بنا ودارْ :

تعالوا يا صغارْ

أو(٦):

تك.. تك

تك.. تك

قطرات الزيت تسيخْ

والريح تصيح.. تصيخْ

أو(٧):

تووت

تووووت

توووووت

والبيوتْ

---

(٥) قوس قزح . سلوم . ص ٦.

(٦) سا . ص ٥.

(٧) سا . ص ١١.

والنوم والسكوتْ

توت تووت توووتْ

أو[٨]:

دن دان

دن دان

قد كان ياما كانْ

وفي الكثير من قصائد الشاعر سلوم امتلاك للموضوع الطفلي بامتياز، فهناك حضور طريف لعالم الطبيعة والحيوان بطريقة ذكية وجذابة كما في "عطس القنفذ"[٩]:

عطس القنفذ: هتشوو   والبطة قالت: إمشوا

البــــرد أتـــى   البــــرد أتـــى

وطريــق الــدرس طويــلْ

ومـــشينا مثـــل الجنـــدْ

للـــدرس فيـــا للـــسعدْ

ولبـــسنا ضـــد البـــردْ

أصـــوافاً وســـراويلْ

والقنفـــذ يلهـــو.. يلهـــو

بـــالبرد وبالأمطـــارْ

فتعجبـــت الأطيـــارْ

قالت: مـــن يتعـــدى الحـــدْ

سيصاب(*) بـــضربة بـــردْ

وسيعطس: هتشوو

---

(٨) سا . ص ١٧ .

(٩) قصيدة الطفل . سا .

(*) خلل وزني والصحيح "سوف يصاب" مثلاً !

الشاعر الآخر هو الدكتور علي جعفر العلاق الذي قدم مجموعة من أجمل القصائد للأطفال في السبعينيات، ومن شعره "أغنية الروضة"[١٠]:

يـــا زهـــرة يـــا غـــضة

نحـــن صـــغار الروضـــة

نرســم فــي قلوبنــا   شمساً بلون الفــضة

وموطنـــاً نحبـــه   ســـماءه وأرضـــه

وسوف نحميه كمـا   نحمي زهوراً غـضة

وله قصيدة "طار العصفور" يمزج فيها بين عالم العصفور وبين معان وطنية بأسلوب جميل[١١]:

طـــار العـــصفور   حـــط العـــصفور

وسماء الوطن المرتفعــه   تتغنى كالأطفــال معــه

وتظـــل تـــدور   طـــار العـــصفور

* * *

حط العصفور على الشجره   أوصى الـورده أن تنتظـره

قـــال لهـــا: ســـنقيم   فـــي وطـــن التـــأميم

أعشاشاً من عشب بلادي   وســـماء مـــن نـــور

* * *

طر يا عصفور على وطني   وتعـــال تعـــال لتحملنـــي

لجنـــوب وشـــمال   وميــــاه وتــــلال

تصنع رايـــات لـــبلادي   وســـماء مـــن نـــور

---

(١٠) مجلة "مجلتي" العدد ١٠٤ / ١٩٧٩ .

(١١) قصيدة . الطفل . سا .

وللشاعر قصائد تمتاز بالطول النسبي، ولكنها لا تترهل في بنيتها بسبب ذلك، بل استطاع العلاق أن يحملها الكثير من التنويع المميز في الوزن والقافية والأساليب اللغوية الجميلة كما في "أغنية المطر"(١٢):

انــزل علــى أشــجارنا يــا مطــرْ
واســق زهــور جارنــا يــا مطــرْ
وغــــــــن للطيــــــــرِ
والعــــــــشب والخيــــــرِ
ولــون الــدرب وقــل يــا مطــرْ
هــذا أنــا صــديق كــل الــشجرْ
يا مطــراً.. يــا مطــراً.. يــا مطــرْ

* * *

تعال نلعب فــالطريق آمــن وواســعْ
وأصدقائي يحملون الكتب في الشوارعْ
نحــــــدث الطيـــــورْ
والغــــــيم والزهــــورْ
عــن حبنــا لبعــضنا يــــا مطــــرْ
ودرسنا وأرضنا والـــــــشجرْ
يا مطراً.. يــا مطــراً.. يــا مطــرْ
يا مطر الشتاء يا طيب يــا صــديقي
يا حامل الخضرة للسياج والطريــقِ
يــــا حامــــل الخيــــرْ
للعــــــشب والطيــــــرِ

---

(١٢) مجلة " مجلتي " العدد ٦٤ / ١٩٧٥.

يــا مــن تغنــى للنــدى والحجــرْ
يا مطراً.. يــا مطــراً.. يــا مطــرْ

* * *

تعال فالجيران والأعشاب في انتظارِ
يا حامل الخضرة للرصيف والبراري
تعــــال لـــــي تعــــالْ
نلهــــو مــــع الأطفـــالْ
وحين يأتي ليلنا والقمــــــرْ
انزل على أشـجارنا يـــــا مطـــــرْ
واسق زهور جارنـا والحجــــــــرْ
يا مطراً.. يا مطراً يـــــا مطـــرْ

وهناك شعراء كثيرون كتبوا قصيدة أو أكثر للأطفال، أو نشروا قصائد عديدة بلا نجاح، وتفاوت نجاحهم بين تجربة جيدة وأخرى ضعيفة، ومن هؤلاء: عبد الجبار عاشور، ومحمد جميل شلش، وعلي الحلي وبشري البستاني، ومنذر الجبوري، ورعد عبد القادر وتركي كاظم جودة ومالك الواسطي وهادي ياسين علي وخالد الخزرجي ومحمد راضي جعفر وحميد قاسم وجميل مشاري ونجم عبد الله وصباح كاظم وحارث الراوي وحسن عبد الحميد وجاسم تميم وعبد الستار ثابت وعادل حمدي وعبد الإله رؤوف وحاتم صكر وآخرون.

ومن نماذج القصائد الجميلة "إلى ولدي" للشاعر ناهض الخياط، وهي على شكل وصايا شعرية مؤثرة للطفل(١٣):

يا ولدي لا ترسم شـيئاً لـم تـرهُ
أو شـــــيئاً لا تتأملـــــهُ
يا ولدي لا ترسم طفلاً من غير رداءْ

(١٣) قصيدة الطفل . سا .

أو شـــجراً مــــن دون ســـماءْ

يـــا ولـــدي لا ترســـم ســـوقاً

مـــن غيـــر دمـــى أو حلـــوى

وثيــــــاب للأطفــــــــالْ

يـــا ولـــدي لا ترســـم طرقـــاتٍ

تخلـــو مـــن خطـــوات النـــاس

يا ولدي لا ترسم عصفوراً في قفص

بـــــل فـــــوق الأشـــــجارْ

يـــا ولـــدي لا ترســـم قطـــرة مـــاءٍ

بـــــل أرســـــم مطـــــراً

يـــا ولـــدي لا ترســـم ســـكيناً

فالـــصورة تبـــدو فيهـــا كالـــسكينْ

يـــا ولـــدي لا ترســـم صـــهيونياً

أو فاشـــــياً بـــــالألوانْ

يا ولدي لا ترسم كوخاً في أجمل شكلٍ

فـــــــــــــالأكواخ

لا يجـــــدر أن تبقـــــى

وعلى العكس من هذه البساطة الجميلة نلتقي أحياناً بقصائد حماسية صاخبة لا شاعرية فيها كما في " نشيد الطفل العربي " لحارث طه الراوي(١٤):

أنـــا طفـــل عربـــي   ثـــائر حـــر أبـــي

مثـــل جـــدي وأبـــي

أنا لا أخشى الـردى   أنـــا حتـــف للعـــدا

(١٤) مجلة "مجلتي" العدد ٦٠ / ١٩٧٥ .

همتـــي مــــن لهـــبِ

أنـــا ثـــأر الـــشهداء   حيثما حـــق الفـــداء

فــــوق أرض العـــــربِ

في غد أصبح نـــسرا   أملأ الأعـــداء ذعـــرا

فــــوق هــــام الـــشهبِ

أنا لا أهمـــل درســـي   فهو من قلبي ونفسي

أنــــــا أهـــــوى كتبـــــي

وعبد الجبار عاشور غزير الإنتاج ينجح أحياناً في تقديم قصيدة حقيقية للأطفال كما في "أنا الشجرة"(١٥):

دوروا حـــــــولي   فأنــــــا الـــــشجره

أعطـــــــي خـــــــشبا

أعطـــــــي حطبـــــــا

أعطـــــي ظـــــلاً   أعطـــــي ثمـــــره

أعلو كبلادي المنتــصره

والروضة حولي مزدهره

أعشاش الطير على غصني

وثيابي خــضراء اللـــونِ

ويغني الراعــي وتغنـــي

أنسام الفجر مـــع اللحـــنِ

لربيع الفرحـــة والحـــسنِ

دوروا حولي فأنا شـــجره

أعلو كبلادي المنتـــصره

---

(١٥) سا . العدد ٣٥ السنة ١١ العام ١٩٨٠ .

نبيل ياسين من الشعراء الذين قدموا الكثير من قصائد الأطفال مع جيل برز في السبعينيات أساساً، واستطاع أن يكون من أبرز الأسماء الشابة التي قدمت شعراً مميزاً للأطفال، وقد أصدر مجموعة "الوردة قالت للقمر" والكثير من القصائد المنشورة في "مجلتي" العراقية و"أسامة" السورية وصفحة الأطفال التي كانت في صحيفة "طريق الشعب" العراقية أيام السبعينيات، ومن قصائد الشاعر "المطرقة"(١٦):

ترن تران ترن ترانْ   مطرقتي فوق السندانْ
ألوي حديداً بـــالنيران   وأشيد بيـــد الإنـــسانْ
هيا يا مطرقتي هيـــا   دقي ترن ترن تـــرانْ

* * *

رايات العمل الخـــلاق   أنشرها فوق الآفـــاقْ
أبني بالعمل العمـــلاق   بيتاً مدرسة وزقـــاقْ
هيا يا مطرقتي هيـــا   دقي ترن ترن تـــرانْ

* * *

باقات زهور حمـــراء   تنمو في أرض الفقراءْ
أول أيـــار كالرايـــه   تخفق في كل الأرجاءْ
هيا يا مطرقتي هيـــا   دقي ترن ترن تـــرانْ

وإذا كانت الإشارات السياسية صارخة ومفتعلة في هذه القصيدة، فالشاعر يقدم موضوعاً طفلياً بامتياز في "أغنية الآلات الموسيقية" حيث ينساب المعنى الوطني بتلقائية مع الموضوع الموسيقي الجذاب(١٧):

نحن الآلات على المسرحْ   نعزف للناس لكي تفـــرحْ
نعزف في كـــل الأعـــراسْ   ونشارك في فرح النـــاسْ

* * *

---

(١٦) مجلة " أسامة " العدد ٣٧٩ / ١٩٨٤.
(١٧) سا . العدد ٣٧٠ / ١٩٨٣.

أنا إسمي الطبل المشهورْ   وصديقي الناي المسحورْ
نبحث عن ناس سعداء   لنغني صبحاً ومساءْ

*   *   *

أنا إسمي العود المسعودْ   لحني أطياف وورودْ
أوتاري الخمسة إخوانْ   تسكن في بيت الألحانْ

*   *   *

أنا إسمي قيثارة سومرْ   عشت الأزمان ولم أكسرْ
غنيت لشعبي من قلبي   ألحان البهجة والحبّْ

*   *   *

أنا إسمي بيانو الأنغامْ   لحني بهدوء الأنسامْ
فإذا ما داعبني إصبعْ   غنيت الأجمل والأروعْ

ومن خصائص تجربة نبيل ياسين أنه كتب أكثر قصائده على شكل شعر التفعيلة، وهذه طريقة لها جماليتها، وقد أخذت تتسلل إلى قصيدة الطفل شيئاً فشيئاً، حتى صارت الآن من أشكال شعر الأطفال الرئيسية كما في قوله في "النهار لنا"(١٨):

وقف الليل على الباب وقالْ:
وانتهى الآن النهارْ
وأنا الآن أجيءْ
قلت: لن تبقى طويلاً سوف تمضي
ثم يأتي الفجر.. والصبح المضيءْ

وكما في " الحديقة "(١٩):

في بيتنا حديقة صغيره
زهورها كثيره

---

(١٨) الوردة قالت للعصفور . ياسين . بلا ترقيم .

(١٩) قصائد ملونة . ص ١٧ .

مزهـــــــرة زرقـــــاءْ

وزهـــــــرة صـــــفراءْ

وزهـــــرة ثالثـــــة بيـــــضاءْ

يعنـــــى بهـــــا الجميـــــعْ

ومن الشعراء الذين قدموا قصائد جميلة متينة البناء الأداء الشاعر خالد يوسف، وقد نشر عدداً من القصائد إضافة إلى مجموعة شعرية مميزة للأطفال بعنوان "تك تك تاك" ومن قصائده "يا طيار":

في السما بين النجوم   عـــلْ ... عـــلْ

وابن ما بين النجـوم   بيـــت أهلـــي

عـــل يـــا طيـــار عـــلْ

* * *

طف على كل البلادِ   والبـــــــراري

واحم من غدر الأعادي   ســــور داري

عـــل يـــا طيـــار عـــلْ

وقصيدة "تك تك تاك"[٢٠]:

تـــك تـــك بابـــا   طلـــع الفجـــرُ

تـــك تـــك مامـــا   وصـــحا الطيـــرُ

وتغنـــت كـــل الأزهـــارْ

وأنا عمـــري زاد نهـــارْ

ثم ظهر جيل أكثر شباباً في العراق، وقدم محاولات مميزة في شعر الأطفال، إذ أخذت لغتهم تقترب أكثر من الشفافية الجميلة والعوالم الطفولية ومراعاة جوانب عديدة تتعلق باستخدام الأصوات والتلوين في التفعيلات والتقفية، ومن الأسماء البارزة لهذا الجيل كريم العراقي الذي عرف واشتهر واحداً من أهم من كتب كلمات

---

(٢٠) تك تك تاك . ص ١٠ .

الأغاني في العراق، وقد أصدر العراقي مجموعة "سالم يا عراق" ونشر الكثير من القصائد. ومثله جمال جمعة الذي نشر مجموعة للأطفال وعدداً من القصائد الناجحة، ومنها "النجار"(٢١):

تراقص المبرد فوق اللوحْ
ودقت الأخشاب بالمسمارْ
وقربها تمايـل المنـشارْ
يقطع الألواح والأخـشابْ
فامتلأ الدكان بالأصـواتْ
طـــق.. طـــاقْ
طـــــر.. رار
تغيــرت أشــكالْ
تبــدلت أحــوالْ
وصارت الألواح والأخشابْ
بهمــة النجــارْ
ودقــة الأفكــارْ
منـضدة.. ومقعـداً
وسـلماً للـدارْ

ومن أسماء هذا الجيل الشاعر غازي الفهد الذي يكاد يتخصص فـي كتابـة شعر الأطفال فقط، حيث نشر لهم وهو ما يزال في مطلع الشباب، وحقـق نجاحـاً كبيراً وكانت أغنية برنامج الأطفال في الإذاعة العراقية من كلماته، وهي مـشهورة وذات لحن رائع للمبدع حسين قدوري بعنوان "الأجنحة"(٢٢):

---

(٢١) مجلة " مجلتي " العدد ٣٣ السنة ١٠ / ١٩٧٩ .

(٢٢) قصائد مغناة . ص ١٤ .

على شفاهنا

حطتْ

فراشتانْ

ومن أكفنا

طارتْ

حمامتانْ

أماه يا بلادنا

نهراك في صدورنا

قلادتانْ.

ومن قصائده "أتى أبي"[٢٣]:

أتى أبي من السفرْ

أتى وفي جبينه

عذوبة المطرْ

عيناه ضحكتانْ

بالحب تزهرانْ

يا مرحبا يا مرحبا

أتى أبي من السفرْ

وخيون الفهد أخو الشاعر غازي، وكتب الكثير من القصائد، وفيها قدر مقبول من النجاح، لكنها على الدوام تعاني من الضعف في بنائها إيقاعاً ولغة.

أما عبد الإله رؤوف فقد كان من أهم كتاب السيناريو الساخر، إلا أنه حاول الشعر في قصائد معدودة ليس فيها ما يلفت النظر كما في "يا ساعي البريد"[٢٤]:

يا ساعي البريدْ

يا ساعي البريدْ

---

(٢٣) الأناشيد . ص ٣٥٢.

(٢٤) مجلة " مجلتي " العدد ٦ السنة ١٢ / ١٩٨١ .

إرحل إلى الجبهةْ

واخبر أبي هناكْ

إني أرى الوطنْ

حين أرى وجههْ

فاضل عباس الكعبي ممن أسهموا بنشاط في شعر الأطفال لكن دون تميز، ومن قصائده "طير النصر"[25]:

طير النـــصر ــــمـــر ببـــابي

حلـــــــواً يــــــــشدو

مـــــــــا أحــــــلاه !

مـــــــا أســـــعدني

حـــــــــــــين أراه !

حملنـــي صــبحاً بــشراه

طير النـــصر مـــر ببـــابي

ورأى قربــــــــــــــي

كـــــل صـــــــحابي

حيينــــــاه هنأنـــــــا

هنأنـــــــــــــــاه

طير النـــصر صار يغنـــي:

يحيا وطنـــي يحيا وطنـــي

وحسن عبد الحميد من مساهماته "أغنية للعمال"[26]:

بــــاللؤلؤ والمــــاسْ ورنـــين الأجـــراسْ

---

(٢٥) سا . العدد ١٨ السنة ١٢ / ١٩٨١.

(٢٦) سا . العدد ١٧ السنة ١٢ / ١٩٨١ .

جـــــاء الـــــصبحُ   فرحــــاً يعــــدو

فـــي وطـــن الأعـــراسْ

* * *

أفـــواج أفـــواجْ   تـــسرع كـــالأمواجْ

للمـــصنع.. للمعمـــلْ   تفتح أبواب المستقبلْ

هيـــا يـــا كـــل الأطفـــالْ

نقطـــف ورداً للعمـــالْ

فبهم نبنـــي وطنـــاً أجمـــلْ

أما خالد الخزرجي على الرغم من كل ما نشره، خاصة مجموعته "الأمل" فقد ظلت أدواته ضعيفة، وكتاباته أقرب إلى النظم والشعارات كما في قوله(٢٧):

قال لنا رئيسنا المحبـــوب:

بلادنا تـــصادق الـــشعوبْ

تقـــــاوم الغريـــــبْ

وكل مـــن أســـاء للعـــربْ

من أجل أن ينتصر العراقْ

وتشرق الحياة في بلادنـــا

وفاروق يوسف من الذين كتبوا الكثير للأطفال نثراً وشعراً، وقد استطاع خلال مسيرته الممتدة منذ أوائل الثمانينيات أن يحقق الكثير من النجاحات، ومنها كتابته لعدد من القصائد الجيدة، وهناك محاولات شعرية لم تكن بالمستوى الذي نعرفه عنه، أو عن شاعريته الشفيفة، كما في "يا عراق" حيث يميل إلى الحماسة الجافة(٢٨):

ارفعـــوا يـــا رفـــاقْ   رايـــــة للغـــضبْ

---

(٢٧) سا . العدد ٢٢ السنة ١٢ / ١٩٨١ .

(٢٨) سا . العدد ٤٧ السنة ١١ / ١٩٨٠ .

ذاك فجر العراقْ شعّ بين العربْ
فجرنا الأولُ
كالندى يقبلُ
صار فجر العراق ساحة للعناقْ
افتحي يا حقولْ بابك المغلقا
ذاك سعد يصولْ يحمل البيرقا
قال ضوء الصباحْ
مرحباً بالرياحْ
صاح كل الرفاقْ: مرحباً يا عراقْ

بينما يتألق في قصيدة اللقلق التي يبدؤها[29]:

طير اللقلق عادْ
لمدينة بغدادْ

وهادي ياسين من الذين كتبوا نصوصاً قليلة لا بأس بها، كما في "العصفورة"[30]:

دوري يا عصفورة دوري
في أرض النعمة والنورِ
غني لغد صاف آتْ
غني للعامل في المعملْ
وللفلاح حر يعملْ
غني يا عصفورة غني
للوطن الأخضر والغصنِ

---

(٢٩) سا . العدد ٢٥ السنة ١١ / ١٩٨٠ .

(٣٠) أحب لغتي . القباني ٢ / ٥٩ .

لقد أشاعت دار ثقافة الأطفال باهتمامها بشعر الأطفال جواً حيوياً، جعل المشاركة واسعة، مما ساعد على التجريب، ومن ثم بروز بعض الأسماء الجيدة، كما كان للاهتمام بأغنية الطفل دور آخر أسهمت به إذاعة بغداد، فنشط الشعراء في كتابة أغاني الأطفال، وما تعطيه هذه التجربة للشاعر من خبرة في الكلمة والجملة في إطارها الموسيقي الغنائي، والعلاقة المثمرة والمفيدة مع الملحنين.

ومن الأسماء المهمة جداً في مجال أغنية الطفل في العراق الملحن حسين قدوري صاحب عشرات الأغاني المميزة، إضافة لتخصصه الأكاديمي بأغنية الطفل من خلال أطروحته عن أغاني الألعاب عند الأطفال العراقيين وقد نشرت ضمن مطبوعات وزارة الإعلام هناك.

وسأختم حديثي عن التجربة العراقية بالإشارة إلى أهمية قصيدة الأطفال الصغار جداً، وهو أمر مهم ساعدت على تنشيطه مجلة " توته توته " باتجاهها التربوي الرصين في تشجيع الكتابات ذات المستوى الرفيع.

وقد أسهم الشاعر العراقي جليل خزعل في هذا النمط من الكتابة الشعرية كما في "طويل.. قصير"(٣١):

ليلى أختي
أطول مني
وأنا أطول من عدنانْ
لكن علياً أطولنا
طول علي هو(*) مترانْ

---

(٣١) مجلة " توته توته " العدد ٢٥ / ٢٠٠٢ .

(*) كلمة هو زيادة مني فلعلها سقطت من الأصل ! .

وله أيضاً قصيدة " أختي "[٣٢]:

أختي.. أختي

نور البيتِ

من بسمتها تشرق شمسُ

أختي فرحُ

أختي أنسُ

في صحبتها يحلو لعبي

وبرؤيتها أنسى تعبي

إن التجربة العراقية كما لاحظنا من التجارب العربية الغنية في شعر الأطفال، ولولا الظروف القاسية التي خربت انطلاقة دار ثقافة الأطفال، وشتتت شمل الشعراء لكان استمرارها أغنى بكثير في هذا المجال من واقع عطائها الحالي.

---

(٣٢) توته توته . العدد ٢٣ / ٢٠٠٢ .

الباب السادس

التجربة الفلسطينية - الأردنية

الفصل الأول

المثل المنظوم لإسكندر الخوري

الشاعر اسكندر الخوري واحد من أهم من كتبوا شعر الأطفال في الوطن العربي، فقد قدم تجربة متميزة، فيها الكثير مما هو ناجح وسهل، وشعره ابتعد إلى حد مقبول عن الصعوبة والنظم الباهت، وعمل هذا الشاعر في التدريس لسنوات طويلة أثرفي طريقة استخدامه للموضوع واللغة.

في المقدمة التي كتبها الشاعر لمجموعته "المثل المنظوم" نطلع على أفكاره العامة الواعية لما فعل:(١)

"لا يخفى افتقار المدارس في هذه الأيام إلى كتاب شعري، لطيف الموضوع مناسب لأذواق التلامذة ذكوراً وإناثاً، على اختلاف درجاتهم في السن والمعرفة، منطوٍ على المفيد لعقولهم، المهذب لنفوسهم ولغتهم، والمقوي فيهم ملكة الحفظ والاستظهار.

وقد وجدت أن الأمثال المنظومة أعظم ما تحتاج إليه مدارسنا إذ ليس لدينا حتى الآن كتاب شعري على نحو ما هو عند الغربيين يحوي القصة

اسكندر الخوري (١٨٩٠- ١٩٧٣)

مربٍ من بيت جالا في فلسطين، عمل في التدريس طويلاً من مؤلفاته "حقائق وعبر" و"الحياة بعد الموت" و"أدب وطرب" و"في الصميم" و" الطفل المنشد" و" المثل المنظوم" و"العنقود".

(١) المقدمة .

المنظومة ولا سيما ما جرى منها على أفواه البهائم وألسنة الطير، تنطوي على الأدب والحكمة والنصيحة إلا نزر يسير مبعثر هنا وهناك، يكاد لا يفي بحاجات المدارس وتطلع أنظار تلامذتها.

فحدثتني النفس لطرق هذا الباب علي أوفق إلى ما فيه الفائدة المتوخاة بإذن الله. فنظمت هذه القصائد، بعضها على أفواه البهائم وألسنة الطير، والبعض الآخر قصة أو عبرة أتبعتها بضع قصائد تجمع بين الأدب والفكاهة والتاريخ ووصف الطبيعة والأنشودة مما لا غنى للتلميذ عنه. هذا وقد ذيلتها بالشرح اللازم وزوّدتها بصورة لكل قصة تجعل من المثل حقيقة ملموسة لا يخفى تأثيرها الحسن في نفس الطالب وعقله".

وعندما نطالع "المثل المنظوم" نجد أنه مجموعة حكايات شعرية مأخوذة من لافونتين أو كليلة ودمنة أو بعض الأخبار التراثية أو القصص الشعبية.. ومع أن الشاعر لم يشر إلى ذلك صراحة لكننا لا نشك في أن كتاب "العيون اليواقظ" لمحمد جلال عثمان كان من مصادره الأساسية، حيث جرت عادة أغلبية من كتبوا للأطفال أن يعودوا إلى حكايات شعرية مشهورة فيعيدوا نظمها من جديد، وصنيع اسكندر الخوري مثال بارز على ذلك.

إذاً كما رأينا في مقدمة الشاعر التي أوردت أكثرها، هو واعٍ لما يصنع، فهناك مراعاة لخصوصية مراحل الطفولة، وما تستلزمها من طريقة التعبير.

وإذا كنا نتحدث عن كتاب صادر عام ١٩٣٨، فإن تحديد مراحل الطفولة وما يناسبها من لغة لا تتشابه مع ما نعرف اليوم.. فلم تكن النظرة إلى الطفل قد تعمقت تربوياً وعلمياً، وهذا ما سنجده عند الشاعر المربي اسكندر الخوري نفسه عندما يختار موضوعاً ما، أو يستخدم طريقة تعبير لغوي، لكن مجرد التنبيه إلى هذه الخصائص يشكل مؤشراً ناضجاً على وعي معاصر للمسألة.

يبدأ "المثل المنظوم للمدارس" بحكاية معروفة ذات مغزى خالد بعنوان "غزال وثعلب"[٢]:

غزال جاء من عطش   إلى عين لكي يشربْ
وكان الماء في واد   عميق ضيق المسربْ
ولما أن غدا ريان من ماء قد استعذبْ
مشى كي يصعد الوادي   فعزّ القصد والمطلبْ
من الأعلى على الوادي   أطلّ مقهقهاً ثعلبْ
وقال له: لقد أخطأت في المرمى ولم تحسبْ
وما فكرت قبل الشرب يا مسكين في المهربْ
ولم تحسب حساباً للتراجع بعد ما تشربْ

أما حكاية "الكلب والغزال" فهي نموذج ناجح على صياغة الحكمة التربوية[٣]:

تبع الكلب غزالاً   بين أشجار الأراكْ
جدّ لكن لم ينل من   عدوه غير الهلاكْ
والغزال اشتدّ لكن   قال للكلب: كفاكْ
أنت لن تلحق بي يا   كلب خفف عن عناكْ
عندها قال له الكلب: ولمْ روحي فداكْ؟
قال: لا أعدو لغيري   أنت تعدو لسواكْ
أنت للصياد تعدو   دعك من هذا العراكْ
وأنا أعدو لنفسي   لا لهذا أو لذاكْ

ويروي لنا الخوري قصة "فرن جحا" التي تلخص فكرة أن إرضاء الناس غاية لا تدرك، وقد قرأنا الحكاية الشعرية منظومة من قبل كثيرين ابتداء بمحمد

(٢) سا . ص ٥ .
(٣) سا . ص ١٤ .

عثمان جلال، إلا أن الشاعر هنا يقدم لنا القصة في إطار جديد، وقد تغيرت أحداثها انطلاقاً من حكاية شعبية متداولة ليس فيها رجل وابنه وحمار بل يقول(٤):

جحا بنى يوماً له | فرناً دقيق الصنعةِ
وقال هذا بابه | للشرق خير جهة
فزاره يوماً فتى | وقال يا للخيبة
يا حبذا لو بابه | في الجهة القبلية
فهدّه جحا ولم | ينبس ببنت شفة
وراح يبنيه كما | قيل له بسرعة
فجاءه أصحابه | واعترضوا بشدة
قالوا لو الباب غدا | في الجهة الغربية

ولما كثرت الاعتراضات جعل باب الفرن على دولاب، فصار يديره حسب الاعتراض الجديد، وينهي الشاعر الحكاية بقوله:

يتعب من يبغي رضا الناس بلا منفعةِ
هيهات يرضي الناس شيء فوق هذي الكرة

وينجح اسكندر الخوري في التقاط الحكايات الساخرة وتوظيفها شعرياً وتربوياً، كما فعل في واحدة من أجمل قصص المجموعة، لأنها حوت عنصر السخرية بما يملكه من تشويق مع عذوبة وسرعة في الإيقاع، إضافة إلى الاعتماد على حكاية شعرية شديدة الشعبية والانتشار(٥):

كان لحانا وماتا | زوج يحب الحسانا
كهل ولكن صبي | في قلبه مثل مانا

(٤) سا . ص ٧٨.
(٥) سا . ص ٧٦ .

صـــــبية ذات دلّ جميلـــة كـــديانا
وكهلـــة تلـك كانــت من اسمها كان حانــا

وراحت الزوجة تلتقط الشعرات البيض لتغيظ ضرتها حانا، بينما كانت حانا تلتقط الشعرات السود من ذقن زوجها.. ثم:

وما وعى الـزوج إلا وقـد غـدا عريانــا
مـن ذقنـه فتمنــى لـو أنـه مـا كانــا
وراح والدمع يجـري مـن عينـه هتانــا
يقول: ضاعت لحانــا ما بين حانــا ومانــا

ويلفت نظرنا أن الشاعر ينظم قصائده بأوزان خفيفة راقصة، يغلب عليها مجزوء الرجز أو الكامل أو الخبب، وقلما ينوع في القوافي، إذ يعتمد على قافية موحدة لحكاياته حتى لو كانت من الرجز وهو قليل في مثل هذا النوع من الحكايات الشعرية، ويعطي خصوصية للشاعر اسكندر الخوري.

وقلما نقع على حكاية مكتوبة على بحر كامل التفاعيل كما في حكاية "البرميلان"[٦]:

تركوا البرميل يهوي فارغــاً من علو فهوى يـدوي دويًــا
ملأ الجــو ضـجيجاً عاليــاً أزعج الآذان إزعاجــاً قويــا
وهــوى الآخــر مــلآن فلــم تعلُ منه ضجة تـزعج حيــا

ثم يوجه خطاباً مباشراً إلى الطفل:

أنت كالبرميل إمــا فــارغ تملأ الدنيا صراخاً ودويــا
وكمـــلآن بـــلا جعجعـــة تخدم الأوطان ما عشت أبيا

(٦) سا . ص ٥٨ .

وكقصة " الثعلب والغراب " التي يبصر فيها الثعلب غراباً في منقاره قطعة جبن، فيأخذ في مديحه، ويطلب منه أن يغني، لأنه جميل، ويتوقع أن يكون صوته أجمل [٧]:

والغراب اهتزّ بشراً عندما	سمع المدح يثير السامعينْ
فتح المنقار كي يسمعه	صوته فانحدر الجبن الثمينْ
أقبل الثعلب إذ ذاك على	قطعة الجبن بشوق وحنينْ
قائلاً يا سيدي لا تنخدع	مرة أخرى بقول الخادعينْ

ومن هذه النصوص القليلة ذات الإيقاع الطويل نسبياً حكاية "الكذب والحقيقة" ومنها[٨]:

يقال إن الكذب والحقيقه	سارا إلى الينبوع في الحريقةْ
تعريا في الحال كي يغتسلا	واقتحما مياهه العميقةْ
وغادر الكذب المياه أولاً	يسبق نحو الشاطئ الحقيقةْ
حيث ارتدى ثيابها منطلقاً	مخترقاً لبيته طريقةْ
وجاءت الحقيقة الشط فلم	تعثر على ثيابها المسروقةْ
فانطلقت عارية ولم ترد	لبس ثياب الكذب الصفيقةْ
فنمّهاالناس جميعاً وأبوا	قبولها في البيت والحديقةْ

ومن نماذج اعتماد الشاعر على حكايات من التاريخ العربي اختياره حادثة من سيرة الخليفة عمر بن الخطاب تدلّ على حسّه الإنساني وتفقده للرعية وتواضعه الجم.. ولعلّ هذه الحكاية مَثّل على اتجاه اسكندر الخوري القومي الواضح حيث يظهر اعتزازه بالماضي الذي يستحق الفخر، وهو شديد التأكيد على انتمائه

(٧) سا . ص ٤٢ .
(٨) سا . ص ٥٤ .

القومي والحضاري للماضي العربي والإسلامي، إضافة إلى انفتاحه على العالم، والحضّ على الأخذ بما في الحياة الغربية الحديثة، من علم وتنظيم وحضارة. تبدأ حكاية "عمر بن الخطاب"(٩):

عمر وهل يخفى القمرْ ... ما كان ملكاً للبشرْ

كان الملاك إلى الخلائق أرسلته يد القدرْ

متزهداً متقشفاً ... بالحزم والعدل اشتهرْ

ويشير الشاعر إلى معاملة عمر للنصارى العرب قائلاً:

عز النصارى في خلافته فكان بهم أبرْ

وتريك عهدته السماحة فهي عن حق دررْ

وإخاء أحمد والمسيح ثمار هاتيك الشجرْ

بعد هذا التقديم يبدأ الشاعر القصة:

انظر إليه عندما ... زار العيال مع السحرْ

ورآهم يبكون من ... جوع له الدمع انفجرْ

والقدر تغلي بالحصى ... مرأى له القلب انفطرْ

حمل الدقيق وفوق لحيته الدقيق قد انتشرْ

ثم انبرى للنار ينفخ دون أن يبدي الضجرْ

بعدها تنتهي الحكاية بقوله:

ماذا أقول وما ذكرت سوى قليل مختصرْ

ذكرى أبي حفص عمر ... ذكرى المفاخر والعبرْ

إن مجموعة "المثل المنظوم للمدارس" حوت عظات ثمينة ومناسبة للتلاميذ، لكن حكاياتها لا تخلو مما لا يليق بأن نقدمه للطفل أحياناً، فبعضها فيه أفكار تذهب

---

(٩) سا . ص ٩٣ .

بعيداً في التأمل المناسب للكبار وليس للصغار كما في "الموت والحطاب"(١٠) و"الذئب والرعيان"(١١) و"المجرم"(١٢).

فهل يجوز مثلاً أن نقدم نصاً تربوياً للطفل معناه أن الإنسان هو الوحش الحقيقي وليس الذئب، كما في "الذئب والرعيان"؟

أما في "المجرم" فالمسألة أكثر حساسية، إذ يتحدث الشاعر عن مجرم سيق إلى منصة الإعدام لأنه سرق وقتل، ثم:

سيق للموت ساهياً لا يبـالي	سادر الطرف بالحديد مـصفدْ
وقف الناس شاخصين إليـه	ودم في عروقهم قـد تجمـدْ
وهنا صاح: يا جنود ارحموني	ارحموني بحق عيسى وأحمدْ

فطلب أن يودع أمه بقبلة، وطلب منها أن تمدّ لسانها نحو فمه، فعض لسانها حتى قطعه، وقال:

إن هذا اللسان أصـل بلائـي	إن أمي أصل الشقاء المؤبـدْ
أهملتني أيام كنـت صـغيراً	يافعاً أهبط السـهول وأصـعدْ
بعد هذا قد صرت لصاً خطيراً	أقطع الطرْق للمـلا أترصـدْ
أقتل النفس في سـبيل ثـراء	لا أخاف القـانون لا أتـرددْ
أيهـا الأمهـات أنـتن نـور	وظلام بكـنّ نـشقى ونـسعدْ

إذا كان الشاعر قد صاغ غالبية قصائد مجموعته على شكل حكايات شعرية، فإن ما يقرب من ثلثها ليس سوى قصائد للأطفال تتحدث عن الأم أو المدرسة أو الوطن أو الربيع، وهذا تنويع جميل في الكتابة ويحتاجه الطفل والمدرسة في علاقتها بشعر الأطفال.

---

(١٠) سا . ص ٥٦.
(١١) سا . ص ٨ .
(١٢) سا . ص ١٠١ .

في "أنشودة البنت" نكون مع شكل مدروس للنشيد، التنويع في القوافي، وتوزيعها بطريقة مقصودة، وإيقاع سريع، وبساطة معنى(١٣):

يا بنات اليوم حانتْ — يقظة البنت وآنتْ
إن تراخت أو توانت — ركبت متن الضلالْ

* * *

لابأثواب وزينه — تصبح البنت ثمينهْ
إنما للبنت زينه — علمها وهو الجمالْ

* * *

وبأخلاق فضيله — تصبح البنت جميلهْ
وبها تحيا القبيله — ولها يحسن حالْ

* * *

لنكن نحن البنات — في بساتين الحياةْ
زهرات عطرات — بشذا حسن الخصالْ

والشاعر يطرق موضوع المرأة في قصيدة أخرى ذات عنوان تقريري سافر "نجاح الأمة في رقي المرأة" فيقول فيها (١٤):

الشرق لا ينهض من نومه — وبنته في حالة موجعهْ
في القرية المرأة مظلومة — تجرع كاسات الشقا مترعهْ
وفي سواها همها زيها — ثرثارة تنق كالضفدعهْ
وأختها في الغرب مغبوطة — في البيت والمعمل والمطبعهْ

ثم يضيف:

لولا نساء الغرب ما بذنا — غرب وأضحى شرقنا في ضعهْ
فأنهضوا الأوطان من هجعة — طويلة مخزية مفجعهْ
وعلموا المرأة إن كنتم — ترجون من شرقكم منفعهْ

---

(١٣) سا . ص ١١٥ .
(١٤) سا . ص ٩٩ .

ولعل هذه القصيدة من القصائد التي تسللت خطأ إلى المجموعة، لأن صياغتها خارجة عن روح الكتاب، فهي للكبار في لغتها وطريقة حديثها عن المرأة، وهي تشبه فكرة أساسية كررها الشاعر في ما كتبه للكبار من شعر(١٥).

ونظل مع المرأة، ولكنها الآن الأم التي يكتب لها الشاعر هذه القصيدة الجميلة التي منها(١٦):

ما أحيلى لفــظ أمــي   لفظة تفــرج همــي
أنــا مــديون إلــى أمــي بروحــي وبجــسمي
هــي ربتنــي طفــلاً   دمهــا كــون دمــي
وصــغيراً علمتنــي   علمها أسس علمــي
وإذا هــمّ عرانــي   أقبلت تحمــل همــي
ورضــاها ملكــي الحــارس فــي حــرب وســلم
نجمة تلمع لــي فــي   ليل همــي المــدلهمّ
لأبي فــضل ولكــن   فــضلها أكبــر قــسم
أنا لــو أعبــد أمــي   لا أفي دينــي لأمــي

أما في "أغرودة السرير" فالشاعر يغني للوليد على لسان الأم قائلاً(١٧):

يــا حبيبــاً أفتديــهِ   بــسويداء فــؤادي
وبعينــــيّ أقيــــهِ   نم وعش حر المبادي
قبل أن أصــبح أمــا   كنت لي حلماً جمــيلا
فغدوت الآن جــسما   نــم هنيئــاً وطــويلا

---

(١٥) راجع ما كتبه الشاعر في مجموعته " العنقود ".

(١٦) المثل المنظوم . ص ٨٤.

(١٧) سا . ص ١١١.

ولا ينسى الشاعر أن يعرج على معنى قومي تربوي:

نم وعش حتى أراكـا خادم العرب الأمينـا

نم وعش روحي فداكا واحذُ حذو المخلصينا

إلى أن ينهي الشاعر هذه الأغرودة نهاية في منتهى الرقة والبناء الخاص بالطفل رشاقة وتكراراً وسهولة:

نم ملاكي نم حبيبـي نم بحفظ الله واسلمْ

نم إلى الصبح القريب نم قرير العين نم نمْ

في "أنشودة الولد" طفل يتغنى بمدرسته التي تبدو حديثة كل ما فيها جميل، حتى إن السيارة هي التي تنقل التلاميذ إليها(١٨):

مع الرفـاق أذهـبُ تحملنـا سـيارةْ

تمشي بنـا فنطـربُ كأنهـا طيـاره

و"أنشودة اللعب" مأخوذة من جو المدرسة أيضاً مع كثير من اللفتات التربوية(١٩):

هيا نلعب يا إخـواني هيا نلعب طاب اللعبُ

وعليكم ألا تختصموا ليكن عنـوانكم الأدبُ

ولندرس بعد اللعب فقد طابت بعد اللعب الكتبُ

ولا ينسى الشاعر أن يخص الطبيعة بأنشودة عذبة يقول فيها(٢٠):

كل ما تبصر عنـدي من أمـارات بديعـةْ

وأزاهيـر وورود كلها ملـك الطبيعـةْ

* * *

---

(١٨) سا . ص ١١٣ .

(١٩) سا . ص ١١٧ .

(٢٠) سا . ص ١١٩ .

قف على هذي الروابي تحتها حيُّ السهولْ
وتأمل في رحابي وبهاتيك الحقولْ

* * *

ولعل الشاعر قد وضع مجموعته لترافق التلميذ في العام الدراسي، ففي القصيدة ما قبل الأخيرة نقرأ "أنشودة الوداع" وكأنها وداعية العام الدراسي مع شيء كأنه العهد والقسم(٢١):

أطفال هذا اليوم هم غداً الرجالْ وعلى الرجال تقوم أعباء ثقالْ
إن الرجولة في الحياد(*) عن الضلالْ هي في النزاهة في الكلام وفي الفعالْ
إنا على عهد الصبا مهما بنا دهر نبا
نحن البنات غداً لكون الأمهاتْ وعلى سواعدنا تقوم العائلاتْ
منا الأساس ونحن من نبني الحياةْ فعلى الأساس(**) هيا نحافظ يا بناتْ
إنا على عهد الصبا مهما بنا دهر نبا

مما يحسب للشاعر اسكندر الخوري أنه استطاع في مجموعته أن يقدم حالة تربوية متوازنة لا تقع تحت التمييز بين الفتى والفتاة، بل تشيع في المجموعة عموماً إنسانية منفتحة.

أنهى الشاعر كتابه بـ "أنشودة الوطن"(٢٢):

أيها الشعب المفدّى حسبنا هذا القعودْ
قم لكي نحرز مجدا علّ ماضينا يعودْ

* * *

---

(٢١) سا . ص ١٢١.
(*) في الأصل : وعن
(**) في الشطر خلل في الوزن إلا إذا سكّنا " الأساس " أو خففنا التشديد في هيّا وكلاهما قبيح.
(٢٢) سا . ص ١٢٣ .

رددي يا قدس عنــا   بوقـــار وثبـــاتْ
أفهمي الأقـوام أنــا   أمــة تبغــي الحيــاةْ

بقي لي في ختام الحديث عن هذا الكتاب أن أشير إلى أنه لـم يخـلُ مـن الصعوبة في بعض مفرداته وتراكيبه، وسأكتفي بهذه الأمثلة عليها[٢٣]:

متواضعاً لا يزدهـي لا يـشمخرُّ إذا انتـصرْ

أو [٢٤]:

وإذا الآلام يومــــاً   عرقت لحمي وعظمي

أو[٢٥]:

أنا الأشرار أحـذرها   تخذت العقل دسـتورا

أو [٢٦]:

ثالـث مـن بعـده   جـاءهم مـن كثـبِ
تبعـــتهم كلهـــم   بنبـــاح صـــيبِ

أو [٢٧]:

صاح فيه الذئب: هل   تمزح ما أنت بمـدرة

أو [٢٨]:

مذ رأى الفلاح هذا لـم يعـد   يبصر النور فنادى: من عذيري؟

وقد تصادفنا في المجموعة ضرورات لا تليق بشعر مكتوب للطفل..

---

(٢٣) سا . ص ٩٣ .
(٢٤) سا . ص ٨٥ .
(٢٥) سا . ص ١٣ .
(٢٦) سا . ص ١٦
(٢٧) سا . ص ٢١ .
(٢٨) سا ، ص ٤٨ .

مثل:

وضحية النمام أعظم، لسعه يودي بمية

فليس من المناسب لغوياً أن تكون بمئة للطفل مية ضرورة.

كما أن الشاعر في بيت واحد يورد كلمة اللعب بصورتين مختلفتين، واحدة بتسكين العين والثانية بكسرها:

وللدرس بعد اللعْـب فقـد طابت بعد اللعِـب الكتـبُ

فقد فرّ في الشطر الأول إلى الضرورة حتى لا تتوالى خمسة متحركات.

بهذا نكون قد أخذنا فكرة عامة عن واحد من الذين قدموا الكثير لقصيدة الطفل العربي وفي وقت مبكر.

قدم تجربته كشاعر ومربّ، وحرص أن تكون مجموعته مشكولة ومدققة، ومزودة برسوم لكل قصيدة، وأحياناً كان يعمد إلى وضع صورة فوتوغرافية، مما يذكرنا بالتجربة الرائدة لمحمد الهراوي في هذا المجال، أما الرسوم فقد رافقت أول كتاب صدر للأطفال، وأعني "العيون اليواقظ".

بعد اسكندر الخوري لم تعرف قصيدة الطفل من أولاها عناية خاصة، حتى جاء شاعر كبير منح الطفولة العربية اهتماماً خاصاً.. وهو الشاعر عبد الكريم الكرمي.

الفصل الثاني

أبو سلمى وشعر الأطفال

عبد الكريم الكرمي اسم كبير في الشعر والحياة والنضال، لأنه ارتبط بكل ما هو نهضوي في حياتنا، ودافع بقوة عن خياره، وعكسه شعراً واضحاً رفيع المستوى. إلا أن أبرز ما يهمنا في تجربته هنا كتابته لشعر الأطفال، بخيار واعٍ عميق، وبتطبيق عملي نشط. وكل من كتب في شعر الأطفال نوّه بمجموعته التي صدرت في دمشق عام ١٩٦٤ بعنوان "أغاني الأطفال".

لكن الطريف أنني وجدت شاعرنا قد بدأ الكتابة للأطفال منذ عام ١٩٢٧، و إن كان ذلك على ندرة وضياع ما كتبه، إذ من غير المعقول أن يكون الشاعر قد كتب النص الوحيد الذي عثرت عليه في كتاب " علم الموسيقى" لمصطفى الصواف ثم صمت حتى عام ١٩٦٤.

ولا ننس أن شاعرنا الكبير قد درس في سورية، وأكمل تعليمه فيها، وتخرج مجازاً في الحقوق، واختارها مقاماً دائماً له بعد نكبة فلسطين حتى رحيله عام ١٩٨٠.

نصه القديم هو "فتى سورية"(١):

هاج لـــي الأســـى   ذكـــــر الـــــوطنْ

---

(١) علم الموسيقى . ص ٩٣ .

(*) تشديد الياء ضرورة إيقاعية .

حلـــت الحـــشا نـــار الـــشجنْ

* * *

عشت فــي مجـدٍ يـــا بـــلادي

دمــت فــي ســعدٍ واتحـــــــادِ

* * *

ســـوف نعليـــكِ بـــــالعوالي

ونفـــــــديكِ بـــــالغوالي

* * *

يــا بــن ســوريةْ وفتاهــــا

كـــل ثانيـــةْ كـــن فـــداها

إلا أن الشاعر عندما سيصدر "أغاني الأطفال" فإنه يكون قد وعى ما يفعله فنياً وتربوياً، لهذا فهو يقول في مقدمة ذلك الديوان الصغير:

"إن المكتبة العربية لفي حاجة قصوى إلى أغاني الأطفال، وهذا السبب هو الذي حدا بنا إلى إصدار هذه المجموعة من الأغاني لهم، وقد توخينا أن تكون ألفاظها سهلة وأوزانها خفيفة وموضوعاتها مشوقة، وأن تحمل أفكاراً بسيطة ونبيلة، وأن تحبب أطفالنا بالطبيعة والوطن وعمل الخير."[٢]

إنه تحديد دقيق ومهم لخصائص قصيدة الطفل، وهو أمر قلما ذكره أو طبقه الشعراء والكتاب الذين كتبوا للطفل.

ونلحظ فيما كتبه أبو سلمى ملامح شعره المعروفة بميلها الطبيعي إلى الشفافية كما في "داري"[٣]:

هل تعرف داري يا جــاري مـــا أحلاهـــا؟

---

(٢) ديوان أبي سلمى . ص ١٢٨ .

(٣) سا . ص ١٣٠ .

يا ليت ترى غـرف الـدارِ ... مـــا أبهاهـــا!

* * *

الشمس تزور من الطــاقِ ... وتحيّينـــــــي

وتشعشع بعـد الإشــراقِ ... وتـــــــسليني

* * *

ونـسيم الـصبح يقـابلني ... بـشذا الزهـرِ

وكــذاك الطيــر تناشــدني ... بعض الـشعرِ

* * *

ما أجمـل رائحـة الفـلِّ ... والريحــــانِ

وسكون الطير إلى الظـلِّ ... فـــي بـستاني

إضافة إلى هذه الخصيصة فإن في كتابة شاعرنا بناء موسيقياً واعياً، لاختيار الإيقاع السريع، والمتنوع، والتركيز على الطابع الغنائي، ألم يسمّ شاعرنا معظم ما كتبه للأطفال بـــ "أغاني الأطفال"؟

لنستمع إلى "نسيم الربى"(٤):

هـــذا نـــسيم الربـــا ... يحمل عطر الزهــورْ

يرمي هنـــا أو هنـــا ... يعطـــر المنحنـــى

إليـــه قلبـــي صـــبا ... وقـــال يـــا مرحبـــا

هـــذا نـــسيم الربـــا

* * *

هـــذا نـــسيم الربـــا ... ينقل شـدو الطيــورْ

يا ما أحيلــى الغنـــا ... وفـــي ليـــالي الهنـــا

---

(٤) سا . ص ١٣٦ .

أمــا تــرى الكوكبــا   يقــول: يــا مرحبــا

هـــذا نـــسيم الربـــا

* * *

هـــذا نـــسيم الربـــا   مر بـــأرض الـــوطنْ

فكيف أشكو الـضنى   ولا يـــزول العنـــا

وجـــاء لـــي بالنبـــا   ينـــــشره طيبـــــا

هـــذا نـــسيم الربـــا

* * *

فيـــا نـــسيم الربـــا   لا تخشَ غدر الـــزمنْ

تعـــال عـــرّج بنـــا   واعتنـــق الموطنـــا

أنـــت رفيـــق الـصبا   فقـــل لـــه: مرحبـــا

أنـــا نـــسيم الربـــا

ويبلغ التنويع حداً غاية في الجمال والرقة ندر أن قرأناه في شعر الأطفال العربي كما في "راعي الغنم"(٥):

هل تنظـــرونْ   راعي الغنمْ

وتـــسمعونْ   حلو الـــنغمْ

يدعو القطيـــعْ   إلى الميـــاهْ

إلـــى الربيـــعْ   إلى الحيـــاهْ

إن رحت يـــا   راعي الغنمْ

إلـــى الـــسهول والأكـــمْ

---

(٥) سا . ١٢٩ .

سلم علـــى كـــل الزهـــورْ

ســـلم ولا تـــنس الطيـــورْ

ويلاحظ على تجربة الشاعر أنه لم يغرق قصائده بالحماس أو الأفكار الفوقية على الطفل كونه فلسطينياً وابن تجربة فاجعة، بل أعطى للطفولة حقها في أن تتفتح على عالمها، وتأخذ منه المكونات الأساسية لكل طفل، فكثرت موضوعات الطبيعة والحيوان والأسرة، والتغني العذب بالوطن.

لنأخذ مثلاً قصيدة "الببغاء" حيث ينجح الشاعر في تقديم فكرة أساسية عن هذا الطائر، لكنه بعد ذلك يضيء الموضوع بهدف تربوي واضح(٦):

الببغـــا.. الببغـــا ترطن في كل اللغـــى

لكنهـــا لا تعلـــم بأنهـــا لا تفهـــمُ

فـــلا تكـــن كالببغـــا

الببغـــا مقلـــده ولا تـــرى مجـــدِّده

تعجـــم فـــي بيانهـــا والعقل فـــي لـــسانها

تقول مـــا قيـــل لهـــا فـــلا تكـــن كالببغـــا

* * *

منقارهـــا محـــدّبُ وريـــشها محبـــبُ

أحبسها في غرفتـــي وذاك مـــن محبتـــي

تؤنسني في وحشتي الببغـــا.. الببغـــا

* * *

لسانها مـــا أطولـــهْ وشكلها مـــا أجملـــهْ

فمـــرة تحبنـــي وتـــارة تـــسبني

تقول مـــا قيـــل لهـــا فـــلا تكـــن كالببغـــا

---

(٦) سا . ص ١٣١ .

ولدى الشاعر قصيدة ثانية هي "لو كنت عصفوراً" يكتب فيها في الموضوع الأثير عند شعراء الأطفال جميعاً، إلا أنه يعبر عن الفكرة بطريقة فيها جدّة(٧):

لو كنت عصفوراً   لطرت في الوادي
والبلبل الشادي   جنباً إلى جنبِ
وعشت مسرورا   لو كنت عصفورا

* * *

لو كنت عصفورا   نجوت من رقي
وطرت في الأفق   حراً ولا شكوى
إذ لست مأسورا   لو كنت عصفورا

ثم في قصيدة ثالثة يتحول طائر آخر إلى رمز جديد يدل على القوة والبطولة، حيث يقول في "نسر البلاد" بطريقة الخطاب المباشر لهذا الطائر(٨):

مدّ في الأفق جناحا   واجعل الحق سلاحا
وإذا طال الدجى فاطلع على الدنيا صباحا

* * *

أنت أعطيت الزمانا   مكرمات وأمانا
البطولات تغنت   ومشت فوق ربانا
فحمى المجد حمانا
وهوى العرب هوانا
إيه يا نسر البلاد

---

(٧) سا. ص ١٢٤.

(٨) الديوان الآخر لأبي سلمى . بيلتو . ص ١٤٣ .

إروِ تـــــاريخ الجهـــــادِ

واحمِ يا نــسر ديــار العــرب مــن كيـد الأعــادي

كيف تنسى الثأر يوماً وفلــسطين تنــادي؟

وتختلط الطبيعة كمشاهد ساحرة غنية بفكرة الوطنية، وهو أمر لاحظناه لدى الشاعر، حيث يتقن الانتقال بنعومة من الوصف إلى الفكرة، أو من الربط الجميل بين معنى صغير ومعنى كبير كما في "جنة الدنيا"(٩):

جنــة الــدنيا بـلادي حبهــا مــلء فــؤادي

ريحهــا فــي كــل وادِ حــسنها للعــين بــادِ

جنـــــة الـــــدنيا بـــــلادي

* * *

في الضواحي والغيــاضِ في السواقي والحيــاضِ

في أنيقــات الريــاضِ حــسنها للعــين بــادِ

جنـــــة الـــــدنيا بـــــلادي

* * *

في انسياب الماء يجري بين أعــشاب وزهــرِ

في الشذا العطري يسري حــسنها للعــين بــادِ

جنـــــة الـــــدنيا بـــــلادي

في تــسابيح الحمــائمْ في عطيــات الغمــائمْ

في رســالات النــسائمْ حــسنها للعــين بــادِ

جنـــــة الـــــدنيا بـــــلادي

(٩) القراءة . للثالث ج ٢ .

والشاعر وهو يصور عاطفته نحو ابنه يرحل بنا نحو أعماق المشاعر والتضحيات تجاه الوليد الذي يحتل عند أبيه كل هذا القدر من الحب في "ولدي" ومنها(١٠):

أنت الهوى يـا ولـدي   يا نفحة الزهر النـدي
يا حلم الماضـي ويـا   عرس الأماني في غـدِ
فيك شـذا مـن أمـل   وأرج مـن موعـدِ
نـصبت مـن قلبـي لـك المهـد الـوثير فارقـدِ
لا تخشَ مـن خفوقـه   هـذا الغـرام الأبـدي

ويقدم أبو سلمى الأم، وهي موضوع محوري في شعر الأطفال، لكنه يقدمه بطريقة في غاية الجدة، ويبني قصيدته على القفلة الذكية التي تضيء كل ما قبلها في "الولد الأعمى"(١١):

يقولون بأن الشمس زانـت قبـة الفلـكِ
تضيء بنورها الكون وتمحو آية الحلـكِ

يقولونَ
يقولون عبير الزهر أطيب منـه ألوانـهْ
تروق العين والقلب فتنأى عنه أحزانـهْ

يقولونَ
يقولون بـأن البحـر مـرآة الـسماواتِ
وأن النجم كاللؤلؤ يبـدو فـي العـشياتِ

---

(١٠) الديوان الآخر . ص ٣١ .

(١١) سا . ص ١٤٢ .

يقولونَ

وأن الغاب يستيقظ والوادي مــع الفجـرِ

على أغرودة الطير على النور على العطرِ

يقولونَ

دعوا الكون وما يحويه من زهر ومن نجمِ

فما في الكون من نعم تساوي رؤيتي أمي

وتظهر رهافة الشاعر وبراعته الأسلوبية في قصيدة "لا أحد" وهي حكاية إنكليزية في الأصل، و الشاعر صاغها بطريقته(٢١):

شخص يسمى لا أحــدْ   كان يطوف فــي البلــدْ

ويختفـــــــي وراءه   كـــل فتـــاة وولـــدْ

مـــن كــسر الزجاجــا   وأطفـــأ الـــسراجا ؟

هل أنــت يــا زيــادْ؟   أم أنــت يــا ســعادْ ؟

كـــل يقـــول: لا أحـــدْ

وإن أتى يــوم الأحــدْ   فأنت ضــيعت الرشــدْ

إذ تختفـــي فاكهـــة   ما مثلهــا عنــد أحــدْ

مـــن أخــذ المفتاحــا   وأكـــل التفاحـــا

من خطــف العنقــودا   وأنكـــرا العهـــودا

كـــل يقـــول: لا أحـــدْ

يا من يسمى: لا أحــدْ   إرحل وغب عن البلــدْ

---

(١٢) سا . ص ١٤٥.

حتى يرى كـل امـرئ ما ضاع منــه وافتقـدْ
لا أحــــد مـــــسكينُ ومـــا لـــه معــينُ
يظلمـــه الإنــسانُ ومـــا لـــه لــسانُ
ولا أحـــــد.. ولا أحـــــدْ

وقريب من هذه العذوبة ما قاله في "سعيد في العيد"(١٣):

العيد أقبل يــا ســعيدْ قم والبس الثوب الجديدْ
فشمسه أحلى الشموسْ وهي تهادى كالعروسْ
ترى السماء الضاحكةْ إذ تــسمع الملائكـــةْ
وهي تنادي من بعيــدْ: يا ليت كل يــوم عيــدْ!

هذه أهم محطات تجربة شاعرنا الكبير مع شعر الأطفال التي كانت من أبرز التجارب في مرحلة الستينيات عربياً.

---

(١٣) سا. ص ١٣٥.

الفصل الثالث

تجارب أردنية - فلسطينية

لعل أول عمل مدوّن للأطفال في الأردن وفلسطين كان "مجموعة الأناشيد المدرسية" لإبراهيم البوراشي عام ١٩٢٨، ثم ظهرت بعد ذلك كتب عديدة، سواء ما كان فيها الشعر مؤلفاً أو مجموعاً من مصادر قديمة أو حديثة ومن أهمها "الطفل المنشد" لاسكندر الخوري و"أغاريد الطفولة" لعبد الحفيظ أبي نبعة، و"أغاني الصغار"لجاك سليم و"الزنابق "لروكس العزيزي و"البستان" لإسعاف النشاشيبي، و"أغاني الأطفال" لعبد الكريم الكرمي. وفي مرحلة قريبة منا ظهرت أعمال عديدة لمحمد القيسي وهارون هاشم رشيد وإبراهيم نصر الله ومحمود الشلبي ويوسف حمدان ووداد قعوار ومحمد الظاهر وعلي البتيري وغيرهم.(١)

وشهدت فلسطين والأردن بدايات الانفتاح على العصر منذ أواسط القرن التاسع عشر من خلال حركة الطباعة التي بدأت عام ١٨٤٦، وانتشار بعض المدارس التي وصلت عام ١٩٢٠ إلى ٢٤٤ مدرسة، وقد يكون أول كتاب شعري وضع للتلاميذ هو "مجموعة أشعار" لنخلة زريق في القدس عام ١٩٠٣(٢)، وأرسل الأردن أول بعثة إلى الجامعة الأمريكية عام ١٩٢٧ وهي مكونة من ثلاثة طلاب(٣).

---

(١) كتب الأطفال. الهدهد (بحث مقدم إلى ندوة "نحو مستقبل ثقافي أفضل للطفل العربي" – القاهرة ١٩٨٨)

(٢) محاضرات في الاتجاهات ... الأسد ص ٥٥ و ٥٦ ، وفصل "التأليف المدرسي".

(٣) الحركة الأدبية في شرقي الأردن . القطامي . ص ٢١ .

وعرف البلدان عدداً من رجال التربية العرب المعدودين في ذلك الوقت كخليل بيدس وإسعاف النشاشيبي وخليل السكاكيني وشريف النشاشيبي وخليل طوطح، إضافة إلى دور عدد من المربين والأدباء العرب الذين أدوا واجبهم فيهما مثل الرصافي والحوماني وعز الدين التنوخي وفؤاد الخطيب وخير الدين الزركلي وعمر يحيى وغيرهم.

وصارت فلسطين منذ أواخر ثلاثينيات القرن العشرين تزود عدداً من الأقطار العربية بالمعلمين كالعراق والكويت واليمن والجزيرة العربية.

ولأسباب عديدة حصل امتزاج كبير بين فلسطين والأردن بحيث يصعب الفصل بين أدبائهما ولو من جهة التقسيم البحثي.

إن الاطلاع على الكتب المدرسية المؤلفة تظهر الريادة البارزة للأسماء الفلسطينية التي ذكرتها، وسأذكر مثالاً بارزاً على ذلك للمربي الأديب إسعاف النشاشيبي وهو كتاب "البستان" ولعله واحد من أهم الكتب التعليمية العربية في وقته، ومن المزايا الكبرى لهذا الكتاب احتواؤه على نماذج بارزة من قصائد الحكمة والقصص العربية، بذوق أدبي مرهف لجامعها، ولأقدم عدداً من الأمثلة على هذه الاختيارات [٤]:

(الجراد)

مرّ الجراد على زرعي فقلت لهُ ... لا تـأكلن ولا تـشغل بإفـساد
فقال منهم خطيب فوق سنبلة: ... إنا على سفر لا بد من زاد

(الهدهد)

جاءت سليمان يوم العرض هدهدة ... أهدت له من جراد كان في فيها
وأنشدت بلسان الحال قائلة: ... إن الهدايا على مقدار مهديها
لو كان يهدى إلى الإنسان قيمته ... لكان يهدى لك الدنيا وما فيها

(الكلاب)[٥]

إن الكلاب إذا رأت ذا ملبس ... هشت إليه وبصبصت أذنابها
وإذا رأت يوماً فقيراً عابراً ... هرت عليه وكشرت أنيابها

---

(٥) سا ، ص ١٦ .

الضفدع(٦)

قالت الضفدع قولاً ... فسرّته الحكماءُ

في فمي ماء وهل ... ينطق من في فيه ماءُ

الصقر والعصفور

لخالد جيلويه الكاتب

زعموا بأن الصقر صادف مرة ... عصفور برٍّ ساقه المقدورُ

فتكلم العصفور تحت جناحه ... والصقر منقض عليه يطيرُ

ما كنت يا هذا لمثلك لقمة ... وإذا شويت فإنني لحقيرُ

فتهاون الصقر المدلّ بصيده ... كرماً فأفلت ذلك العصفورُ

الثعلب والعنقود(٧)

أيها العائب مجدي ... أنت عندي كثعالة

رام عنقوداً فلما ... أبصر العنقود طالة

قال: هذا حامض ... لما رأى ألا ينالة

الطاووس

سبحان من خلقه الطاووسُ ... طير على أشكاله رئيسُ

كأنه في نقشه عروسُ ... تشرق في داراته شموسُ

في الرأس منه شجر مغروسُ ... كأنه بنفسج يميسُ

العقعق

إذا بارك الله في طائرٍ ... فلا بارك الله في العقعقِ

قصير الذنابى طويل الجناح ... متى ما يجد غفلة يسرقِ

يقلب عينيه في رأسه ... كأنهما قطرتا زئبقِ

---

(٦) سا ص . ١٦ .

(٧) سا . ص ٢٦ .

العقرب والصخرة[8]

رأيت علـــى صـــخرة عقربـــا وقد جعلـــت ضـــربها ديـــدنا
فقلـــت لهـــا: إنهـــا صـــخرة وطبعـــك مـــن طبعهـــا ألينـــا
فقالـــت: صـــدقت ولكننـــي أريـــد أعرّفهـــا مـــن أنـــا

النافة [9]

قال للناقة: في عنقك يـــا نـــاق التـــواءْ
قالت الناقة: هيهات وهل فـــيّ اســـتواءْ

الضفادع

وقالوا يعود الماء في النهر بعدما ذوى بين جنبيه وجفت مشارعي
فقلت: إلى أن يرجع الماء سائلاً ويعشب شطاه تموت ضـــفادعي

الببغاء[10]

أبو إسحق الصابي

أنعتهـــا صـــبيحة مليحـــه ناطقة باللغـــة الفـــصيحة
عدت من الأطيار، واللسانُ يـــوهمني بأنهـــا إنـــسانُ
تنهي إلى صاحبها الأخبارا وتكشف الأسرار والأستارا
بكمـــاء إلا أنهـــا سـميعه تعيد مـــا تـــسمعه طبيعـــهْ
خريدة خـــدورها الأقفـــاصُ ليس لها من حبسها خلاصُ
تحبسها وما لها من ذنـــب وإنمـــا ذاك لفـــرط الحـــبّ

---

(٨) سا . ص ٢٧ .
(٩) سا . ٢٨ .
(١٠) سا . ص ٢٩ .

لا بد لي هنا أن أذكر أن كل كتب المختارات التي وضعت للتلاميذ لم يكن لها هذا الحس المرهف في انتقاء النماذج القديمة للأطفال، إذ لم يتورع غالبية المؤلفين عن زجّ نصوص شديدة التعقيد لغة وموضوعاً ليقرأها أطفالنا في المرحلة الابتدائية، ومما يزيد في أهمية "البستان" أنه صادر عام ١٩٢٧.. في ذلك الوقت المبكر من الوعي بثقافة الأطفال، بل علينا أن نتأمل ما قاله المؤلف في المقدمة(١١):

"ما الكبير بأحق بالعناية بشأنه من الصغير، وليس الشادي بأحوج إلى كتب في العلم والأدب يحتفل فيها العلماء من البادي، بل الثاني في هذا الأمر هو الأول والأهم مقدم."

وبرهان الدين العبوشي الذي يعد من رواد شعر الأطفال سنقرأ له هذه القصيدة الجميلة عن الوطن بعنوان "بلادي" وهي ممزوجة بالحالة العامة التي تدفع الشاعر إلى هذه الحماسة المباشرة(١٢):

بلادي إليك العذاب المذابْ ... بصفحة عمري وهذا الكتابْ
فأنت الحياة وأنت الممات ... وأنت الطعام وأنت الشرابْ
وقفنا لأجلك لا ننحني ... لغير جلالك فوق الترابْ
ستعلو بنودك فوق البنود ... وتشرق شمسك بعد الغيابْ
ويُجمع شملك بعد الشتات ... ويبسم ثغرك بعد اكتئابْ
غداً نستردّ حماك الجميل ... وندفع عنك بحدّ الحرابْ
سلام عليك، فإن تسلمي ... فإن الوجود جميل الشبابْ

وألقت الشاعرة الأردنية فاطمة رضا قصيدة عن تعليم المرأة في احتفال مدرسي، ومنها(١٣):

إنما المرأة مرآة الملا ... وبها الأخلاق طوراً تجتلى

---

(١١) سا . ص ٣ .
(١٢) محاضرات في الشعر الحديث . الأسد ص ٢٠٦ .
(١٣) الحركة الأدبية في شرق الأردن .. الرواشدة . ص ١٨٧ .

أنقذوها من دياجي جهلها لتعيدوا في الورى مجداً خلا
هي نصف الناس إما جهلت كان نصف الناس حتما جهلا
هذبوها إنها تبني لكم فوق هامات العلا المستقبلا
أصلحوها تصلحوا أبناءكم هل بغير الأم نهدي الرجلا
إنها الأم التي تجعلكم أمة ناهضة نحو العلا
وإذا ما فسدت أخلاقها ساءت العقبى ولا حول ولا
كم جنى جهل المربي ضرراً يا لقومي من ولاة جهلا
يا بنة العرب انهضي في همة وتحري للمعالي سبلا
واجعلي التهذيب نبراساً له نبتغيه كي تنالي الأملا
راجعي التاريخ فيما قد مضى ففتاة العرب كانت مثلا

كلنا سمع بالشاعر إبراهيم طوقان، وربما سمع أكثرية المربين والتلاميذ قصيدته ذائعة الصيت التي عارض فيها قصيدة أحمد شوقي عن المعلم، حيث عرض لمعاناة المعلم بطريقة طريفة كقوله(١٤):

شوقي يقول وما درى بمصيبتي قم للمعلم وفه التبجيلا
ويكاد يقلقني الأمير بقوله: كاد المعلم أن يكون رسولا
لا تعجبوا إن صحت يوماً صيحة ووقعت ما بين البنوك قتيلا
يا من يريد الإنتحار وجدته إن المعلم لا يعيش طويلا

هذه الشكوى الطريفة والمريرة لم تمنع شاعرنا من أداء رسالة التعليم في فلسطين والعراق، كما لم تمنعه من أن يخص التلاميذ بعدة أناشيد من أجمل ما كتب في

(١٤) ديوان إبراهيم طوقان . ص ١٦٩ .

عصرنا الحديث، كما في "موطني" التي لحنها الأخوان فليفل ورددتها ملايين من التلاميذ والطلاب[١٥]:

موطني.. مـــوطني

الجلال والجمــال والسناء والبهــاء فـــي ربـــاكْ

والحياة والنجــاة والهناء والرجاء فـــي هـــواكْ

هل أراكْ.. هل أراكْ

ســـالماً منعمـــا وغانمــا مكرمـــا

هـــــــل أراك فـــي عـــلاكْ تبلـــغ الـــسماكْ

موطني.. مـــوطني

وله نشيد آخر مشهور بعنوان "وطني" رددته الملايين ومنه[١٦]:

وطني أنت لي والخصم راغم وطنـــي أنـــت كـــل المنـــى

وطني إنني إن تـــسلم ســـالم وبـــك العـــز لـــي والهنـــا

وللعمل نشيد آخر من طوقان[١٧]:

إن العمــــــــل يحيـــي الأمـــلْ

ســـر الوجـــود فيـــه نـــسودْ

فـــي العـــالمينْ

مـــا للكـــسول قيمة بين المـــلا

ولا الخمـــــول سلم إلى العـــلا

إن الهمـــــــم خيـــر الـــشيمْ

أن نعمـــــــلا

---

(١٥) سا . ص ٢٤٥.

(١٦) سا . ص ٢٥٦.

(١٧) سا . ص ٢٥٣.

ومن قصائده العذبة ما تجمع بين الحديث عن الطبيعة والراعي، ثم تربط ذلك بقيمة وطنية[١٨]:

أرأيت مملكة الربيع يعيد رونقها الربيعُ

ويتوج الراعي بها ملكاً رعيته القطيعُ

الذئب يرهبه ويلثم كفه الحمل الوديعُ

آذار في رحب الفضاء سفير دولته الرفيعُ

هاتيك ألوان تشع وتلك ألحان تشيعُ

لمن الربيع وطيبه؟ وهواه والزهر البديعُ

فرح الربيع لمن له أرض وليس لمن يبيعُ

ومحمد العدناني من شعراء فلسطين الذين كتبوا شعر الأطفال منذ عشرينيات القرن العشرين، والأمر نتاج طبيعي لشاعر كتب القصة الشعرية والأناشيد، ومن أعماله "نشيد القدس" حيث يقول[١٩]:

مدينة القدسِ ريحانة الشرقِ

وفية النفسِ وشعلة الحقِ

* * *

مدينة الإسراءْ حبيبة العربِ

فداؤها الأبناءْ ومهجة القلبِ

وللمربي الشاعر راضي عبد الهادي " نشيد الشجرة " يقول فيه[٢٠]:

أكثر من الغرسِ للزهر والأثمارْ

يا غارس الأشجارْ

* * *

---

(١٨) سا . ص ٧٥.

(١٩) روضة الشعر . معروف . ص ١٧ .

(٢٠) الحركة الأدبية .. الرواشدة . ص ٣٥٩ .

إلى المنى الزّهـرا بالنبتـــة الخـــضرا

والروضة الـشجْرا إذْ تبعـــث العطـــرا

يـــا غـــارس الأشـــجارْ

* * *

الحسن منهـا لاخ والطير فيـه بـاخ

بنورهـا الوضـاخ أريجهـــا الفـــواخ

يـــا غـــارس الأشـــجارْ

وللشاعر عيسى الناعوري شعر معروف للأطفال وعنهم، ومن نماذجه ما جاء في مجموعته "أناشيدي" وغيرها.

إضافة إلى شاعر آخر أظنه أردنياً، وإن لم أقع له على ترجمة، وهو عبد العزيز التميمي الذي تحفل الكتب المدرسية العربية بقصائده للأطفال وخاصة في الستينيات والسبعينيات.

أما الشاعر المعروف يوسف الخطيب فقد انتشر له نص في الكتب المدرسية بعنوان " ليتني كنت قبرة " لما فيه من سهولة وطفولة وجمال[٢١]:

تلك يا صاح قبره

في الحدودْ

خرقت ألف حرمةٍ

للعهودْ

فهي تغدو طليقةً

وتروح

وأنا مثخن هنا

بالجروح

* * *

---

(٢١) العيون الظماء للنور . الخطيب . ص ٣٥ .

ليتني كنت قبره

فأطيرْ

وجناحي مصفقٌ

في الأثيرْ

فوق بيارة لنا

وغديرْ

ليتني كنت قبره

واضح أن للخطيب لغة متينة، وبناء موسيقياً بارعاً في هذا النموذج، وأسهم في محاولات أخرى للأطفال لعل آخرها كلمات لأغنية طفلية عن الانتفاضة.

للشاعر الأردني يحيى الحاج مساهمات كثيرة في شعر الأطفال غلب عليها الطابع الديني إلا في القليل النادر، مع ملاحظة أن هذه التجربة تشكو من ضعف الشاعرية، وتميل إلى نظم جامد ووعظ مباشر جاف، لعل أنجح ما كتب قوله "في أسبوع النظافة"[٢٢]:

بسواعدنا وبهمتنا	نسعى لجمال مدينتنا
فننظفها من أقذارِ	ونزينها بالأزهارِ
لا نرمي شيئاً في الطرقِ	حتى لو كان من الورقِ
فمدينتنا بأناقتها	ونظافتها أحلى المدنِ
ومدارسنا بطلاقتها	رمز لجمالك يا وطني
في الفسحة كنت أو الصفِّ	ستكون نظافتها هدفي
ساحات أمست لي دارا	وفصول تشرق أنوارا
فاحت بالعلم وبالعطرِ	وبدت بستاناً من زهرِ

(٢٢) تغريد البلابل . ص ٣٦ .

أما الجيل الفلسطيني الأردني الأكثر حداثة فإن من أسمائه صالح هواري، الذي يكتب للأطفال بغزارة، وإبراهيم نصر الله وحنا أبو حنا وسمير ستيتية الذي ينجح في بعض النصوص بشكل لافت كما في "بستاني"[٢٣]:

بستاني حلو مزروعُ
يتمشى فيه الينبوعُ
ويطير العصفور الشادي
ألحاناً خضراً في الوادي
ألحاناً تهوى الحريةُ
وتقول بلادي عربيةُ
بستاني شجر ومروجُ
يا دنيا بالعطر تموجُ
بستاني مزروعُ
بستاني ينبوعُ

أما أحمد دحبور فقد أسهم منذ ما يزيد على ربع قرن في كتابة قصائد قليلة للأطفال، وتنعكس فيها روح المقاومة للمحتل الصهيوني، مثل قصيدة "جيل الفداء والثورة"[٢٤]:

من خيامي في العراءِ — جئت فليعلُ ندائي
لست باللاجئ بعد اليوم بل إني فدائي
إنني أطلب أرضي — وهي في عقلي ونبضي
وإليها الآن أمضي — بسلاحي ودمائي
وجّهت حطين دعوه — فأجبناها بقوه
وسلكنا في الفتوه — درب مجد ووفاءِ
كل شبل كل زهره — في صفوف الشعب ثوره

(٢٣) أحلى الأشعار . قرة بيتيان . ص ٤٧.

(٢٤) مجلة أسامة . العدد ١٥٦ / ١٩٧٥ .

وسـتبقى مـستمره   ثورتي رمـز العطـاءِ
يـا فلـسطين الأبيـه   لست وحدي في القضيه
فـالجموع العربيـه   قـوتي وهـي رجـائي
كـل ثـوار الحيـاة   مـن جيـاع وحفـاة
كـل أعـداء الطغـاة   في التـصدي حلفـائي

ومن الذين دأبوا على قصيدة الطفل الشاعر د. محمود الشلبي الذي ما زال يواصل تجربته منذ السبعينيات، وقد أصدر عدة مجموعات شعرية بدأت بديوان "هكذا يسمو الوطن" وعلى غزارة ما قدمه الشلبي فإن تجربته كثيرة العثرات، مع ذلك فقد قدم قصائد جميلة مثل "ماذا يقول الديك؟":

أنا فـي الفجـرِ   صـوت النـصرِ
أصـحو دومـاً   قبـل الطيـرِ
أرفـع رأسـي   مثـل القـوسِ
أعرف أعـرف   معنـى الوقـتِ
وأنـا دومـاً   حلـو الـصوتِ

وممن كتب شعراً جميلاً محمد أبو منصور، ومن خلال "نشيد الشجرة" نلمس قدرته على الكتابة بلغة طفلية:

بكـل كـف ويـدِ   نغرس غرساً للغـدِ
لـشيخنا والولـد   وطيرنـا المغـردِ
نزيـد غـرس الـشجره
غنـوا معـي للـشجره
في عيدها نغرسها   ترابنـا مجلـسها
طيورنـا تؤنـسها   وكلنـا نحرسـها
ونعتنـي بالـشجره
غنـوا معـي للـشجره

أما علي البتيري فهو من الأسماء المهمة في شعر الأطفال، لأن في تجربته إدراكاً واعياً لخصوصية التعامل مع الأدوات الشعرية، إضافة إلى الموهبة الإبداعية في كتابة تنتقل بسلاسة من الخيال المجنح إلى المباشرة التعليمية العفوية، ذات التركيب اللغوي الجميل ففي "يا أرضنا" يقول(٢٥):

نهـــديك عزمنـــا   والغـــرس والبـــذارْ
نـــــراك أمنـــــا   تحنو على الـــصغارْ

* * *

تعطين كم تعطـــينْ   من كنزك الثمـــينْ!
ودائمـــــاً تـــــأتينْ   بالخـــصب والثمـــرْ

ومن نمط آخر نقرأ للبتيري "على الطريق العام"(٢٦):

على الطريق العـــامْ   أســـير فـــي نظـــامْ
في الشارع النظيفْ   أحتـــرم المـــرورْ
فـــي لحظـــة العبـــور
أراقـــب الـــسيارةْ   وأتبـــع الإشـــارةْ
إشـــارة حمـــراءْ   تقـــول: لا تمـــرْ
إشـــارة خـــضراءْ   تقـــول: أنـــت حـــرْ
أســـير للأمـــامْ   أمـــر فـــي ســـلامْ
علـــى الطريـــق العـــام

وأهم تجربة شعرية للأطفال كانت للشاعر محمد الظاهر، من ناحيتي الغزارة والنوعية الفنية، فهذا الشاعر يكاد لا يكتب إلا شعراً للأطفال، وقدم خلال ما يزيد على ربع قرن عشرات القصائد للأطفال، بعضها نشر في مجموعات، وأسهم في

---

(٢٥) مجلة أحمد . العدد ٣٤١ / ٢٠٠٢.
(٢٦) أدب الأطفال . المصلح . ص ١٥٣.

كل المجلات المهمة التي صدرت للأطفال في الوطن العربي، إضافة إلى تقديمه العديد من الأغاني والبرامج الطفلية في الإذاعة والتلفزيون.

وتنوعت تجربة الظاهر، حيث كتب النشيد والأغنية والحكاية الشعرية والقصيدة التعليمية، ونظم شعره على طريقة الشطرين، وبرع في كتابة شعر التفعيلة للأطفال، ونصوصه عموماً تحوي قدراً عالياً من فهم الخصائص الفنية لشعر الأطفال، ومن نماذج شعره "العجوز والمطر"[٢٧]:

الجـــدة العجـــوزْ تقـــول للمطـــرْ:
القمح في الخوابي والنار عنـد بـابي
اهطل كمـا تـشاءْ يـا أيهـا المطـرْ

وفي قصيدة "أمنية" يقول[٢٨]:

وقلت: يا أزهارْ
كوني لبطتي الصغيرة الجميله
سريرها الحريرْ
وقلت: يا أمطارْ
رشي على بطتي الصغيرة الجميله
العطر والعبيرْ

كوني لبطتي الصغيرة الجميلهْ
الظل والثمرْ
وقلت: يا أطيارْ
غني لها.. هزي لها
سريرها الذي ينام في أرجوحة القمرْ

---

(٢٧) سا . ١٥٩ .

(٢٨) سا . ص ١٦١ .

و"وطن السمكة" من قصائده المهمة في بنائها وفكرتها واحتوائها لعدة تقنيات بارعة في صياغتها(٢٩):

قالت سمكةْ

رأت الشبكةْ

بيد الولد :

دعني حره

حتى الأبد

أمرح مع أسماك النهرِ

أسبح بين صخور البحرِ

قال الولدُ :

ما أجملكِ

لو أمسككِ

سأربيكِ

وسأطعمكِ

أجعل منكِ

أحلى سمكةْ

وسط الحوضِ

مثل الملكةْ

بكت السمكةْ

قالت بحروف مرتبكةْ :

بحري وطني

نهري وطني

أبعد عني

---

(٢٩) أغنيات للوطن . الظاهر . ص ٢٩ .

لا تلمسني

إن تخرجني

فستقتلني

وطني.. وطني.. وطني.. وطني

وبكى الولدُ

مثل السمكةْ

ورمى الشبكةْ

ومضى يصرخُ

من يرشدني

من يخبرني

أين وطني ؟

أين وطني ؟

أين وطني ؟

الباب السابع

تجارب عربية

الفصل الأول

علال الفاسي
رائد شعر الاطفال في المغرب العربي

إن الدور الريادي الذي لعبه الزعيم الوطني علال الفاسي(١) أخذ طابعاً نهضوياً، حيث شكل نشاطه الفكري العام مجموعة من القيم التي تدفع بالمجتمع المغربي نحو التجديد والانفتاح والعلم.

وكلنا يعلم أن الثقافة العربية في المغرب تعرضت لحملات مدروسة من القوى الاستعمارية (الفرنسية والإيطالية والإسبانية) بدرجات متفاوتة من القوة والتأثير، فالفرنسة التي فرضت على الجزائر والمغرب تركت آثاراً ما زالت عقابيلها إلى الآن، فاللغة العربية انزوت ضمن أطر تقليدية محصورة بالتعليم الديني الأهلي، وغلبت عليها نزعة تقليدية منعتها من التجديد الذي حصل في مصر وبلاد الشام.

أما في ليبيا والصحراء المغربية فقد ظل المجتمع فيهما قليل الحراك في بنيته واتجاهه نحو العصر، لذا كانت الحالة الثقافية لا تدفع نحو نهوض ثقافة أطفال حتى في حدودها الدنيا، فجاء شعر علال الفاسي إضاءة كبرى في التقاليد الشعرية التي عاشها المغرب العربي.

---

(١) علال الفاسي (١٩٠٨ - ١٩٧٣)
من رواد النهضة الحديثة في المغرب. أدى دوراً سياسياً بارزاً، رجل وطني تسلم العديد من المناصب وكان إسهامه الثقافي كبيراً.

ولست أشك في أن اهتمام الفاسي بالطفل جاء نتاجاً طبيعياً لرؤيته المتحضرة والمستنيرة في كل شؤون الحياة، وليس غريباً أن يتردد في شعره صوت الحرية والعلم، بل إن هذا الصوت هو المهاد الطبيعي لتخصيصه الطفل بجزء هام من عطائه.

يقول علال الفاسي في قصيدة نشرت عام ١٩٧٢(٢):

ولي أمة منكودة العيش لم تجــدْ	سبيلاً إلى العيش الــذي تتطلــبُ
بذلت لهم نصحي وقلت: تعلموا	وكلٌ ذوي الرأي السقيم تجنبــوا
وما ساءني في القوم إلا عقولهم	وظــــنهم أن المعــــالي توهـــبُ
وكنت أرى تحت العمائم حاجــة	فما هـــي إلا أن يـــدوم المرتـــبُ
بلوت بني أمي ســنين عديــدة	فألفيت أن النشء للخيــر أقــربُ
تحجبه الآباء عن كــل حكمــة	وتمنعه عن كل مـــا قــد يهــذبُ

وتجربته كلها صدى دائم لهذا الصوت، لا يهدأ ولا يتوقف لإيمانه القاطع أن في التعليم العصري طريقاً وحيداً لتأسيس مجتمع جديد، نجد هذا واضحاً في قصائده "أنشودتي أنا التلميذ"(٣) و"في الأذن الصغيرة"(٤) و"نموت ويحيا الوطن"(٥) و"ليحي أبناء الوطن"(٦) و"نشيد المؤتمر"(٧) و"الحرية"(٨) و"المرأة"(٩) تمثيلاً لا حصراً.

---

(٢) ديوان علال الفاسي – ٢٦/١.
(٣) سا ٢٧/١ .
(٤) سا ٧٨/١.
(٥) سا ١/ ٧٨.
(٦) سا ٨٠/١.
(٧) سا ٨٦/١.
(٨) ٤٧٦/٢.
(٩) ٤٤٧/٢.

ومما يحسب للفاسي نظرته إلى الفتاة، وحضه على تعليمها ومشاركتها في بناء النهضة المغربية، لذا فقد ألقى قصيدة في مؤتمر طلاب شمال افريقيا المسلمين نشرها عام ١٩٣٤ ومنها[١٠]:

نهضت تمد إلى المعالي سلما	وتود كالفتيان أن تتعلما
سئمت حياة الجاهلات وهالها	أن لا تنال من المعارف مغنما
نظرت إلى الفتيات في كل الدنى	مزقن ذلكم السجاف المظلما
رامت طلاب العلم كي تسمو به	نحو العلا وتشيد صرحاً معظما
ودعت إلى إرشادها لسبيله	فأبى عليها القوم أن تتكلما
يا قوم ما هذي الجهالة منكم	إني أرى سيل التعصب مفعما
البنت مثل الطفل إن أصلحتها	صلحت وإلا كنت أنت المجرما
البيت عمدته الفتاة فإن تدم	في الجهل أضحى ذا العماد مهدما
لا ينبغي أن نمنع الأوطان من	مجهودهن مدى الحياة ونجرما
ذبوا عن الفتيات ولتستبسلوا	حتى ينلن من المعارف أسهما
عار علينا أن تظل فتاتنا	في الجهل غرقى لا تطيق تقدما
فابنوا لها أس الفلاح وجاهدوا	حتى تمدَّ إلى المعالي سلما

وصرخته في مكان آخر شديدة الوضوح[١١]:

علموها واتركوها	حرة مثل الرجالْ
ليس في ذلك إلا	كل خير وكمالْ

ومن الناحية الفنية الصرف فعلال الفاسي واحد من الذين آمنوا بالتجدد ضمن ظروفهم، ولم يكتف بتكرار ما قبله من تقاليد فنية، ولا أبالغ إذا قلت إن بعض

(١٠) سا ٩٤/١.

(١١) سا ٤٤٧/٢.

قصائده تسهم بشكل مبكر في صورة التحديث للشعر العربي كله، من خلال الثورة على النظام العروضي فيه، فمما له دلالة كبيرة أن يكتب عام ١٩٤٢ قصيدة ذات شكل تفعيلي متطور[١٢]:

النجومْ
فيها فؤادي يهيمْ
والكواكبْ
تبدو بشكل مواكبْ
تسير سير المراكبْ
في بحرِها المتذاهبْ
في القبة العلياءْ
في لازورد السماءْ

ومنها أيضاً:

لآلئْ
تناثر بين المرافئْ
أقاحي
تشع بين البطاحِ
عرائس الأشباحِ
حمائم الأرواحِ
....
النجومْ
روحي إليها تعومْ
....
إني وجدت الدرايةْ
في عالم اللانهايةْ

(١٢) سا قصيدة "النجوم" ٢/١٤٧.

وانطلاقاً من هذا التفتح الفني والفكري عمل الفاسي على كتابة شعر قصصي للكبار، وأسهم بذلك في هذا اللون الذي لا نجده إلا نادراً في شعرنا العربي المعاصر، وحكاياته الشعرية شاهدة على ذلك مثل "هارون الرشيد وزبيدة"(١٣) و"الجني وولده"(١٤) و"النمرود والشيطان"(١٥) و"فيل الملك"(١٦) و"الاسد الحكيم"(١٧) كما أسهم الشاعر في النشيد، فوضع عدداً منها، وهو بلا شك فن مستحدث مثل "وليحي أبناء الوطن"(١٨) و"نشيد المؤتمر"(١٩) و"جلالة الملك"(٢٠)

التقى هذا الأفق الواسع بشاعرية رقيقة، تطلق جناحيها في الحياة، وتغمس منقارها في مكابداتها ولذائذها.

لهذا نستغرب أن نقع عند الفاسي على شعر له هذا الانطلاق والجرأة والحميمية كما في قصيدة " قبلة " التي يقول فيها(٢١):

صدى الغرام المجـددْ   صدى الخيال المـشردْ
صدى لنــاقوس حــب   يرن في عمــق معبــدْ

. . .

بل هــزة مــن بــراق   إلى ريــاض الــسماءِ
بل مسّة.... من إلــه   في العــالم اللانهــائي

. . .

يــا قبلــة جمعتنــا   كتــوأمين قلــيلا
قد كنت رؤيــا ولكــن   شــفيت منــي الغلــيلا

---

(١٣) سا ٥٠١/٢.
(١٤) سا ٥٠٥/٢ .
(١٥) سا ٥٠٩/٢.
(١٦) سا ٥٢٢/٢.
(١٧) سا ٣٩٧/٣.
(١٨) سا ٨٠/١.
(١٩) سا ٨٦/١.
(٢٠) سا ٢١٠/١.
(٢١) سا ٢٢٦/٢.

بعد هذه الإطلالة نكون قد أشرفنا على شعر الأطفال عند الفاسي، حيث عرفنا المقدمات التي تجعله يختار إحدى قنوات الإيصال لرسالته النهضوية في المغرب العربي، بل أهم القنوات على الإطلاق، وأعني الأطفال.

إن المحرك المباشر لكتابة علال الفاسي شعراً للأطفال هو إطلاعه على المحاولات العربية التي سبقته، خاصة في الشوقيات التي طبعت عام ١٨٩٧، وفيها قصائد وحكايات أحمد شوقي، إضافة إلى المقدمة التي كتبها الشاعر نفسه وأشار فيها إلى تأثره بصنيع لافونتين الفرنسي في حكاياته، وطموحه إلى كتابة شعر للأطفال مثله.

أما المؤثر الآخر فهو الشاعر المصري محمد الهراوي الذي كتب "سمير الأطفال للبنين" عام ١٩٢٢ و "سمير الأطفال للبنات" في ستة أجزاء، فشاعت كتب الهراوي وقصائده في الأوساط التربوية العربية في ذلك الوقت، ومن المؤكد أن هذا الصدى قد تردد لدى النخبة المثقفة في مغربنا العربي.

يكتب محقق ديوان علال الفاسي في الهامش الذي يرافق القصائد المعنونة بـ "رياض الاطفال - شعر سهل بالصور- الجزء الأول" ما يلي:

"هذا هو العنوان الذي كان الشاعر قد أعطاه لمجموعته الخاصة بالأطفال، والتي كان في نيته أن يخرجها موضحة بالصور في أكثر من جزء. لكن المشروع لم يتحقق منه سوى الجزء الأول الذي يضم ١٦ نشيداً أما الجزء الثاني فقد كتبت بعض عناوينه فقط.(٢٢)"

واللافت هنا أن الهراوي كان قد وضع عنواناً فرعياً في مجموعاته للأطفال ينص دائماً على عبارة "شعر سهل بالصور" وبالفعل حرص على وضع صور فوتوغرافية مع كل قصيدة من قصائد مجموعاته، لذا أعتقد أن الامر جعل الفاسي يحاول أن ينحو مثله، مع العلم أن قصائد مجموعته تعود إلى ثلاثينيات القرن العشرين.

---

(٢٢) سا ٢٠٨/١ الهامش أ.

إذاً بحسب علمنا فإن الفاسي هو الرائد الأول لشعر الاطفال في المغرب العربي(٢٣)، وإضافة إلى مجموعة "رياض الاطفال" التي كتبها في الثلاثينيات، فقد واصل التجربة في حكايات شعرية مأخوذة من التراث الشعبي المغربي، أو مترجمة عن الفرنسية التي كان يجيدها.

بدأ الفاسي مجموعته "رياض الاطفال" بثلاث قصائد دينية الأولى هي "الله" ومنها(٢٤):

الله جـــل جلالـــــه	رب العباد المفـــردُ
آثــــاره لوجـــوده	في كل شيء تشهدُ
فخف الإله وراعـــه	فهو القدير الأوحـــدُ

ولكن لغتها جافة ومتكلفة، وتحوي أفكاراً فوق مستوى الطفل أحياناً:

الأوحد الباقي فمـــا	يفنــــى ولا يتعـــدَّدُ
متصرّف في ملكـــه	وله العـــوالم أعبـــدُ

أما الثانية فهي "سيدنا محمد ﷺ " حيث يقول(٢٦):

ســــيدنا محمـــــد	نبينـــــا الممجــــدُ
أرســــله إلهنـــــا	للخلق كي يوحـــدوا
فجاءنـــــا مبـــشراً	بكـــل خيـــر يـــسعدُ
أنقذنا مـــن العمـــى	إصــــلاحه المجـــدَّدُ
صلى عليه الله مـــا	أضاء فينـــا فرقـــدُ

(٢٣) يؤكد ذلك ابراهيم الخطيب، ويذكر رائدين آخرين هما علي الصقلي ومحمد عنفوف. راجع (تقرير حول أدب الاطفال في المغرب – ابراهيم الخطيب . اتحاد الكتاب العرب: دمشق. مطبعة الكاتب العربي١٩٧٩)

(٢٤) سا ٢٠٨/١.

(٢٦) سا / ٢٠٩/١ .

أما ثالثة القصائد الدينية، فكانت "القرآن الكريم" ومنها[٢٧]:

إن كتـــــاب الله　　بـــه أنـــا أبـــاهي
أحفظه في صغري　　لفهمه فـــي الكبـــرِ
يقــــرؤه لـــساني　　بغايــــة البيــــانِ
تــسمعني والــدتي　　تقول لي: يا فرحتي
ووالــدي مــسرورُ　　وعملـــي مـــشكورُ

لعل الشاعر في هذا الاستهلال قد أراد أن يبارك شعره ببداية تحمل ثالوثاً له في النفس ظلال من التقديس قبل أن ينتقل إلى عوالم أخرى.

في "وطننا المغربي" ينجح الشاعر في تقديم قصيدة تتغنى بالوطن، وبألفاظ سهلة، وإيقاع عذب، وتنويع في التقفية[٢٨]:

مغربـــي، مغربـــي　　حبـــه مـــذهبي
أنـــا مـــن فـــضلهِ　　عـــشت فـــي ظلـــهِ
أرضـــه مـــسكني　　وبهـــا عـــدني
هي أرض الجـدودْ　　كم بها من عهـودْ
ســـأكون لهـــا　　خادمـــاً أهلهـــا
عارفـــاً قـــدرها　　معليـــاً ذكرهـــا
ولهـــا أقـــرأ　　ســـوف بـــي تهنـــأ
وطنـــي، وطنـــي　　وافـــر المـــننِ
مغربـــي، مغربـــي　　حبـــه مـــذهبي

---

(٢٧) سا ٢٠٩/١ .
(٢٨) سا ٢١٠/١ .

وتزداد لغة الفاسي رقة واقتراباً من عالم الطفل في "أنشودة الصباح" ولها الخصائص نفسها التي تنطبق على القصيدة السابقة، حيث نرى عالم الصباح ومكوناته من طير وأطفال ومدرسة ومعلم(٢٩):

فـارق الطيـر وكـرهُ　　　وارتقى فـوق منبـرة
ثـم نـادى بـصوته　　　أيهـا النـائم: انتبـهْ!

. . .

يا رفاقي انهضوا بنـا　　　بـسرور وباغتبـاطْ
إنمـا الطفـل طـائر　　　يسبق الطير في النشاطْ

وينوع الشاعر العوالم التي يقدمها، فيخص"المحفظة" وهي الحقيبة المدرسية بقصيدة لطيفة(٣٠):

محفظتي، محفظتي　　　تحفظ مـا حملـتْ
محفظتـي أمينـه　　　قيمتهـا ثمينـهْ
مصنوعـة بالمغربِ　　　مطبوعـة بالـذهبِ
محفظتـي أحملهـا　　　في كتفـي أجعلهـا
فإن دخلت المكتبـا　　　أخرجت منها الكتبا
وضعتها في المرفعِ　　　عن الأذى والبقـعِ
حتـى إذا قرأنـا　　　دروسـنا وقمنـا
سرت بها في الوقتِ　　　محمولـة للبيـتِ

وفي قصيدة "الكتاب" يقول(٣١):

يا كتابي يا كتابي　　　أنت لي خير الصحابِ
فيك لي خير أنيس　　　بـالأحاديث العـذابِ

---

(٢٩) سا ٢١١/١.
(٣٠) سا ١/ ٢١٢ .
(٣١) سا ٢١٢/١.

ويلتفت الشاعر إلى التربية البدنية فيكتب عن "الكرة"[٣٢]:

يا كرتي، يا كرتـــي أنـــت أجـــلُّ لعبـــةِ

رفيقتي في الساحة ســـاعة الاســـتراحةِ

تنشـــطين جســـمي وتفتحـــين فهمـــي

ثم يعرج الشاعر على الأسرة، محاولاً أن يوطّد في نفس الطفـــل المعنـــى السامي للأمومة في قصيدته الجميلة "حنان الأم"[٣٣]:

يا ولدي يا ولـــدي يا قطعة من كبـــدي

لازلت لي صـــغيراً متى ترى كبيـــراً ؟

عسى تكون شـــهما عسى تفيـــد علمـــا

تنفـــع للـــبلادِ بخدمـــة المبـــادي

ويكتب الشاعر "فضل الوالدين" مشيداً بالأبوين معاً[٣٤]:

كـــم نعـــم علـــي من فـــضل والـــدي

وتعبا مـــن أجلـــي في مشربي وأكلـــي

وإن مرضت يومـــا لا يطعمـــان النومـــا

ويرغبـــان دائمـــا في أن أصير عالما

فمنهمـــا الإحســـانِ ومنـــي الـــشكرانِ

فهمـــا أنـــا مطيـــعُ ولهمـــا ســـميعُ

ولم ينس الفاسي مربي الأجيال، فكانت قصيدة "المعلم" لفتة وفاء من هذا الشاعر الرائد[٣٥]:

---

(٣٢) سا ١ /٣١٣.

(٣٣) سا ١/ ٣١٣ .

(٣٤) سا ١/٢١٤ .

(٣٥) سا ١/٢١٤ .

أعلمـــي لـــك منـــة عندي سأعرف قــدرها
وإذا حييـــت فـــإنني لا بــد أ كثــر ذكرهــا

. . .

لي من دروسك روضة فيهــا زهــور يانعــة
ما دمت في بـستانها أجني الثمــار النافعــة

. . .

أرعى وصاتك دائمــا بالجد في وقت الطلــبْ
فإذا نجحت فـإنني أقضي لشعبي ما وجبْ

وبعد هذا التنقل المدروس بين قيم دينية وعلمية وتربوية ورياضية جاءت على شكل قصائد أو أناشيد ينوع الشاعر، فيقدم للطفل ثلاث حكايات مشوقة مستمدة من عالم الحيوان، وتتناقلها ألسنة الناس في كل مكان،لأنها جزء من حكايات الشعوب في الشرق والغرب، وقد ترددت معانيها عند شعراء كثيرين منذ محمد عثمان جلال وأحمد شوقي وغيرهما.

الحكاية الأولى "الناموسة والثور" التي تروي أن ناموسة قد حطت على قرن ثور، وسألته إن كان يطيق حملها أم لا، بينما الثور لم يشعر بها اساساً(٣٦):

ناموســة قــد وقفــت بقـــرن ثــور أكبــرِ
فحــــسبت بأنهــــا جــسم عظــيم الخطــرِ
قالت له:إن كنـت لـم تطـــق بنــــا فـــأخبرِ
قال لهــا: يــا هــذه إني بكــم لــم أشــعرِ

. . .

من ظن في نفسه مــا لـــيس لهـــا يحتقـــرِ

أما الحكاية الثانية "الأرنب والسلحفاة" فتتحدث كيف سبقت السلحفاة الدؤوبة الأرنب الكسول، ولعلها واحدة من أشهر أقاصيص الأطفال في العالم(٣٧):

---

(٣٦) سا ٢١٥/١.
(٣٧) سا ٢١٦/١.

تسابقت أرنبة وسلحفاة في الخلا
وجعلا بينهما حد السباق الجبلا
فالأرنب احتقرها ولم يبال أولا
والسلحفاة قدرت حالتها والعملا

إلى أن يقول:

وانتبه الأرنب من نومته مهرولا
وجدها قد وصلت فخاب فيما أملا
كل امرئ مقتدر في طوقه أن يعملا
جزاؤه إن يتكل في أمره أن يفشلا

والحكاية الثالثة والأخيرة في هذه المجموعة هي "الطبل والثعلب" وتحكي قصة ثعلب حسب الطبل حيواناً سميناً نظراً لحجمه وصوته، ولما شقه وجده فارغاً[٣٨]:

كان لنا شجيرة والطبل فيها يجعلُ
إن هبت الريح على أغصانه تقلقلُ
تحدث في الطبل لنا صوتاً عظيماً يهولُ
فجاء يوماً ثعلب لقربها يرتحلُ
فأبصر الطبل وما يحدثه ويفعلُ
فقال: لاشك هنا لحم سمين يؤكلُ
فجره وشقه فخاب فيه الأملُ

أما نهاية "رياض الأطفال" ففيها قصيدة مقحمة على القصائد الطفلية في هذه المجموعة، فإذا كانت محاولات الفاسي - على ما فيها من نواقص - قد شكلت تجربة رائدة مهمة في شعر الأطفال المغربي على الأخص فإن قصيدة "سلطان الطلبة" جاءت ناشزة في لغتها وإيقاعها وموضوعها.

---

(٣٨) سا ١/ ٢١٦.

لاحظنا في القصائد السابقة كيف اختار الشاعر لغة سهلة وأوزاناً قصيرة راقصة وموضوعات مأخوذة من محيط الطفل، لكنه في "سلطان الطلبة" أراد أن يحيي سلطان المغرب آنذاك عند زيارته لجامعة القرويين، إلا أن العالم المرسوم واللغة المكتوبة والبحر الطويل الذي اختاره، كل ذلك جعل القصيدة ثقيلة على الطفل غريبة عنه(٣٩):

إذا جاء إبان الربيـــع وأينعــت ... غصون وهبت رائحات الأزاهـــرِ

فللقـــرويين العظيمـــة محفـــل ... له موكب بين الرياض الزواهـــرِ

تقوم له بـــين المحافـــل دولـــة ... لها ملك من بيـــنهم غيـــر قـــاهرِ

إلى أن يقول:

ويخرج سلطان التلاميـــذ راكبـــاً ... على فرس في جيـــشه المتكـــاثرِ

وتصدح أنغام العـــساكر حولـــه ... ويتبعها أصـــوات طبـــل وزامـــرِ

وبهذه القصيدة أنهى علال الفاسي الجزء الأول مما كتب في مخطوطة المجموعة التي أرادها جزءاً من سلسلة شعرية لم يتابعها كما فعل محمد الهراوي في "سمير الأطفال".

بعد هذه التجربة المهمة تنقطع كتابة الشاعر للأطفال وربما لعدم توفر ما يشجع من محيط ثقافي وتعليمي عاشته المغرب أيام الاستعمار الفرنسي، إلا أن الشاعر يعود من جديد، وبالتحديد عام ١٩٤٢ فيخص الأطفال بمجموعة من الحكايات الشعرية أكثرها مترجم عن لافونتين، ولعل الترجمة عن هذا الشاعر الفرنسي شكلت خصيصة من خصائص البدايات عند أكثر من شاعر كمحمد عثمان جلال وأحمد شوقي ونقولا أبو هنا(*) وغيرهم.

---

(٣٩) سا ٢١٧/١ .

(*) أفضل بقاء الاسم على صورته الثابتة.

من الواضح أن الشاعر علال الفاسي قد امتلك روحاً شعبية تستلهم روح الفن الشعبي، لذا فقد كتب العديد من الحكايات الشعرية مأخوذة من المأثورات الشعبية كالحكايا والأمثال والاساطير والتراث الديني، فديوانه كما أشرت يحوي العديد منها للكبار.

ومما يؤسف له أن صلاتنا الثقافية مع المغرب فيها الكثير مما يحتاج إلى ترميم وتجديد وتنشيط، وإغفال شعر الفاسي القصصي مثال بارز على هذا التقصير، ففي جميع البحوث وبعضها أكاديمي، وفي موضوع القصة الشعرية تحديداً لم يجر ذكر لتجربة الشاعر سواء للكبار أم للاطفال(٤٠) مع العلم أن هناك تجارب أخرى لشعراء مغاربة أيضاً.

من المثل المغربي "أترك الحب تنحب" يقدم لنا الشاعر حكاية بعنوان "اللقلاق والعصفور" تروي أن اللقالق كانت تسرح في حقل بأمان، ولا تتعرض للطرد أو الصيد من قبل أصحاب الحقل، فيستغرب العصفور، ويسأل فيأتيه الجواب بأن العصافير تتعرض للطرد والصيد لأنها تتعدى على الزرع(٤١):

مر بالفدان عصفور نبيهْ
فرأى فيه اللقاليق جموعا
هادئات لا ترى ما تختشيهْ
بينما يكثر لحظاً وقبوعا

فيقول:

أنتم في وسط الزرع هنا
في جموع دون خوف وحذرْ

---

(٤٠) على سبيل المثال الدراسة الأكاديمية "القصة الشعرية في العصرالحديث" للدكتورة عزيزة مريدن. دار الفكر . دمشق ط١. ١٩٨٤ .

(٤١) ديوان علال الفاسي ٢/٣٦٢.

وأرى الحارث لا يقبلنا

بل يرى فينا عدواً ذا خطرْ

فتقول اللقالق:

قوتنا من حشرات مهلكةْ

لحبوب الروض لا من قمحةْ

نحن لا نرجو لديه شركةْ

بل نرى عوناً له في كبحةْ

وينهي الحكاية بحكمة تقول:

إن تريدوا الفوز في الناس دعوا

طمعاً فيما لديهم من فضولْ

اتركوا الحب تحبوا، وانفعوا

غيركم تحظوا لديهم بالقبولْ

في حكاية "الذئب وأم الخنانيص" ذئب كاد أن يودي به الجوع، فرأى خنزيرة مع أولادها، فاحتال عليها بأن تظاهر بالتقى والعلم، وأمسك كتاباً وراح يقرأ منه، فتقدمت منه الخنزيرة دلفت نحوه فحيته إكراماً لما قد رأته من عظم شانه ورجته تعليم أطفالها مما لديه من علمه وبيانه فما الذي حصل؟[٤٢]:

ذهب الذئب بالخنانيص مسروراً إلى كهفه بأعلى الديارِ

وغدا كل ساعة يتغذى من تلاميذه السمان الصغارِ

وبعد مدة جاءت الأم تسأل عن صغارها:

لم تجد عنده سوى البعض لكن سألته في حكمة واصطبارِ

قال: هم في التخصص الآن إذ حازوا نجاحاً بكل يوم اختبارِ

وأولاء الصغار لما يزالوا في اغتراف من الدروس الغزارِ

---

(٤٢) سا ٢/ ٣٦٥.

ثم تستمر الأحداث على هذا النحو:

مـــشت الأم دون أن تـــدرك ... الحيلة من شيخها الذي أمنتهُ
ما الذي يدعيـــه إن طلبتـــه؟ ... كيف يخفى عنها وقد علمتهُ؟

فرأى أن يعم إخوانه في الجنس بالنكبة التي لحقته:

ومشى يقطع الذناب احتيـــالا ... وهي الحيلـــة التـــي ســترتهُ

وأخيراً تنتهي الحكاية بهذه الحكمة:

إن من كان ناقصاً ينبغـــي أن ... يشمل النقص من عداه ليسلمْ
واحذر الغادر الذي يكتسي ما ... ليس من ثوبه لكيمـــا يكـــرَّمْ

في "ملك الأرانب" تجتمع الأرانب، وتشكو وتدعو الله أن يغير الملك الذي يحكمهم، لأنه أرنب منهم، فطلبوا ملكاً من غير جنسهم، وعندها تنتهي الأحداث على هذا النحو(٤٣):

سأعطيكم مليكاً من ســـواكم ... كما شئتم هو الكلب الـــسلوقي
فجاء الكلب يـــأكلهم جميعـــاً ... ولا يرعى لهم أدنـــى حقـــوقِ
وكل رعيـــة تطغـــى وتـــأبى ... تمـــسكها بـــسادتها الأطايـــب
وتمعن في الخلاف بغير حق ... ســـتبلى كالأرانـــب بالأجانـــب

بالطبع.. لن يغيب عن ذهننا أن الشاعر كان يرمز إلى ما يعانيه الشعب إذا ما حكم بأجنبي، وفي حدود إطلاعنا فإنه لم يتبق له من شعر الأطفال سوى ست حكايات ترجمها عن الفرنسية للافونتين، الحكايات هي "الثعلب والتيس" و"الحطاب والموت" و"الفلاح وولده" و"العربة والذبابة" و"الرجل وولده وحمارهما" و"اللبانة وزير الحليب".

---

(٤٣) سا – ٢/٣٧٠.

ينقل الفاسي حكايتين شعراً، ولم يكن حسن الاختيار للبحر الطويل لهما، حيث أضفى على الأسلوب طابعاً تقليدياً مضاعفاً، يتوكأ على الحشو والكلمات القلقة في أماكنها، ولنأخذ مثلاً على ذلك بهذا المقطع(٤٤):

هنالك زاد الشيخ في الغيظ واغتدى — يعود لما قد كان قبل تمذهبا

وقال: بنيَّ اسمع وصاتي فإنني — غدوت بحال الناس شيخاً مجربا

إذا رمت إدراك الهناء فلا تكن — لأقوال أبناء الورى متسمعا

لتأخذ طريقاً في الحياة معبداً — ولا تعبأن بالناقدين فترجعا

فإن الذي يبغي السلامة في الورى — من اللذع يبغي المستحيل الممنعا

وعلى المنوال نفسه تسير حكاية "اللبانة وزير الحليب" وفي الحكاية الباقية،يختار الشاعر إيقاعات أقرب للقص وأخف على القارئ، ولكن الصنعة بادية، وقلق التراكيب واضح، وتخلو الحكايات من السلاسة المطلوبة عموماً.

إن الحكاية المعروفة عن "الثعلب والتيس" تحولت إلى لغة ثقيلة تتحرك بصعوبة لتؤدي المعنى(٤٥):

فغادر ثعلبنا خله — وواخذه أنت بما فعلا

وقال له كي يلقنه — سبيلا إلى النصر محتملا

فلو كان عقل بقدر اللحى — لفكرت من قبل أن تنزلا

وعندما يبحث الحطاب عن الموت كي يرتاح من الشقاء يكون له أخيراً ما أراد في حكاية "الحطاب والموت" وتنتهي بهذه الصياغة المرتبكة(٤٦):

بـرىء المسكين مما — كان يبكي ويعاني

---

(٤٤) سا ٢/ ٣٦٧ .

(٤٥) سا ٢/٣٨١.

(٤٦) سا ٢/٣٨٤ .

غير أنـــا ســـوف نبقـــى	دائمــــاً رهـــن المكـــانِ
ولـــــئن تـــــألم خيـــــر	لـــك مـــن لقيـــا المنـــونِ
ذاك للإنـــــسان شـــــعر	وهـــو مقيـــاس الـــشؤونِ

إن تجربة الشاعر والمجاهد علال الفاسي[٤٧] التي استعرضنا أهم مفاصلها ركيزة كبرى، مهدت الطريق أمام آخرين على قلتهم نحو كتابة الشعر للأطفال، سواء أكان قصيدة أم نشيداً أم قصة شعرية من تراثنا أم مترجمة عن عمل في أدب آخر.

---

(٤٧) سا ٣/ ٤٠٣ حيث كتب الشاعر عام ١٩٧٢ حكاية شعبية للأطفال شعراً بعنوان "الحمار والضبع" .

الفصل الثاني

تجارب في شعر الأطفال المغربي

كما بات معروفاً فإن حركة التعليم العصرية لم تعرف حركة ناشطة في بلدان المغرب العربي إلا في عهد الاستقلال بسبب السياسات بالغة القسوة للمستعمرين، ومحاولة فرض اللغة الغازية، فحصل تراجع مؤقت للعربية، أو انزواء لها في حلقات التعليم الديني المحدود.

لهذه الأسباب لم تشهد بلدان المغرب العربي حتى الآن نهوضاً ملموساً في هذا الشعر، وما زالت الكتب المدرسية عندهم تعتمد على القصائد المأخوذة من المناهج المصرية والمشرقية عامة.

وقد تحدثت فيما سبق عن الدور الريادي الكبير الذي قام به علال الفاسي، ومن الطبيعي أن تكون الدعوة إلى العلم والتحرر من الجهل والانغلاق من أهم الممهدات لنشوء شعر يكتب للأطفال كحاجة تربوية ووطنية وجمالية معاً.

والفاسي نفسه كان أكثر شعراء المغرب العربي إلحاحاً على العلم والنهوض به، فلم تهدأ هذه الدعوة عنده طوال حياته المديدة، ومنذ وقت مبكر حفر هذا الشاعر دعوته في قصيدة أراد لعنوانها أن يكون تأكيداً على امتلاك المستقبل ففي "في الأذن الصغيرة" يقول[1]:

---

(١) ديوان علال الفاسي ١/٧٨ وهناك أسماء ريادية أخرى مثل عبد الكريم بن ثابت ومحمد ابرهيم ومحمد المقري وعبد المالك البلغيثي ومحمد بوجندار. راجع ثقافة الطفل العربي. مجموعة كتاب. ص ١٢٨.

أيها المغربي الصغير تنبـه وتخير في العيش كيف تكـونُ

أنت إن شئت أن تعيش شريفاً وعزيزاً بـه المقـام المكـينُ

سيداً أمره مطاع فلا تـصدر إلا عمـا يـروم الـشؤونُ

عارفاً قدر نفسه ذا احتـرام واعتبار لـه القلـوب تـدينُ

فتعلم، وجدّ فـالعلم نـور والزم الدرس فهو كنز ثمـينُ

إنمـا العلـم حليـة وبهـاء وهو بـالعز والفخـار قمـينُ

منه يحظى الفتى بكل المعالي وينال الخلـود وهـو دفـينُ

وإذا شئت أن تعـيش ذلـيلاً وحقيراً لـه المقـام المهـينُ

فالزم الجهل، فالجهالة ليـل وأخو الجهـل ميـت مغبـونُ

هكذا الأمر، فاجتهد أو تـأخر وتخير في العيش كيف تكـونُ

ولعل من أقدم النصوص التي تحض على العلم في العصر الحديث ما قاله الشاعر الليبي مصطفى بن زكري (١٨٥٣-١٩١٨)[٢]:

واعلم بأن العلم نور وهـدى والجهل لا يأتي بخيـر أبـدا

من مارس العلوم والعرفانـا يجني ثمار المجد حيث كانـا

والزهد في العلم من الحرمان والمـرء بالقلـب وباللـسانِ

ويقول الشاعر الجزائري محمد القاني[٣]:

هيا نـؤم زلال العلـم نـشربه فالجهل يقتلنـا والعلـم يحيينـا

الناس في الجو طاروا حلقوا وعلوا ونحن نحسبهم - جهلاً - شياطينا

ويقول محمد السعيد النواهري[٤]:

يا قوم تفتيح المدارس للهـدى سـبب وحيـدْ

هذي لعمري حـاجتي إن نلتها فأنا (الـسعيدْ)

(٢) ديوان مصطفى بن زكريا. ص ١٩٧.

(٣) شعراء الجزائر في العصر الحاضر . ص ٧٣.

(٤) سا. ص ٨٤.

وعلى المنوال نفسه تردد صدى هذه الدعوة النهضوية لدى الطاهر الحداد عام ١٩٢٨ في قصيدة بعنوان "العلم أسُ النجاح"(٥):

هيا إلى العلم نسعى يا بني وطني   فالعلم أس نُجاح المرء في العملِ
وهكذا الجهل يزدي أمة جهلـت   فضل العلوم فباتت أحقـر الملـلِ
لو كان علم لما داسوا لنا وطنـاً   وساد فينا طغام الغـرب بالحيـلِ
فأرسلوا لـبلاد العلـم نـشأتكم   من بعد تزويدها واسعوا بلا كلـلِ
وابنوا المدارس تبنوا أس مجدكم   فالله قد خط فوز العلم فـي الأزلِ

وبعدها بعام كتب قصيدة "العلوم" (٦):

إذا ما أردنا أن ننـال الرغائبـا   فلـيس لنـا إلا العلـوم مطالبـا
هنيئاً لمن نالوا العلوم بها اعتلـوا   وتعساً لمن أهوى به الجهل راسبا
هنيئاً لهم قد أيد العلـم سـعيهم   وخيبنـا جهـل حبانـا المثالبـا
فهم عمروا بالعلم كـل مفـازة   ونحن بجهل قد أضعنا المكاسـبا
فما العلـم إلا لابتنـاء ممالـك   وأن يستحيل الفكر كالسيف ضاربا

لابد هنا من التذكير أنه قد تعالت القصائد التي دعت إلى العلم، وليشمل الفتى والفتاة، وصبغت هذه الدعوة تياراً عمَّ الوطن العربي من العراق والخليج وصولاً إلى المغرب، لذا من الطبيعي أن نقرأ دعوة إشراك الفتاة في حق التعليم، كما يقول مصطفى المؤدب في "علموا البنات"(٧):

علموا البنت ولا تخشوا ضرارا   إن عصر الجهل ولـى وتـوارى

---

(٥) ديوان الطاهر الحداد . ص ٥٠.

(٦) سا ص ٦٣.

(٧) أنات وابتسامات . ص ١٩٣.

أرأيـــتم أمـــة فـــي كـــونكم نصفها محتبس والنـــصف طـــارا

وعزيـــز أن تـــسير ابنتنـــا ثم تلقى في دجى الجهل العثـــارا

بينمـــا يطفـــو ويرســـو رجـــل فوق موج العلـــم لـــيلاً ونهـــارا

علمـــوا البنـــت تكونـــوا أبـــداً أمة تلقـــى انتـــصاراً فانتـــصارا

علموهـــا كـــل علـــم نـــافع ثقفوها تقطفـــوا منهـــا الثمـــارا

أتحبـــون النـــسا جاهلـــة فاعدلوا عن غيكم تحموا الـــديارا

وفي قصيدة أخرى بعنوان "بالعلم" نقرأ(٨):

بالعلم نكتسب الفـضائل والأدبْ بالعلم نسمو للكواكـب والـشهبْ

بالعلم ننشر ما طواه الدهر مـن عز الجدود ومن مجادات العـربْ

فـالعلم بـاب للمعـالي يرتقـي لسمائها من جدَّ دوماً في الطلـبْ

أما الذي جعـل العلـوم فخـاره إن الفخار بغيرهـا لـن يكتـسبْ

ويلاً لمن تخـذ الجهالـة عـزة إن الجهالـــة ذلـــة فلتجتنـــبْ

وبعد هذه الدعوة لهذا الشاعر الريادي في تونس نلتقي بالشاعر الليبي محمد إبراهيم الهنقاري الذي يعنون قصيدة له بـــ "دعوة للنهوض"(٩):

إلى العلا بني الـوطنْ قد انقضى ذاك الـزمنْ

أيـــام كنـــا نوَّمـــا نوم الخروف في الدمنْ

قـــد انقـــضى عهـــد الخمـــول والـــشقاء والمحـــنْ

فـــاغتنموا فرصـــتكم وأبدلوا القـــبح حـــسنْ

---

(٨) سا ٢٧٩.

(٩) تاريخ الشعر العربي الحديث. قبش ص ٥٩٩.

وعـــدلوا تـــاريخكم بنهضة في كـل فـنْ
ولتجعلـــوا أساســـها الإخـــلاص فـــي كـــل المهـــنْ
لمـــن حبـــاكم بـــره وعطفه مـــولى المـــننْ

أما الشاعر ابراهيم اوسطى عمر، فإنه يجعل من الكتاب مدخلاً إلى الدعوة للعلم[10]:

أي شيء في حياة المرء أغلى من كتابْ
يصقل الذهن ويهديك إلى نهج الصوابْ
ويسليك إذا ما كنت يوماً فـــي اكتئـــابْ
أو يسرّي عنك غمـــاً بفكاهـــات عـــذابْ
إنه أنفع في الوحدة من لغـــو الـــصحابْ

والشاعر الكلاسيكي الليبي الأشهر رفيق المهدوي يسجل في ديوانه أحر الدعوات إلى العلم بأسلوب أكثر شاعرية، فيخص المعلم بقوله[11]:

يكفي المعلـــم فـــضلاً أنـــه رجـــل له على الروح والأخـــلاق إحـــسانُ
فما سوى الروح والأخلاق من أسس ولاسوى العلـــم للنهـــضات اركـــانُ
وهاهي النهضة العظمـــى طلائعهـــا يقودهـــا بلـــواء العلـــم شـــجعانُ

وفي مكان آخر يوجه الخطاب إلى المعلمين[12]:

أساتذة البلاد علـــى اعتمـــاد نسلمكم مـــن المهـــج اللبابـــا
وثوقاً في جـــدارتكم بفـــضل ومن يك مـــستحقاً لا يحـــابى

(١٠) الحياة الأدبية في ليبيا ص ١٤٧.
(١١) ديوان رفيق .ص ١٢٤.
(١٢) سا . ص ١٣٦.

تأكد أن بـين يـديك روحـاً ... تـصورها ملاكـاً أو عـذابا

وتطبع في نفوس النشء طبعاً ... يـصيرها أسـوداً أو ذئابـا

ثم يخاطب الطلبة:

ألستم خير من يرجى لخيـر ... وأكرم من إلـى كـرم أجابـا

ألستم خير فرع من أصـول ... إليها يشمخ المجـد انتـسابا

سلوا التاريخ عنهم كيف كانوا ... هم العمران إذ كانـت خرابـا

خذوا بروية وصـفاء فكـر ... من الأخـلاق والعلـم اللبابـا

رأيت مكارم الأخلاق كـادت ... بلا العلم الحديث تعدُ عابـا

ويعود إلى المعلم في قصيدة أخرى فيقول(١٣):

فما قـدروا حـق المعلـم قـدره ... ومـن حقـه كالوالـدين يعظـمُ

كفى شـرفاً لاسـم المعلـم أنـه ... به كان عيسى قبل يـدعى ويكـرمُ

وهل جاد غرس العلم في عقل طالب ... وأثمـر إلا مـا سـقاه المعلـمُ؟

وجاءت التجارب الأولى لشعر الاطفال ممتزجة بالنشيد، سواء أكان هذا النشيد للكبار أم للأطفال، بمعنى أن الحاجة إليه دفعت إلى تخصيص الطفل بنشيد يتغنى بالوطن أو العلم أو الأمة... وأكثر الأناشيد المشهورة في كل مكان كانت تردد من قبل الكبار والصغار معاً، وفي المغرب العربي برز من رواد هذا الفن الشعري الرائد النهضوي المشهور عبد الحميد بن باديس، والذي تكاد سيرته تشبه سيرة علال الفاسي من وجوه عديدة، ولكن على الأرض الجزائرية، يقول هذا الشيخ الجليل(١٤):

(١٣) سا . ص ١٣٩.

(١٤) من أناشيد الوطنية . ص ٣٥ .

اشهدي يا سما(*) واكتبن يا وجودْ
إننــا للحمـــى سنكون الجنــودْ
فنــزيح الــبلا ونفــك القيــودْ
وننيــل الرضــا من وفى بالعهودْ
فيــرى جيلنــا ذكريات الجــدودْ
ويــرى قومنــا خافقات البنــودْ

وله أيضاً ما يوجهه مباشرة إلى الأطفال من خلال نشيد ذائع الصيد اسمه "يانشء"(١٥):

شــعب الجزائــر مــسلم وإلــى العروبــة ينتــسبْ
يا نــشء أنــت رجاؤنــا وبك الصباح قــد اقتــربْ
خــذ للحيــاة ســلاحها وخض الخطوب ولا تهــبْ
نحن الألى عرف الزمــان قــديمنا الجــمَّ الحــسبْ
ومعين ذاك المجــد فــي نسل العروبة مــا نــضبْ

وللشاعر الجزائري أحمد كاتب الغزالي حكاية جميلة عن "القنفذ والناس" قال فيها(١٦):

ســئل القنفــذ عمــا زجــه فــي الاكتئــابِ
حاط جثمانــاً بــشوك مـــدمناً للإنتقـــابِ
فأمـــاط الحــذر شــيئاً مــسرعاً ردَّ الجــوابِ

(*) في الاصل : يا سماء .

(١٥) شعراء من الجزائر. ص ٩٤ .

(١٦) شعراء الجزائر في العصر الحاضر . ص ١٦٧.

كل هـذا لـم يجرنـي		من أذيـات الكـلابِ
قلّ أمن الأرض حتـى		أنا لـم آمـن إهـابي

وشاعر الثورة الجزائرية مفدي زكريا يتصدر الذين قدموا الأناشيد الشائعة، والتي رافقت حركة الثورة الوطنية هناك، وله نقرأ نشيد "نحن طلاب الجزائر"(١٧):

نحن طـلاب الجزائـرْ		نحـن للمجـد بنـاةْ
نحن آمـال الجزائـر		في الليـالي الحالكـاتْ
فخـذوا الأرواح منـا		واجعلوهـا لبنـاتْ
واصـنعوا منهـا الجزائـرْ
وخذوا الأفكـار عنـا		واعصروا منها الحيـاةْ
وابعثـوا منهـا الجزائـرْ

وبوضوح يخاطب الشاعر محمد بن العابد الجيلالي أطفال بلاده في "نشيد الأمل"(١٨):

نـشاطنا مجـددٌ		وسـيرنا مـسدَّدُ
بنـا الـبلاد تـسعد		وتجتنـي نـور الأمـلْ
. . . .
للوالـدين برنـا		وللكمـال سـيرنا
بالاجتهـاد نـصرنا		وبـالعلوم والعمـلْ

ولمحمد الأخضر السائحي مشاركة ملموسة في الأناشيد التي تعد فناً جديداً على شعرنا العربي، لأنها موضوعة أساساً انطلاقاً من شعور واعٍ بكيان الأمة،

---

(١٧) من أناشيدنا الوطنية . ص ٢٨.

(١٨) سا / ص ٧٦ .

وضرورة شدّها في إطار موحّد، فالتربية العامة هي هدف أساس في هذا الفن الشعري، يقول السائحي في أحد أناشيده(١٩):

بـــــدمائي، بفـــؤادي   بلــــساني، بيـــــدي
ســـألبي يـــا بـــلادي   وســـــأبني للغـــــد

. . . .

أنت يا أرضي ســماء   وفـــراديس عجيبـــة
أنت خـصب ونمــاء   أنـــت آمـــال حبيبـــة
أنـــت مجــد ومفـــاخر   ومــــشاريع عتيـــده
عشت يا أرض الجزائر   أبـــد الـــدهر ســـعيده

الشاعر محمد غريط يكتب نشيداً خاصاً بالأطفال، يركز فيه على معاني العلم والوطنية والاعتزاز بالماضي، وذلك في "نشيد مدرسي"(٢٠):

يا بني العصر أجيبــوا   داعي النـــصح المنيـــرْ
واستجدوا ذكــر قطــر   كان ذا صـــيت شـــهيرْ

. . . .

جددوا للغـــرب مجـــدا   واركبـــوا كـــداً وجـــدا
واقدحوا للعلـــم زنـــدا   والبسوا للحـــزم بـــردا
وابتغوا هدياً ورشـــدا   تسمعوا شكراً وحمـــدا
وتروا رعيـــاً جمـــيلاً   من ذوي القدر الخطيرْ

وعندما يعوز الكتب المدرسية نص محلي، فقد يعمد المؤلفون إلى اختيار ما يناسب الأطفال، كما حصل في اختيار قصة شعرية ساخرة مكتوبة بأسلوب عذب سهل، تحكي عن فأر جاء إلى بيت شاعر فقير فلم يجد ما

---

(١٩) من أناشيدنا الوطنية . ص ٥٤.

(٢٠) القراءة العربية . الرباط . ص ١٠.

يأكله، فغادر ساخراً من آراء الشاعر ومحاولات استبقائه، وفيها يقول محمد بن ابراهيم[٢١]:

ليس لي زيت وزرع	وطعام في جفانِ
ليس من شيء عليه	يتعادى الأخوانْ
بسم الفأر بخبث	بسمة فيها ازدراني
قال لي والقول منه	مثل سهم قد رماني:
ما الذي أفعل في	أركان بيت رمضاني؟
أتغذى بقريض	لفلان وفلانِ

والطفولة نفسها كانت مثار حنين الشعراء، وحلمهم في أن يعودوا إليها هاربين من جهامة عالم الكبار، ففي عهد الطفولة تكون الدنيا كلها مسرح أحلام ومباهج، ولهذا فإن المدني الحمراوي يكتب في "ذكرى الطفولة"[٢٢]:

ذكرت عهداً تقضى	قد كنت فيه صبيا
أقضي نهاري طليقاً	أجوب حياً.. فحيا
والعيد عندي يوم	به أكون حفيا
وارتدي ثوب عيدي	مخططاً بلديا
اختال فيه كأني	قد ارتديت الثريا
ليت الطفولة أضحى	زمانها أبديا

والشاعر التونسي المشهور محمد الشاذلي، يتناول الطفولة في ديوانه مرة بالحض على الكتاب والتغني به، ومرة بالتغني بالطفولة ذاتها، مازجاً

(٢١) سا . ص ٩٦.

(٢٢) سا . ص ٢١.

بين العصفور والطفل، ومرة ثالثة ببوح أبوي نحو ولده، فعن "الكتاب" يقول[٢٣]:

هذا الكتاب أخذت عنه دروسي ... وتخذته دون الصحاب جليسي
أنا لا أعظم غيره مهما سما ... قدراً من الرؤساء والمرؤوسِ
فهو الكتاب ومن سواه أحق ... بالتعظيم والتقدير والتقديسِ

ويقول في "عصفور الصباح"[٢٤]:

أطل عليك عصفور الصباحِ ... يبشر بالمنى الغرّ الصباحِ
يزقزق بالتحية كل فجر ... ويهتف بالغدو وبالرواحِ
وتوقظك استفاقته ويسعى ... إليك يمد قادمة الجناحِ
وما أطفالنا إلا زهور ... مفتحة على كل النواحي
ولازالت رحاب البيت أفقاً ... لأقمار الهنا والانشراحِ

وفي قصيدة "ابني" يكتب[٢٥]:

أنت الفؤاد أمامي ... مشاهد مرئيُّ
في أفق بيتي تجلى ... منك المحيا الوضيُّ
واخدم بلادك واعلم ... بأنك التونسيُّ

كلما كانت تجربة الكتابة للطفل في بدايتها ركزت على الوعظ المباشر، وتساعد على هذا الروح التقليدية للشعراء المغاربة من جيل ما قبل السبعينات تحديداً، ولهذا تصادفنا هذه الوعظية كما لدى عبد العزيز الحاج طيب[٢٦]:

---

(٢٣) ديوان الشاذلي . ١ / ١٢١ .

(٢٤) سا . ص ٥٩.

(٢٥) سا . ص ٢١٩.

(٢٦) عرفان. العدد ١٠٣.

إن كنت ترغب في العلـــى | فاصبر على الأمر الـــشديدْ
واعمـــل بإقـــدام وكـــن | في نيل مـــا تبغـــي عنيـــدْ
وانشط وكـــن متحمـــساً | وتجنـــب الكـــسل المبيـــدْ
كن عازمـــاً كـــن حازمـــاً | واصبر تحقـــق مـــا تريـــدْ

إن الجيل الشاب في المغرب العربي بدأ يتلمس السبل القويمة لكتابة شعر أطفال، تختفي فيه الوعظية المباشرة، لترتدي لبوساً فنياً يخفي جفاف الحكمة النثرية، إضافة إلى تركيزه على الشروط الفنية الأخرى مثل السلاسة والسهولة والإيقاعات القصيرة وغير ذلك.

فإذا ما طالعنا تجربة مصطفى عزوز مثلاً فإننا سنلمس تقدماً واضحاً في لغة الشعر الطفلية، وهو شاعر تونسي قدم عدداً من المجموعات الشعرية للأطفال أهمها "العصافير" و"الحديقة" و"القطائف" و"براعم الادب".

ولدى عزوز ميل جميل إلى القصة الشعرية، ومن ذلك قصة "خلق الطير للفضاء" التي منها(٢٧):

هكـــذا حـــل طـــائر | وعلى الفخ قـــد ظهـــرْ
يلقـــط الحـــب آمنـــاً | دون خوف ولا خطـــرْ
وإذا الفـــخ ينثنـــي | وعلى الطـــائر اســـتقرْ
وتناولـــت طـــائري | وأنـــا أســـعد البـــشرْ

وبعدها يقرر أن يتحرك الطائر حراً في الفضاء، وينهي الحكاية نهاية متميزة:

هكـــذا الطيـــر شـــأنه | يكره الحبس والـــضجرْ
بينما اليوم لـــم يـــزل | يـــشر يملـــك البـــشرْ

(٢٧) براعم الأدب . ص ١٩.

ويبدو أن الطفل المغربي يكاد يكون محروماً من كتب خاصة به بالعربية، ولعل الأمر شديد الوضوح عندما نقرأ في مقدمة كتاب "القراءة العربية" للمشرفي وزملائه ما نصه:

"لم يحملنا على وضع هذا الكتاب الذي سميناه (القراءة العربية) إلا عدم وجود كتب للمطالعة تناسب البيئة التي يعيش فيها الطفل المغربي"[٢٨]

ويلفت النظر في هذا الكتاب المدرسي الممتاز أنه حوى مختارات شعرية ونثرية جميلة، بطباعة جيدة، ونصوص معزوة إلى أصحابها، مع شرح للكلمات الصعبة ونبذة عن حياة المؤلفين.

ومن هذه الروح الجديدة في شعر الاطفال ما نلمسه في تجربة الشاعر الجزائري ناصر لوحيشي، كقوله في قصيدة "جدتي"[٢٩]:

جـــدتي جـــدتي   كنــت لــي عــدتي
إيـــه يـــا فرحتـــي   بـــك يـــا جـــدتي
جـــدتي....جـــدتي
حـين يـأتي الظـلامْ   والـــصحاب نيـــامْ
تـــستوي جـــدتي   ثــم يحلــو الكــلامْ
بـــك يـــا جـــدتي
أنـــت علمتنـــي   حكمـــة خالـــده
أنـــت أســـعدتني   والـــسما شـــاهده
جـــدتي...جـــدتي
لـــست أنـــسى وإن   طـــال ذاك الـــسمرْ
خوفهـــا.. حرصـــها   كــي أكــون القمــرْ

---

(٢٨) القراءة العربية . ص ٢ .

(٢٩) رجاء . ص ١٢.

وللشاعر نفسه قصيدة "نشيد الوداع" ينجح في تجسيد المحبة بين التلاميذ، وربطهم الجميل بالمدرسة فعند انتهاء العام الدراسي ينشد(٣٠):

أنا بينكم.. أنتم معـــي لا تحزنـــوا لا تفزعــوا

أســـماؤكم... ألقـــابكم من مهجتـــي لا تنـــزعُ

سأظل أرقـــب فجـــركم سأظل حتـــى ترجعـــوا

أنا لن أقول: إلى اللقا أنا لـــن أقـــول: أودعُ

والمطلع على هذه التجارب لن يستسيغ الهفوات اللغوية والوزنية تتكرر لدى الأجيال الجديدة أكثر من الأجيال السابقة، ولعل الامر يشير إلى حالة عامة لها علاقة بواقع الثقافة العربية وحركة التعليم في المغرب العربي.

---

(٣٠) سا .ص ٤٨.

الفصل الثالث

شعر الأطفال في الجزيرة العربية و الكويت والسودان

لأسباب عديدة كانت منطقة الخليج والجزيرة العربية من أكثر البلدان العربية تأخراً من الناحية التعليمية، فقد سيطرت حتى بدايات القرن العشرين حالة البداوة التي طبعت هذه المنطقة، ويبدو أن الاحتكاك بالعالم ظل محدوداً، واقتصر على التجارة، أو مواسم الحج، وإذا وجد التعليم الأهلي فإنه محدود ومحصور بالأمور الدينية، والمدرسة الحكومية كانت نادرة جداً، وقد اقتصرت على بعض المدارس العثمانية، أو مدارس شبه حكومية كتلك التي حاولت بعض البعثات إقامتها في منطقة الخليج العربي وعدن، وحاول الشريف حسين أن يسهم في نهضة التعليم من خلال إقامة مدارس قليلة في منطقة نفوذه قبل سقوطها(١).

ومن اللافت أن السعودية مثلاً لم تعرف تعليماً رسمياً للبنات إلا في عام ١٩٦٠ حيث أنشئت للمرة الأولى رئاسة عامة لتعليم البنات، وحالة التعليم في المرحلة الابتدائية ما زالت إلى الآن تعاني من القصور في أن تدخل ساحة التعليم

---

(١) راجع:

قصة التعليم في الكويت . عبد الله آل نوري.

نظام التعليم في المملكة العربية السعودية. د. عبد العزيز السنبل وزملاؤه.

الشعر الحديث في الكويت. عواطف الصباح.

الادب الحجازي . أحمد أبو بكر إبراهيم .

الحديث بمناهجه وطرقه وأدواته، ولا شك إن الشهادة العلمية عن تردي وضع التعليم الابتدائي، وقيام أسسه على فهم جامد، وعن الوضع في السعودية يصح على منطقة اليمن والخليج أيضاً، وتحس تعليمنا الابتدائي متأخراً في جميع الاقطار العربية، يقول الدكتور نور الدين عبد الجواد(٢):

"إن التعليم في مدارسنا الابتدائية تعليم لفظي في مجمله ظناً منا أن الكلمة مساوية لمحتواها ومعناها، وأصبح الاتجاه الغالب في التعليم يعتمد على ترديد الالفاظ، وأصبح تقييم التحصيل التعليمي تقسيماً للألفاظ المسترجعة"

هذا الحال له آثاره السلبية في إضعاف التذوق السليم للشعر، إن لم نقل تنفير الطفل من الشعر الذي يفرض عليه، ويعالج بتقريرية قيماً عامة مجردة.

وقد كانت معركة المدرسة الرسمية وتعليم الفتيات وتدريس الرياضة والرسم وممارسة الأنشطة الفنية حامية الوطيس في هده المنطقة، فشهدت حوارات وصراعات وفتاوى شتى.

ومن أنبل البدايات وأهمها دعوة عدد من الشعراء إلى العلم وتشجيع رواده، فبعد تأسيس المدرسة المباركية في الكويت ١٩١١/١٢/٢٢ أشاد عدد من الشعراء بالعلم ومعاهده كما فعل الشاعر أحمد بن خالد المشاري(٣):

فتى العلم هذا موطن الكسب والأجرِ	فشمرولا تكسل عن النصح والأجرِ
فتى العلم: هل للعلم ثـمَّ مزيـة	إذا ما ثوى بين الضمائر في الصدرِ
فتى العلم دعهم فالغباوة شأنهم	وليس غبي في العلا مثل من يدري
وعرّج بنا نحو الـشبيبة إنهـا	لخير وعاء أودعت غـالي الـدرِّ

---

(٢) نظام التعليم ... السنبل. ص ١٥٤. للتفصيل راجع الفصل الرابع "التعليم الابتدائي".

(٣) الشعر الكويتي الحديث. عواطف الصباح. ص ١١٧(تذكر الصباح أن تأسيس المباركية كان عام ١٩١٢ والصحيح ما ذكرناه نقلاً عن آل نوري)

ويقول المشاري نفسه في قصيدة أخرى وفي بعضها خطاب مباشرإلى الشيخ أحمد الجابر حاكم الكويت وقتها[٤]:

والعقل يظهر إن علـم تعهـدها ... كالنار كامنـة والقـدح يوريهـا
فلا نجاة إذاً للنفس من عطـب ... إلا بعلـم مـن الآفـات يحميهـا
منكم يئست ولما ضاع لـي أمـل ... إلى الأمير أبي الـنفس أهـديها
هذي رعاياك من جهل بها مرض ... أنت الطبيب لها والعلـم يـشفيها
هذب مداركها، عضد مدارسـها ... وارحم طفولتها إن كنت راعيهـا
أكثر معارفها، أبعـد مـشاغبها ... افتح معاهدها،واسمع شـكاويها

وعندما أراد بعض الشعراء أن يدعواإلى حق الفتاة في التعليم أدركوا أن في ذلك إشعالاً لنار خامدة، فالبداوة والتعصب الديني المغلق يتعاونان لوأد هذه الدعوة فهذا مساعد الرفاعي يقول على لسان امرأة[٥]:

فخذ هذا اليتـيم لـدار علـم ... ليشرب حب مـصلحة الـديارِ
وقلت العلـم مفقـود لـدينا ... وما في الدار من بـالعلم دارِ
كأن القوم ما خلقـوا لعلـم ... ولكـن للجهالـة والبـوارِ

إذا فالمرأة هنا طامحة إلى العلم مقدرة له، لكن هناك ما هو أقوى وأكثر جرأة، وهو ما نقرؤه لدى الشاعر عبد الله سنان وفيه[٦]:

حبـسوك فـي زنزانـة ... كالطير في القفص الصغيرِ
مـاذا أرادوا مـن إسـارك بـين جـدران وسـورِ؟
مـاذا عـساهم ينتجـون مـن المكبلـة الأسـيرِ؟

---

(٤) سا . ص ١١٩.
(٥) سا . ص ١٢٣.
(٦) سا . ص ١٢٤.

وهـل ارتكبـت جريمـة حتـى تنـوئي بـالكثيرِ

قلنا لهم علم الفتاة يقـي الفتـاة مـن العثـورِ

ويعينهـا فـي النائبـات وعنـد ضـائقة الأمـورِ

ويكـون ناصـرها إذا عزت مناصـرة النـصيرِ

فـالعلم نـور تـشرق الـدنيا بـه للمـستنيرِ

ثم تزداد لهجة دعوته ضراوة:

بـالله أيتهـا الفتـاة علـى الغبـا والجهـل ثـوري

وتحـرري مـن كـل رجعـي يعوقـك بالمـسيرِ

وتقلـدي الآداب فهـي تقيـك مـن سـوء المـصيرِ

وتـسلحي بـالعلم والاخـلاق وارمـي بالقـشورِ

لاشك أن هذا الكلام في تلك المرحلة يعد مغامرة حقيقية في محيط يضيق بالانفتاح ولا يعطي الفتاة حقها الذي لم تنكره الشريعة نفسها(٧)، ولكن في وقت مبكر كانت الكويت والبحرين وعدن أسبق من غيرها في تعليم الفتاة، والشاعر خالد الفرج يتهم صراحة بعض رجال الدين بالوقوف في وجه العلم(٨):

والعلم كل العلـم فينـا عمـة وقفت لنا سـداً مـن الأسـدادِ

وإذا ابن هذا العصر جاء مفاخراً بعـلاه فاخرنـاه بالأجـدادِ

نمنا فقام الآخـرون وأسـسوا بالعلم مجـداً شـامخ الأطـوادِ

ثم يؤكد حقيقة تكشف عن بعد نظره:

بالعلم نقـدر أن نعيـد تراثنـا حتى نـرى الأحفـاد كالأجـدادِ

---

(٧) سا . ص ١٢١ تذكر عواطف الصباح أن عبد العزيز الرشيد ألف كتاباً صدر عام ١٩١١ هو "تحريز المسلمين من اتباع غير سبيل المؤمنين" دعا فيه إلى بقاء الفتاة في البيت.

(٨) سا ص ١٣٨.

وعلى المنوال نفسه قال أحمد آل رومي[9]:

والعلى ليس له مـــن ســـبب   موصل غير علـــوم تنتخـــبْ

فانفضوا عنكم جموداً مهلكـــاً   واطلبوا العلم وجدوا في الطلبْ

وكان من حظ المعلم تكريم خاص من الشعراء كما فعل محمد شوقي الايوبي في "رائد النهضة" وعبد الله النوري في "المعلم" أما الشاعر فهد العسكر فإنه يخاطب التلاميذ قائلاً:

يا نشء أمة يعرب عقدت عليك رجاءها قم قدم القربانا

يا نشء يا أمل البلاد وسؤلها أقسم على أن لا تطيق هوانا

وأعد سعادتها إليها أيها النشء الجديد وأعطها البرهانا

إن هذه الدعوات ستجد صدى لها في أرجاء الخليج والجزيرة العربية، ولعلها نتاج طبيعي لنفوس شعراء النهضة الثائرة على حالة الخمول الذي يسيطر على تلك المجتمعات، فمن السعودية يأتينا صوت الشاعر أحمد عبد الغفور عطار[13]:

أيـــن الثقافـــة والآداب ناهـــضة   أين التقدم قد أمسين في غـــسقِ؟

كنا عبـــاقرة الـــدنيا بأجمعهـــا   واليوم وا أسفا صرنا لقى الطرقِ

مضت قوافل تعدو وهي مسرعة   ونحن كالنائم الممرور لـــم يفـــقِ

ولو ذهبنا إلى أقصى جنوب الجزيرة فإننا لن نعدم أصواتاً عاضدة أخرى من أجل دفع المجتمع نحو العلم والتعليم، كما لدى الشاعر العماني راشد بن حميس القائل[14]:

من فاته العلم لم يشرف ولم يسدِ   ما في الأنام كأهل العلم من أحـــدِ

تعلم العلم تبلغ بغيـــة قـــصرت   عن نيلها من أهيل الجهل كل يـــدِ

والعلم يغني الفتى عن كل ما ملكت   يداه في الأرض من مال ومن ولدِ

---

(٩) سا .ص ١٣١ .

(١٣) الأدب الحجازي . ابراهيم . ص ٤٦.

(١٤) ديوان الحبسي . تحقيق عبد العليم عيسى . ص ٤٣٦ .

ويقول في مكان آخر(١٥):

تعلــم العلـــم مـــن أهلـــي وأهـــل المـــدارسْ

وادرسه في كل حـين   واعمل بما أنت دارسْ

إن أنت لـم تدرسـنه   فرسـم علمـك دارسْ

إن الوقفة ستطول بنا لو مضينا إلى المزيد من هذه الشواهد، فهي تتردد في الجزيرة واليمن وقطر والبحرين وهكذا، لكنني أردت من هذا التقديم أن اضع القارئ أمام مشهد العلم والتعليم في هذه المنطقة، لكن مما يؤسف له أن كتابة الشعر للأطفال ليس لها حظ تقريباً هنا، ربما لأن الحاجة الحقيقية لها لم تولد كما يجب.

وأنا من المؤمنين أن شعر الاطفال يتبع حالة التعليم العصري الراقي، لأنها تؤدي إلى الاهتمام بثقافة الطفل وفنونه، مما يدفع بالكثير من الشعراء إلى الكتابة.

لقد اطلعت على الكثير من كتب القراءة والنشيد والمحفوظات التابعة لهذه البلدان، فوجدت أن أكثرها يكرر أردأ ما في التجربة العربية، فلا نصوص مختارة بعناية، والاعتماد شبه كامل على مناهج مصرية أو سورية أو لبنانية، وبطريقة عشوائية... وتزداد في طبيعة الاختيار القصائد الوعظية بطريقة فجة ولنصوص ميتة.

إن إسهامات نادرة لحمزة شحاتة وطاهر الزمخشري السعوديين ولطفي جعفر أمان وإدريس حنبلة اليمنيين وإبراهيم العريض من البحرين وعبد الله سنان من الكويت لم تتحول إلى تجربة لها اتساعها وانتشارها، وتزداد المسألة صعوبة عندما نطلب شعراً حقيقياً للأطفال، أي بشروطه اللغوية والتربوية والإيقاعية والفنية.

بداية... لم تزد النصوص المكتوبة شعراً للأطفال عن عشرات النصوص، ونعثر عليها بصعوبة بالغة، خاصة أننا لن نجد أكثرها في الكتب المدرسية لهذه البلدان، وهذا ما جعل التربوي والشاعر السعودي يشكو صراحة من هذا الإغفال،

---

(١٥) سا . ص ٤٣٧.

إذ يلاحظ محمود رداوي في الكتب المدرسية[١٦] "*غياب الأعلام السعوديين من المقررات، وإن ذكروا في الكتب المدرسية فيستشف عجز الشعراء السعوديين عن الخلق الفني*" إن هذا الامر ينطبق على المراحل الدراسية كلها، ويعجب المرء مثلاً كيف تغيب النصوص الوطنية على قلتها، ومن أبرزها طاهر الزمخشري الذي يحاول أن يبث قيمة العلم في المجتمع من خلال التغني به وبمدارسه، فيعبر تعبيراً وجدانياً عن ذلك في قصيدة بعنوان "معاهد المعلمين"[١٧]:

رعاك الله موصول الأيــادي — تباركها الحواضر والبــوادي

وتشهد أنك الـساقي حمانــا — بفيض بلَّ غلة كـل صـادي

فتضحك في مرابعنا الخزامى — وتهزج في مرابعنا الـشوادي

ونجني من رياض العلم زهراً — براعمـــه تنـــضركل وادي

ويقول في قصيدة أخرى "على لسان ابني"[١٨]:

سأبني بالدم الغـالي سـجلاً — من الأمجاد في وضح النهـارِ

تضيء سطوره آفــاق دنيــا — مكللـــة الجوانــب بالفخـــارِ

وتمخر في جوانبها سـفيني — محملـــة بآمـــالي الكبـــارِ

ويغني الزمخشري لوطنه بقصيدة "بلادي" محققاً فيها نجاحاً ملحوظاً كنص للاطفال[١٩]:

بلادي فـداؤك روحــي وعينـــي

لنــور يـــشع مــن المــسجدينْ

هنا كان طه ينادي الأبــاة — لدين ينير ســبيل الحيــاة

فشاد البناء ودك الطغــاة — وردَّ الأباة مــن الجــانبينْ

---

(١٦) الادب السعودي المعاصر في الكتب المدرسية . ص ٢٧ .

(١٧) أغاريد الصحراء. ص ١١٥.

(١٨) سا . ص ٥٩.

(١٩) سا ٧٣.

من المهم أن نجد في السعودية شاعراً كلاسيكياً رياديا هو أحمد بن مشرف يكتب شعراً تعليمياً سلساً، ولديه قدرة واضحة في كتابة الحكاية الشعرية التعليمية أيضاً، فنقرأ له[٢٠]:

البـــــر بالأصـــــحابِ   مـــن أحكـــم الأســـبابِ
والنـــصح للإخــــوانِ   من أعظـــم الإحـــسانِ
والـــصدق والتـــصافي   من أحـــسن الإنـــصاف
عـــــاملهم بالـــــصدقِ   واصحب بحسن الخلقِ
ولاقهـــــم بالبـــــشرِ   وحـــــيهم بالـــــشكرِ
وإن رأيـــــت هفـــــوة   فانصحهم فـــي خلـــوة

ويقول في قصيدة أخرى[٢١]:

تـــــزاور الإخـــــوانِ   من خـــالص الإيمـــانِ
إن التـــآخي شـــجرة   لهـــا التلاقـــي ثمـــرة

وعن المحادثة يكتب[٢٢]:

إن رمـــت أن تحـــدثا   بمـــا مـــضى أو حـــدثا
لتـــؤنس الأصـــحابا   فأحـــــسن الخطابـــــا
واختـــصر العبـــاره   ولا تكـــن مهـــذاره
ولا تكـــــن ملتفتـــــا   عنه إلـــى أن يـــسكتا

ويكتب الشاعر قصائد في الممازحة والضيافة وعيادة المريض والمكاتبة وصحبة البخيل وصحبة الكذاب وصحبة الأشرار وغير هذا من موضوعات، وكلها من مجزوء الرجز، وهو إيقاع ملائم ورشيق وله امتداد في تراثنا الشعري العربي، وعلى الأخص في القصص والشعر التعليمي و الحكاية الشعرية.

---

(٢٠) ديوان ابن مشرف. ص ٢١٤.
(٢١) سا . ص ٢٢٧ .
(٢٢) سا . ص ٢٢٩.

هناك حكاية لا تصلح للصغار هي "حكاية مزيد وربرب المدينة" بينما يقدم لنا الشاعر ثلاث حكايات جميلة وظريفة، واحدة مأخوذة من كليلة ودمنة، وثانية من التراث العربي، وثالثة من التراث الشعبي.

في "حكاية الفأر والحمامة" نقرأ[٢٣]:

حكى أريب عاقلُ لكل فضل ناقلُ
عن سرب طير ساربِ عن الحمام الراعبِ
بكر يوماً سحرا وسار حتى أصحرا
فأبصروا على الثرى حباً منقى نثرا

وتستمر القصة المعروفة، إذ ينصحهم أحدهم ألا يسرعوا في التقاط الحب، فلم يستمعوا للنصح فوقعوا في الشبكة[٢٤]:

وندموا وما الندمْ مجد وقد زلَّ القدمْ
فأخذوا في الخبطِ لحل ذاك الربطِ
فالتوت الشباكُ والتفت الأشراكُ

وعاد الناصح هذه المرة للمساعدة فأمرهم بأن يطيروا معاً بالشبكة، ثم طاروا حتى وصلوا فوق أرض خالية، فهبطوا فيها، فنادى الناصح صديقه الفأر للمساعدة:

وقال أهلاً بالفتى ومرحباً بمن أتى
قدمت خير مقدمِ على الصديق الأقدمِ
فادخل بيمن داري وشرِّفَنْ. مقداري

فيطلب منه الناصح قرض حبل الشبكة:

فقرض الشباكا وقطع الأشراكا
وخلص الحماما وقد رأى الحماما

(٢٣) سا . ص ٢٤١.
(٢٤) سا . ص ٢١٩.

فـــأعلنوا بحمـــــدهِ واعترفـــوا بمجـــدهِ
وقـــدم الحبوبـــا للأكـــل والمـــشروبا

وأخيراً:

فودعـــوا وانـــصرفوا والدمع مـــنهم يـــذرفُ

والحكاية في مئة وأحد عشر بيتاً على الوزن نفسه، تخللتها ألفاظ صعبة قليلة.

أما "حكاية الفتى البغدادي مع الأمير المهلبي" فتحكي عن فتى طلب منه أن يصاحب الأمير المهلبي بشرط أن يصبر على كذبه، فقال الأمير للفتى[٢٥]:

لي عـــادة مستحـسنه أفعلهـــا كـــل ســـنهْ
أطـــبخ للحجـــاج مـــن لحـــم الـــدجاجِ
في فـــرد قـــدر نـــزلا يكفـــي الجميـــع أكـــلا
فحـــار ذلـــك الفتـــى مـــن قولـــه وبهتـــا
فقـــال: ليـــت شـــعري ما قـــدر هـــذا القـــدرِ

ولم يستطع الفتى أن يحتمل الكذبة، فسخر منها، فطرده الأمير، فتوسطوا له، فعاد إلى المنادمة على شرط ألا يعترض على الكذب، فصبر مدة إلا أنه أخيراً حدث عن كلاب صغيرة كانت عنده، إلى حد أنها تنام في عيني أحدهم وتنبح وهي في عينيه، عندها يقول ابن مشرف:

فقـــام ذلـــك الفتـــى يقول لاعـــشت متـــى
صـــدقت هـــذا الكـــذبا شاء الأميـــر أم أبـــى
وردُ مـــــا أكـــــساه بـــــه ومـــــا حبـــاهُ
وراح يغـــدو عاديـــاً نحـــو الـــبلاد ناجيـــا

---

(٢٥) سا .ص ٢٤٧.

"حكاية الدب" هي آخر ما في ديوان ابن مشرف من حكايات شعرية يبدؤها هكذا(٢٦):

روى أولــو الأخبــار ... عــن رجــل ســيّارِ
أبصر فــي صــحراءِ ... فــسيحة الأرجــاءِ
دبــاً عظيمــاً موثقــا ... فــي سَــرْحة معلقــا
يعوي عــواء الكلــبِ ... مــن شــدة وكــرب
فأدركتـــه الـــشفقةْ ... عليــه حتــى أطلقــهْ

وبعد ذلك يرى الدب ذبابة تزعج صديقه النائم، فيقرر أن يرد له الجميل، إذ يقول:

أنقــذني مــن أســري ... وفــك قيــد عــسري
فحقـــه أن أرصـــدهْ ... من كل ســوء قــصدهْ
فأقبلـــت ذبابـــه ... تـــرن كالربابـــهْ

وحمل الدب صخرة وضرب بها الذبابة التي وقعت على وجه الشاب فقضى عليه، وينهي الشاعر الحكاية قائلاً:

فهـــذه الروايـــةْ ... تنهــى عــن الغوايــةْ
فــي طلــب الــصداقةْ ... عنــد أولــي الحماقــةْ
إذ كــان فعــل الــدبّ ... هــذا لفــرط الحــبّ
وجاء فــي الــصحيحِ ... نقــلاً عــن المــسيحِ
عالجــت كــل أكمــهْ ... وأبــرص مــشوّهْ
لكننـــي لـــم أطـــقِ ... قطُّ عــلاج الأحمــقِ

وكما يحصل في أي بلد عربي، فإن الكثير من القصائد التي تضمها الكتب المدرسية تحوي معاني قريبة إلى الطفل أو الأهداف التي يراد غرسها

---

(٢٦) سا .ص ٢٣٨.

فيه، أو إن بعضها قد وضع للتلاميذ أساساً، فهذا الشاعر سعد البواردي يقول في قصيدة "أنا من هنا"[٢٧]:

ممن أنا ؟ أنا مـن هنـا   اسمع حديثي يا صـديقي
أنا من بلاد الشمس قبـل   غروبها وقـت الـشروقِ
أنا من هنـا مـن منبـت   الأحرار والعهـد الوثيـقِ
أنا مـن هنـا مـن كـل   شبر في بلادي يا رفيقـي

. . . .

ممن أنا ؟ أنا مـن هنـا   من بذرة التـاريخ جئـتُ
مـن مهـبط الإسـلام أرضـي... فيـه إخـصاب ونبـتُ
وطني لـه فـي مـسمع   الأكوان إيقـاع وصـوتُ
منـذ اسـتفاق العـالمون   وكلهـم نـوم وصـمتُ

وله في قصيدة "الفتى العربي اليوم"[٢٨]:

إذا ما وجـدت صـديقاً صـدقتُ
وإن خـانني سـحقته يـداي
وإن رغب العـون منـي وهبـتُ
وأجزلت فـي منحتـي وعطـاي
ولكننـي مـا وهنـت حيـاتي
ولا هنـت فـي عزتـي وإبـاي

والشاعر ابراهيم الرافع[٢٩] له قصيدة "الأم" والحديث عن الأم كما هو معروف كان دائماً موضوعاً أساسياً في الشعر المكتوب للأطفال فيقول[٣٠]:

---

(٢٧) أغنية العودة . ص ٢١ .
(٢٨) الادب السعودي . ص ١٠٤
(٢٩)
(٣٠) سا . ص ١٣٤.

يا أم أنت فم الزمان وقلبه	والمجد فيك معلم الأطواقِ
كافحت في شرق الحياة وغربها	حتى طويت معالم الآفاقِ
تتعهدين بكل فضل سيرنا	موفورة الإيثار والإشفاقِ
لك في حنايا الصدر قلب خافق	لولا الضلوع لذاب في الأحداقِ
تروين جسمي بالدموع وكلما	غلب البكاء غلوت في الإغراقِ

وفي موضوع مشابه آخر لكن بلغة ما زالت تميل إلى الجزالة والتراكيب التقليدية يقول محمد حسن عواد في قصيدة "المدارس"(٣١):

والخير كل الخير في هذي المعاهد والمدارسْ
هي للبلاد نواتها، هي للحضارة خير حارسْ
لولا المدارس كان للظلم العلوُّ، وللجهالهْ
وتكاثرت فرص الرذيلة والتأخر والبطالهْ
وتهدمت يا قوم للأخلاق أركان مشيدهْ
وتشوهت قيم الأمور على محاسنها العديدهْ
ولسادت الفوضى، وصار الفرد مهضوماً وهاضمْ
لا حق، لا قانون، لا تشريع ينتزع المآثمْ
إن الشعوب إذا نهضن إلى الحياة فإنما
تختار من هذي المدارس للتقدم سلما

أما الشاعر عبد الله بن خميس فيخص "التلاميذ" بقصيدة، لكنها تظل حبيسة اللغة الجزلة ذاتها(٣٢):

بالبشر نستقبل النشء المجلينا	وتسطرُ به عُجباً أمانينا

---

(٣١) سا . ص ١٣٣.

(٣٢) سا . ص ١٣٢ .

يا نسمة الورد هبي من خمائلنا	ويا نسيم الصبا حيِّي(*) مغانينـــا
وصافحي فتية كانوا لنـــا أمـــلاً	باتت ترجيه أوطـــان لهـــم حينـــا
إن النبوغ ليستهوي ضـــمائرنا	في العالمين فمـــاذا حالـــه فينـــا
لازال فينا حليف النجح كل فتـــى	ولم يزل ينبت الأمجـــاد وادينـــا

يظهر أن لغة الشاعر هي التي تحدد له طريقة التعامل مع موضوعه، فمن سيطرت عليه الأجواء التقليدية فستحضره في إطار تعبيري ضيق، لهذا لايبقى الأمر على هذه الحال مع أصوات شعرية مجددة في الشعر السعودي، أو أكثر إدراكاً لحقائق الحياة المعاصرة، كما نجد لدى الشاعر المعروف حسن عبد الله القرشي في قصيدة "فارسي الصغير" حيث يهديها إلى ابنه(٣٣):

يـــا فارســـي الـــصغيرْ
فـــي ثوبـــك الفـــدائي البـــشيرْ
شـــمس غـــد تفجـــر الـــصخورْ
وأنت واثب هنا.. هناك تزرع الهـديرْ
تصيح لن يظل في بلادنـــا الـــصهاينةْ
لا لن يعيـــشوا فـــي الظـــلال الآمنـــةْ
وتطلـــق الرصـــاص صـــارخاً
وتـــنفخ البـــوق.. وتطلـــب النفيـــرْ
يـــا فارســـي الـــصغيرْ
يا جيـــل تحريـــر الـــضمير والـــشعورْ
يـــا صـــدحة الآمـــال فـــي البكـــورْ
كـــن واعيـــاً للحـــدث الخطيـــرْ
فـــي غـــدك الكبيـــرْ
في كوننا المأهول بالعقبـــان والنـــسورْ

(*) كذا في الاصل .

(٣٣) الديوان ٢/ ٦٦٥.

ويبدو هذا مع الشاعر المعروف د. غازي القصيبي الذي كتب حكاية للأطفال على طريقة شعر التفعيلة حيث يقول فيها[٣٤]:

(١)

كان اسمه مهر الرياحْ
كان وسيماً أبيضاً
ومُشرَباً بزرقةٍ
كأولِ الصباحْ
وكان شعر عُرْفهِ
غاباً من الرياحْ
وكانَ في صهيلهِ
تمّرد.. ونشوة شهيّة
تثيرُ في الصدور شهوة الكفاحْ
وكان يجري لا تكادُ العينُ أن تراهْ
الله ما أحلاهْ!
الله ! ما أحلاهْ!

(٢)

من أينَ جاءْ؟
هل ولدته ذات فجرٍ
غيمة بيضاءْ؟
أم أنجبتهُ في الربيع نخلةٌ خضراءْ؟
أم إن أقصى القمم الشماءْ
في ليلة رائعةٍ قمراءْ

(٣٤) معجم البابطين ٦/٧١٩.

تمخضت عنهُ...فجاء.. ذابَ
كالضياء في الضياءْ
وسَحَر العيون والظنون والأهواءْ

(٣)

كان اسمه مهر الرياحْ
كانَ عنيفاً جامح الجناحْ
ويعشقُ الحرّيهْ
كأنّهُ براءة الوحشيّهْ
كم حاولَ الفرسانْ
أن يجعلوه تحتهم مطيّهْ
لكنّهُ
في موجةٍ عارمةٍ من الصهيلْ
كان يفرُّ مثل إعصار جميلْ
ويترك الأحجار.. والتراب... والغبارْ
في أوجه الفرسانْ
ويضحك الصغارْ
صفعني بقبضة الغبارْ...
أفزعني... أسقطني
أما رأيتم هذه الجراحْ ؟
ثُمّ تخطى فارس الفرسانْ
وقال: (يا بني فلانْ
لا بد من تدجينهِ
لابد من حماية النساء من جنونهِ

لا بدّ أن يذبح.. كي نرتاحْ)
كان اسمه مهر الرياحْ
كان الشيوخ يعشقون وجهة النبيلْ
كان الصغار يطربونْ
حين يزأر الصهيلْ
وكانت النساء واقفات - كلهن - في هواهْ
الله ! ما أحلاهْ!
الله! ما أحلاهْ!

(٥)

لكنمّا الفرسان في القبيلةْ
تجمّعوا في ليلةٍ سوداءْ
كل لديه قصّة ذليلة
(ما اهتم بي!
تركني وراحْ)

والشاعر عبد الرزاق حسين من أبرز الذين كتبوا شعراً للأطفال بوعي تام لما يفعلون، وبمثابرة لم نلحظها لدى شاعر سعودي آخر فيما استطعنا الاطلاع عليه، فعنده تبرز سمات لقصيدة مكتوبة للطفل بوضوح، ولا تبقى مكتوبة عنه، إذ تبدو عناية الشاعر باللغة والإيقاع والتكرار والبساطة، ويحقق الشاعر نجاحاً بارزاً كما في قصيدة "فوق الرمل"(٣٥):

فـــوق الرمـــلِ ألعـــب أجـــري
فـــي الـــصحراء وعنـــد البحـــرِ
وعلى الـشاطئ أبنـــي بيتـــي

---

(٣٥) رؤية في أدب الاطفال . ص ١٤٥ .

مـــاء البحـــر إليـــه يجـــري
أكتـــب إســـمي أرســـم بلـــدي
بـــــالتخطيط أو بـــــــالحفرِ
أصـــفر أحمـــر أبـــيض رملـــي
مـــا أنعمـــه عنـــد الـــسيرِ
يبـــدو رطبـــاً عنـــد المـــدِّ
فيـــه جفـــاف عنـــد الجـــزرِ
يبـــرد لـــيلاً أو فـــي الفجـــر
يـــسخن جـــداً وقـــت الظهـــرِ
مـــا أجملـــه رمـــل بـــلادي

وبنفس الرشاقة والسلاسة نقرأ للشاعر عن القطة[٣٦]:

قطتنـــا أليفـــه سريعة خفيفـــة
أعضاؤها رشيقه جميلـــة أنيقـــة
في يقظة تنـــامُ إن أقبل الظـــلامُ
لكل مـــا يـــدبُ في لحظة تهـــبُ
وتشرع السلاحا فتحرز النجاحـــا
به تنال القوتـــا وتحرس البيوتا

وينجح الشاعر في كتابة الحروف، ففي كل قصيدة عن أحد الحروف نلاحظ اختياراً ملائماً للكلمات التي تحوي الحرف المقصود، كما في "حرف اللام" مثلاً[٣٧]:

حرف اللام يغني حرف اللام يقول:
أمـــل بـــالله أمـــل بـــالله

---

(٣٦) سا . ص ٥٠.
(٣٧) سا . ص ١٤١.

نسعى لرضاه نسعى لرضاهْ

نحن الأطفال نحن الأطفالْ

في نيل الفوز نمضي في الحالْ

فالجهل ضلالْ والعلم كمالْ

في كل مجالْ نعدو أبطالْ

نشدو بالنصرِ فالذل محالْ

يبدو أن الشاعر قد لمس أهمية القصائد التعليمية السهلة، ونجاحه في إيصالها إلى الطفل، فكتب عدداً منها، يقوم على تعريف الطفل بكائنات أو نباتات أو معلومات ضرورية كما في "الجهات"[٣٨]:

الوجه قدامي

والظهر للخلفِ

هذي يدي اليمنى

للخط والأكلِ

وأختها اليسرى

تعين في الحملِ

رأسي إلى الأعلى

للعلم والفكرِ

وأرجلي السفلى

للمشي والجريِ

ومثلها قصيدة "السمكة"[٣٩]:

في مسكني الخفيّْ

---

(٣٨) سا . ص ١٤٨.

(٣٩) سا . ص ١٤٨ .

يصطادني الصيادُ

بلحمي الطريْ

تبنى به الأجسادُ

لطعمي الشهيْ

يحبني الأولادُ

ويبلغ الشاعر حدّاً ممتازاً في البساطة والعناية بخصائص شعر ناجح لطفل صغير عندما يقول(٤٠):

عنــدي علــبُ فيهـــا لعـــبُ
تلعـــب تعـــدو عجـــب عجـــبُ
وأعبئهـــــــا فتـــــــسليني
لعبـــي لعبـــي فيهـــا العجـــبُ

والشاعر حسين من خلال وعيه بخصائص التوجه إلى الطفل يوجه نقداً إلى ما ينشر من شعر للتلاميذ في الكتب المدرسية، ويقول(٤١):

"فالاختيار قطعة من العقل كما يقولون، ونضيف بأنه قطعة من القلب والروح أيضاً، ولابد أن يراعي المسؤولون عن وضع المناهج في اختيارهم النماذج المناسبة شكلاً وموضوعاً من ناحية، ومن ناحية أخرى أن نتوافق مع العمر الزمني والعقلي للأطفال، ولننظر في هذه القطعة المسماة أنشودة، والمقررة على طالبـات الـصف الرابع الابتدائي حيث يقول الشاعر:

أصغي إلى الدرس إن الوقت من ذهبِ وحاذري صرفه فـي اللهـو اللعـبِ
وإن أردت سـؤالاً فـارفعي يـدك اليمنـي بـلا لغـط فـي الـدرس أو صـخبِ

---

(٤٠) سا . ص ٥٠ .

(٤١) سا . ص ٥٠.

لا تنثري الحبر في أرض الفصول	تلـــوثي ورق الكـــراس والكتـــب
لاتـــدفعي جـــارة بالرجـــل أو بيـــد	فـــإن ذلـــك مـــدعاة إلـــى الـــشغب

ولست بحاجة إلى التعليق على هذا الجفاف الناتج من يبوسة الألفاظ وصرامة الأوامر والنواهي"

لكن انطلاقاً من هذا الكلام الجميل للشاعر والمربي الدكتور عبد الرزاق حسين ألا يصح أن نسأله لم كل هذا الحشد والتذكير بالأفكار الدينية فيما يكتب، وإذا كنا لا نختلف في أهمية التربية الدينية للطفل، لكن هذا في رأيي له شكلان في الظهور الصحيح، الأول ألا يطغى على عوالم الطفل الأخرى، فالطفل تحديداً ليس معنياً بالتفاصيل الدينية والأفكار التي تطرح بشكل مبكر، أما الأمر الآخر وهو الأهم فعلينا أن نكون حذرين في طريقة تقديم الفكرة الدينية، إذ لايجب أن ننسى أننا نكتب لطفل عربي قد لا يكون مسلماً، وقد يكون من طائفة معينة، ففي هذا الإطار أرى من السلبي أن نقدم لمحات قد تفسر بالتعصب أو تغرسه، وإذا أردت أن أضرب مثلاًعلى ذلك فآخذ أكثر الأمور أهمية لنا، وأعني القضية الفلسطينية، وهنا هل يجوز ألا أشرك المواطن العربي المسيحي في شرف المقاومة والمشاركة في النضال؟ وإذا قرأ الأطفال العرب في لبنان ومصر وسورية والأردن والعراق.. وقبل هذه البلدان في فلسطين... إذا قرؤوا قصيدة "الشيخ عز الدين القسام" لحسين نفسه فهل تخدم بعض توجهاتها ما نريده من التربية؟.. يقول الشاعر في القصيدة:

حاربت فرنسا في أرضـــي	ونفيـــــت لبلـــــد الآلامِ
أرض المعراج لها ديــن	في عنق الوطن الإسلامي
جندت الجند أحـــار بهـــم	وأطهـــر أرض الإســـلامِ

إن إيماننا بالإسلام أولاً والوطن ثانياً يفرض علينا أن نحسن التعبير عن المواطنة في هذا العصر، ولا نقبل أن يقدم الدين كما فسر الدكتور حسين بقوله(٤٢):

"*فالخلاف بين الإسلام وغيره من الأديان ليس خلافاً ذوقياً أو مزاجياً، إنما هو خلاف أكيد بين الحق والباطل، وبين الصحيح والزائف، فالناس لا يختلفون في الأديان كما يختلفون في اختيار ملابسهم وأنواق طعومهم ومشاربهم، وقد بين رب الناس لكل الناس أن الدين عند الله الإسلام، وأن الأديان الأخرى قد زيفت، وحرفت فئة من أتباعها كلام الله، واشترت به ثمناً قليلاً*" ثم يضيف بعد قليل(٤٣):

"*فإن التوضيح في هذه المسألة مطلب حيوي، وعنصر ضروري في توجه الطفل*"

إن المطلب الحيوي في كل مجتمع سليم ناهض معافى ومتحد هو أن الدين لله والوطن للجميع.

وفي ديوان الشاعر المعروف حسن عبد الله القرشي قصيدتان مشغولتان في إطار طفولي شفيف، الأولى فيها حديث عن الفراشة(٤٤):

تطلعي للأفق المسحورِ

في نظرة مبهورة الشعورِ

سابحة في كونك الصغيرِ

يا وردة ملأى من العبيرِ

وبسمة نشوى من الحبورِ

ونغمة تنساب في الضميرِ

ورفرفي في الروض كالطيورِ

---

(٤٢) سا . ص ٢٦ .

(٤٣) سا . ص ٢٧ .

(٤٤) ديوان حسن عبد الله القرشي ٣٧٤/٢ .

فراشة فرحى من الزهورِ

حالمة بعالم طهورِ

مشعشع من أرَجٍ ونورِ

أما القصيدة الثانية فيخاطب فيها طفله، من خلال روح جهادية معروفة لدى هذا الشاعر القومي، لهذا فقصيدة "فارسي الصغير" أشبه بوصية[٤٥]:

يا فارسي الصغيرْ

في ثوبك الفدائي البشيرْ

شمس غد تفجر الصخورْ

وأنت واثب هنا... هناك تزرع الهديرْ

تصيح لن يظل في بلادنا الصهاينةْ

لا لن يعيشوا في الظلال الآمنةْ

وتطلق الرصاص صارخاً

وتنفخ البوق وتطلب النفيرْ

يا فارسي الصغيرْ

يا جيل تحرير الضمير والشعورْ

يا صدحة الآمال في البكورْ

كن واعياً للحدث الخطيرْ

في غدك الكبيرْ

في كوننا المأهول بالعقبان والنسورْ

بعد هذه الجولة في شعر المملكة العربية السعودية، نرجو أن تكون السنوات القادمة حافلة بنهوض في ثقافة الطفل،ولا سيما في شعر الاطفال، ففي هذا البلد

---

(٤٥) سا . ٢ /٦٦٥ .

بشائر عديدة بشعر حديث حقاً، وحركة نقدية متطورة، وجهود تربوية معاصرة... ستؤدي في النهاية إلى دفع حقيقي في هذا الجانب المهم.

. . . . .

وفي الوقت الذي لم أستطع الوصول إلى نصوص مكتوبة للطفل في الشعر العماني، فقد وصلت إلى قصيدتين عن الطفل للشاعرة العمانية سعيدة بنت خاطر الفارسي إحداهما تقول(٤٦):

إذا ما تكورت في داخلـــي … وأثقلت جسماً خفيفاً خلـــي
وصرت تلملم روح الحياة … فلم يبق شيء سوى الآه لي
عرفت بأني نديم الــسهاد … وليلي طويل ولن ينجلـــي
وبت أقلب فكــر التمنــي … سأحظى بليلى ترى أم علي
ولما توالت شهوري الطوال … وقاربت هولاً بــه مــأملي
نبلت نبول غصون الخريف … ومن تلك مثلي ولم تــذبلِ
وقد راودتني شتى الظنون … بعــاق ســأرزق أم بــولي

وعلى ما يبدو فإن هذه الشاعرة العمانية لم تستطع أن تسبر غور الطفولة أكثر، فعبرت بكلام عام عن إحساس "الأمومة" تجاه مولود قادم، والصنعة والتكلف واضحان، خاصة في القصيدة الثانية التي منها(٤٧):

وحين تزمجر ريح المخــاض … تلاطــم أمواجهــا مركبـــي
شعرت بنوبات شبه الجنـــون … وموجات صخب إلى الأصخبِ
تقطع ما بين هــذا الوجــود … وبيني فلــم أدر مــا مــذهبي

---

(٤٦) الطفل في القرآن والسنه والأدب . ص ٤٣٩ .

(٤٧) سا . ص ٤٣٨ .

وعسى أن يفاجئنا الشعر في عمان بتجارب لم تصل إلينا بعد، سواء فيما يخص الكتابة عن الاطفال أو في شعر الاطفال نفسه.

ولليمن مع العصر حكاية تضحك حدّ البكاء، قد لا ينتبه كثيرون إلى أن أكثر الأرض اليمنية لم يقع تحت سيطرة الاستعمار الغربي، لكن اليمن ابتلي بحاكم يرى في " العصرية " تهمة تقود إلى الموت أحياناً.. ألم يهتف الإمام أحمد ذات يوم أنه سيروي سيفه من دماء العصريين!!

ولنا هنا أن نتصور كيف كان حال العلم والتعليم في بلد ما زالت تقاليده الشعرية تعود إلى زمن القرون الوسطى، وقد كانت "دار العلوم" في صنعاء شكلاً راقياً من أشكال الكتاتيب، أما المدارس فلم تكن أحسن حالاً، شعراء يزحفون بين الجوع والمرض؟، أقصى ما يحلمون به أن يقفوا ذات يوم بين يدي الإمام لينشدوا شعراً في مدحه، فعندها سيطوِّبهم شعراء، وسيخلع عليهم، ويضمهم إلى حاشيته...

والشعب اليمني كان يرزح في أغلاله، بل أحياناً يقاوم لكي يبقي هذه الأغلال، بعد أن وصل الوهم إلى أعماق النفوس فشلّها وحوّل أصحابها إلى بيادق بيد الحاكم.

بلاد كان حفنة المتنورين فيها يتبادلون الحوار على ورق يتداولونه، فيما سمي عندهم "البريد الأدبي" وحفنة الذين أرادوا أن يطلوا على العصر كانت "تهرِّب" من عدن دواوين العقاد وشوقي وحافظ والرصافي، وكتب محمد عبده والأفغاني والكواكبي وعلي عبد الرزاق وطه حسين والعقاد كأنها منشورات سرية..

اليمن ليس بحاجة إلى الثقافة، حتى الصحافة، يكفي الإمام أن يطلع على بعض الصحف التي ترسل إليه ليشترك فيها، ولكنه يعيدها إلى مصدرها بعد أن يقرأها!!

رجل تخلفه يصل حد الطرافة، إنها سلالة ورثت التخلف والجهل والتعصب أباً عن جد، لهذا لا تستغربوا عندما يقول شاعر تقليدي هو أحمد الشامي عن بلاده هذا الكلام القاسي منذ الأربعينات(٤٨):

من عذيري للأمـة اليمنيـه وهم في الوجود شـر البليـة
خلقـوا للأغـلال والسـوط والجـلاد لا للدسـتور والحريـة
يتبـارون فـي مجاملـة الظلـم وتقـديس الجهـل والهمجيـة
ويوالـون مـن يسومهم الخسـف ويقـضي علـى النفـوس الأبيـة
قد عرضنا صحواً عليهم فقالوا قد ألفنـا الغيبوبـة الأبديـة
كلمـا جئنـاهم بعلـم وفـن أقبلـوا بالزوامـل القبليـة
وإذا رتلنـا علـيهم بيانـاً أعرضوا ينشدون " يادودحيه "
وإذا قـدمنا علاجـاً لمـسلول أبـوه واسـتبدلوه " بكيـة"
وإذا لوحنـا لهـم بكتـاب لوحـوا بالعسيب والبندقيـة
شـوّهت فـي عقـولهم صـور الإسـلام فهـي الخضوع والطائفيـة
وهي تفريق الناس مذهب هذا " شافعي" وذا من " الزيديـه "
هم على حالهم ضلالاً وعيـاً واختلافـاً كأمـة وثنيـة

ربما لم يقل أحد كلاماً أكثر صراحة في حال اليمن كما فعل الشامي "الرجعي" كما هو تصنيفه، فما بالك بالذين على يساره؟!

إن الشامي وعديدين معه كانوا من أنصار ملكية دستورية في اليمن، وقد اشترك كثيرون في انقلاب ١٩٤٨ الذي أطاح بالإمام يحيى، ولكن الثورة لم تعمّر شهرين، حتى عاد ابنه أحمد ليهزم خصومه، ويستبيح صنعاء أياماً، ويزج بالشامي وإبراهيم الحضراني وعبد الرحمن الأرياني والنعمان وغيرهم في السجون... بينما سقط الشاعر زيد الموشكي شهيداً..

---

(٤٨) الشعر اليمني المعاصر . المقالح . ص ١٤٦ .

معظم هؤلاء خدموا الإمام، وأرادوا أن ينفتح اليمن قليلاً على العلم والتعليم والعصر، اليمن وقتها كان بلا وزارات ولا سفارات ولا بنك ولا شركة طيران ولا طرق.. ولا... ولا فلنمسح من ذهننا شيئاً له علاقة بالطفل والطفولة.. في بيئة كهذه لا يمكن أن نتخيل شعراً للطفل.. وأي طفل ؟ وفي أي كتاب وأي مجلة؟.

من المؤلم أن تتنفس اليمن قليلاً وقتها من خلال مناطق في جنوبه تحت الاستعمار البريطاني، وهنا أدت عدن دوراً بالغ الأثر..

لقد شهدت هذه المدينة بعض المدارس الحديثة، والصحف والمجلات والنوادي، لهذا ليس غريباً أن تمدّ شمال اليمن ببعض الرمق الثقافي، وتستقبل الفارين من وجه الإمامة الكالح كالزبيري والنعمان.

لكن شعر الأطفال لم يكن ناضجاً ليظهر، والمحاولات التي كتبها لطفي جعفر أمان وإدريس حنبلة لم تكن قادرة على البقاء لما فيها من مباشرة وركاكة، والكتب المدرسية تعتمد على نصوص عربية من مختلف البلدان، بل كانت الكتب لفترة من الزمن بعد الاستقلال تأتي هدية من مصر ! وعندما تقلب كتب اللغة العربية للمرحلة الابتدائية الصادرة منذ عقدين، فلن تجد سوى قصائد لشعراء يمنيين مكتوبة للكبار.. عندها ستقرأ أسماء محمد محمود الزبيري وعبد الله البردوني وإبراهيم الحضراني ومحمد سعيد جرادة ولطفي جعفر أمان وصالح الحامد وعبد العزيز المقالح ومحمد الشرفي وغيرهم، ففي اليمن حتى الآن ليس هناك شاعر كتب للأطفال شعراً حقيقياً باستمرار..

هناك استثناء يمني واحد في هذا المجال ولكنه شاعر قسا عليه اليمن، فغادره إلى غير رجعة، ومات خارج وطنه، إنه علي أحمد باكثير، لكن باكثير الآن اسم شديد الحضور في اليمن، ربما بتأثير هذا الجفاء الذي عاشه الشاعر من بلده وهو حي، إضافة إلى ما حققه باكثير فيما بعد عندما عاش في مصر، وكانت له جهود واضحة في الأدب العربي المعاصر.

كان باكثير يتقن الانكليزية، وثقافته العربية واسعة، وشاهد بلداناً عديدة، وخاض تجارب حياتيه غنية، وكان من رواد الشعر العربي الحديث، هذا الأفق الواسع في رأيي

مهد لتجربة تستحق التقدير خاضها الشاعر مع شعر الاطفال على عكس حال الشعراء اليمنيين الآخرين، فإنهم دون أن يشعروا حبسهم ضيق الأفق الممنوح لهم عن إدراك ما تطلبه الحياة المتمدنة، لهذا بنوا لأنفسهم سجوناً من الأوهام، منعتهم من الانطلاق نحو الحياة، حتى ما يسمى بـ " أدب أطفال " في اليمن أمره يثير الاستغراب، إن عدداً محدوداً من القصص العادية أو الرديئة لا تصنع أدباً طفلياً.

واحد من هؤلاء – وهو أشهرهم – أصدر كتاباً له عنوان يغري بالكثير "أدب الأطفال في اليمن من أين؟ وإلى أين؟" ثم نقرأ العنوان الفرعي:

"دراسة شاملة في النظرية والتطبيق" لعبد المجيد القاضي.. وهو كاتب أعرفه جيداً وربطتنا مودة شخصية، لكنه لم يقدم في كتابه معلومة دقيقة، لأنه أساساً بحث في لون أدبي لا وجود له.. حتى الموجود النادر لا يأتي الكاتب على ذكره، لأنني متأكد أنه لم يطلع عليه، وإلا فما معنى أن يصدر كتاب حديث بعنوان شامل لا يتحدث عن محاولات لطفي جعفر أمان وإدريس حنبله وأخيراً علي أحمد باكثير؟!

ولأقتطف للقارئ مشهداً من كتاب القاضي ليطلع على بعض تأريخه لأدب الطفل اليمني(٤٩):

"هل عرف الطفل اليمني نصاً قصصياً يمني التأليف؟ قطعاً حتى منتصف السبعينيات لم تكتب قصة يمنية موجهة للطفل على مستوى الساحة اليمنية..

قارع الجرس:

ترى من كان أول من قرع الجرس ونبه إلى ضرورة كتابة القصة للطفل ؟ هل أتجرأ وأنسب ذلك إلى نفسي ؟ إن الأمر مخجل ولكنها الحقيقة.. ففي ديسمبر عام ١٩٧٣ طرأت لي الفكرة إذ وجدت الساحة فارغة، وكتبت رواية للطفل تحت عنوان "غراب في حديقة الحمام" وفيما أنا أكتب هذه القصة دعيت إلى مقابلة تلفزيونية ضمن عدد من الأدباء والكتاب، وكانت المقابلة تذاع وتشاهد على الهواء مباشرة.

---

(٤٩) أدب الاطفال في اليمن . ص ٨٨ – ٩٠.

وسألني المذيع السؤال الروتيني:

- ما هو آخر أعمالك؟

فرددت عليه:

- إنني بصدد الانتهاء من تأليف رواية للأطفال تحت عنوان "غراب في حديقة الحمام" وهو اتجاه جديد كما ترى.

وما هي سوى دقيقة أو دقيقين حتى رن جرس الهاتف في مكتب إدارة التلفزيون وإذ بشخص يدخل الاستوديو ويهمس في أذني.

تعال معي إلى المكتب.. هناك مكالمة هاتفية من أجلك.

وخرجت وما إن رفعت السماعة حتى جاء صوت الاستاذ الدكتور عبد الله الخامري، وكان آنذاك يشغل منصب رئيس الدائرة الايديولوجية للجنة المركزية للحزب الاشتراكي اليمني، وبالحرف قال:

نشد على يدك.. اكتب للطفل، وبمجرد أن تنتهي هذه الرواية التي ذكرت ارفعها إلي مباشرة، وسأعمل على طبعها في كتاب بعد عرضها على لجنة مختصة طبعاً.

وقد كان الدكتور سالم بكير أحد اعضاء هذه اللجنة وأجيزت الرواية.

إذن فقد رن الجرس "

لندع هذا الكلام جانباً، وقد شهدت بنفسي في مجلس ضم الأديبين حسين سالم باصديق وعبد الله باوزير قولاً للاستاذ القاضي يشبه ما ذكره في الكتاب، لكنهما أنكرا ذلك، ودار حوار أدى إلى شيء من الجفاف بسبب عدم اعترافهما بهذه الريادة المزعومة.

إلا أن أغرب ما في كتاب القاضي هو ما ذكره تحت عنوان رأي خاص، وهو يفتقد لأبسط حقائق الكتابة للأطفال وأبجدياتها، فلنقرأ[٥٠]:

---

(٥٠) سا . ص ٢٦ .

"يجد كتاب الطفل من الخرافات والخوارق التي يحويها كتاب "ألف ليلة وليلة" و"خاتم سليمان" و"البساط السحري" وغيرها من قصص الجن والجنيات والسحرة والساحرات، يجدون في كل هذه الخزعبلات مناهل غزيرة وسهلة التناول، يغترفون منها أفكارهم الضحلة، ويرحلونها للأطفال، متجنبين الاجتهاد والإبداع المستمد، من واقع الحياة المعاشة التي يجب أن يستوعبها الطفل بكل ما فيها من خير وشر، وكل ما من شأنه تنمية مداركه الاخلاقية، والعلمية وإذكاء مشاعره الوطنية والقومية بعيداً عن السرحان والهيام في عوالم خيالية لا مكان لها في دنيا الواقع.

وحجة هؤلاء الكتاب أن مثل هذه الأعمال تجتذب الطفل، تدهشه وتستثير خياله وإعجابه بما تحوي من غرائب وعجائب، ولاخروج في مثل هذه الأهداف عن أدب الطفل.

أقول نعم: إذا حصرت أهداف أدب الطفل فيما يدهشه، يعجبه ويستثير خياله. ولكن بالمقابل ألا تزرع مثل هذه الأعمال في نفس الطفل السلبية وروح الاتكال عند تعرضه لمواقف صعبة، حيث ينحصر نضاله على أمنية العثور على المصباح السحري أو خاتم سليمان ليتولى عفريت المصباح أو شيطان الخاتم عملية إخراجه من محنته بعد أن يقف أمامه صارخاً بصوتة الأجش: شبيك لبيك خادمك بين يديك.. أعتقد أن الوقت قد حان للانصراف عن مثل هذه الأعمال في كل ما يكتب للطفل في العالم العربي"

بعد هذا الرأي الذي لايحتاج إلى تعليق أود أن أختم مع الأستاذ القاضي برأي شديد الثقة والجرأة فيما يخص أدب الأطفال اليمني(٥١):

"ولكنني أملك ما أقول وبشجاعة أقول إننا في اليمن استطعنا أن نكتب أدباً للطفل لا يقل بحال جودة وإتقاناً عما كتب منه في العالم العربي على الأقل..

---

(٥١) سا . ص ٩٤ .

سواء في المحتوى أو المقومات الفلسفية التي يتطلبها أدب الطفل وذلك أننا بدأنا من حيث وصل إليه كتاب الطفل العرب في سلم التطور الابداعي لا من حيث بداياتهم الإرهاصية "

وطبعاً أدباء الأطفال الذين يجد فيهم الاستاذ القاضي كل هذا النبوغ هم:

حسين باصديق وعبد الله باوزير وعبده بعيصي وإدريس حنبلة وشفيقة زوقري ورمزية الأرياني وزهرة رحمة الله وأديب قاسم وعلي عوض باذيب وكمال الدين محمد وشفاء منصر ونجيبة حداد.. بالطبع دون أن يقدم لنا الكاتب نموذجاً واحداً لهؤلاء بل تحدث عن بعضهم حديثاً عاماً، مختاراً أن يصمت عن الشعر صمتاً كاملاً لا يرى فيه سوى إدريس حنبلة وعبده بعيصي وأحمد شريف الرفاعي.. أما ماذا قدم هؤلاء؟ ولو إلى حد تقديم نموذج واحد.. فلا!!

في رأيي إذا ليس من محاولة تستحق التعليق عليها في شعر الأطفال اليمني سوى ما قام به الشاعر المعروف علي أحمد باكثير مع أنها لا تحوي إلا أربع قصائد، ثلاثاً في ديوانه ورابعة عثرت عليها في كتاب مدرسي سوري.

سبق أن ذكرت أن الدعوة إلى العلم وإشراك الفتاة فيه سببت الكثير من الاحتجاجات الاجتماعية ومن قبل رجال دين فسروا الإسلام تفسيراً ضيقاً لا يتفق مع حقيقته.

باكثير ينتمي إلى محافظة حضرموت، وهي التي تعتز كثيراً وعلى نحو مبالغ فيه بما قدمته من علماء ومتعلمين ومثقفين.

وقياساً على الوضع اليمني حق لحضرموت أن تشعر بتميز واضح، فالهجرة منها نشطة إلى مختلف أصقاع الارض، ومنذ وقت مبكر، ومعلوم أن للهجرة بحد ذاتها فضلاً كبيراً في إخراج الناس من أوهام الانغلاق الكثيرة.

باكثير ابن لهذه البيئة، مع أنه ولد وعاش عدة سنوات في اندونيسيا (البلدالأكثر احتضاناً لأهل حضرموت) إلا أن باكثير في يفاعته كان متميزاً عن أقرانه، شديد

الثورة على ما حوله من أوضاع عندما مسّ باكثير هذه المقدسات في أعراف المجتمع اليمني، في حضرموت حورب إلى حد إجباره على مغادرة الوطن كله.

في محاولة مبكرة نجد لباكثير قصيدتين يخاطب فيهما تلاميذ المدرسة متغنياً بافتتاح مدرسة " النهضة " في مدينته، فيقول(٥٢):

جدوا تلامذة المعالي فالعلى	لا تجتنى بتكاسل وتوانِ
والعلم لا يزكو لغير مجاهد	جلد على أعبائه سهرانِ
وأبر من صحب الكريم علومه	في كل آونة وكل مكانِ
من لم يكن حلف العلوم فإنما	هو جلمد في صورة الإنسانِ
وتواضعوا، لا تكسلوا فالعلم	حرب للفتى المتكبر الكسلانِ
وتعاونوا في البر والتقوى ولا	تتعاونوا في الإثم والعدوانِ
تحيا البلاد بكم ويرغد عيشها	في ظل عدل وارف وأمانِ

ولن يصعب على أحد أن يلاحظ أن هذا الشعر وإن كان موجهاً إلى الأطفال لم يستطع بعد أن يأخذ بالشروط المعتادة في لغتهم، فجاءت القصيدة بشكل واضح قصيدة للكبار في لغتها وبنائها الايقاعي، وخاطبت الأطفال خطاباً من الخارج، وهو أمر نجده متكرراً في كل بلد عربي خاصة في البلدان الأقل نهوضاً وانفتاحاً على الفكر الحديث.

كما نجد لدى باكثير تقليداً لخطاب شائع في الشعر الذي دعا الأطفال إلى العلم، متوسلين إلى ذلك بالمواعظ المباشرة، والإشارات الدينية البارزة، والحكم والتوجيه وإطلاق الأوامر والنواهي بتقريرية باردة، الامر الذي نلاحظه في قوله(٥٣):

---

(٥٢) ديوان علي أحمد باكثير . ص ٦٧ .

(٥٣) سا . ص ٥١.

لا ينــال العلــم إلا بالنــصَبْ ومقاســاة عنــاء وتعــبْ

وامتطاء الجد فــي تحــصيله وسهاد الليل مع صدق الطلبْ

يابني" النهضة" جدوا في العلى لا يكون الشيء من غير سببْ

كل شيء كسبه مستعـصب فبجـد واجتهـاد يكتـسبْ

وافتخار المـرء بـالأخلاق والعلم أحرى لا بمال ونسبْ

والفتى من قوله هـا أنـاذا لا الذي يسمو بجـد أو بـأبْ

وهو فخـر وجمـال وكمـال وفـضل ورشـاد وحـسبْ

والزموا الآداب إخواني فـلا خير في علم بـلا حـسن أدبْ

وإذا كانت مقدمة المقدمات في التوجه إلى الطفل تتمثل في الحديث عن العلم والمدرسة في البدايات كلها، فإن الأم تأتي في صدارة ما على الشاعر أن يلفت نظر النشء إليه، وسيراً على هذا التقليد تطالعنا قصيدة ثالثة لباكثير بعنوان "الأم" ومن خلال هذا المدخل الإنساني الأثير لدى الجميع يواصل الشاعر دخوله في موضوعات أخرى، فيجدها فرصة ثمينة ليعرج على الدفاع عن تعليم الفتاة، وكشف زيف أعداء المرأة، لافتاً شعبه إلى ما هو فيه من تخلف مقيم، وبالطبع يعمد إلى استثارة ما في الشعب من حمية مذكراً إياه بماض زاهر يكاد يلفظ أنفاسه(٥٤):

الأم أســتاذ الأســاتذة الألــى شــغلوا العــصورْ

أصــل الــسعادة والــشقا أصــل البلابــل والــسرورْ

هــي مــصدر لجميــع مــا تحت الـسماء مـن الأمـورْ

ضل الألى ظنوا الظنــون وكلهــا كــذب وزورْ

أيكــون تعلــيم البنــات العلــم يورثهــا الفجــورْ

يــا أيهــا الــشعب الكــريم أمــا لموتــك مــن نــشورْ

هبــت شــعوب وارتقــت أمم وأنـت علـى الحـصيرْ

---

(٥٤) سا . ص ١٧٦ .

قومـــوا لمجـــدكم الوقيـــذ لعلــــه يومـــاً يثـــورْ

رفـــوا لــــه لا تتركـــوه يلفـــظ الـــنفس الأخيـــرْ

هذه الإرهاصات الشعرية شكلت البذور الأولى التي جعلت باكثير يصل إلى حد ناضج، حيث نشعر أنه كتب قصيدة للأطفال حقاً كما في "نشيد الأم" الذي كان من الأناشيد الجميلة التي حفظناها صغاراً(٥٥):

عيدك يا أمــي أبهــج أعيــادي

لولاك يا أمــي ما كان مــيلادي

* * *

أما في الكويت فتبدو الصورة مقبولة قياساً إلى الجزيرة والخليج، فمنذ وقت مبكر انفتحت الكويت على العالم العربي والخارج أكثر من غيرها، واستقبلت معلمين عرباً من أقطار أكثر تطوراً، وأرسلت طلبة وطالبات للدراسة في الخارج، إن هذا الحراك خلق حالة من نهوض انعكست إيجاباً على الشعر..

وكان هذاالبلد كما ألمحت سابقاً قد شهد صراعاً فكرياً محموماً بين أنصار التعليم وأعدائه، فهذا صقر الشبيب يشن غارة شعرية على الخصوم قائلاً(٥٦):

تسموا بالديانة وهــي مــنهم على بعد النجوم من الرغــامِ

وقد خافوا شموس العلم تبدو فتظهــرهم كمــا هــم للأنــامِ

فراحوا يزعمون بــلا حيــاء بــأن العلــم مجلبــة الأثــامِ

وفي مكان آخر له (٥٧):

ما ضر قومي غير الجهل ليتهم عنه إلى العلم قبل اليوم قد مالوا

هداهم لنعيم العيش علمهــم فكل ما طلبوا من نيله نــالوا

---

(٥٥) النشيد والموسيقا . الفرا ص. ١٣٩. راجع النشيد كاملاً في المختارات الشعرية .

(٥٦) الشعر الحديث في الكويت . ص ١٦٧ .

(٥٧) سا . ص ٢٠١ .

وربما تعود أولى هذه الصيحات إلى زمن الشاعر حجي قاسم الحجي عام ١٩٠٣ عندما قال(٥٨):

بغير العلم لا يرجى سعود وهل بالجهل فاز الخاملونا

وقد كان قدوم البعثات العلمية مناسبة يحييها الشعراء بالقصائد(٥٩)، وتبلغ مكانة المعلم عند الشاعر عبد الله آل نوري حداً يقارن بأسمى البشر، فيقول هذا المربي الكبير(٦٠):

من ذلك البر الجواد بنفسه ليفيد غيرة

ويعيش طول حياته عيش الكفاف يذوق مرة؟

ذاك المعلم هل رأيت سواه شهماً فاق برَّه؟

يا وارث الرسل الكرام ومرشداً من ضل سيرة

يا ماحياً بالعلم ليل الجهل إن أطلعت فجرة

الفضل أنت غرسته ووضعت للناشين بذرة

وجناه من طلب العلا ومن اليراع سقاه حبرة

وفي ديوان الشاعر خالد الفرج نلتقي بقصيدة عنوانها "أنا هكذا" كتب تحت عنوانها "ألقاها طفل في احتفال مدرسي" حيث يخاطب الكبار مهيباً بهم أن يعرفوا كيف يوجهون الأبناء نحو العلم وأن يحموهم من الضياع(٦١):

يا سادتي هذي نواة منبوذة وسط الفلاةْ

تصلى بنيران السموم وتعتفي بالذارياتْ

حتى تجفَّ قشورها واللب يصبح كالفتاتْ

لكن إذا ما الوسم بللها بوبل الغادياتْ

---

(٥٨) سا . ص ٢٠٧.

(٥٩) سا .ص ١٢٢.

(٦٠) سا . ص ١٠٨ وله كتاب يروي فيه قصة التعليم في الكويت هو "قصة التعليم في الكويت في نصف قرن".

(٦١) ديوان خالد الفرج . ص ٢٣٢ .

وأتـــى الربيـــع بلطفـــه عـــادت بـــه روح الحيـــاةْ
تغري الثـــرى بعروقهـــا وتعـــود مثمـــرة النبـــاتْ
أنـــــا هكـــــذا.. أنـــــا هكـــــذا
يـــا ســـادتي والـــدر مثـــل الـــسر فـــي قعـــر البحـــارْ
ملقـــى كـــسائر مـــا هنالـــك مـــن رمـــال أو محـــارْ
حتـــى إذا مـــا افتكـــه الغـــواص مـــن ذاك الإســـارْ
يزهـــو علـــى أبهـــى النحـــور ويعتلـــي تـــاج الفخـــارْ
أنـــــا هكـــــذا.. أنـــــا هكـــــذا
أنا فـــي المرونـــة طينـــة فـــي طبعهـــا تتـــأثرُ
لكن متـــى مـــا أهملـــت يـــا ســـادتي تتحجـــرُ
يا سادتي

بناء القصيدة الموسيقي يلفت النظر، إذ قامت على وزن خفيف من مجزوء الرجز، ثم على تنويع واضح في التقفية، مع نهاية مقطعين نهاية تكرارية حرة القافية، ثم تأتي القفلة بحركة واحدة تفعيلياً مع قافية حرة أيضاً لا تجانس ما قبلها.

ثم نلتقي بعد ذلك بنمط من القصائد تتحدث عن الابن من خلال شكل من أشكال العاطفة حيناً، والوصف الأبوي له، أو مايشبه الوصية له.

الشاعر عبد المحسن محمد الرشيد يكتب في قصيدة "بني" أفكاراً تنتزع الطفل من عالمه، وتلقيه في قلب الهموم الكبرى وتعقيدات الحياة والعيش، ولا ينسى الشاعر بالطبع أن يوجه نصائحه لابنه، ويرى فيه صورة عنه في المستقبل[٦٢]:

بنيٍّ أتيـــت لهـــذي الحيـــاة كما جـــاء آبـــاؤك الأولـــونْ
بنـــي أتيـــت إلـــى عـــالم بنو الحق فيه هم الأضـــعفونْ

(٦٢) ديوان الشعر الكويتي . ص ٢٦٢.

فللظالمين تقام القصور | وللمصلحين تشاد السجونْ
وفرد ينعم في عيشه | وتشقى الألوف له والمئونْ
فكافح فدنياك دنيا الذئاب | يعيث كما يشتهي المفسدونْ
وكن ماهراً في اختيار الطريق | فما تاه في لجّها الماهرونْ
بني وما أنت إلا أنا | أراك فيرقص قلبي الحنونْ
وألثم فيك مناي التي | تباعدها عن مداي السنونْ
ستغدو فتى كالحسام الصقيل | ملء القلوب وملء العيونْ

أما الشاعر خالد سعود الزيد فإن قصيدته "ولدي" وصف أدبي جميل، وعاطفة أبوية زخاره نحو فلذة الكبد(٦٣):

على وجهه صورتي لويعي | وفي مقلتيه صدى منبعي
وفي صوته بحة حلوة | هي النغم الفرد في مسمعي
ويجلس مثلي إذا ما جلست ويعجبه حين يلهو معي
ويؤلمه أنني لا أحس إذا ما دعاني ولم أسمعِ
فيضربني لاهياً زاهياً | ويطرحني كي يرى مصرعي
وإن ردد القول لي: يا أبي | أجبت: نعم يا حشا أضلعي
وأشقى لتسعده حالتي | وأبكي لتضحكه أدمعي

في القصائد السابقة نحس بكبير يقف وراء الكلمات بظله القاسي، وأحياناً الثقيل، فما نطمح إليه في قصيدة موجهة للطفل أن تعذب وتسلس، تخفف من جهامة المفردات والجمل، ونحلم بشيء محلّق وبسيط يقترب من الطفل، ويؤجل ولو إلى حين حزمة الوصايا التي يتأبطها الشعراء ويلقون بها في وجه هذا الكائن الشفاف.

---

(٦٣) سا . ص ١٢٧.

على هذا النحو نستطيع أن نستقبل قصيدة جميلة للشاعر أحمد السقاف هي"يا طير يا عصفور يا أصفر" إذ يقول(٦٤):

يا طير يا عصفور يا أصـفرْ   مالي إلـى غيـرك لا أنظـرْ؟
يهنيك ما يسبي وما يـسحرْ   ومنظـر يـزري بـه منظـرْ
يـا طيـر يـا عـصفور يـا أصـفرْ

يا طير أعشاشك فيها العجبْ   لم ترَ عيني مثلها في الحقـبْ
كم غرضاً راعيت كم من سببْ   وكم عذاب ذقت كم من تعـبْ
يا طيـر يـا عـصفور يـا أصـفرْ

في آخر الأغـصان شـيدتها   كـالمهر للأفـراح أعـددتها
تهزها الـريح كمـا رمتهـا   أتقنـت مبناهـا وأحكمتهـا
يا طيـر يـا عـصفور يـا أصـفرْ

السهل بالخضرة ما أروعـه   والأفق الممطر مـا أوسـعهْ
وكـل واد أرضـه ممرعـه   والرزق ميسور فعش في دعهْ
يا طيـر يـا عـصفور يـا أصـفرْ

الله للزقزقـة الناعمـه   مـن أفـرخ عاريـة جاثمـةْ
تحـس بالأطعمـة القادمـه   تجلبهـا فـي نـشوة حالمـةْ
يا طيـر يـا عـصفور يـا أصـفرْ

في البناء العام لهذه القصيدة ما يرشحها لتكون خطوة متقدمة باتجاه الطفل، فهناك تركيز على التنغيم فالتقفيه شطرية، والقافية مقطعية إذ تتردد في كل مقطع، ثم تتبدل فيما يليه، ثم هناك تكرار جميل لشطر شعري يشكل لازمة لكل مقطع.

---

(٦٤) سا . ص ٦٥ .

وأجواء القصيدة شفيفة، تأخذ من عالم الطبيعة أجمل ما فيه، وطريقة الأداء متموجة لا تتوالى بشكل عادي، بل يميل الشاعر إلى وضعنا أمام مفاجآت تسري في مفاصل القصيدة من خلال تلك المشاهد الجذابة كما في المقطع الأخير.

محمد أحمد مشاري هو الشاعر الكويتي الوحيد الذي عرفناه يكتب القصة الشعرية للأطفال، وهو بذلك يتابع نهجاً عاماً لكل من كتبوا شعراً للناشئة كما كانوا يقولون، فهو بالطبع يعمد إلى حكاية معروفة فينظمها شعراً، سواء أكانت من تراث عربي أم غربي، الحكاية الأولى هي "السيل والجرذان" التي تبدأ[٦٥]:

تدفق من قمـــة وانحــدرْ   يزمجر سيل عظيم الأثــرْ

كثير المياه كثير الضجيجْ   قوي الهدير إذا مــا هــدرْ

وكانت تعيش مجموعة من الجرذان على ربوة في وسط الوادي، فساءها أن يحاول السيل أن يعلو عليها، ويتابع الشاعر:

فلما رأته الجماعة صاحت   تولول في غضب مستعرْ

سنـسحقه قطــرة قطــرة   وندفنه في بطون الحفرْ

ولكن:

وما هي إلا دقائق حتـــى   طغى السيل فوقهم وانحدرْ

وعمَّ الهدوء ولم يبــقَ إلا   ضجيج المياه كصوت القدرْ

كذا الحق سوف يزيل الطغاة   إذ اعترضوا زحفه المنتظرْ

أما حكاية "الليث وصاحباه" فمن مشاهير الحكايات، ولم يملَّ الشعراء من إعادة نظمها، إذ خرج الأسد والذئب والثعلب إلى الصيد، وعندما عادوا بما اصطادوه طلب الأسد من الذئب أن يقسم بينهم[٦٦]:

---

(٦٥) سا . ص ٣٧٢ .

(٦٦) سا . ص ٣٧٤ .

فاعتدل الذئب وقال صدقا سوف أراعي ما أراه حقـا
أما الحمار المترف العجيبُ فإنــه لـسيدي نـصيبُ
ولي أنا الغزال أما الثعلبُ يبقى له من بعد ذاك الأرنـبُ
فلم يكد ينطق حتى صفعهْ بكفه الليث فأدمى أضـلعهْ

بعدها يطلب من الثعلب أن يعيد القسمة وهنا أظهر الثعلب دهاءه المعروف:

تنحنح الثعلب وهو الماكرُ وهو بمـا يقولـه يحـاذرُ
دمت.. لك الحمار للغـداءِ وبعـده الغـزال للعـشاءِ
وبعد ذاك الأرنب الصغيرُ لـسيدي ومـالكي فطـورُ

وينهي الشاعر الحكاية بقوله:

فابتسم الهزبر في انشراحِ وقال: حكم عادل يا صـاحِ
لكن أفدْ بالله من ذا علَّمكْ عدالة الحكم ومن ذا فهمكْ
فقهقه الثعلب حتى استلقى وقال: إني سوف أحكي الصدقا
الدرس قربي ها هنا مكتوبُ وإنه هذا الـدم المـسكوبُ

والحكاية الثالثة "الذئاب والغزلان" وفيها أن ذئاباً وغزلاناً باللون نفسه عاشت في غابة، فكانت الذئاب تختلط بالغزلان فلا تعرف(٦٧):

وهكـذا ينخـدع القطيـعُ بالذئب إذ يدنو فـلا يريـعُ
فينعم الـذئاب كـل يـومِ باللحم منه دون أي لـومِ

ثم جاءت غزلان أخرى ذات لون مختلف، فراحت الذئاب تسطو على غزلان الأمس:

وشـعر الجميـع يومـاً بـالخطرْ وأن نقصاً في الصفوف قد ظهـرْ
فخافت الـذئاب كـشف الأمـرِ وصـممت خطتهـا فـي الـسرّ

---

(٦٧) سا . ص ٣٤٨ .

فنادت الغزلان، واتهمت الذئاب الغزلان ذات اللون المختلف بذلك، فاجتمعت مجموعة ذكية من الغزلان وقالوا:

يا قوم لا تصدقوا الخديعةْ فقد أرادوا بيننـــا الوقيعـــةْ

يا قوم يا إخوان يا أصحابُ العقل والمنطق والـــصوابُ

أليس هذا منتهى المحـــالِ أن يعطف الذئب على الغزالِ؟

ولعبد الله سنان حكاية مشوّقة بعنوان "العقرب" التي ادعت أنها كفت عن عادة العدوان إلى أن تحن إلى ماضيها الذي يدفعها طبعها إليه، فراحت تلسع من تصادفه فعلتها النعال بالضرب[٦٨]:

إن طبع السوء من أخلاقها لم تحد عنه شمالاً أو يمينْ

كامن كالنار في صــمِّ الــصفا هكــذا طبـــع اللئـــام الأرذلـــينْ

. . . .

في حدود سعينا الحثيث لم نستطع الوصول إلى شعر مكتوب للأطفال في قطر والإمارات العربية المتحدة وإن كنا نشهد اهتماماً مشهوداً بأدب وثقافة الطفل في بعض الإمارات كالشارقة وأبو ظبي على وجه الخصوص من خلال المسابقات المخصصة لأدب الطفل، ولكن الملاحظ أن الفائزين والذين تطبع لهم الكتب في هذين البلدين هم من أقطار عربية على رأسها سورية ومصر والعراق.

ولدى اطلاعي على دواوين الشاعر البحريني ابراهيم العريض لفت نظري بقدرته على القصّ الشعري، واللغة العذبة، والتركيب السليم وهذا مما نفتقده في بعض ما قرأناه لشعراء من الإمارات، وفي ديوان العريض قصيدتان طفوليتان الأولى " ليلاي " وقد أهداها لابنته، ويقول فيها[٦٩]:

---

(٦٨) سا . ص ٢٤٢ .

(٦٩) شموع . ص ٨٣ .

وكيـــف أنـــساك بنتـــي		إذ كنت في المهــد طفلــة
وكـــــل دنيــــاك زنــــد		وكــــــل زادك قبلـــــــة
وتنطقـــــين فـــــأهفو		كأنمـــا الكـــون حفلـــة

. . . .

ولـــست أنـــساك بنتـــي		إذ كنـــت بعـــد غريـــرة
تلهين في العــش شــدواً		كأنــــك العـــــصفورة
عليـــك ثـــوب طويـــل		وفـــي يمينـــك صـــورة

وفي حكاية شعرية باسم " حديث دمية " نقرأ للشاعر نفسه مدفوعاً بحنان جياش نحو ابنته(٧٠):

مدت إليها الأم راحتيهـــا		كأنهـــا صـــورة الحنـــانِ
خفيفة الظـل ذات زهـــو		تنعس في جفنها الأمـــاني
عالمها لو تــرى صــغير		لكن لها فيه ألــف شــانِ
بين يـديها الحيـاة حلـم		فهي من الليل فـــي أمـــانِ

إن هذه الومضات التي تصادفنا بين الحين والآخر لا تشكل نصوصاً مكتوبة بوعي كقصائد للأطفال، مراعية مالهذا التوجه من شروط، بل هي إرهاصات بهذا اللون من الكتابة، أو تمهيد له، أو باعث على البدء به، ولعل ما قدمه علي الشرقاوي يعد أشهر ما قدمته البحرين حتى الآن.

وقد يخطر سؤال في ذهن أحدكم.. وأين بلدان عربية أخرى.. موريتانيا والصومال وجيبوتي والسودان، وأقول في حدود الاطلاع أن هذه البلدان لم تعرف بعد شعراً مكتوباً للأطفال، وبعضها ضعيف الصلة بالعصر من خلال العربية كما في الصومال وجيبوتي، أما موريتانا فتقاليدها الشعرية

---

(٧٠) سا . ص ٧٤ .

ما زالت شديدة التقليدية، وهذا الإطار لا يسمح بولادة شعر للأطفال، فاللغة التي يطلبها هذا الشعر لابد أن تمر بمرحلة تتخلى فيها عن تقليديتها وميلها للزخرفة والمحسنات اللفظية، إلى جانب المحدودية في النهضة التعليمية والحضارية عموماً.

والسودان مختلف قليلاً، واستطعت أن أحصل على قبسات عابرة تدعو للتعليم وتعليم المرأة كما فعل الشاعر عبد الله محمد البنا(٧١):

فعليك بالأم الرقيقة إنها ... هي مرشد ومعلم ومهذبُ
واهجر سبيل الجاهلات فإنما ... بالجهل تمتهن البلاد وتخربُ
وعليك بالمتعلمات فإنما ... ترجو ملائكة السماء وتخطبُ
ويرى بهن الطفل في أطواره ... ما يرتقي بخلاله ويهذبُ
تلك التي بوجودها نال العلى ... وحوى المكارم كلهن المغربُ

وهناك قصيدة للشاعر بابكر بدري قالها من أجل محفوظات البنات في مدرسة قرية رفاعة، وهي كما سنرى لا تراعي خصوصية الطفولة مع أنه كان ناظراً للمدرسة نفسها عام ١٩٠٣ وصار مفتشاً للمعارف السودانية عام ١٩١٩(٧٢):

أصون لزوجي ماله كل لحظة ... وأحفظه في عرضه وعياله
وأرعى له حق الإله وحقه ... وأجعل سمعي مصغياً لمقاله
وإن سامه مرٌّ وإن عضه أسى ... أكون له عوناً لصالح حاله
وإن يؤذني في غير ما منه سبة ... تحملته لله أو لخلاله
بذا والدي أوصى وإني بنته ... أوافقه في قوله وفعاله

---

(٧١) شعراء السودان . ص ١٦٤ . .

(٧٢) سا . ص ٩٨ .

ومع أن السودان لديه شعراء مهمون، إلا أنني لم أفلح في العثور على شعر جميل مكتوب للأطفال من قبل محمد المجذوب أو تاج السرحسن أو محمد الفيتوري أو محمد عبد الحي على سبيل المثال، ووجدت نصاً يتيماً ينتسب إلى شعر الأطفال الحقيقي للشاعر محمد الأمين يوسف بعنوان "أغرودة السلام"(٧٣):

نحن الأطفال لنـــا شـــانُ	ولنا فـــي العـــالم إخـــوانُ
في الأرض ربيع وحنـــانُ	وبنـــا تخـــضر الأوطـــانُ
وغـــداً نبنيهـــا دنيانـــا	بالوحـــدة تـــصبح بـــستانا
بـــالخير مليئـــاً نـــديانا	والكـــل يغـــرد فرحانـــا
ولنا فـــي العـــالم أحـــلامُ	أمـــن موفـــور وســـلامُ
تعلـــيم ســـهل وطعـــامُ	وإخـــاء.. حـــق.. ونظـــامُ
وطني العربـــي ينـــاديني	وأخي في الكون يساويني
بالعدل تفـــيض مـــوازيني	والله كفيـــــل يحمينـــــي

---

(٧٣) أغنيات للاطفال . عمان ١٩٩٩ . ص ٥٧ .

الباب الثامن

قضايا نقدية

الفصل الأول

لافونتين وشعر الأطفال العربي

يظن أحياناً أن حكايات لافونتين من التراث الشعبي الغربي، حتى إن شعراءنا الأوائل كانوا يشيرون بفخر إلى أنهم تأثروا بحكاياته فنقلوها شعراً إلى العربية كما فعل الشاعر أحمد شوقي.

والمسألة في نظري تحتاج إلى وضعها في إطارها الصحيح، حتى نعرف على وجه الحقيقة أمر تلك الحكايات التي ذاعت في العالم باسم حكايات لافونتين (١٦٢١ – ١٦٩٥) فمن المعروف أن مصدر هذه الحكايات شرقي في الغالب الأعم، مع حكايات إيسوب اليوناني الذي يرجع الكثير من حكاياته إلى أصول شرقية أيضاً.

من مصادر لافونتين الكبرى كتاب كليلة ودمنة، فقد عرف العالم كتاب الهندي بيدبا من خلال ترجمته العربية التي نقلها ابن المقفع.. ولسبب ما فقد الأصل الهندي والفارسي للكتاب، فعاد الفرس إلى نقل الترجمة العربية إلى الفارسية مرة ثانية على يد حسين واعظ كاشني في أواخر القرن الخامس عشر الميلادي، ثم نقلت هذه الترجمة إلى الفرنسية على يد داود ساهد الأصبهاني عام ١٦٦٤[١]، تقول الدكتورة نفوسة زكريا سعيد[٢]:

---

(١) خرافات لافونتين في الأدب العرب . سعيد .

(٢) سا . ص ١٥ .

"ولعل لافونتين اطلع عليها، وعرف عن طريقها بيدبا الذي يعترف لافونتين نفسه بأنه كان من مصادره حيث يقول في مقدمة المجموعة الثانية من خرافاته "ليس من الضروري فيما أرى أن أقول من أين استقيت هذه الموضوعات الأخيرة غير أني أقول فقط اعترافاً بالفضل أني مدين في أكثرها لبلباي (بيدبا) الحكيم الهندي الذي ترجم كتابه إلى كل اللغات."

وتؤكد نفوسة أن حكايات كليلة ودمنة نظمت شعراً على يد علي بن داود وبشر بن المعتمر وأبو المكارم أسعد بن خاطر وأبان عبد الحميد وابن الهبارية وابن مماتي والصاغاني وجلال الدين النقاش.(٣)

شرع لافونتين في كتابة حكاياته شعراً وهو في السابعة والأربعين من عمره، ونشرها في اثني عشر جزءاً بين عامي ١٦٦٨ - ١٦٩٤ مهداة إلى لويس الرابع عشر.

إلا أن لافونتين تصرف بالتراث الخرافي والأسطوري الذي تعامل معه بإبداع، وإلى هذا أشار قائلاً حسب ترجمة حسيب الحلوي في كتاب له عن الأدب الفرنسي صدر في حلب عام ١٩٥٢(٤):

بعض المقلدين أعترف بأنهم كالحمقى من الأنعامْ
إذ يتبعون راعي "مانتو" تماماً كالأغنامْ
إنني أتصرف على وجه آخر، فحينما يؤخذ بيدي فأنقادْ
كثيراً ما أسير وحدي سعياً وراء السدادْ
سترون أنني أفعل مثل هذا على الدوامْ
فما كان اقتدائي أبداً بعبودية واستسلامْ
لا آخذ غير الفكرة والطريقة والقانونْ
التي كان أساتذتنا أنفسهم يتبعونْ
على أنه أعجبني عندهم بعض المواضع الرائعاتْ

---

(٣) سا . ص ١٦ .
(٤) سا . ص ٣٦.

وأمكن أن تسلك بين أشعاري من غير إعنات
فأنا أنقلها، وأريد أن أتقي التكلف العقيم
حين أن أجهد أن أسم بطابعي ذلك اللحن القديم

لقد نجح لافونتين على ما يبدو في جعل الخرافات والقصص التي تناولها عملاً فنياً، إذ وضع نصب عينيه تخليصها من التعليمية المباشرة، وأضاف إليها الكثير من التفاصيل التي تمنحها الحيوية والمتعة(٥).

وأول من ترجم لافونتين إلى لغتنا هو رفاييل زخور الأديب السوري الذي كان صاحب الكتاب الأول الذي طبعته مطبعة بولاق عام ١٨٢٢(٦)، لكن هذه الترجمة لم تصلنا، ثم جاء بعده محمد عثمان جلال في كتابه "العيون اليواقظ في الأمثال والمواعظ" الصادر في منتصف القرن التاسع عشر، ثم عاد ونقل بعض هذه الحكايات شعراً كل من عبد الله فريج وإبراهيم العرب وأحمد شوقي.

في سورية ظهرت ترجمات متفرقة عن لافونتين لعل أولها كتاب "نوادر وفكاهات من أحاديث الحيوان " الذي ضم العديد منها لواضعه إلياس عبده القدسي (١٨٥٠ - ١٩٢٦) والطريف أن القدسي قد صاغ كتابه باللهجة الدمشقية على طريقة (القرّادي)، وكذلك فعل مصطفى خلقي في "وظائف الأطفال" في مطلع القرن العشرين (٧).

في المغرب العربي يبدو أن الشاعر مصطفى آغه قد نقل عن لافونتين في كتابه "الأمثال على ألسنة الحيوانات" إذ سرت في مطلع القرن العشرين موجة من إعادة كتابة لافونتين شعراً.. وهذا ما فعله الشاعر المغربي الشهير علال الفاسي الذي ترجم مجموعة من تلك الحكايات هي "العربة والذبابة" و"الحطاب والموت" و"اللبانة وزير الحليب" و"الثعلب والتيس" و"الرجل وولده وحمارهما" و"الفلاح وولده"

---

(٥) راجع للتفصيل كتاب خرافات لافونتين . سعيد .
(٦) تاريخ الترجمة .... الشيال . ص ٧٦ .
(٧) الحركة الأدبية ... لوقا . ص ١٧٤ - ١٧٥ .

مما هو موجود في الجزء الثاني من ديوانه، ومن هذه الحكاية سأقدم هذا النموذج الذي عنونه الشاعر "العربة والذبابة"[8]:

بعقبــات صــعبة رمليــةْ
مملوءة بالشمس والأذيــةْ
جرت خيول ســتة لعربــةْ
من بعدما أنزل من بالمركبةْ
من سلعة وعاجز ونــسوانْ
وزاهد والكل عــان تعبــانْ
واقتربت ذبابة مــن خيلهــا
زاعمــة إســعافهم بفعلهــا
سيّارة القوم لأعلى وصــلتْ
فرجت الذبابــة اســتراحه
إذ بلغت أصحابها للــساحه
قالت على الخيل أداء الثمنْ
تلسع هذا وتتــكّ صــاحبه
وهي لبعثهم بذاك حاســبه
على الشواهد وفي الأمــامْ
ومــشت الآلــة للأمــامْ
وإذ رأت أصحابها يمــشونا
غنّت بمجدها الوحيد حينــا
مشت وعادت وأتت بحركةْ
مثل مقدّم يخوض المعركــةْ
يسير في كل طريق وعــرِ

(8) ديوان علال الفاسي ٢ / ٣٧٢.

يدفع جيشه لنيل النصرِ
وفي قضاء حاجة العمومِ
تشكو الذبابة من الهمومِ
لأنها وحيدة في الفعلِ
ولا فتى يبذل عون الخيلِ
قد ترك الزاهد كتب الذكرِ
وغنت المرأة حلو الشعرِ
أما الذبابة فغنت لعبا
بأذنهم وجشمتهم أضربا
وبعد أشغال كبار بذلتْ
لأنني شاركتهم في المحنِ
كذاك بعض الناس يدخلونْ
في فعل غيرهم ويقلقونْ
ويعملون عمل الذبابِ
فواجب طردهم للبابِ

وممن نظم من حكايات لافونتين مصطفى الرافعي في قصيدة "صياد الجراد"[٩]:

إن فتى صيادا	تتبّع الجرادا
بسلة كانت معهْ	يلقى بها ما جمّعه
ولم يزل يصطادُ	وعزمه يزدادُ
حتى أصاب عقربا	فظنّ فيها مأربا
فلدغت إصبعهُ	تريد أن تردعهُ
وأقبلت تقولُ:	يا أيها الجهولُ
لا تبسط اليدينِ	حتى ترى بالعينِ

(٩) المحفوظات المختارة . عباس ١ / ٣ .

وفي "المثل المنظوم للمدارس" للشاعر اسكندر الخوري عدد من حكايات مشابهة، أعاد نظمها شعراً كما في "الغراب والحجلة":

رأى غـــراب حجلـــةً　　تـــدرج لا مـــستعجلةْ
راقـــت لـــه مـــشيتها　　لمـــا رآهـــا مقبلـــةْ
وقـــال مـــشي ســـاحر　　مـــدلل مـــا أجملـــةْ
وودّ أن يمـــشي كمـــا　　تمـــشي معـــدّاً أرجلـــةْ
حاول لكـــن لـــم ينـــل　　من مـــشيه مـــا أمّلـــةْ
وراض نفـــسه علـــى　　تقليدها فـــي الحنجلـــةْ
لكنـــه خـــاب ولـــم　　يفـــز بغيـــر الحوقلـــةْ
وراح كـــي يمـــشي كمـــا اعتـــاد فكانـــت مـــشكلةْ
إذ صادف الأمر الـــذي　　حيّـــــره وجفلـــــةْ
قـــد نـــسي المـــشي الـــذي اعتـــاد فعـــضّ أنملـــةْ

كذلك فعل الشاعر جبران النحاس في "المعلم والغريق" على سبيل المثال لا الحصر(١٠):

مهما أتى التوبيخ من إفـــادةْ　　فهـــو بغيـــر وقتـــه بـــلادةْ
وغالباً يقـــرع صـــمّ الـــسمعِ　　وكم أتـــى بالـــضر لا بـــالنفعِ
من ذاك ما جرى على ابن غرّ　　سقط من نزقـــه فـــي النهـــرِ
وكان وقت البرد والعواصـــفِ　　والنهر ماعج كـــسيل جـــارفِ
لكـــن لبختـــه ولطـــف ربـــه　　نشب غصن شائك في ثوبـــه
فبات يستغيث وهـــو عـــالقْ　　والماء كالموج عليـــه دافـــقْ
وبينما الفتى على وشك الغرقْ　　شام مربيه وما فيـــه رمـــقْ
فقال يا مـــولاي نـــج التائبـــا　　فوقف الأســـتاذ فيـــه خاطبـــا

---

(١٠) مدارج القراءة . همام ٤ / ٣١٥ .

وقــال بــسم الله رب الـلات ... ورازق البنـــين والبنـــات
والحمـــد لله الـــذي بيـــده ... موت عـداه وحيـاة عبـده
وأطيــب الـصلاة و الـسلامِ ... على محيـا رسـله الكـرامِ
كم نبهتك قبل منـي الخطـبُ ... وأنت عن نـصحي لاه لعـبُ
لله ما أصعب تهـذيب الولـدْ ... لله مـا أبعـده عـن الرَّشـدْ
لله مـــا أشـــقى حيـــاة الأمّ ... فكـم ينالهـا بـه مـن غـمْ
والطفل بين ذا ينادي: سيدي ... بجاه خالق السما خـذ بيـدي
وإنما الأستاذ كـان شـارحا ... منبهاً طوراً وطـوراً ناصـحا
يـــنظم مـــن درره القلائـــدا ... ويورد الأمثـال والـشواهدا
وغرق الطفل ومـات مأكـل الأسـماك والخطـاب بعـد مـا اكتمـلْ

ويترجم إسماعيل سري الدهشان ما عنوانه "فوائد القصص" للافونتين ونصه[11]:

خذ عن البهم حكمة أو حصافةْ ... ضـمنتها حكايـة أو خرافـةْ
كم تعاف النفوس قول حكـيم ... فإذا صيغ قـصة لـن تعافـةْ
وانظر الاقتصاد في النمل وانظر ... همة النحل واظراف الزرافـةْ
لا تظن الـذكاء وقفـاً علينـا ... فاحتكار الذكاء للنـاس آفـةْ

كذلك نجد الشاعر محمود غنيم في قصيدة "الضفدعة المغرورة" يعيد صياغتها حكاية أخرى[12]:

ثور من الثيران كـان يرتـعُ ... حول غدير نقّ فيه الـضفدعُ
فأكبر الـضفدع منـه شـكلهُ ... وقال: ليتنـي أكـون مثلـهُ!
فانطلقـت ضـفدعة تقـولُ: ... هل دون ذاك حائـل يحـولُ؟
قالت لها ثانية: يـا للعجـبْ! ... أين مضى عقلك أين؟هل ذهبْ؟

---

(١١) مجلة أبولو . يونيه ١٩٣٣.

(١٢) ديوان محمود غنيم ١ / ٢٨٥ .

إنك يا أختي جهلــت قــدركِ لن تستطيعي أن تكوني غيركِ
فقالت الأولى: غــدا تراني عيناك من فــصيلة الثيــرانِ
وتبــصرينني أجــرّ النورجــا وتسمعين لي خواراً مزعجــا
وانطلقت تجري إلــى الغــديرِ تفرغه في جوفهــا الــصغيرِ
لعلهــا تبلــغ مـــا تريــدُ حجماً كحجم الثــور أو يزيــدُ
فما احتست كوباً ولا إبريقــا بل مزقت أحــشاءها تمزيقــا
فأنــشدت ضــفادع الغــدير: هذا جزاء الجاهــل المغــرورِ
كم طالب بجهله ما ليس لــهْ أضاع وقتــه وأدنـــى أجلــهْ

وإسماعيل صبري شاعر آخر كتب قصة "الثعلب والغراب" المشهورة بطريقته[١٣]:

أبصر الثعلب الغراب على غصن نضير في روضة غناءِ
ورأى قطعة بفيه من الجبنة تزري بالفــضة البيــضاءِ
خير ما تنتقي وأطيب ما تخطف من مأكل لصوص الهواءِ
فاشتهاها وقال إن لم تكن لي أنكرتنـــي ثعالـــب الغبـــراءِ
ارفعيني يا قوة المكر إن لــم تنزلي الجبنة التيَ في السماءِ
ثم أنشا يثني وينصب أشــرا كاً وشر الأشراك بعض الثناءِ
قائلاً يا أمير عم كــل صــبح صائحاً صادحاً وكــل مـــساءِ
هات زدنا علماً بقدرك يا مولاي من أنت من بني العنقــاءِ
أغراب ؟ تبارك الله آمنّا بفضل الغربـــان أهــل العــلاءِ
ألق درساً على البلابل غلمانك في الفن يا أبا الفــضلاءِ
وترنم بمن أفاض على حلقك ما لم يفض على الورقـــاءِ

* * *

---

(١٣) الشعر القصصي . محسن . ص ٣٨.

كلمات أصغى الغبـي إليهـا فاعتراه مس مـن الخـيلاء
وتغنـى فلـم يحـس بمـا ألقـاه فـي فـخ أشـعر الـشعراء
بل رأى الجبنة الشهية تهوي فبكاهـا ولات حـين بكـاء
وتلقـى اللـص الغنيمـة واسـتأذن فـي الحـال زاهـداً فـي الغنـاء
قائلاً: طبت يا مغني الندامى غن غيري قد حان وقت غدائي

الغراب:

أيها الثعلب ارتحـل لا هنيئـاً لا مريئـاً يـا ألأم اللؤمـاء

الثعلب:

أيهـا الطـائر الغبـي تعلـم ذا جزاء الأغـرار والجهـلاء

الغراب:

لم تزد يا أبا الحصين على أو لاد حواء في ضروب الـدهاء
إن منا من ينصب البيت فخـاً لاقتناص القصر الرفيع البناء
فـإذا مـد للـسماء يمينـاً سل منها كواكـب الجـوزاء
بعضنا لا يزال في إثر بعـض ناهباً سـالباً بـلا اسـتحياء
فتعوذ مـن هـؤلاء وحـاذر لا تكن إن عددت من هؤلاء

سيعود الشاعر السوري نصرة سعيد إلى نظم هذه الحكاية في "الغراب والثعلب" وبطريقة حوارية مشابهة، ولأنها طويلة قليلاً فسآخذ ما يقارب نصفها(١٤):

قـالوا بـأن صـوتكْ من أجمـل الأصـواتِ
يا خيـر طيـر ليتـك تـسمعني نغمـاتِ
غنـاك فنّـي أرجـوك غـنّ
مولاي ذا الصوت الرخيم وصاحب الذوق السليمْ

* * *

---

(١٤) النشيد والموسيقا . القدسي . ص ٩٤ .

سرّ الغراب المغتر إذ فتح المنقارا
صاح بصوت منكر يقلد الهزارا
اسمع غنائي: قاقو ققائي...
وفجأة جبن الغبي هوى أمام الثعلبِ
والثعلب المحتال انقض يغزو الجبنا
قد صحّت الآمال ونال ما تمنّى
فصار يفرح يزهو ويمرحُ
مفتخراً بفعله وهائناً بأكلهُ

* * *

وقال للمخدوعِ: يا أبشع الطيورِ
أشبعت منك جوعي بالمدح والتكبيرِ
نلت مرامي فاسمع كلامي:
من يكثر المدائحا يقصد به مصالحا

وللشاعر أحمد الكاشف ثلاث حكايات في ديوانه هي "الظبي الذي رباه الخنزير" و"الجمل والحشائش" و"النعجتان" التي يقول فيها(١٥):

في وسط قنطرة تلاقت ذات يوم نعجتانِ
بالكبرياء شهيرتان غليظتان عنيدتانِ
إحداهما نظرت إلى الأخرى بعين الإمتهانِ
ودنت تصيح الآن لي أخل الطريق بلا تواني
فأجابت الأخرى بكبر لست أبرح عن مكاني
واشتد بينهما اللجاج فهاجتا تتدافعانِ
حتى هوت في لجة اليمّ الخضم الإثنتانِ
عظم المصاب فصاحتا مما جرى تتأسفانِ

---

(١٥) ديوان الكاشف . ص ٨٥.

وتتبع تأثير لافونتين في شعر الأطفال العربي قد يستغرق صفحات طوالاً من هذا البحث إذ درج الشعراء على صوغ واحدة من حكايات لافونتين مجدداً..

لكنني أود الإشارة إلى أن تأثير هذه الحكايات قد وصل إلى الشاعر السعودي أحمد بن مشرف في عدة حكايات منها "حكاية الدب وانعكاس قصده الجميل لحمقه"[١٦]:

روى أولــو الأخبــارِ	عــن رجــل ســيّارِ
أبصر فــي صــحراءِ	قبيحـــة الأرجـــاءِ
دبــاً عظيمــاً موثقــا	فــي ســرحة معلقــا
يعوي عــواء الكلــبِ	مــن شــدة وكــربِ
فأدركتـــه الـــشفقةْ	عليــه حتــى أطلقــهْ
وحلـــه مـــن قيـــدهِ	لأمنـــه مـــن كيـــده
ونام تحــت الــشجرةْ	منام من قد أضــجرهْ
طول الطريق والسفرْ	فنام من فرط الضجرْ
فجـــاء ذاك الـــدبُّ	عـــن وجهـــه يـــدبُّ
فقـــال هـــذا الخـــلُّ	جفـــاه لا يحـــلُّ
أنقذني مـــن أســـري	وفـــك قيـــد عـــسري
فحقـــه أن أرصـــدهُ	من كل سوء قــصدهُ
فأقبلـــت ذبابـــةْ	تـــرن كالربابـــةْ
فوقعـــت لحينـــهْ	علـــى شـــفار عينـــهْ
فجاش غــيظ الــدب	يـــسيمه عـــذابا
فأســـرع الـــدبيبا	لـــصخرة قريبـــا
فقلهـــا وأقـــبلا	يسعى إليهـــا عجـــلا

(١٦) ديوان ابن مشرف . ص ٢٣٨ .

حتـــى إذا حـــاذاهُ صـــك بهـــا محيـــاهُ
ليقتـــل الذبابـــة قـــتلاً بـــلا إرابـــة
فرضَّ منـــه الرأســـا وفـــرّق الأضراســـا
وأهلـــك الخلـــيلا بفعلـــه الجمـــيلا
فهـــذه الروايـــة تنهى عـــن الغوايـــة
في طلـــب الـصداقة عند أولـــي الحماقـــة
إذ كان فعـــل الـــدبِّ هـــذا لفـــرط الحـــبِّ
وجاء فـــي الـــصحيحِ نقـــلاً عـــن المـــسيحِ
عالجـــت كـــل أكمـــة وأبـــــرص مـــــشوّة
لكنني لـــم أطـــقِ قط عـــلاج الأحمـــقِ

ومن أواخر تأثيرات هذه الحكايا كما أظن ما كتبه جميل سلطان في مرحلة متأخرة مستلهماً واحدة من قصص لافونتين المشهورة بعنوان "الحطاب والموت"(١٧):

شكا الحطاب من حمـــلِ ثقيـــل لـــيس يحتمـــلُ
فألقـــــاه لجانبـــــه وأنـــشأ عنـــه ينفتـــلُ
وقال: الحمل يهلكنـــي فـــلا أســـطيع أنتقـــلُ
وعيشي كلـــه بـــؤس وثقلـــي فوقـــه ثقـــلُ
لو ان الموت يـــدركني إذن ما هـــدّني عمـــلُ
وكنت أمـــوت مرتاحـــاً فـــلا هـــم ولا شـــغلُ
ولكن طال بي عمـــري وبؤسي فيـــه متـــصلُ
فأين المـــوت ينقـــذني إلـــيّ إلـــيّ يـــا أجـــلُ

* * *

---

(١٧) الجديد . سلطان للسادس . ص ٢١٩.

ولاح الموت في لحظ ... مهيب كله شعلُ
وقال: دعوت من لبّى ... فما بك أيها الرجلُ
أأنزع منك ما تحيا ... به أم ما الذي تسلُ؟

* * *

فقال هلمّ حمّلني ... فإن الحمل محتملُ
وسر عني فما لي في ... لقائك ها هنا أملُ
سأحمل كل أحمالي ... فلا شكوى ولا مللُ
وليس يسوؤني عمل ... وليس يهدني جللُ
على ألا أراك هنا ... فهل عني سترتحلُ
ألا عجل وأفسح لي ... طريقي إنني عجلُ
ورح في ما شغلت به ... فإني عنك منشغلُ

ونكاد أن نقول الآن أن شعر الأطفال قد خلا من ظاهرة إعادة كتابة حكايات لافونتين، وآخر ما استطعت تسجيله من هذه التأثيرات قصيدة "المنجم" للشاعر حامد حسن(١٨):

خرج المنجم في ظلام الليل يرعى الأنجما
غضبت عليه الأرض لما راح يبحث في السما
فتعثرت قدماه في بعض الحجارة فارتمى
سالت يداه دماً وسال جبين صاحبنا دما
فبكى وأوه واستغاث مولولاً متألما

* * *

ورآه جدي في الطريق ممدداً فتبسما
وأكب يمسح وجهه وجبينه المتورّما

(١٨) مجلة " أسامة " . العدد ٨٣ / ١٩٨٢.

ومضى يعاتبـه وكـان عتـاب جـدي مؤلمـا:

يا من ترى ما في النجوم وأنت تمشي في العمى

يا من جهلت الأرض، كيف تريد أسـرار الـسما

إن هذا الإلحاح على إعادة نظم هذه الحكايات المشهورة جعلت الدكتور حسن محسن يقول إن لافونتين[19] *"المصدر الحديث للخرافة في الأدب المصري، ومن المعروف أن هذا الجنس (الخرافة) قد انتهى في صورته الغربية، فإذا كنا قد اقتبسنا بعض موضوعات من أدبنا العربي القديم، أو من كليلة ودمنة، فإن الأسس الفنية لهذا اللون، ظلت محاكاة لحكايات لافونتين."*

إن هذا القول الذي يعود في أصله إلى الدكتور محمود غنيمي هلال يحمل قدراً كبيراً من المبالغة والتعميم، لأن الشعراء العرب عندما ترجموا لافونتين لم يتقيدوا بحرفية الترجمة، فقاموا بعملية تعريب أو "تمصير" واضحة منذ محمد عثمان جلال، كما أن الحديث عن الأسس الفنية الخاصة ومرجعيتها "اللافونتينية" أمر غير دقيق، فقد ابتعد الشعراء بتجاربهم عن الأصل الفرنسي، ثم تعددت أساليبهم أنفسها، إضافة إلى أن أكثرية الشعراء لم يعرفوا الفرنسية أصلاً، وإنما كانوا يأخذون فكرة الحكاية أو أحداثها ثم يعيدون صياغتها نظماً.

إن هذه المبالغة في تأثير لافونتين دفعت الدكتور شفيق البقاعي إلى القول[20]:

"إن الشاعر محمد عثمان جلال (١٨٢٩ - ١٨٩٨) لم يبدع باختراع شيء جديد، *بل كان ناقلاً عن شعر لافونتين إلى اللغة العربية الحكايات التي أطلق عليها "العيون اليواقظ في الأمثال والمواعظ " التي وجدت استحساناً بين المثقفين والقراء، وهذا شأن طيب أعطى هذا النوع قبولاً محبباً."*

---

(١٩) الشعر القصصي . محسن . ص ٢٧ .

(٢٠) الأنواع الأدبية . البقاعي . ص ٤٢٢ .

إن هذا الكلام يدفعنا إلى القول إن كاتبه لم يقرأ كتاب جلال أصلاً، أو هو مأخوذ بالأصل الفرنسي، لأن محمد عثمان جلال أبدع جديداً كثيراً في كتابه، فهو لم يتقيد تماماً بالأصل، فقد كان يزيد أحداثاً، ويقوم بالتمصير والتعريب وهو واضح في أغلب القصائد، أما الأمر الآخر فهو أن المؤلف لم يقتصر في كتابه على حكايات لافونتين، بل ضمن كتابه الكثير من الحكايات العربية والشعبية المصرية مما لا يتفق مع هذا الإطلاق الظالم لعبارة أنه *"لم يبدع باختراع شيء جديد، بل كان ناقلاً."!!*

خاصة أن الكثير من حكايات ذلك الشاعر الفرنسي كانت شرقية الأصل، بل عربية قديمة، ودليلي على ذلك أن بعضها ورد في شعرنا أو نثرنا القديمين كما في شعر أمية بن أبي الصلت والنابغة الذبياني وغيرهما فيما بعد.

ولنتأمل على سبيل المثال في قول ربيعة الرقي[٢١]:

ظلمت كذئب السوء إذ قال مـــرة … لسخل رأى والذئب غرثان مُرْمِلُ
لأنت الذي في غير جرم شتمتني … فقال متى ذا ؟ قال ذا عــام أولُ
فقال: ولدت العام بل رمت غدرة … فدونك كلني لا هنـــا لـــك مأكــلُ

ثم يقول في القصيدة نفسها:

فأنت كـذباح العـصافير دائبــاً … وعيناه من وجد علـــيهن تهمـــلُ
فلو كان من رأف بهن ورحمـــة … لكفّ يداً ليست من الذبح تعطـــلُ
فلا تنظري ما تهمل العين وانظري … إلى الكف ماذا بالعصافير تفعـــلُ

إن عدداً من الشعراء كانوا يتصنعون ويباهون بأن تجربتهم هي أخذ من لافونتين مع إهمال لمصادر أخرى تعالياً يعكس ما يسمى بعقدة الخواجة تجاه الغرب.

إنني لا أقلل من أهمية لافونتين وانعكاس تجربته عربياً، بل أود أن أؤكد أن هذه الحكايات نفسها قد عرفها شاعرنا العربي في تراثه وفي القصص الشعبية وفي الكتب التي ترجمت لإيسوب اليوناني[٢٢] أو لقمان الحكيم وبعض قصص الأنبياء وكليلة ودمنة.

---

(٢١) شعر ربيعة الرقي . العاني . ص ٥٠ .

(٢٢) راجع خرافات إيسوب . السقا .

حكايات لافونتين أساساً لم تترجم شبه كاملة إلا عام ١٩٣٤ على يد نقولا أبو هنا، وقد صدرت عن مطبعة دير المخلص في صيدا بلبنان في ستة أجزاء مزودة برسوم مع كل قصة نقلاً عن الطبعة الفرنسية الأصلية.

أبرز ما عمله نقولا أبو هنا هو ترجمته الأمينة للنص الفرنسي، ولم يعمد إلى التصرف والزيادات على الأصل، وهذا ما ينطبق عليه كلام الدكتور البقاعي آنف الذكر.

ويظهر من تقريظ رافائيل نخلة اليسوعي للكتاب أنه قد قرر في مدارس كثيرة في لبنان *"لاقتضاء حاجة مدارسنا إلى الكتب التي يقصد بها تهذيب أخلاق الناشئة الحديثة بلغتنا العربية الفصيحة"* ويبلغ حماس هذا الكاتب للفرنسية إذ يتحدث عن كونها لغة للعالم *"لا يكون لهم عنها بديل إلى ما شاء الله"* [٢٣] وفي تهنئة الشاعر خليل مطران للمترجم وتقريظه للكتاب يقول[٢٤]:

"إذا كان نقل الشعر بالشعر من لغة إلى أخرى ممتنعاً، لتعذر الأداء الفصيح السليم، من غير الأخذ بالحيلة، أو اللياذ بالزيادة أو النقصان، ولتعذر التوافق في المذاهب والأساليب التي تؤثرها كل أمة في قريضها، ولأسباب جمة غير ما ذكرت ليست هذه الكلمة محل التوسع في الإبانة، فمن أشق ما يتكلفه المترجم نقل أساطير لافونتين بمثل ما نظمها فأحكمها وبمثل ما أوجز فأعجز في إنشائها وتقديرها واختيار ما كأنه لم يخلق إلا لها من الألفاظ والتراكيب والمصطلحات. وفوق هذا العناء عناء أبلغ منه وهو نقل هذه الأقاصيص إلى لغة الضاد في حين أن فحول الشعراء الغربيين، وآداب لغتهم مقاربة أو مشاكلة أحياناً للأدب الفرنسوي، قد أعيوا دون تصويرها مستكملة روعتها وبلاغتها والخصائص العجيبة التي انفردت بها.

ومع علمي ويقيني أن هذه الحقيقة لم تفتكم وأنها لو فاتتكم في بدء تصديكم لترجمة تلك الأساطير نظماً، لاجتزأتم منها بعضها وصدفتم عن سائرها، لقد استشففت

---

(٢٣) خرافات لافونتين ٦ / ٩١ .

(٢٤) سا . ٦ / ٨٨ .

في مطالعة المجلدين اللذين تفضلتما بإهدائهما إلي أنكم لشغفكم باللغة العربية ولرغبتكم في ابراز ما تجود به على عارفي أسرارها من مكنونات كنوزها التي تلائم كل مقال في كل مقام، قد استهدفتم لمداعبة الخطر، في سبيل إكسابها ذلك الخطر.

وانه ليسرني أن أقول لكم صادقاً قد وفقتم إلى ما أردتم ما تيسر التوفيق، ودانيتم الأصل ما تمكن المداناة. وهذه منزلة من الأدب تهنأون عليها ويحق لكم، لو كان للفخر مجاز إلى طبعكم، أن تفاخروا بها أكابر الشعراء وأئمة أولي البيان.

أما حواشي الكتاب من تعليق وشروح و تفاسير لغوية وتاريخية وميثولوجية فقد وصلتموها بالمتون تجلو معانيها وتقرب مراميها إلى الأفهام، كما تصل بيد الصناع المصوغات المتقنة بالحجارة الكريمة في التحف الفنية."

وعندما نطلع على ترجمة الكتاب نلاحظ أن الناظم لها قد وضعها بلغة عربية جزالتها واضحة، وحافلة بالمفردات والأساليب العسيرة على التلاميذ، والشروح والحواشي على أهميتها مثقلة بالشواهد والملاحظات الصعبة على القارئ الصغير، وكمثل على طريقة الكتاب سأورد واحدة من أشهر حكايات لافونتين مع هوامشها، ليرى القارئ والناقد صنيع المترجم[٢٥]:

سموّ الغراب أوى مــرة — إلى دوحة فوقها قـد جـثمْ ١

وكانت بمنقــاره جبنــة — يهشّ إلى أكلها ذو الـنهمْ ٢

فوافاه مستروحاً ثعلــب — يهيج حشاه بمثل الـضرمْ ٣

فراغ وحاول من فـوره — تــصيّدها قبــل أن تلــتهمْ ٤

(١) نسبة السمو إلى الغراب هي من باب التهكم. أوى لجأ. الدوحة هي الشجرة العظيمة. جثم الطائر على المكان وقع عليه.

(٢) المنقار للطائر بمثابة الفم للإنسان. يهش إلى أكلها أي يرتاح وينشط إليه. النهم: الشراهة

(٣) مستروحاً: متشمماً. الضرم لهب النار وهو هنا كناية عن شدة الجوع والشراهة.

(٤) راغ الثعلب مكر واحتال. ومنه في وصف الرجال المنافق:

يعطيك من طرف اللسان حلاوة — ويروغ منك كما يروغ الثعلب

(٢٥) سا ١ / ٨ .

من فوره أي من ساعته. تلتهم توكل بشراهة.

فحيّا الغراب وقــال لــه: " سلام أيا صاحبي المحتــرمْ ١
لعمري إنك باهر شــكل بديع الملامح من غيــر ذمْ ٢
وريشك زاهــي الجمــال جميل من الرأس حتى القــدمْ ٣
فلو أن صوتك ناسب ريــشك حــسناً لكــان لــك الحــسن تــمْ
وكنت لعمري أجمل طير وعنقاء مغرب هذي الأجمْ" ٤
فسرّ الغراب بهذا المديح وقد خال أن صار رب العظمْ ٥
ولكنما ساءه ذم صــوت له ظن فيه شــفاء الأصــمْ ٦
ورام يفنــد ذاك المقــال ويطــرب صــاحبه بــالنغمْ ٧

---

(١) هذه تحية ماكر خداع.
(٢) الملامح ما ظهر من الوجه أو الشكل جملة وكأن اللفظة في الأصل مجمع ملمح ثم مات مفردها وبقي جمعها حتى قالوا إنها جمع لا مفرد له أو إنها جمع لمحة على غير القياس.
(٣) زاهي الجمال: بديعه مشرقه.
(٤) العنقاء وعنقاء مغرب هي عندهم طائر معروف الاسم مجهول الجسم حتى يضربون به المثل في استحالة الوجود. قال الشاعر:

قد قيل إن المستحيل ثلاثــة الغول والعنقاء والخل والوفي

والمراد في المتن طائر يجمع شتى محاسن الطيور وهو غير موجود. لذلك ترجمنا به لفظة Fenix . الأجم جمع أجمة وهي الغابة.

(٥) خال: ظن.
(٦) الأصم هو المسدود الأذنين من عاهة فلا يسمع.
(٧) فند المقال: بيّن ما فيه من وهم وغلط.

فــأفرج منقــاره فــإذا بجبنتــه في فم أي فــمْ؟ ١
تلقفها ذو الدهاء سـريعاً فكانت له مــن ألــذ اللقــمْ ٢

---

(١) أفرج منقاره: فتحه. في فم أي فم: استفهام يقصد به التعظيم.
(٢) تلقفها: تناولها. ذو الدهاء: ذو الاحتيال أي الثعلب. اللقم: جمع لقمة وهي مقدار الطعام في الفم.

وخاطب ذاك الغراب خطاباً   تناقله عنه أهل القلمْ: ٣
" تعلم أيا صاحبي حكمة   تفيدك حنكة أهل الفهمْ ٤
معاش المملق من جيب من   يغـرّ بتمليقه لا جـرمْ ٥
وإنك لم تخسر الآن قط   فخير من الجبن درس الحكمْ" ٦
فكاد الغراب يذوب حياء   وأنشأ يقرع سن الندمْ ٧
وأقسم أن لن يملق بعدُ   ولكنْ تأخر ذاك القسمْ

---

(٣) تناقله: نقله الواحد عن الآخر.

(٤) الحنكة: حسن الرأي في السياسة والتدبير.

(٥) المملق: المداهن الغشاش يمسح للناس ويتحبب إليهم ليفوز بحاجته. لا جرم: لا شك.

(٦) خير من الجبن درس الحكم: كلمة يقصد بها الهزء.

(٧) لما كان الغراب منزلاً هنا بمنزلة الإنسان نسب إليه الحياء وقرع السن ندماً وإلا فهو لا يستحي ولا له سن يقرعها.

ولنأخذ نموذجاً آخر مشهوراً هو "الثعلب والعنب" حيث نستطيع أن نقارنه بالترجمة الجميلة لجلال وغيره، ونتبصر في أن الترجمة الدقيقة هنا أفقدت النص حيويته، وخاصة بطريقة الصياغة الجافة[٢٦]:

ثعلب أفلت من غسقونيا   أو ربى نرمنديا في مذهبِ
كاد يلقى حتفه من جوعه   وهو جوال لنيل الأربِ
فرأى يوماً عريشاً فوقه   عنب يحكي عيون الشهبِ
ظاهر النضج له قشر حكى   بجمال اللون لون الذهبِ

---

(٢٦) سا ٣ / ٥٤ .

ودّ أن يأدب منه عن رضـــى		أدبـــة لـــو نالـــه ذو الأدبِ

في مجلة السائح الفرنسي الفرنسوية LePelerin بتاريخ ١١ كانون الأول سنة ١٩٣٢ تعقيب على مثل الغراب والثعلب ومؤداه أن الغراب أضمر كيداً بعد أن احتال عليه هذا وانتزع منه الجبنة. وأنه ما زال يحاول سرقة جبنة ثانية حتى ظفر بها فحملها في منقاره وطار حتى وقع على تلك الشجرة وهو يناجي نفسه أن لن أغني للثعلب ليموت قهراً. وجاء الثعلب من بعيد ورأسه على الأرض غير مكترث لشيء حتى مر تحتٍ الشجرة التي عليها الغراب دون أن يرفع إليه بصره ولا يسلم عليه فاغتاظ الغراب لذلك غيظاً شديداً وناداه يا هو! فسقطت الجبنة من فمه فعاد الثعلب فالتقطها غنيمة باردة.

فانثنى عــن أكلــه لا عفــة		إنما من قصر بـــاع الثعلـــبِ

قال: " يا نفسي تعــزي إنـــه		حامض ما حان وقت العنـــبِ

هو بالأوشـــاب حقـــاً لائـــق		لا يـــراه لائقـــاً ذو الرتـــبِ

* * *

عدم استصلاح ما يعجز عــن		نيله يفضل شـــكوى الأخيـــبِ

وأعود إلى القول إن مقارنة دقيقة مع ترجمة محمد عثمان جلال لهذه الحكاية تظهر مقدار الإبداع والتصرف الذي فعله جلال، فجاءت حكايته ببساطة أكثر إمتاعاً وجمالاً من هذه الترجمة، كما إن انتقاء جلال للمفردة السهلة ولعذوبة الجمل وجمال الصياغات العربية زاد من رجحان كفته لدينا.

ولا يكتفي نقولا أبو هنا بهذا بل مما يزيد من جفاف ترجمته أنه نظمها في الغالب الأعم على البحور الشعرية الطويلة، وعلى البحر الطويل خاصة، ولنتأمل حكاية "الشيخ وبنوه"[٢٧]:

---

(٢٧) سا ٤ / ٦٥ .

رهينـــة ضـــعف كاســـح كـــل قـــوة إذا لم يعززها اتحـــاد القـــوى معـــا

* * *

سأروي هنا ما قـــال عبـــد فريجيـــا وإن زدت ما أرويـــه عنـــه توســـعا

فما كـــان همـــي أن أنافـــسه لكـــي أجمع مجداً مثلمـــا " فـــذر " جمّعـــا

خواطر لم أوســـع بـــذهني مجالهـــا وإني أقل النـــاس فـــي ذاك مطمعـــا

وبعـــد لنـــورد ههنـــا خبـــر الـــذي أراد اتحـــاداً فـــي بنيـــه ممنعـــا

* * *

دعا الموت شيخاً أن يـــشد رحالـــه فأوصى بنيه قـــال ســـاعة ودّعـــا:

" بنيّ اكسروا محزومة النبـــل هـــذه إذا كـــان فـــيكم للـــصلابة مـــدّعى

وإنـــي لكـــم عمـــا قليـــل لـــشارح سريرة شدّ وحّـــد النبـــل أجمعـــا "

فضيع فيها البكـــر مجهـــود بأســـها وجرّب ثـــان عـــدّ أقـــوى وأضـــلعا

فخـــاب فأداهـــا لمـــن هـــو بعـــده فلم يستطع والكـــل للجهـــد ضـــيعا

فلم تنكسر من حزمـــة النبـــل نبلـــة فردت قوى الإخوان وهنـاً مـــصرّعا

فقال أبوهم: " يـــا ركـــاك ســـواعد رويداً تروا بأسي وإن كان زعزعـــا

لقـــد حـــسبوه مازحـــاً فتبـــسموا ولكنـــه فـــي الحـــال للـــربط قطعـــا

ومن غير جهد كـــسّر النبـــل كلهـــا فرادى وأهدى النصح من خير ما وعى:

" بنيّ اتحاداً إنـــه قـــد بـــدت لكـــم بـــه قـــوة تعيـــي الكمـــيّ المقنعـــا

ليجعلكـــم حـــب الموثـــق واحـــداً فـــذلك أجـــدى فـــي الحيـــاة تمتعـــا

وما زال في آلامـــه واعظـــاً لهـــم فلمـــا دنـــا يـــوم الرحيـــل وأزمعـــا

دعاهم إليـــه: " يـــا بنـــيّ أعزتـــي وداعاً وأرعوا آخر النصح مـــسمعا

إلى حيـــث آبـــائي أســـير فـــشيعوا بنعمـــة وعـــد قلبـــي المتلوعـــا

عدوني يقينـــاً أن تعيـــشوا كـــإخوة ولا توسعوا فيكم مجالاً لمن ســـعى"

فكـــان لـــه وعـــد الثلاثـــة ســـلوة وكـــان وداع ينثـــر اللفـــظ أدمعـــا

* * *

تناول أيديهم وشدّ مودعاً وسار بحبات القلوب مشيعا
وأبقى لهم خيراً كثيراً وإنما مشاكله فاتت ثلاثاً وأربعا
فهذا غريم قد سطا متشدداً وهذاك جار هبّ يشكو بما ادعى
وكان حليف الإخوة النجح أولاً وكل رآهم في الترفع أرفعا
إخاء على مقدار ما كان ندرة عليه قضى داء التشاحن مسرعا
لئن جمعتهم وحدة الدم مدة فقد خضعوا للانتفاع فضعضعا
أرادوا اقتسام الإرث فاختصموا وقد تلاحوا وكل أرسل القذف موجعا
فسيقوا مراراً للقضاء وغرموا مراراً وصاروا للمهانة موضعا
وكل غريم قد أجدّ دعاوياً كذا كل جار في الدعاوى تشجعا
فهذا يرى في أول الحكم ضلة وهذا يرى في نقص دعواه مقنعا
لقد صدع الإخوان في الرأي والهوى ولم يستطيعوا جبر ما قد تصدعا
فذاك يريد الصلح مع غرمائه وينكر هذا ما يرى ذاك أنفعا
فضيع كل منهم ماله سدى وبعد فوات الوقت كل تطلعا
فأدرك ضعف النبل عند انفرادها وقوتها الغلباء إن حزمت معا

مع كل ذلك فإن لما فعله أبو هنا مكانة محفوظة في مسيرة شعر الأطفال العربية، كما للافونتين نفسه الذي كان محرضاً للشعراء على أن يقتحموا هذا اللون التربوي الجديد.

الفصل الثاني

الكتابة النقدية في شعر الأطفال

إذا كان شعر الأطفال قد انطلق مبكراً، وأسهم فيه كتاب كبار ومعروفون إلا أن الكتابة النقدية فيه شبه نادرة، ولم تزد على مقالات مبعثرة ونادرة في الوطن العربي كله، بل إن أكثر هذه المقالات لا يزيد على تعليقات عابرة.

لقد دشن أحمد نجيب من مصر فيما كتبه عن شعر الأطفال البداية الحقيقية الأولى في هذا السبيل، إلا أن هذه البداية جعلته يكتب كلاماً عاماً عن الشعر فيعطي لمحة تعليمية عن "كيف يوزن الشعر؟"[1] والكتابة العروضية والبحور، ولا يزيد ما كتبه بشكل دقيق في هذا الباب على سبع صفحات من كتابه الريادي "فن الكتابة للأطفال" يخلص فيها إلى نتيجة مهمة حول شعر الأطفال الذي يسميه "الشعر التعليمي" فيقول:

"إننا في الشعر التعليمي – كما سبق أن قلنا– يجب ألا نلجأ إلى تقرير الحقائق أو الأفكار الجديدة، إنما إلى تصوير هذه الحقائق وتلك الأفكار.. وتحويلها إلى لوحات فنية جميلة، لأن الشعر دائماً تصوير بالقلم.. والصورة هي وسيلته المفضلة في التعبير"

وسجل الدكتور علي الحديدي علامة بارزة أخرى في كتاب "في أدب الأطفال" عندما خص شعر الأطفال بصفحات عديدة تحدث فيها عن بدايات هذا الشعر، مع لمحات مهمة عن رواده كمحمد عثمان حلال وأحمد شوقي ومحمد الهراوي. وكذلك فعل د. هادي الهيتي في "أدب الأطفال" ود. عبد الرزاق جعفر في كتابه "أدب الأطفال".

---

(١) في الكتابة للاطفال . نجيب . ص ٩٦.

(٢) سا . ص ١١٤.

ثم عاد الهيتي وجعفر فأعطيا شعر الأطفال اهتماماً أكبر، فكتب الهيتي فصلاً عن "أدب الأطفال العربي"[٣] خصص معظمه للشعر، ذكر فيه معلومات أكثر تفصيلاً ودقة حول شعر الأطفال العرب، وقد وقع الباحث في أخطاء طفيفة عندما ذكر أن كتاب "آداب العرب" لإبراهيم العرب قد صدر عام ١٩١٣ والصحيح عام ١٩١١، كما إنه لم يوثق عدداً من المعلومات التي أوردها، وأغفل إغفالاً تاماً تجربة شعر الأطفال في مرحلة الخمسينيات حتى عام ١٩٨٨ سنة صدور كتابه "ثقافة الأطفال" مع أن للعراق بلد الكاتب نفسه دوراً رئيساً في هذا اللون خاصة بعد عام ١٩٧٠.

أما الدكتور عبد الرزاق جعفر من سورية فقد عرف عنه دأبه في مجال أدب الأطفال كتابة ونقداً، إلا أن السمة الغالبة على ما كتبه هو الترجمة والإعداد عن الفرنسية، مع أن كتاباته لم تخل أحياناً من آراء ذكية ولماحة في شعر الأطفال.

وعندما ينظر جعفر في شعر الأطفال فهو دائم الالتزام بما جرى ويجري في فرنسا اعتماداً على مصادر خاصة بهذا البلد، لكن ما يميز كتابة جعفر أنها دخلت في تفاصيل فنية تتعلق بشعر الأطفال وعلاقة الطفل بالشعر كقوله مثلاً:

"إننا نرفض إدخال الشعر في المدرسة الابتدائية تحت تلك المظهر الوحيد الذي هو " الاستظهار" كذلك نرفض ما يعرف بشرح القصيدة أو شرح النص."[٤] أو:

"فجماعة الشعر يجب أن تتعايش مع جماعة مسرح العرائس والرسم والغناء واللصق."[٥]

ويتحدث جعفر عن أساليب اللعب الفني في الشعر وعلاقته بالتربية والمعرفة، واستناداً بالطبع إلى أمثلة وآراء فرنسية[٦] ويعود الشاعر فيؤكد ويضيف إلى هذه الأمثلة والآراء في مكان آخر في كتاب ثان.[٧]

---

(٣) ثقافة الطفل . الهيتي . ص ٢٠٥- ٢٢٩.
(٤) الشعر والطفولة . جعفر . ص ٥٢ .
(٥) سا . ص ٥٧.
(٦) سا .ص ١٠٨ وما بعدها .
(٧) الطفل والكتاب . جعفر ص ٩٦ – ١٠٥.

وللدكتور أحمد زلط جهد مميز، يعد من أهم الدراسات في شعر الأطفال دقة وتوثيقاً وأمانة، فلأول مرة تصادفنا دراسات تبذل هذا الجهد المضني في بحث التاريخ العلمي لبدايات شعر الأطفال.. إلا أن الدكتور زلط دار في محيط التجربة المصرية المبكرة فقط، ولم يقدم لنا متابعته للتجربة المصرية الآن.. إضافة إلى التجربة العربية، فكانت دراساته ذات طابع محدود، لكنها كشفت بؤس المحاولات السريعة التي تتناول شعر الأطفال.

وأتت محاولة الدكتور إبراهيم محمد صبيح في رسالة الدكتوراه الأولى عربياً عن شعر الأطفال، وهي بعنوان "الطفولة في الشعر العربي الحديث" لتؤسس للبحث العلمي من منطلق وحدة التجربة الثقافية العربية، حيث حاول صبيح مشكوراً أن يبحث في التجربة العربية كروافد تصب في نهر واحد هو شعر الأطفال العربي، وبذل من أجل ذلك الكثير من الجهد، وحقق النجاح الكبير في دفع دراسة شعر الأطفال وتقصي جذوره وانتشاره وخصائصه ومشاكله.

إلا أنه في مسعاه وقع في العديد من الهفوات العلمية والتسرع ومحدودية الاطلاع أحياناً.

من ذلك أن الدكتور صبيح تحت وطأة رغبته في تغطية التجربة العربية كلها، كان يتحدث عن قطر ما من خلال نماذج محدودة، وقد تكون قليلة الأهمية، ولكنها مما تيسر الحصول عليه.

وكان المؤلف يطلق أحكاماً فنية من غير دقة مطلوبة في تعليلها، كما إنه لم يتقص كما يجب تجارب شعراء كتبوا للأطفال من مظانها الأصلية، والمتوافرة في المكتبات الكبرى الرسمية، إذ اعتمد في الغالب على مصادر جانبية وقد أثقل دراسته باستطرادات كثيرة بعيداً عن صلب الموضوع المدروس.

ومن نماذج مؤاخذاتي على هذا الكتاب الممتاز أنه يأخذ على نزار قباني استخدامه لفعل "أشيلك" فيقول:

"ولقد عبر نزار قباني عن حنانه غير المحدود عندما ناغى طفله الصغير بكلمات حنونة أبوية معبرة عن مدى صدق عاطفة الشاعر نحو ولده فقال[٨]:

أشيلك يا ولدي فوق ظهري

كمئذنة كسرت قطعتين "

ثم يضيف:

"ونسجل على نزار هنا استعماله لبعض الألفاظ العامية مثل أشيلك"

إن هذه الملاحظة تكشف عن تقصير كبير من باحث أدبي ليفتح معجماً عربياً، وليكن القاموس المحيط ليعرف أن الكلمة فصيحة تماماً، إ ذ سيقرأ في هذا المعجم " *شالت الناقه بذنبها شولاً وشوالاً، وأشالته: رفعته... وأشال الحجر وشال به وشاوله: رفعه فانشال "*

كما أنه لم يقرأ بيت الأخطل:

وإذا جعلت أبـــاك فـــي ميـــزانهم رجحوا عليك وشلت في الميزان

وأضرب مثلاً آخر على تسرع الكاتب أنه تحدث مشكوراً في صفحات مطولة عن كاتب هذه السطور، وأشار كثيراً إلى مقالي المطول عن "قصيدة الطفل" المنشور في مجلة الأقلام العراقية عام ١٩٧٩.. إلا أنه كان يذكر أموراً ليس لها سند، فيعرف بي قائلاً *"شاعر وأديب معاصر معروف عاش في دمشق وتنقل بينها وبين بيروت، له عدة مؤلفات مرموقة"*[٩] وكنت أثناء كتابة هذا الكلام لا أقيم في دمشق، ولم أزر بيروت أو لبنان حتى هذه اللحظة، وليس لي أي مؤلف نقدي ما عدا مقالات وأبحاثاً منشورة في صحف ومجلات عربية.

ومع أن المؤلف قد ذكر مقالي في الهوامش إلا أنه نقل عنه حرفياً في أماكن عديدة، ودون إشارة إلى المصدر، ولعل في الأمر خطأ طباعياً.

---

(٨) الطفولة . صبيح . ص ١٦٧– ١٦٨.

(٩) سا .ص ١٤٧.

وقد أخذ المؤلف نصوصاً شعرية لي من مجلات ولم يرجع إلى أي منها في مجموعة شعرية، مع أنها مطبوعة في دور نشر كبرى معروفة كدار الآداب في بيروت ودار ثقافة الأطفال في بغداد ووزارة الثقافة واتحاد الكتاب العرب في دمشق، مما يدل على تقصير من الباحث في متابعة منشورات هذه الجهات سواء أكان الأمر يتعلق بي أم بغيري.

وعندما يعدد صبيح جيل الرواد يقول *"من أمثال محمد الهراوي وكامل الكيلاني وأحمد شوقي ومعروف الرصافي وجميل الزهاوي وحافظ إبراهيم وخليل مطران وبعض شعراء المهجر"*(١٠)

وفي دراسة أكاديمية على الأخص من السليم أن يكون الترتيب حسب الأقدمية، فلا يذكر محمد الهراوي قبل أحمد شوقي وخليل مطران ولا كامل الكيلاني قبل الرصافي.... وهكذا.

ومن هفوات د. صبيح أنه يتحدث عن تأثير لافونتين في أحمد شوقي، ولا يذكر محمد عثمان جلال الذي كان سباقاً، ويذكر أن أول من ترجم للأطفال عن الإنكليزية هو الطهطاوي، والطهطاوي كان يترجم عن الفرنسية فقط، وذكر أن أحمد شوقي ألف أول كتاب في أدب الأطفال، والصحيح أنه مسبوق بكثيرين منهم محمد عثمان جلال ورزق الله حسون وعبد الله فريج على سبيل المثال، كما ذكر أن حركة مطبوعات الأطفال السورية ازدهرت من خلال دار الفتى العربي والصحيح أنها دار مصرية لبنانية فلسطينية مركزها في بيروت والقاهرة.

وفي باب "الشعر القصصي" في أدب الأطفال يبدأ بشوقي ثم يتحدث عن الكيلاني ثم يتحدث عن محمد عثمان جلال، بعدها يقفز إلى الكويتي عبد الله سنان.

وفي كثير من الأحيان لا يوثق نصوصه، وذكر أن مجلة أسامة تأسست عام ١٩٦٩ بإشراف زكريا تامر، والصحيح أن أول رئيس تحرير للمجلة كان سعد الله ونوس ثم رأس تحريرها زكريا تامر عامي ١٩٧٥ - ١٩٧٧، وأشار إلى أن نشيد

---

(١٠) سا . ص ٣٣٤.

"يا علمي ياعلم العرب" في ص ٣٤٠ من "شعر الاخطل الصغير" والحقيقة أن النشيد غير موجود في هذا الكتاب على الإطلاق[١١].

ومن الدراسات الأكاديمية المهمة "أدب الطفل العربي" للدكتور حسن شحاتة، ففي هذا الكتاب حديث دقيق عن شعر الأطفال، وزع في أكثر من موضع، ومن ذلك قوله:

"ويشارك الشعر الذي يقرؤه الأطفال في تنشئتهم وتربيتهم تربية متكاملة، فهو يزودهم بالحقائق والمفاهيم والمعلومات في مختلف المجالات، وهو يمدهم بالألفاظ والتراكيب التي تنمي ثروتهم اللغوية، وتساعدهم على استخدام اللغة استخداماً سليماً، كما أن الشعر الذي يقدم للأطفال ينمي الجوانب الوجدانية والمشاعر والأحاسيس لديهم، فهو يغرس القيم التربوية في نفوسهم، وينمى الميول الأدبية والقرائية لديهم، ويشبع حاجاتهم النفسية المتعددة،وينمى مهارات التذوق الأدبي، والأداء اللغوي السليم، وتمثيل المعاني وإخراج الحروف من مخارجها، والطلاقة اللفظية، والاستماع الجيد إلى كل ما هو جميل في مضمونه لغرس التذوق الأدبي لدى الطفل في هذه المرحلة وسبيل إلى تحبيب الأدب إليه في مراحل التعليم التالية.

وتزود دراسة الشعر الأطفال بالمفردات والتراكيب والعبارات الجديدة التي تنمى رصيدهم اللغوي، وتمكنهم من استخدام اللغة استخداماً صحيحاً حديثاً وكتابة، وتساعد دراسة الشعر بعد ذلك كله في تنمية قدرة الأطفال على دقة الفهم، وحسن استخلاص المعاني، ونقد ما يقال أو يكتب، وربط بعضه بالبعض الآخر، وتميز الجيد من الرديء، وإبراز مواطن الجمال في اللفظ والأسلوب والصور والتراكيب، والدقة والتفكير، حيث يقوم التلميذ بجمع المعلومات والأفكار من النص الشعري وتحليله وتفسيره واستنتاج النتائج، وكلها أمور تدرب الطفل على الدقة في التفكير، أضف على كل ما سبق إن دراسة الشعر تنمي خيال الأطفال، وتوقظ من عواطفهم

---

(١١) سا . راجع الصفحات التالية ٨٦ – ١٠٨ – ١١٧ – ١١٨ – ١٣٩.

ومشاعرهم، وتغرس فيهم القيم الدينية والمبادئ الخلقية، كما تنمي ميولهم الأدبية نحو القراءة وتذوق الجمال اللغوي، والقراءة المعبرة عن الأحاسيس والمشاعر والانفعالات، والإلقاء الجيد وحسن تمثيل المعاني"(١٢)

ويتحدث عن معايير اختيار الشعر للأطفال، فيحصرها في:(١٣)

١- دوران الشعر حول هدف تربوي.

٢- بساطة الفكرة ووضوحها وتناولها المعاني الحسية.

٣- ارتباط الشعر بالمعجم اللغوي للطفل.

٤- ارتباط الشعر بالفكاهة والبهجة والسرور المملوءة بالحيوية.

٥- تنمية خيال الأطفال وإيقاظ مشاعرهم وإحساسهم بالجمال.

٦- الإيقاع الشعري المتكرر.

٧- تنويع شعر الأطفال.

ثم يعود شحاته إلى الأناشيد لطفل ما قبل المدرسة، وإلى موضوعات متنوعة أخرى، منها نقد النصوص المدرسية المصرية، مع خلاصة في غاية الوضوح إذ يقول(١٤):

"إن الشعر الذي يقدم لأطفالنا في مرحلة التعليم الأساسي لا يساعد في تحقيق الأهداف المرجوة من دراسته، فهو لا يحقق أهداف أدب الأطفال كما أن القليل من أطفالنا هذه الأيام هم الذين يقرؤون الشعر أو يسمعون به في منازلهم، إن نصوصاً من الشعر تدرس ضمن مناهج اللغة العربية، غير أن مدارسنا فشلت في تقديم الشعر للأطفال، لسوء الطريقة التي يعالج بها في المدرسة من ناحية، ولعدم تقديم الشعر المناسب للأطفال، بل إن جهود المدرسين ترمى دون قصد إلى قتل محبة

---

(١٢) أدب الطفل العربي . شحاته . ص ٢٢.

(١٣) سا .ص ٢٣- ٢٥.

(١٤) سا . ص ٢٠٣.

الشعر في قلوب الأطفال أكثر من جهودهم كي يقبل الأطفال عليه ويعشقوه. فأطفالنا ضحية للشعر الرديء المجموع من كتب اللغة العربية وهو شعر حول الطفولة وليس شعراً للأطفال"

وآخر الجهود الأكاديمية التي تستحق الإشارة هي جهود الدكتور أحمد كنعان من سورية، حيث كثف هذا الباحث عمله في تناول شعر الأطفال السوري والعربي.

أما رسالته للدكتوراه فكانت بعنوان "القيم التربوية السائدة في شعر الأطفال" ركز فيها على دراسة مجموعة من القيم من حيث تمثلها ونسبتها لدى شعراء سوريين إلا أنه أدخل خطأً ضمن الأسماء المدروسة شاعراً عراقياً هو خالد الخزرجي، ويبدو أن سبب هذا الخطأ كون الخزرجي قد أصدر مجموعته عن اتحاد الكتاب العرب في دمشق.

وأصدر الباحث كتابين هما: "أدب الأطفال والقيم التربوية" و"الطفولة في الشعر العربي العالمي" أما الكتاب الأول فيحوي قسماً عن "شعر الأطفال" فيه جولة سريعة عن معنى شعر الأطفال والسمات العامة لشعر الأطفال وأشكال الشعر عند الأطفال وشعر الأطفال في الوطن العربي وهكذا.

ومما آخذه على الباحث أنه أخذ مقطعاً كاملاً من دراستي عن شعر الأطفال في الصفحة ١١٤ من كتابه دون إشارة إلى المصدر، ثم أعاد الأخذ حرفياً عن الدراسة نفسها في الصفحة ١١٦ دون إشارة إلى المصدر[١٥].

أما الكتاب الآخر فذو عنوان فضفاض هو "الطفولة في الشعر العربي والعالمي مع نماذج شعرية لأطفال شعراء" وقد حوى قدراً كبيراً من الشواهد الشعرية، لكن الباحث أغفل ذكر مصدر القصائد والنماذج التي ذكرها في كتابه، والأمر في غاية الأهمية لأي باحث يود التوسع أو الرجوع إلى الأصل للتأكد أو

---

(١٥) راجع دراستي" شعر الأطفال ونماذج من سورية" . مجلة الموقف الأدبي. دمشق العدد ٢٠٨ و٢٠٩ لعام ١٩٨٨ص٩٣ حتى ١٢٢.

الاستزادة، وعندما ذكر الشعراء السوريين عدّ منهم: خالد الخزرجي (العراق) وصالح هواري وعبد الكريم الكرمي (فلسطين)[١٦] وفي الكتاب تناول علمي دقيق للشعر المنشور في المرحلة الابتدائية في سورية، ومن المآخذ المهمة أن الباحث يدرج في كتابه نصوصاً رديئة في الحد الأدنى كما فعل مع اسحق قومي[١٧] بنظمه المليء بالأخطاء اللغوية والإيقاعية والإملائية، وعده من شعراء سورية المعدودين في حين أغفل أسماء جيدة منها: جمال علوش وموفق نادر وركان الصفدي ولينا تقلا وغيرهم.

ولأحمد سويلم من مصر كتاب "الأطفال في عيون الشعراء" وفيه معلومات قيمة فيما يخص التجربة المصرية، أما الضعف الفادح فيه فهو عندما ينتقل للحديث عن التجربة العربية، مع أنه لم يمنحها سوى صفحات قليلة من كتابه، مما يكشف عن زاد شديد الفقر، إذ يكتب مثلاً في كتابه [١٨] :

"والملاحظة في التجربة السورية أنهم يتخذون مساحة الشام وأحداث فلسطين مادة يقدمونها إلى الطفل ويجعلونه يعايش تلك الأحداث.. ويتفاعل مزيداً من المضامين الأخرى فسوف تفقد روعتها وتأثيرها الفعال، وتصيب الطفل في المستقبل القريب بالسأم والإحباط"

ويدلل الكاتب على عدم معرفة بالتجربة السورية أيضاً عندما يسمي من سورية بالترتيب: سليمان العيسى. خليل خوري. محمود السيد. أحمد الجندي. محمد الحريري.

والمصادفة جعلته يذكر من العراق فالح حسين وتركي كاظم جودة وهما ممن كتب محاولتين أو ثلاثاً من النوع العادي. بينما لا يذكر شعراء معروفين مثل علي العلاق وخيون الفهد وخالد يوسف... ثم يضعني شخصياً مع الشعراء العراقيين!![١٩]

---

(١٦) المطلوب التمييز الصحيح بحسب نسبة الشاعر إلى قطره.

(١٧) والأمر ينطبق على خيري عبد ربه . وخالد الخزرجي أيضاً .

(١٨) الأطفال في عيون الشعراء . سويلم . ص ٢٠٠.

(١٩) سا . راجع ص ١٥٠ و ١٩٥ و ٢٠١ .

وأصدر محمد قرانيا كتاباً عن "شعر الأطفال في سورية.. ملامح ونظرات" غلب عليه التسرع، والجمع العشوائي للنصوص، وعدم القدرة على التمييز بين نص سليم بناء وآخر مهلهل وزناً وصياغة.

لهذا جاء التاريخ للبدايات عابراً ليس فيه جهد خاص يذكر، حيث اعتمد عدة مقالات منشورة لآخرين في الموضوع، ولم يحاول أن يقوم باستكشاف خاص في هذا المجال. وعدم الدقة صفة تصادفنا أينما تحركنا في الكتاب، ومن أمثلة ذلك قوله عن محمد عثمان جلال[٢٠]:

"(اشتهر بكتابه "العيون اليواقظ في الأمثال والمواعظ" ويحتوي على مائة قصة شعرية مقتبسة من حكايات أيسوب اليوناني ولافونتين الفرنسي)".

والصحيح أن في الكتاب مئتي قصة تقريباً، لأن الكتاب فيه عدة قصائد ليست بقصص، وهي ليست مقتبسة عن أيسوب بل عن لافونتين مباشرة، فالذي اقتبس عن أيسوب هو لافونتين وليس جلال ويقول في مكان آخر:

"لم يكتب الشعر من الكبار سوى سليمان العيسى، وقد تركزت أغلب الدراسات حول تجربته الرائدة والناجحة، وليس في سورية فحسب، وإنما على ساحة الوطن العربي الكبير"[٢١]

ولاشك أن في هذا الكلام قدراً كبيراً من عدم الدقة، وينقل عن السيدة دلال حاتم قولها عن مجلة أسامة والشعر:

"نعترف من البداية أن حيز الشعر قليل وضئيل في المجلة" وكان عليه أن يوضح قياساً إلى كل مجلات الأطفال العربية بأن مجلة "أسامة" على العكس من هذا القول، إذ كانت تنشر وسطياً قصيدتين في كل عدد وأحياناً أربع قصائد، وهو أمر كانت له إيجابياته وسلبياته بلا شك، فالطبيعي في مجلة الأطفال أن تنشر قصيدة في كل عدد.

---

(٢٠) شعر الأطفال في سورية . ص ١٥.

(٢١) سا . ص ٥.

ويقول المؤلف في هامش الصفحة ٢٤ عن كتاب "حديقة الأشعار المدرسية" أن طبعته لعام ١٩٥٨ لم تذكر *"أن الكتاب قد طبع قبل هذه الطبعة"* (٢٢)

وعندما دققت في الأمر ظهر لي أن الكتاب المذكور قد نص على الغلاف أنه " طبعة ثانية مزيدة ومنقحة" من دون ذكر لتاريخ الصدور في ١٩٥٨. وتعاني لغة الكتاب من الاضطراب وافتقادها للدقة في الدلالات، فمثلاً يتحدث المؤلف عن القصيدة والنشيد والأغنية، فيعرف كلاً منها تعريفاً مضطرباً.

فالقصيدة عنده تجيء *"في أبيات معدودات وتدور حول فكرة معينة"* !! *"والنشيد أقرب ما يكون للشعر الحماسي، ويغلب عليه طابع الإنشاد" "والأغنية كلمات شعرية قابلة للتلحين والغناء"* !! وأنا أتساءل فقط: هل كلمات القصيدة أو النشيد غير قابلة للتلحين والغناء؟! إذاً ما معنى الأغنية الدقيق بناء على ذلك؟!(٢٣) وفي الكتاب مواد محشوة لا علاقة لها بشعر الأطفال من الصفحة ١٩٥ إلى ص٢٠٨ وكذلك من الصفحة ٢١٠ إلى ص٢١٦.

وفي مختارات الكتاب الشعرية في نهايته خلط عجيب، فليس هناك أي منطق يربط توالي القصائد والأسماء، فلا البلد ولا الموضوع ولا القدم، فيبدأ بسليمان العيسى وبعده مصطفى عكرمة ثم محمد قرانيا ومعشوق حمزة وبيان الصفدي.. وهكذا، وكان عليه أن يرتب النماذج تبعاً لمعيار ما، وأن تحوي النماذج قصائد لشعراء سوريين عديدين لهم فضل الريادة كجرجس عبد الملك وسليم الحنفي وجميل سلطان وآخرين.

كما كان اختيار النصوص عشوائياً، حيث من غير الصحيح أن يثبت نصوصاً ضعيفة الصياغة دون أن ينص على ما فيها من أخطاء كنص فيصل الحجلي(٢٤) مثلاً أو نص رديء في معناه التربوي مثل "أغنية إلى منى الصغيرة" لعدنان قيطاز.

---

(٢٢) سا . ص ٢٤.

(٢٣) سا . ص ٥٤ و ٥٥.

(٢٤) سا . ص ٢٤١. ٢٥ – سا . ص ٢٤٣.

ومع أن كتاب قرانيا عن شعر الأطفال في سورية لكنه أثبت نصاً ضعيفاً في الصياغة والقيمة التربوية لصالح هواري وهو من فلسطين، وإلا لماذا لم يضم نصاً لعبد الكريم الكرمي على الأقل.

وبينما اختفى من الشعراء الذين كتبوا بعد ظهور مجلة أسامة حامد حسن مثلاً حضر جاك صبري شماس وعدنان قيطاز !!.

أما آخر ملاحظة على كتاب قرانيا فهي محدودية مراجعه، وهامشية أغلبها في موضوع مهم كالذي عالجه(*).

وأود أن أشير إلى أن الكثير من الكتب تحوي فقرات تتعلق بشعر الأطفال، لكنها فقرات عامة، لا تحمل معلومة جديدة أو خصوصية ما.

والأمر نفسه ينطبق على المقالات والدراسات السريعة التي تقدم لبعض الندوات في مجال أدب الأطفال، حيث يغلب عليها طابع السرعة والكلام العام، أوالمعلومة السطحية.

وقد تواجهنا في بعض الكتب آراء سريعة تحتاج إلى تدقيق، فهذا مفتاح دياب مثلاً يقول ببساطة إن أحمد شوقي أول من كتب للأطفال العرب أدباً خاصاً بهم في اللغة العربية ثم يقول *"على الرغم من أن الشيخ رفاعة رافع الطهطاوي يعتبر أول من قدم أدباً للأطفال العرب، ولكنه كان مترجماً عن اللغة الانكليزية"*[٢٦] وفي الحديث عن أدب الطفل الفلسطيني لا نجد ذكراً لأهم شاعر فلسطيني كتب شعراً للأطفال هو اسكندر الخوري فيما كتبه مهند الشعبي، مع أنه كتب دراسة جيدةً[٢٧].

وهناك كتب مختارات من شعر الأطفال، أهمها كتاب د. أحمد أبو سعد، هناك كتب أخرى لا تدقق في اسم الشاعر أو المصدر كما فعل نايف معروف وغلادس قره بيتيان.

(*) صدرت للباحث قرانيا دراسة هامة بعنوان "قصائد الأطفال في سورية" عام ٢٠٠٣ تجاوز فيها ما أشرنا إليه .

(٢٦) مقدمة في ثقافة وأدب الأطفال . دياب . ص ١٢٧.

(٢٧) في قضايا الطفل العربي. الشعبي . ص ١٣-٥٦.

وكتاب "الأناشيد" الجزء الأول الذي اختاره سليمان العيسى وكامل القدسي يحوي ٢٠٠ نص، للعيسى ٨٢ نصاً، والباقي لشعراء آخرين من الوطن العربي، ويحوي نصوصاً ضعيفة لأسماء مرت مروراً عابراً في مجال الكتابة كسامي الزبيدي مثلاً[٢٨]، وقد تصل الركاكة حداً لا يعود فيه الكاتب يميز بين الشعر وكلام المبتدئين كما نلاحظ في مقال يتحدث عن شعر أطفال من نماذجه:!!

انــــا الماضـــــي   انــــا الماضـــــي

كتبنــــي الطفـــل   منـــذ زمـــــانْ

وقرأني يوماً حسانْ

ودرسني كثيراً عدنانْ

وأمثال هذا النموذج في كل الشواهد[٢٩].

وهناك من كتب مقالات جيدة في شعر الأطفال، فيها معلومة جديدة أو تحليلاً رصيناً كعيسى فتوح وفالح فلوح ود. سمر روحي الفيصل وعبد الجبار البصري ود. عبد الفتاح أبو معال.

وقد نصادف كتابات في الصحف أو المجلات ليس فيها سوى التعليق السطحي أو ما تفترضه العلاقات الشخصية.. بل قد ينسحب ذلك على الكتب وأبرز نموذج على هذا النوع من الكتابة ما فعله إبراهيم شعراوي في كتاب بعنوان " عبد التواب يوسف وشعر الأطفال"

ما لا جدال فيه أن عبد التواب يوسف من كتاب الأطفال المعروفين، وله العديد من القصص الجيدة، والجهود الملموسة في ثقافة الأطفال، وليس لديه شعر حقيقي للأطفال، لكنه قام بجمع نصوص لشعراء وأعاد نشر بعض الأعمال الشعرية مع وضع مقدمة لها.. لكن كتاب شعراوي دعائي بحت، وفيه قدر كبير من السطحية فلنسمع إلى قوله:

---

(٢٨) الأناشيد . العيسى . ص ٣٦٠.

(٢٩) مجلة "الرافد" الشارقة . العدد ٦٢.

"يمتاز عبد التواب يوسف على أدباء عصره وعصور سابقة له بأنه يتحرك حركات تحدث موجات حوله، فتظهر مدرسة أو اتجاه فكري أو فني أو إبداعي" (٣٠)

ثم يقول في مكان آخر:

"وعبد التواب يوسف جعل ثقافة الأطفال رسالته وقضيته ودم شريانه، وكنا نحن من حوارييه وزملاء السلاح معه وخلفه نبدع" (٣١)

"لهذا أرى أن الأستاذ عبد التواب يوسف قد أنصف إبراهيم العرب، ووثق له شعره حتى لا ينسب إلى هذا أو ذاك ممن لا يعرفون له وجوداً ولم يسمعوا عن اسمه قط." (٣٢)

هل من المعقول أن تبلغ السذاجة بالسيد شعراوي إلى هذا الحد، فيخشى على إبراهيم العرب، وكتابه الأصلي موجود، ولعله قد أخذ بالرواية الدراماتيكية التي رواها الأستاذ عبد التواب عن قصته مع النسخة الوحيدة التي وقعت في يده بالمصادفة من كتاب إبراهيم العرب، لكنني أطمئنهما بأن نسخة أصلية موجودة لدينا في مكتبة عامة في دمشق.

ولا أريد الاستفاضة مع هذا الكتاب الطريف بسطحيته، إذ يصل به الأمر إلى القول *"وربما كان الشعر في بلاد الغرب سهل التداول والتأليف لأنه يعتمد على بحر المتدارك (فعلن فعلن) بتسكين العين أو تحريكه."* (٣٣)

إنه فتح آخر على العروضيين ليستفيدوا منه.!!

إن الاستفاضة غير مفيدة مع هذا الكتاب ولكنني أحيل القارئ إلى الكتاب أو قراءة بعض ما فيه. (٣٤)

---

(٣٠) عبد التواب يوسف وشعر الأطفال . شعراوي . ص ٩.
(٣١) سا . ص ٤٢.
(٣٢) سا . ص ٧٢.
(٣٣) سا .ص ٦١.
(٣٤) أحيل القارئ إلى الصفحات ١٠ – ١٩ – ٢٢ – ٣٣ – ٣٧ – ٤٣– ٤٩ – ٥٣ – ٥٥ –٥٧ – ٥٨ – ٦٧ – ٧٠ – ٧٧ – ٩٨ – ١٠١ – ١٠٨ – ١١٥ – ١١٦.

الفصل الثالث

المرأة و شعر الأطفال

خلال رحلة التقصي في شعر الأطفال العربي لفت نظري غياب شبه كامل للمرأة عن المساهمة فيه ، حتى مع توقع أنه قد فاتني شيء من مساهماتها النادرة، فإن الحصيلة التي بين يدينا تؤكد النتيجة التي بدأت بها كلامي.

فلولا نص لأمينة نجيب وعدة نصوص لجليلة رضا ونص يتيم لروحية القليني من مصر، ولولا الشاعرتان روز غريب ووفاء محمد في لبنان، وبعض المساهمات الأنشط في سورية والعراق لقلنا إن المرأة لم يكن لها دور في هذه التجربة الوليدة، في سورية كان الحال أفضل من باقي الأقطار العربية لسببين:

الأول كونها عرفت أول شاعرة تصدر مجموعة شعرية كاملة للأطفال، أقصد المرحومة جسماني شقرا، والسبب الآخر يتعلق بأن سورية فيما بعد عرفت مساهمات متفرقة لشاعرات معروفات ومغمورات أكثر من غيرها، للعناية الخاصة بشعر الأطفال نسبياً في الساحة السورية، الأمر الذي نفتقده في معظم أقطارنا العربية.

إذاً دشنت جسماني شقرا بقوة مساهمة المرأة في هذا الفن عندما أصدرت مجموعتها الشعرية "روضة الأطفال" عام ١٩٣٢، بعد ذلك لا نلمس أثراً للمرأة إلا في نص لشاعرة مغمورة هي "نعمة فوق العادة" بعنوان "أخي الصغير" وهي قصيدة

سهلة وعذبة، ولا يمكن لكاتبتها إلا أن تكون قد كتبت غيرها، ولكن من يعلم، فلسبب أو أكثر ضاعت علينا فرصة معرفة نتاجها.

تقول الشاعرة[1]:

أخـــي الــصغيرْ ضمن الــسريرْ

عـــــــصفورة ليـــست تطيـــرْ

* * *

أخـــي الــصغيرْ ضمن الــسريرْ

جمالـــــــــــةُ بـــــلا نظيـــرْ

* * *

أخـــي الــصغيرْ ضمن الــسريرْ

زنبقـــــــــــةٌ ذات عبيـــــرْ

* * *

أخـــي الــصغيرْ ضمن الــسريرْ

كأنـــــــــــهُ فينـــا أميـــرْ

شهدت سورية دخولاً شاملاً للفتاة إلى التعليم والعمل، وأنشأت عدة نساء مجلات وجرائد للكبار والصغار، إلا أن المساهمة الأدبية الفعالة في أدب الطفل بعيداً عن التعليمية ندر أن دخلتها المرأة حتى وقت متأخر. لا شك أن الظروف الاجتماعية لها دورها الكبير في هذا الإقصاء، وقد كان من الطريف أن تقف المرأة نفسها ضد انطلاقها... وإذا كان هذا مألوفاً في بيئة أمية، فما بالنا ونحن أمام مواقف نسائية متعلمة أشد تخلفاً من بعض الأميات، فقد شاعت قصيدة رديئة لباحثة البادية في مصر في عدد من الكتب التعليمية كقطعة استظهار، وفي هذه القطعة نرى أن باحثة البادية تنكر على المرأة ما أباحه لها الإسلام، وهو حق العلم والعمل ومساواة الرجل في أكثر الأشياء، تقول قصيدة "مجد الفتاة"[2]:

---

(١) النشيد والموسيقا . الفرا. ص ٥٥.

(٢) المحفوظات المختارة . عباس ٤ / ٣٨ .

مجـــد الفتـــــاة مقامهــــا		في البيت لا في المعمـــلِ
والمرء يعمل فـــي الحقــو		ل وعرسه فـــي المنـــزلِ
كـــم حاجـــة يهـــوي نظـــا		م البيـــت إن لـــم تعمـــلِ
مـــــن للوليـــــد يعينـــــه		فـــــي لبـــسه والمأكـــلِ
ويميط عنــــه أذى الـــردى		بتلطـــــــف وتحيّـــــــلِ
مـــن للرضـــاعة والحـــضا		نة والفطـــام ومـــا يلـــي
مـــن للمـــريض يحوطـــه		أبـــداً بـــدون تململُـــلِ
يجـــري علـــى وصـــف الطبيـــب علـــى الطريـــق الأفـــضلِ
مـــن للأثـــاث يـــصونه		مـــن للـــذخائر والحلـــي
مـــن يقـــسم المـــذخور بـــين الحـــال والمـــستقبلِ
مـــن ذا يعلـــم خادمـــا		ت البيـــت فعـــل الأكمـــلِ
لكـــن إذا دعـــت الـــضرو		رة للخـــروج فحيهـــلِ
سيري كـــسير الـــسحب لا		تـــأني ولا تتعجلـــي
وتنكبـــي نهـــج الزحـــام وفـــضلي الـــنهج الخلـــي

لقد خاض المجتمع معركة نهوض وتنوير حتى استطاع أن يوصل الناس إلى قناعة بأن النظرة التي كانت سائدة عن المرأة ودورها نتاج عصر الحريم المملوكي، وليست من حقيقية الدين والمجتمع عبر التاريخ.

إن أوائل النصوص الشعرية التي نشرت في مجلة "أسامة" كان لمها غريب وسهيلا شكور، وتتالت أسماء أخرى كنجاة شحاده وجمانة نعمان ولينا نقلا وجمانة موصلي التي تقول في " الفراشة " وهي قصيدة متميزة للأطفال (٣):

ارقصي فـــوق الزهـــرْ		يـــا فراشـــة الربيـــع
لونـــه الحلـــو انتثـــرْ		فـــي جناحـــك البـــديع

* * *

(٣) أسامة . العدد ٦٥ / ١٩٧١ .

ارقصي عند الغروبْ بين أرض وسماءْ

حقلنا الزاهي الطروبْ لونيه بالضياءْ

* * *

بين زهر الأقحوان وارتعاشات الغديرْ

من صفاء الأرجوان في جناحيك الحريرْ

* * *

صفقي، دوري ارجعي مثل نسمات الكرومْ

واحتمي في أضلعي عندما تبدو النجومْ

بعد ذلك نشرت شاعرة معروفة هي عزيزة هارون قصيدة "كتبي"(٤):

كتبي حولي ولولا كتبي يا ضياعي في حياة اللعبِ

علمتني كيف أسمو عندما حدثتني عن نساء العربِ

كيف كانت ناهضات للعلى مشرقات كشروق الشهبِ

كتبي تجلو الأسى عن مهجتي وتمنيني بنيل الأربِ

أجتني منها أزاهير المنى فزهت وانتعشت بالمشربِ

شغلتني عن رفيقات الصبا وهي عندي بعد أمي وأبي

وكتبت نجاة شحادة على طريقة شعر التفعيلة قصيدة "الفدائي"(٥) حيث أظهرت معاني البطولة والإيمان بالمستقبل والنصر، وعملت على أن تقدم هذه المعاني من خلال صورة مؤثرة :

ودّع الأهل وراحْ

قبل إشراق الصباحْ

حاملاً في القلب إيماناً وحباً

---

(٤) سا . ٦٩ / ١٩٧١ .

(٥) أسامة. ١٩٩٩/٥٧٢.

وخريطة

وعلى جنبيه أنواع السلاحْ

ومضى كالريح يجتاز جبالاً وقفارْ

عرف الجوع ، وعانى

من صقيع الليلِ

من حرِّ النهارْ

جابه النار وآلات الدمارْ

جابه الموت وفي الموت انتصارْ

أما التميز الملموس فقد كان عند الشاعرة لينا تقلا، إذ استطاعت أن تقدم قصائد طفلية بقوة، فاختارت على الدوام موضوعات لصيقة بالطفل، من خلال لغة ملائمة سلسة، وعبر خيال جميل، وأصدرت "للأطفال قلبي" وبلا شك فإن الكثير الكثير يعدنا منها، فهي ما زالت في بداية رحلتها مع شعر الأطفال.

لنستمع إليها في قصيدة "النجار"(٦):

من يصنع المقاعدْ   للدرس والمناضدْ؟

من يصنع الأسرّةْ   تريح كل الأسرةْ؟

جميعها من صنعه   صديقنا النجارُ

أخشابه متينة   منشاره بتارُ

أرجوحتي تطيرْ   كالطائر الصغيرْ

ومقعدي المفضل   في ركني الأثيرْ

سواه بالمنشارْ   صديقنا النجارْ

وكله من نعمة الرب من الأشجارْ

(٦) أسامة . العدد ٥٤٢ / ١٩٩٦ .

ومن قصائدها الجميلة "أصوات الحيوانات" ومنها(٧):

منذ الصبح كوكوريكو
كوكوريكو صاح الديكُ
خارت بقره خلف الصخره
تحت الشجره ردت أخرى
نونو نو نو ماء القطُّ
وك وك وك وك صاح البطُّ
نق نق نق نق قال الضفدعْ
عيشي حلو في المستنقعْ
عصفور في العش يزقزقْ
صوت كالماء المتدفقْ
صهل المهر نبح الكلبُ
نعق البوم وعوى الذئبُ
يا أطفالي من يتذكرْ
صوتاً آخر فليتفكرْ

---

(٧) سا . العدد ٥١١ / ١٩٩٤ .

الفصل الرابع

موضوعات شعر الأطفال العربي

تقدم تجربة شعر الأطفال العربية مجموعة من الموضوعات الأساسية، وهي في مجملها قد لا تختلف كثيراً عن أية تجربة مشابهة في العالم، إلا في طريقة تقديم الفكرة، تبعاً لنضوج الفهم تربوياً وفنياً في إطار من الزمان والمكان.

العلم

يأتي العلم في مقدمة الموضوعات التي عالجها شعر الأطفال، فقد كانت الدعوة إليه مساوية للنهوض نفسه، في واقع أمي متخلف، ومن ذلك قول الرافعي[1]:

نحن في هذه المدارس نسعى — لنبرَّ الوالـدات والوالـدينا
وترانـا أوطاننـا خيـر قـوم — ففلاح الأوطان فـي أيـدينا

وفي قصيدة ذاعت كثيراً في الكتب المدرسية المبكرة[2]:

دفتري صاحبي ولوحي رفيقي — وكتابي في كل فـن إمـامي

أو[3]:

آفـة العـالم أن لا يعمـلا — وشفا الجاهـل أن لا يـسألا

---

(١) شرح ديوان الرافعي ٢١/١ .

(٢) سا ٢٠/١.

(٣) سا ١٩/١.

وللكتاب تكتب جسماني شقرا من سوريا(٤):

من الصديق المستطاب   أقواله الشهد المذابْ
يرشدني إلى الصواب؟   هو الكتاب هو الكتابْ

وفي الموضوع نفسه كتب الشاعر المصري محمد السنهوتي(٥):

أنـا فتـى ذو أدبِ   أقرأ خيـر الكتـبِ
إن غابت الأصحاب   فـصاحبي الكتـابُ
فيه حـديث الـسمر   مـزين بالـصورِ
فالعلم في الـسطور   يسري إلى الصدورِ

وفي "نشيد مدرستي" يكتب المغربي محمد غويط(٦):

جددوا للعرب مجـدا   واركبوا كدا وجـدا
واقدحوا للعلم زنـدا   والبسوا للحزم بُرْدا

ومثلة الجزائري محمد بن العابد الجيلالي(٧):

إلى المدارس نـسيرْ   بفرح ملء الضميرْ
هي لنا روض السرورْ   بفضلها العقل اكتملْ

ومن تونس يأتينا صوت محمد الشاذلي في (الكتاب)(٨):

هذا الكتاب أخذت عنه دروسي   وتخذته دون الصحاب جليسي
ورضيته خلا يزيـل سـآمتي   ويظل إن غم الظلام أنيـسي

---

(٤) روضة الأطفال . ص ٢٦.
(٥) أدب الطفولة . زلط ص ٥١.
(٦) القراءة العربية . المشرفي . ص ١٠ .
(٧) سا . ص ٧٦.
(٨) ديوان الشاذلي . ص ١٢١.

ويقول سليمان دغيش من لبنان[٩]:

بالعلوم نعلي راية الوطنْ
بالوئام نحني هامة الزمنْ

وللمدرسة يكتب شاعرنا أنور العطار[١٠]:

مدرستي مدرستي يا مطلبي وبهجتي
لأنت موئل الصبا ومسرحي وروضتي
أيا سرحة الفكر الوارفه غصونك منا ومنا الطيورْ
نفديك راعية عاطفه ونصفيك أصدق ما في الصدورْ
ونحميك من قارعات الدهورْ

كما يخص بعض الشعراء نهاية العام الدراسي بقصائد خاصة، كما لدى ناصر الوحيشي من الجزائر في (نشيد الوداع)[١١]:

أنا لن أقول: إلى اللقا أنا لن أقول أودعُ
أسماؤكم.... ألقابكم من مهجتي لا تنزعُ

وعلى عادة الكتب العربية إلى وقت قريب في إهمال أسماء الشعراء، نقرأ قصائد مجهولة القائل كما في انتهاء السنة الدراسية لأحد الشعراء التونسيين[١٢]:

انتهى العام الدراسي في فرحْ
أين رفشي ؟ أين فأسي للمرحْ
. . . .
نحو شاطي البحر هبوا مسرعينْ
وإلى الألعاب دبوا أجمعينْ

---

(٩) أحلى الاشعار. ص ٦٠.
(١٠) أغاني الديار. الصواف. ص ٩٠.
(١١) رجاء. الوحيشي . ص ٢٠.
(١٢) كتاب القراءة. السبعي .ص ٢٠٧.

ومن النصوص المجهولة التي تحدثت عن الكتاب والعلم والمدرسة (أخلاق عدنان)(١٣):

أكــرم بـــه مـــن طالـــب لا يهـــوى غيـــر الكتـــبِ
بـــين الرفـــاق إنـــــه عنـــوان فخـــر الكتـــبِ

والآخر(١٤):

عليك بالعلم فاطلبـــه بـلا كـسلِ واعمل فإن حياة العلم بالعمـــلِ
كم من غني جميع الناس تجهلـــه وعالم صيته في السهل والجبلِ
وكم ملوك تقفى ذكرهـا ومــضى وذكر ذي العلم بين الناس لم يزلِ

وفي نص عن (الكتاب) أظنه لجميل سلطان(١٥):

والله مــا فــي البرايــا أعــز مـــن أحبـابي
وليس ذو الفضل فــيهم يفوق فــضل الكتــابِ

وعن (واجب التلميذ في المدرسة) نقرأ(١٦):

على التلميذ في الفصلِ قضاء الوقت في الشغلِ
وإتمام الفروض علـــى أتم الوجـــه والـــشكلِ
إذا الأســـــتاذ خاطبـــــه يجيب بكامـــل العقـــلِ
ولا يمتـــاز عـــن أحـــد بغير العلـــم والفـــضلِ

ومن الجميل أن نقع على نصوص تدخل إلى موضوع المدرســة والعلــم بطريقة طريفة كما في (صوت الجرس)(١٧):

مـــاذا يقـــول الجـــرسُ ماذا يقـــول الجـــرسُ؟

---

(١٣)
(١٤) القلادة. ص ٧٠.
(١٥) الجديد. للسادس . سلطان . ص ٣٠.
(١٦) المحفوظات المختارة ١/٢٢.
(١٧) الجديد في اللغة. قطب. ص ٥٤.

رن.. رن.. رن رن.. رن.. رن
يقـــول: يـــا أولادي يـــا أمـــل الـــبلاد
هيـــا إلـــى الـــدروسِ مـــصلحة النفـــوسِ
رن.. رن.. رن رن.. رن.. رن
واشـــــتغلوا بجـــــدٍّ في كل شـــيء مجـدِ

وفي قصيدة أخرى اسمها (الساعة)(١٨):

تك تك تك تك تـــك اسـمغْ وانظرها في زنـــدي تلمـــغْ
ومـــــدورة مثـــل القـــرشِ وعقاربهـــا دومـــا تمـــشي
إن اربطهـــا ســـارت ســـارت وبآلتهـــــا مهـــــلا دارت
لا تهـــدأ مـــن بعـــد الـــربطِ تنبي عـــن وقتـــي بالـــضبطِ
انظـــر انظـــر مـــا أحلاهـــا أمـــــي أهـــــدتني إياهـــــا
وابتاعتهـــــا لـــــي بالغـــــالي لمكـــافئتي عـــن أعمـــالي

الأسرة

من الطبيعي أن تكون الأسرة موضوعاً رئيسياً آخرفي شعر الأطفال، لأنها المحيط الأول الذي يعيش فيه الطفل، وتكون الأم في الصدارة من الاهتمام فلها يكتب شبلي الملاط في (تحية الأم)(١٩):

أشهى الأماني في سبيل رضاكِ ولو انني يا أمي كنت فـداكِ

وللأخوين رحباني قصيدة (أمي)(٢٠):

نـــداء الحنـــانِ وصفو الأمـــانِ
وأســـعد حلـــمِ أمـــــــــــي

---

(١٨) القراءة والاستظهار . عيسى . ص ٣٤.
(١٩) ديوان شبلي ملاط . ص ٤٥٦.
(٢٠) حديقتي للثالث . المالح. ص ١٤ .

الغاب والسهولُ والطير والحقولُ
جميعها تقولُ أمي

و(الأم) قصيدة لمحمود كلزي يقول فيها(٢١):

يرف الحنان عليا ربيعاً نديا نديا

. . . .

نداؤك دفق الحنانِ وصدرك مهد الأمانِ
إذا ضاق صدر الزمانِ فقلبك أوفى مكانِ

ونشيد (ماما) من القصائد المميزة لسليمان العيسى(٢٢):

أنت نشيدي عيدك عيدي
بسمة أمي سر وجودي

أما في النصوص المجهولة القائل فمن أهمها وأشهرها(٢٣):

من لكم هز السريرا؟ من لكم غنى كثيرا؟
عندما نمتم حبورا إنها الأم الحنونْ
من لكم يحكي عشيه قصص الليل الشهيةْ
من لكم يهدي هديه؟ إنها الأم الحنونْ

وقد تكون القصائد للأبوين معا(٢٤):

للوالدين كرامة ومحبة مني وفيةْ
ما عشت لا أنساهما عظم الجميل لوالديةْ

---

(٢١) مجلة أسامة العدد ١٩٧٤/١٢٩.

(٢٢) عنوا يا أطفال ٢٥/١.

(٢٣) قراءتي للثاني . ص ٨٩.

(٢٤) المنتخب . ص ٣٣.

وفي(جزاء الوالدين) نقرأ[٢٥]:

هذا حنان الأم مـــن أجــل ابنهـــا وكذاك حب أبي فما هذي النعــمْ
فجزاء هذا الحــب منـــي طاعـــة ومحبة ما شاء ربـــي ذو الكــرمْ

ونقرأ في (محبة الوالدين)[٢٦]:

إنني طفــل صـــغير لأبي حبي وأمـــي
يا إلهي احفظهما لي مع أحبائي وقومي

وإذا انتقلنا إلى الجد فلم يهمل الشعراء هذا الإنسان المحمل بالكثير من عطاءات الحب والرعاية كما لدى ناصر الوحيشي من الجزائر[٢٧]:

حين يـــأتي الظـــلامُ والـــصحاب نيـــامُ
تـــستوي جـــدتي ثم يحلـــو الكـــلامُ
بـــك يـــا جـــدتي

أما الشاعر العراقي فاروق سلوم فإنه في (جدي) يتحدث عن جد فلاح[٢٨]:

جدي فــلاح فـــي الحقــلِ
ولديـــة بيـــوت للنحـــلِ
وسواق يجري الماء بهـــا
كي تشرب أشجار النحــلِ
جدي فــلاح فـــي الحقــلِ
وعلى يـــده ربـــى أهلـــي

---

(٢٥) القراءة الرشيدة . ١٠٨/٢.
(٢٦) المحفوظات الطريفة . الحيدري . ص ٣.
(٢٧) رجاء . ص ١٢.
(٢٨) الأناشيد . ص ٣٧٢.

ويخاطب محمد الشاذلي ابنه في قصيدة (ابني)[٢٩]:

واخدم بلادك واعلــم بأنــك التونــسي
وارفع لذكرك شــأنا فأنت مثلــي أبــي

وفي (ولدي) تقول الشاعرة المصرية جليلة رضا[٣٠]:

بني فــديت بــالعمر القــصيرِ فخذ ما شئت من عهد السرورِ
وكان الشوك في الدنيا نصيبي وكان لك الزهور مع العبيــرِ

وفي موضوع (أختي الصغيرة) يقول أحد الشعراء[٣١]:

نظرت عيني بمهــدي ذات يــومِ
طفلة فــي عينهــا أعــذب نــومِ
قيل لي أختك هــذي يــا ســميرْ
يا لها من لعبــة فــوق الــسريرْ

وخص الشاعر سليمان العيسى الأب بـــ (نشيد بابا) [٣٢]:

بابـــا بابـــا يومك طابـــا
دمت ربيعــا دمت شــبابا

وفي (صديقي) نقرأ لأحد الشعراء في موضوع الصداقة[٣٣]:

رفيق الروح والقلب له ودي له حبــي
تصادقنا على الأدبِ تصافينا بلا غضبِ

---

(٢٩) ديوان خزنه دار ٢١٩/١.

(٣٠) اللحن الباركي . رضا ص ٤٦.

(٣١) الجديد . للثالث . سلطان . ص ٢٥.

(٣٢) غنوا يا أطفال ٢٧/١.

(٣٣) القراءة والمحفوظات . للرابع . ص ١٥ .

الوطن

الوطن في مقدمة الموضوعات التي تناولها الشعراء منذ المحاولة الأولى للطهطاوي حتى الآن، وقد كانت الكتب المدرسية تستعين أحياناً بنصوص سهلة عن الوطن، وإن لم تكن قد كتبت للأطفال أصلاً.

والوطن كان يعني القطر العربي أو الوطن العربي كله، وأحياناً يحصل مزج طبيعي بين القطر والوطن الكبير، وبعض القصائد تتحدث عن الوطن بشكل عام، كنص مشهور لعقود عديدة لأحمد الكاشف من مصر(٣٤):

وطني أنــت الحبيــب الــدائمُ ... لك في قلبي المقام الأشــرفُ
وغرامـــي بـــك طبــع لازمُ ... ســرني أنــي بــه متــصفُ

أما الشاعر السوري سليم الحنفي فيقول(٣٥):

أنا أهوى أمـــة العــرب وكــمْ ... مات قبلـــي مغــرم بـــالعربِ
أربـــي مجــد لقــومي ولكــمْ ... مات غيري دون نيــل الأربِ

ويقول الشاعر عبد الرزاق عبد الواحد في (هذا وطني)(٣٦):

قـــالوا نجـــوم كالـــدررْ ... تهــبط لــيلاً والقمــرْ
تسبح في موج النهــرْ ... فقلت: هــذا وطنـــي!
قـــالوا وتربـــة ذهـــبْ ... تطلع ألوانـــاً عجــبْ
أكرم كـــل مـــن وهـــبْ ... فقلت: هــذا وطنـــي!
قالوا إذاً مـــا أكملـــك! ... أكل هـــذا الخيرلـــك؟
فأنت أغنى مـــن ملـــكْ ... فقلت: أفدي وطنـــي!

---

(٣٤) المحفوظات الطريفة .ع .ح . ص ٢٧ .

(٣٥) مجموعة الاغاريد . البيات . ص ٢٨.

(٣٦) مجلتي . العدد مارس ١٩٧٧.

ومحمد الأخضر السائحي يجعل العلم رمزاً للوطن فيكتب له[٣٧]:

علمي يا رمــز مجــدي　　　وانتصاري يــا علــمْ

ابــق كـــالنجم رفيعـــا　　　خافقـــا فـــوق القمـــمْ

شامخا بين الأمـــم

يـــــا علمـــــي

ولأحد الشعراء قصيدة جميلة بعنوان (وطني) منها[٣٨]:

وطن نـــشأت بأرضـــهِ　　　ودرجت تحت ســمائهِ

ســـأظل جنـــديا لـــه　　　وأعيش تحت لوائـــهِ

في السلم أعمل جاهـدا　　　لرخائـــــه وبنائـــــهِ

وأكون في يوم الـــوغى　　　أســـداً علـــى أعدائـــهِ

وهناك نص قديم لأديب سوري كما ورد في المحفوظات العربية يتحدث عن سوريا[٣٩]:

إيـــه ســـوريا الفتيـــهْ　　　يـــا مـــلاذ الهـــائمِ

باشرِي السبل الـــسويه　　　لاتحـــــــاد دائـــــمِ

فمتـــى عينـــي تـــراك　　　يـــا حيـــاة الأنفـــسِ

تتلاقـــى فـــي ســـماك　　　حلـــب فـــي المقـــدسِ

وقد يكون الحديث عن الوطن مختلطا بالحديث عن الحرية، كما لدى خليل مطران في (الحرية)[٤٠]:

قدمت إلى وطني بكل جلالِ　　　وبأرضه ألقت عصا الترحالِ

فسمعتها تشدو بلحن عـــالِ　　　مني السلام عليك يا سوريا

---

(٣٧) سا . ص ٥٩.

(٣٨) أدب الأطفال . عيسى . ص ١٨.

(٣٩) سلسلة المحفوظات العربية .السفرجلاني ٢/٢٠.

(٤٠) سا . ص ٢٨.

وللرصافي[٤١]:

نحن بني الأوطانِ نحمــي حماهــا

من أقدم الأزمانِ سادت ســواها

وقد يكون الحديث عن الوطن أقل مباشرة كما لدى الياس أبو شبكة[٤٢]:

لبناننا جنى الجهادِ قلب الـبلادِ

نــــور العبـــادِ

هيـــا احــصدوا وأنــــشدوا

فالحب قلب ويــدُ

وعلى نحو جميل آخر يكتب علي العلاق من العراق[٤٣]:

عاليـــة ســـماؤنا الفـــسيحة

مشمـــسة أيامنـــا المريحـــة

ونحــــن نلهـــو معـــا

فــــوق تــــراب الــــوطن

وتحت هــذي الخيمــة الـصافية

يــــا شمـــسنا العاليــــة

ومن النصوص المميزة (هذي داري) وهي قصيدة على شكل حكاية شعرية، وأظنها لجميل سلطان، وفيها حديث عن الوطن والدفاع عن الوطن بصورة جذابة للطفل[٤٤]:

الديك أطل بنظرتهِ مــــن فــــوق جــــدار منهــــارِ

فــرأى بجــوار حظيرتــهِ ديكا يمشي في اســتكبارِ

---

(٤١) سا . ١ / ٢٤.

(٤٢) مجلة "مجلتي" العدد ١٩٧٨/٦٩.

(٤٣) الأعمال الشعرية الكاملة . ص ٣٤٣.

(٤٤) الجديد . للخامس . ص ١٢٠.

يختـــال وينـــشر أجنحـــة صـــفراء كمثـــل الـــدينارِ
وطئت قـــدماه لـــه حرمـــاً واختـــال بمـــشية جبـــارِ
فاهتز الديك وقـــد قـــدحت عينـــاه شـــراراً كالنـــارِ
ورأى مـــا كـــان بحوزتـــه سيـــصير بكـــف الغـــدارِ
فمـــضى والنخـــوة تملـــؤه والعـــزم كـــسيف بتـــارِ
يا ظالم عرج عن حرمـــي واحذر فتكـــات الأحـــرارِ
هـــذا وطنـــي لا أسـلمـه هذي حرمي هـــذي داري
قد جئت لتـــسلبني ســـكني وبنـــيَّ بفعـــل الأشـــرارِ
وانقـــض عليـــة يمزقـــه وجرت حرب في أطـــوارِ
الريش يطيـــر هنـــا وهنـــا ودم الديكين بـــه جـــاري
حتـــى كلـــت عزماتهمـــا وتغلب ذو الحق الضاري
وتـــولى الظـــالم منهزمـــا بالخزي في ثـــوب العـــارِ

الطبيعة

درج شعر الأطفال على تقديم مشاهد متنوعة من الطبيعة، لما فيها من جاذبية خاصة للطفل، فهو المخلوق الذي يتأمل ويتساءل ويتماهى مع الموجودات حوله، ومن المحاولات المبكرة في العشرينيات ما كتبه عمر فروخ عن (الشتاء)(٤٥):

انظر إلى السماءْ مسودة الأنحاءْ
بالسحب السوداءْ

أو الخريف(٤٦):

أقبل الغـــيم وهـــذا من علامات الخريفْ

(٤٥) المحفوظات الطريفة . ص ٣٢.

(٤٦) سا .ص ٢٢.

وعباس العقاد يكتب (للقمر)[٤٧]:

فضفض الماء يا قمرْ وانقش النور في الحجرْ
في لياليك بهجة بهجة الفكر والنظرْ

وعن (زهرة الفل) يكتب سعيد السحار[٤٨]:

يا زهرة الفلْ يا بهجة الكلْ
لونك وضاحُ عطرك فواحُ

و(أنشودة الربيع) يقدمها نصرة سعيد، ومنها[٤٩]:

الطير يشدو طربا قرب الحقولْ
والماء يجري طيبا بين السهولْ
هذا الربيع سلوى الجميع

والشاعر أحمد الحوتي يمزج موضوع الطبيعة بقيم تربوية نبيلة في (الورود والشجرة)[٥٠]:

حكى لي شيخ حارتنا
بأن الورد والشجره
تماماً مثلنا أطفالْ
وأن الورد يفرح حين نسقيهِ
ونرعاهُ
ويبكي لو قطفناهُ

---

(٤٧) ديوان العقاد ١/١٤٦.

(٤٨) النشيد والموسيقا . القدسي . ص ٤٩.

(٤٩) موسيقا وأغاريد الطفولة . ص ١٢.

(٥٠) اطفالنا في ... سويلم .ص ٢١٥.

وعلى نحو مرهف يكتب الشاعر المصري أحمد زرزور عن الشمس نصاً مميزاً هو (لماذا تغيب الشمس؟)[٥١]:

لماذا حين يأتي الليلُ

ترحل شمسنا وتغيبْ ؟

أتتعب شمسنا

وتروح صوب البحر

كي ترتاحْ؟

تغسل شعرها الأشقرْ

وتصعد في الفضا...... تعلو

تنام على سرير الأفقِ

أو تسهرْ

لتصحو عند كل صباحْ

وللشجرة يكتب فارس قويدر (أنا الشجرة)[٥٢]:

عرفت الريح أنواعا ... فكم جاءت على غره

و لكنـــي أقاومهـــا ... فتأكل قلبها الحسره

أنـــــا الـــــشجره ... أنـــــا الـــــشجره

ومن أجمل النصوص التي قيلت عن الطبيعة (الطفل والنهر) لعمر فروخ[٥٣]:

---

(٥١) مجلة "أسامة " العدد ١٩٩٢/٤٨٥.

(٥٢) سا . العدد ١٩٩٦/٥٤٤.

(٥٣) الجديد . للثالث . سلطان . ص ٦٤ ، ذكرت القصيدة دون تسمية للشاعر ، وتنسب لعبد الكريم الحيدري أيضاً ، وأرجح أنها لفروخ.

أيهـا النهـر لا تـسرْ وانتظرنـــي لأتبعـــكْ
أنـــا أخبـــرت والـــدي إننـــي ذاهـــب معـــكْ
فـــانتظرني لأتبعـــكْ
أنا أحـضرت مركبـي هو يا نهر مـن ورقْ
ادنُ يـــا نهـــر إننـــي لست أخشى من الغرقْ
فـــانتظرني لأتبعـــك
ظهـــر النهـــر هادئـــاً ورأى الطفـــل أولـــهْ
فرمى المركـــب الـــذي في يديـــه وقـــال لـــهْ:
انتظرنـــــــي لأتبعـــــكْ
فجرى النهر مـسرعاً ومضى ثـم لـم يَعُـدْ
صـــرخ الطفـــل قـــائلا بعدما المركـــب ابتعَـدْ
ليتنـــي.... ليتنـــي معـــكْ!

الحيوان

والحديث عن الحيوان من مألوف شعر الأطفال، سواء من خلال القصص الشعرية على لسانهم، أم وصف حيوان معين، هذا الأمر كان شائعاً منذ محمد عثمان جلال وعبد الله فريج ورزق الله حسون وجرجس شلحت وغيرهم، ومن أكثر النصوص شيوعاً منذ وقت مبكر نص ذائع الصيت هو "البلبل" فيه الرمز الخالد للحرية(٥٤):

قد كان عنـدي بلبـلٌ حلـو طويـل الـذنبِ
ظريف شـكل ريـشه يلمـع مثـل الـذهبِ
وكـان يـشدو دائمـاً بكـل لحـن مطـربِ
وكـان عنـدي سـاكناً في قفص مـن قـصبِ

---

(٥٤) ترقي الصغار . صغير ١/٣٢..

ولــم أكــن أحرمـــه | من مأكـل أو مـشربِ
بــل دائمـــاً أطعمـــه | من كـل أكـل طيـبِ
ودائمـــاً أسـقيه مـــن | مـــاء زلال عـــذبِ
ففــرَّ منـــي ونـــأى | من دون أدنـى سـببِ
وراح يبنـــي عـــشه | فوق غـصين رطـبِ
يا أسفي يــا حـسرتي | قد غاب عني مطربــي

وعن " عيش العصفور " يكتب العقاد[٥٥]:

حط على الغصن وانحدرْ | أقل من لمحة البـصرْ
مغرداً قط مـــا تـــوانى | مرفرفاً قط ما اسـتقرْ

وفي نص رائع هو " لو كنت أطير " لسعيد السحار يقول[٥٦]:

آه لـــو كنـــت أطيـــرْ | مثل عـصفور صـغيرْ
كنت أعلو في الهــواء | طائراً نحـو الـسماءْ
ثم أمضي في الفــضاء | أنظر الكـون الكبيـرْ

وعن "الطائر الصغير" يكتب محمد الهراوي[٥٧]:

الطـــائر الـــصغيرُ | مــسكنه فـــي العـشِّ
وأمـــــه تطيـــــرُ | تـــأتي لـــه بـــالقشِّ

وفي "أتمنى لو" يكتب الشاعر أحمد سويلم من مصر[٥٨]:

أتمنى لو أني عصفورْ
ألهو ألعب وأغني في النورْ

---

(٥٥) ديوان العقاد ١/١٢٩.
(٥٦) النشيد والموسيقا . القدسي . ص ٧٩.
(٥٧) الطفل الجديد . الهراوي . ص٣٧ .
(٥٨) الأطفال في "سويلم" . ص ٢٢٤.

وأنقر في الصبح نوافذ أصحابي الظرفاءْ

وأقول: صباح الخيرْ

صباح النورْ

ويصوغ الشاعر محمود غنيم حكاية شعرية باسم "الكبش شق العصا"(٥٩):

الكبش شقّ العصا يوماً على الراعي وقــال للــشاء: أنــتم بعــض أتبــاعي

حتى أحسّ عــصا الراعــى تؤدبــه كمــا يــؤدَّب عبــدٌ غيــر مطــواعِ

فــلاذ بالــذئب، يــدعوه لنجدتــه ومن ســواه يلبــي دعــوة الــداعي؟

تنــاول الــذئبُ قرنيــه، وقــال لــه أقبل على الرُحب، يــا ريمــاًعلى القــاعِ

وسخر الكبش في صيد الــشياه لــه فجدَّ في السعي. ضلَّ السعي والساعي!

وظــلَّ يرتــع حينــا تحــت رايتــه ويأكــل الحــبَّ بالقنطــار لا الــصاعِ

حتى إذا الصَّيد أعيا الكــبش، مزّقــه بمخلــب مثــل حــدِّ الــسيف قطــاعِ

فلا القطيــع بكــاه يــوم مــصرعه ولا الــذئاب نعــاه منهمــو نــاعِ

وهكــذا راح ذو القــرنين موعظــة وعبــرة مــا وعــى أمثالهــا واعِ

لن ينفــي الكــبش راعيــه فتنزلــه منهــا الــذئاب بأبــصار وأســماعِ

ومن التجارب الحديثة الطريفة قصيدة "ابن عرس" لفاروق سلوم(٦٠):

أنــــا حيــــوان ذكــــيٌّ

لــــي لــــون بنــــدقيٌّ

أعــشق الــشمس وأمــضي

كــل هــذي الأرض أرضــي

أختفــــي أنــــى تروني

---

(٥٩) ديوان محمود غنيم ٢٨٧/١.

(٦٠) مجلة "مجلتي" ٢١ نيسان ١٩٨٠.

كلكـــــم يعـــــرف لـــــوني
أنـــا اســـمي ابـــن عـــرسْ

المهــن

إن اهتمام شعر الأطفال بالمهن له علاقة كبيرة بالموقف التربوي من العمل، وخلق موقف إيجابي منه، وخاصة الأعمال اليدوية أو الخطرة أو ذات الطبيعة الخاصة النادرة، ومن أبرز من ركز على القصائد التي تحدثت عن المهن محمد الهراوي، ويكون بذلك قد أدخل شعر الأطفال في معترك الحياة اليومية للناس، ومن قصائده "البستاني"(٦١):

أراه فـــي الـــصباحِ ... يعمل في انـــشراحِ
بين الندى والزهـــرِ ... وتحت ظل الـــشجرِ
يـــشذب الأشـــجارا ... ويقطف الأزهـــارا
وحولـــه الطيـــورُ ... تحـــط أو تطيـــرُ
تلاعـــب الأغـــصانا ... وتنـــشد الألحانـــا
ما أحسن البـــستاني ... يعيش فـــي أمـــانِ
فعيـــشه ســـعيدُ ... وجهـــده مفيـــدُ

أما الشاعر المبدع في شعر الأطفال "سعيد جودة السحار" فإنه يقدم مشهداً متعدداً للمهن من خلال حوارية، لكنه يحصرها بالأولاد مع الأسف، وهذا جانب أضعف عمله تربوياً(٦٢):

أيهـــا الإخـــوان هيـــا ... نطرح الإهمال عنـــا
وليقـــل كـــل صـــغير ... يطلب العليـــاء منـــا
مـــا عـــساه أن يكونـــا ... عنـــدما يكبـــر ســـنا

---

(٦١) أحلى الاشعار . ص ٤٤.
(٦٢) النشيد والموسيقا . القدسي . ص ١٣٣.

مجاب: عندما أكبر أرجو | أن أكون مثل خالي
ضابطاً أحمي بلادي | عاملاً بين الرجالِ
فإذا ما الحرب قامت | انبريت للقتالِ

الجميع: أيها الأخوان هيا

مصطفى: إن كبرت واجتهدت | صرت معماراً شهيرا
أنشر العمران دوراً | وقصوراً أو جسورا
لم أجد أنفع ممن | يقلب الصحراء دورا

الجميع: أيها الأخوان هيا

مكين: عندما تكبر سني | لن أرى إلا طبيبا
أبرئ المرضى وأمحو | عن بني الناس الكروبا
إن فعل الخير يبقى | دائماً عندي حبيبا

الجميع: أيها الأخوان هيا

معن: أيها الأصحاب مهلا | إنكم جرتم عليا
إنما كان المربي | والداً براً وفيا

الجميع: فهو من يجعل منكم | ضابطاً شهماً أبيا
أو طبيباً أو وزيراً | بعد أن لم يك شيا

وهناك مثل مدهش على القصيدة الطفلية الطريفة في بنائها وفكرتها لأحد الشعراء عن "الراعي الصغير"(٦٣):

إنني راع صغيرْ | مسكني كوخ صغيرْ
لي مزمار وكلبٌ | يقتل الذئب الكبيرْ

---

(٦٣) أحلى الاشعار . ص ١٧.

والدكتور أحمد أبو سعد الذي ألف عدة كتب تعليمية ولغوية وفي ثقافة الطفل كتب عدة قصائد جميلة منها قصيدة عن "البنّاء"[٦٤]:

أنـــا البنـــا أنـــا المـــشهورْ
أنـــــا معمــــر القـــصورْ
أنـــا البـــاني جميـــع الـــدورْ
بـــــشاقولي وميزانـــــي
أســـوّي صـــف حيطـــاني
وأصـــرخ فـــوق ركـــن الـــسورْ:
أنـــا البنـــا أنـــا المـــشهورْ

وفي قصيدة عن "الملاح يتحدث" يقول أحد الشعراء في نموذج ناجح[٦٥]:

إنـــــي أنـــــا البحـــارْ
لـــــي رفقـــــة أحـــــرارْ
نـــسري مـــع التيـــارْ
فـــي الـــشرق والغـــربِ
. . . .
والـــــزورق الطـــــوّافْ
يجـــرب بـــه المجـــذافْ
فـــي بحرنـــا المـــضيافْ
الواســـــع الرحــــــبِ

والشاعر العراقي جمال جمعة يقدم قصيدة عن "عمال البناء" على طريقة شعر التفعيلة[٦٦]:

---

(٦٤) اشعار وأناشيد . أبو سعد . ص ٨٠ .

(٦٥) الجديد. سلطان . للثالث . ص ١٨٨.

(٦٦) مجلة "أسامة" العدد ٣٧٤/ ١٩٨٤.

دارت ماكنـــــــة الإســـــمنتِ

ودق الفـــــولاذ المطــــروقْ:

طـــــــــاق... طـــــــوقْ

وارتفعـــت مـــن فـــوق الأرضْ

دار.. مدرســـــة.. أو ســـــوقْ

طـــــــــاق... طـــــــوقْ

أما محمد منذر لطفي من سورية فيعلي من مهنة الطيران عند الطفل عندما يقول على لسانه(٦٧):

أحب من له جناح أعشق الأطيارْ

وفي غد سوف أكون ضابطاً طيارْ

الفتاة

في بدايات شعر الأطفال لمسنا نظرة دونية للمرأة من خلال إشارات عديدة منذ محمد عثمان جلال، إلا أن هذه النظرة بدأت تتعدل مع انطلاق الدعوات لمساواة وتحرير المرأة حتى لا نكاد نجد شاعراً جيداً لم يدع إلى انطلاق الفتاة في مجال العلم كما لدى خليل مطران في نشيد لفتيات الكشافة(٦٨):

نحن منائر الفطـنْ   نحن بشائر الزمنْ

نحـــن طلائـــع الـــوطنْ

. . . .

بــــالخلق المهـــذَّبِ   واللطف والتـــأدُّبِ

نحـــن طلائـــع الـــوطنْ

. . . .

---

(٦٧) أغنيات الفصول الاربعة . لطفي . ص ٦٢.

(٦٨)

بـــالعلم والفـــضائلِ بالنبل في الشمائلِ

نحـــن طلائـــع الـــوطنْ

. . . .

ممـــا نعـــد للحمـــى من القوى ليعظمـــا

نحن طلائـــع الـــوطنْ

وعن الموضوع نفسه يكتب أحد الشعراء[٦٩]:

حبذا النشء الجديدْ سـيدات ناهـضاتْ

إنما العيش الـسعيدْ برقـــي الأمهـــاتْ

بالـــصفات الكـــاملاتْ

ومن النصوص الأولى في هذا الموضوع قول أحد الشعراء مخاطباً "الفتاة الشرقية"[٧٠]:

يا بنة الشرق انهضي حان القيامْ لنجاري الغرب جـداً واعتــزامْ

طال عهد الجهـل فـي أوطاننـا واسترق الناس والنـاس نيـامْ

هـــذبي أطفـــال ســـورية يـــا أمة الشرق لتـــزدادي انتظـامْ

هذبي المـــرأة كـــي نرقـــى إلـــى ذروة المجـــد فتـــاة وغـــلامْ

أرضعيها العلـم والتقـوى معـاً تحسني في صنعـة الله القيـامْ

هـــي أم إن تـــسامى فـــضلها رقيـت أوطاننـا عامـاً فعـامْ

وإذا مـــا فـــسدت أخلاقهـــا فعلى الأوطان والـدنيا الـسلامْ

ولشاعر مجهول آخر قصيدة عن "كمال الفتاة"[٧١]:

تعليمها أقـــوى ســـببْ لشروق أنـــوار الأدبْ

نحن الـــدعائم للبيـــوتْ وركن حفظ العـــائلاتْ

. . . .

---

(٦٩) المحفوظات المختارة ٤١/١.

(٧٠) سلسلة المحفوظات العربية . ص ٢٩.

(٧١) المحفوظات الطريفة . ص ١٠.

إن البنات مــع البنــينْ		كل لــصاحبه معــينْ
والدين في التعلــيم قــد		ساوى البنين مع البناتْ

وهناك نشيد بعنوان "بنت بلادي" كثير الورود في كتب المحفوظات العربية في بدايات القرن العشرين، يقول فيه شاعره المجهول(٧٢):

بنـــت بـــلادي		هيـــا لنرقـــى
طـــول الرقـــاد		يـــورث رقـــا
أنـــت مـــرادي		علمـــاً وخلقـــا
إلـــى الحيـــاة		أيـــا فتـــاتي
إلـــى الحيـــاة		إلـــى الحيـــاةِ

وهناك دعوة جميلة للمساواة أثبتها الشاعر محمد الهراوي في قصيدة "ميلاد أختي" مع تخصيصه للبنات جزءاً مهماً من تجربته في "سمير الأطفال"... تقول القصيدة(٧٣):

عيد أختي ســر قلبــي		مثل عيدي عيد أختي
أنت عندي مثل نفــسي		فأنا يــا أخــت أنــتِ

إن دعوات الرصافي واسكندر الخوري وعبد الكريم الحيدري وخليل مطران كثيرة في هذا الباب، وسأختم بما قدمه الشاعر إبراهيم ناجي عبر قصيدته الوحيدة في شعر الأطفال "نشيد الطالبة"(٧٤):

إني أحب العلم فهو التاج يرفع كل أمةْ
إن تحمدوا نعم الإله فإن حب العلم نعمةْ
ويدي لمن حولي تمد على المحبة والودادْ

---

(٧٢) المحفوظات المختارة . أحمد . ص ٩/١.
(٧٣) الطفل الجديد . الهراوي . ص ١٥.
(٧٤) الأعمال الشعرية الكاملة . ص ٨٠٧ .

أغدو على حـب لهـم وأعود صافية الفـؤادْ
لأبـي وأمـي طـاعتي ورضاهما هو مغنمـي
وعلـي أن يغـدو احترامـي كـاملاً لمعلمـي

موضوعات متفرقة

كثرت في شعر الأطفال المواعظ والإرشادات التربوية، وقد بلغت حداً من المباشرة والجفاف في البدايات، لأن الطفل لا ينتظر من القصيدة أن تكون مجرد توجيهات أخلاقية، بل إننا نرى عموماً أن النجاح الحقيقي لشاعر الأطفال أن يوصل الهدف التربوي بشكل خفي وشفاف، وفي إطار جمالي، لذا يصعب علينا الانحياز لكلام خليل مطران(٧٥):

قد قيل: مـن تـأنى أدرك مـا تمنـى
يعنـون أن تفكـرا لتـأمن التهـورا

أو(٧٦):

ومن أصاب منفعـة أصابها القوم معـة

وللشاعر التونسي عبد العزيز الحاج طيب في "الصبر" قوله(٧٧):

كن عازماً كـن حازمـاً واصبر تحقق ما تريدْ
فالصبر مفتـاح المنـى والعز والعيش السعيدْ

ولأحد الشعراء نص عنوانه "كيف أمشي في الطريق" يوجه الطفل لكيفية التعامل مع الناس والطريق قائلاً(٧٨):

أنا أمشي في طريقي بهـدوء واعتـدالِ

---

(٧٥) إلى الشباب . مطران . ص ٨٢ .
(٧٦) سا . ص ٢٣.
(٧٧) قصيدة الطفل . الصفدي . مجلة الاقلام . ١٩٧٩/٣.
(٧٨) المحفوظات الطريفة .ص ٢٠.

سائراً فوق رصيف عن يميني أو شمالِ
ليس في نصف الطريقْ

وفي "أدب التلميذ" يقول أحدهم(٧٩):

قم للدروس مبكــراً النوم أكثره تعــبْ
وخذ النصيحة حلوة تأتيك مــن أم وأبْ
العلم أشرف رتبة يــوم الفخــار مــن النــسبْ

وفي توجيه آخر لأحد الشعراء حول "اللعب والعمل" نقرأ من نص ذائع الصيت في المحفوظات الأولى(٨٠):

اللعب في البـستانِ وقتاً من الزمــانِ
بـــصحبة الإخــوانِ منــشط الأبــدانِ

وقد تكون الساعة من الموضوعات التي يتناولها الشعراء، فيقدمونها للأطفال رمزاً للنظام والدقة كما في هذا المثال(٨١):

تن تن تــن تــن تـــــدق الآنْ
تحـــــــدد لنـــا الأوقـــاتْ
مـــن راحـــة وعمـــــــلِ
مـــن لعـــب ومأكـــــــلِ
تعلم النـــاس النظـــامْ

والآلات الموسيقية موضوع آخر كتب فيه كثيرون ومن نماذجه "دوري مي" لعيسى أيوب(٨٢):

---

(٧٩) سا .ص ٢٥.
(٨٠) المحفوظات المختارة.عباس ١٢/١.
(٨١) المحاورة والتمثيل الغنائي .ص ١٢.
(٨٢) داليا .أيوب .ص ٣٥.

درن دران درن دران	اعزف يا عودي الرنــانْ
أنــت الــشرقي الألحــان	وأبو الأغنيــة الــشعبيةْ
ما أحلــى صــوت القيثــار	يصدح يصدح كالأطيــارْ
يعزف لي أحلــى الأشــعار	كل صباح... كل عــشيةْ

والعيد موضوع أثير ممن كتبوا فيه كما لدى قداوين من تونس في "جاء العيد"(٨٣):

عيد عيــد جــاء العيــدْ	كل الدنيا تشدو عيــدْ
هل صباح العيد علينــا	كالحلم الأخضر نشوانا
يحمل بشرى الحب إلينا	ويزف الفرحة ألوانــا

ويطــوف الأحيــاء ســعيدْ

وكانت اللعبة مما اهتم به الشعراء، وممن كتب عنها الشاعر عبد الكريم الحيدري في "دميتي"(٨٤):

دميتــــي تـــسحرْ	وبهــــا أفخـــرْ
خـــــدها أحمـــــرْ	ثوبهــــا أخــضرْ

وقول أحدهم في " اللعبة " ٨٥:

اللعبـــة الـــصغيره	كأنهــــا أميــــره
خفيفــــة بــــالوزنِ	محــشوّه بــالقطنِ
أحب شكلها الحــسن	إنه صنع الــوطنِ

ومن أطرف الموضوعات وأصعبها على الشاعر، ومن أحبها للطفل القصائد التي تحوي أحجية أو لغزاً، لما في النوع من قدرة على إمتاع والتسلية والإفادة معاً كما في قول الشاعر جميل سلطان(٨٦):

---

(٨٣) أغنيات للأطفال ١٩٩٩.ص ٤٦.

(٨٤) حديقة الأشعار المدرسية . ص ٧٥

(٨٥) الجديد . للثاني . سطان . ص ٤٤.

(٨٦) الاستظهار المصور . سطان . ٨/٢ .

مــا قــشرة رقيقــه	كأنهــا فنجــانُ
مغلقـــة داخلهـــا	اللؤلؤ والمرجـانُ
مــن مونــة البيــت	ومما يثمر البستانُ
وأنـــت تهـــوى أكلهـــا	فـــاحزر هـــي...

بالطبع على الطفل أن يملأ الفراغ بكلمة "الرمان"، وقد أبدع الشاعر المصري محمد الهراوي في هذا اللون، ومن تجاربه "أمثلة للتكملة"[٨٧]:

دال- ألـــــف- راء-: دار

غـــاب القـــط لعـــب:..

راء- زاي: رز - زر

وز - بـــط بـــط -...

حاء - سـين - نـون: حـسن

ســلم الــوطن يحيــا:...

ولجميل سلطان قصائد في الأحاجي كما نظن[٨٨]، كذلك لفت نظرنا الشاعر عز الدين علم الدين التنوخي في وضع عدد من نصوص خاصة بالألعاب، حيث لا نستطيع فهمها تماماً إلا مع لعبة خاصة بها، وغالباً ما تكون لعبة شعبية معروفة، وأسهم الرصافي في هذا اللون أيضاً[٨٩]:

ولشاعر مجهول نقرأ هذه الأحجية[٩٠]:

فما اسم شيء يؤكلُ	ليس لديه أرجـلُ
لــه قــشور تلمـعُ	مــدورات أجمــعُ
يعيش في الماء فقطْ	حروفه بلا نقــطْ؟

---

(٨٧) أدب الطفولة. د. زلط . ص ٨٠ .

(٨٨) كما في "احزر" الجديد . للسادس . ص ٢٩٣. أو " احزر" الجديد للثالث. ص ٥٧.

(٨٩) راجع. الأناشيد المدرسية . جزآن

(٩٠) الأناشيد. التربية . ص ٤٠٢.

ومن الأمثلة المبكرة والنادرة على قصائد الألعاب عثرت على نص بعنوان "لعبة الشجرة" ومنه[٩١]:

وسطِ الحديقة والشجرْ والشجر والشجرْ
نجري ونلعب بالأكرْ
وننظف الأيدي كذا الأيدي كذا
ونزيل بالماء القذرْ
وكذاك نلبس ثوبنا ثوبنا ثوبنا
ثوباً نظيفاً مفتخرْ
وكذا ننظف نعلنا نعلنا نعلنا
أدواتنا نحمل كذا نحمل كذا نحمل كذا
كي لا يحل بها ضررْ
وكذا نسير لدرسنا
في يوم برد أو مطرْ
وكذا نعود لبيتنا لبيتنا لبيتنا
من غير همٍّ أو ضجرْ

ومن الشعراء الشباب الذين نجحوا في كتابة هذا اللون من القصائد كريم العراقي، وهذه التجربة تستحق أن يوليها الشعراء اهتماماً أكبر لما تحمله من أهمية عند الطفل.

وختاماً أنوه إلى أن شعر الأطفال عالج موضوعات صحية وبيئية وجغرافية إلخ.. مما يطول الحديث عنه لو أردنا التفصيل.

---

(٩١) روضة الأطفال . سري .

الفصل الخامس

ملاحظات في شعر الأطفال

المتابع لشعر الأطفال العربي يلاحظ أن المشاركة واسعة فيه، ولا سيما في الدول التي تشجع نشر الشعر في المجلات، وتطلب وسائلها الإعلامية كلمات لأغاني الأطفال، ويتركز هذا الأمر في سورية ولبنان والعراق ومصر والأردن وفلسطين.

إلا أن التدقيق في هذه التجربة فنياً يكشف أن بعض التساهل قد طال العديد من شروط النص الجيد، وسمح أكثر الشعراء لأنفسهم أن يكتبوا للطفل كما لو كانوا يكتبون للكبير.

أما من الناحية الثانية – وهذا الأسوأ – فقد شعر كثيرون أن كتابة قصيدة للطفل لا تحتاج سوى رصف لعدة جمل حول موضوع بسيط، من غير امتلاك حقيقي للأدوات الشعرية، فراح يتسابق في هذا المضمار كتاب عديدون مستغلين حاجة المجلات ووسائل الإعلام إلى "مورَدّي" نصوص بشروط سهلة جداً.

إن هذه النظرة الشائعة لدى المؤسسات في غاية الإفساد، إذ تعتقد أنه بالإمكان تقديم أعمال للطفل بأرخص الأدوات البشرية والتقنية، وهذا فهم يقف حائلاً دون انطلاق نوعي لشعر الأطفال.

وعلى سبيل المثال يسهل على الإذاعة والتلفزيون في أي بلد عربي تكليف أي معد موظف بكتابة الأغاني والمسلسلات وأغانيها، في حين لا يشارك مشاركة فاعلة أي شاعر معروف في هذا الجانب.

أما ما سأركز عليه في ملاحظاتي الفنية على شعر الأطفال العربي فهو تطبيقات مختارة على عثرات هذه النماذج في الوزن واللغة والفكرة، ومن البدهي أن يكون الخطأ في هذا الثالوث أمراً مستهجناً، لأن على نص الطفل الشعري أن يقدم نموذجاً يعلمه الفكرة واللغة والحس الإيقاعي، لا أن يغرس لديه حالة مشوشة منها.

وقد تمس الملاحظة في بعض الأحيان سلامة الفكرة نفسها، وهو أمر شديد الحساسية مع الطفل، إذ لا نعتقد أن هناك أسوأ من الهفوات التربوية معه، وهو أمر يمر بنا أحياناً، وعلينا أن ننتبه في قصيدة الطفل لهذا الأمر، فهو أسّ التعامل معه.

هفوات تربوية

ومن نماذج الأخطاء التي تمس أموراً تربوية أن يسخر الشاعر من الطفولة، أو يشير إلى ما يشكل احتقاراً لها، كما فعل نصوح فاخوري في معرض كتابته الحماسية[1]:

أنا طفل، قيل لي هذا، وما عقلي بطفلِ

ها أنا أبني وشعبي مصنعي الفخم وحقلي

أما عدنان قيطاز فيقول في قصيدة "أغنية إلى منى الصغيرة"[2]:

عيونهـــا أمـــل   وخـــدها قبـــل

وثغرهـــا عـــسل   هل تعرف الغـزل؟

حبيبتـــي منـــى   أطـــوف حولهـــا

أروم وصـــــلها

هل يمكن لأحدنا أن يتصور تعبيراً أردأ مما سبق في التعامل مع الطفولة، ولعل الكاتب هنا لم يفصل بين عالم الكبار وعالم الصغار فيما يقول، ويفتقد النص لأبسط الشروط الشعرية، وعلى منوال قريب كتب سمير مراد عن طفلة أخرى واصفاً جمالها[3]:

---

(١) شعر الأطفال. الصفدي. مجلة "الموقف الأدبي" عدد ١٠ خاص بأدب الأطفال ١٩٨٨.

(٢) مجلة "أسامة "العدد ٢٩٣/١٩٨١.

(٣) سا. العدد ٥٢٢ / ١٩٩٧ .

إن تتهـــادى فـــي مـــشيتها
تعـــزف لحنـــاً بـــل ألحانـــا
أو تتثنـــى فـــي رقـــصتها
تكـــسف ريمـــاً أوغزلانـــا

ولا ندري ما معنى "لحناً بل ألحاناً" أو "ريماً أو غزلاناً" إنه الحشو الذي تفرضه القافية خلا عن الخطأ اللغوي في الشرط.

ومن غير السليم أن يقرأ الطفل مفردات لا تخدم عالمه، ولا تفيده ظلالها إن سأل عنها كما في قول محمد منذر لطفي(٤):

تمـــارا تمـــارا نجـــوم عـــذارى
تظـــل الأزاهيـــر منهـــا غيـــارى

أو قوله في "أغنية إلى بلادي"(٥):

ترى هل رأيت الصباح الندي يقبـل وديانهـا والجبـالْ
وزنبقة الحقل راحت تقص حكاية نهد وخـصر وشـالْ

أو قوله في "حب الوطن"(٦):

وطني وما أحلاه من نغم يردده ضميري
فيه الشباب يذود عنه كذاك ربات الخدور

وفي " دراجتي " لصالح هواري نقرأ ٧:

أحلى مـن النجـاح هديـة النجـاح

فهل نريد أن نغرس في ذهن الطفل أن الهدية هي أهم من النجاح؟

---

(٤) سا . العدد ٥٠٨ / ١٩٩٣.
(٥) من قصيدتين أرسلهما الشاعر لمجلة المزمار.
(٦) في العراق ، ولم تنشرا وهما من محفوظاتي.
(٧) مجلة "أسامة" العدد ٤١٣/١٩٨٦.

ويقول الشاعر حامد حسن في قصيدة حماسية للأطفال[٨]:

ذاهب للدرس لكـن نـاوليني البندقيـة

إنني أرفض أن تبقى دروسـي جانبيـه

ما يفيد الدرس إن ظلت فلسطين ضحيه؟

ما يفيد الدرس إن أمسيت يا أخت سبيه؟

إن خلق هذا التعارض بين الدراسة والنضال أو الاحتلال مفتعل وخاطئ، بل إن الدرس من ضرورات الحرص على التحرير والحرية.

ومن غير اللائق أن يكتب حيدر مصطفى[٩]:

لم أعد طفلاً صـغيراً ناسياً آلام شـعبي

وعلى المنوال نفسه نقرأ ما يعني احتقاراً للطفولة من جانب، وذكورية مفرطة من جانب آخر، وذلك في قول محجوب موسى[١٠]:

أطفالنـا كبـارُ فلهـوهم وقـارُ

وحبـوهم قـوي ولـثغهم دوي

وقوله[١١]:

فالطفل في الإسـلام ذو رجولـه

وتظهر الذكورية صارخة في بدايات شعر الأطفال، إذ تكاد تختفي الفتاة عند كثيرين، وكأن الخطاب محصور بالطفل - الرجل، وأبرز مثال على هذا الاتجاه مصطفى الرافعي الذي يقول[١٢]:

فكم رجل ترى فيـه صـبياً وكم من صبية وهم رجال

---

(٨) شعر الأطفال . الصفدي . سا .

(٩) أغاريد الطفولة . مصطفى . ص ٥٤.

(١٠) اغاني الأطفال . موس . ص٧.

(١١) سا . ص ٢٧.

(١٢) ديوان الرافعي . ص ١٧.

أو[١٣]:

وإنما يتسامى للعلا رجل ماضي العزيمة لا تثنيه أهوال

أو[١٤]:

وما يرفع الأوطان إلاّ رجالها وهل يترقى الناس إلاّ بسلم

أو[١٥]:

عن قريب نكون فيها رجالاً ونربي بناتنا والبنينا

و في الوضع الفلسطيني الذي تسهم فيه المرأة في كل معاناته وبطولاته يكتب الفلسطيني فرج البرعي قصيدة "أطفال اليوم.. رجال الغد"[١٦]:

يا أطفال اليوم هيا للغد أنتم رجال

وقد تتسلل نظرة احتقار للناس العاديين واستخدام مفردات يجدر أن نلغيها من قاموس الطفل كدلالة مرتبطة بنظرة معينة، كما في قول محمد الهراوي[١٧]:

إنا إلى أبنائنا وقت الفراغ أحوجُ

سيان فيه سوقة وملك متوّج

ومن غير المقبول أن نطلق صفة سيئة أو كلاماً يدل على انتقاص من مهنة من المهن كما نجد لدى جرجس ناصيف في قوله[١٨]:

يا بائع الأزهار ما أنت سمّانُ

لا ترفع الأسعار لا تمنح الأشرارْ

فالزهر للأطهار

---

(١٣) سا . ص ١٥.
(١٤) سا . ص ٢٠.
(١٥) سا . ص ٢٠.
(١٦) أغنيات للأطفال ١٩٩٩. ص ٦٨.
(١٧) سمير الأطفال للبنين ١٧/٣.
(١٨) أغاني البراعم . ناصيف . ص ٣٣.

كما إنه من غير السليم تربوياً أن نربط كسب المال بالمودة بين الناس كما فعل المغربي محمد بن ابراهيم في قوله(١٩):

اكسب المال لتحظى   من رفاق بالتداني

ومما تسلل إلينا من الفكر العبودي دون أن نشعر ربطنا للسواد بالمعاني السلبية، وهو أمر من أشد ما يكون ضرراً عندما نقدمه للطفل، كأن يقول جمال علوش(٢٠):

بابا كـــان بخـــط النـــار   يدفع عنا الحقد الأسود

حتى الشاعر سليمان العيسى يقع في هذا الخطأ التربوي إذ يكتب(٢١):

غنى المستقبل في شفتي   هتفـــــت أعيــــــاد

أتحدى شكل العاصـــفة   أتحـــدى كـــل ســـواد

أو(٢٢):

أن أغسل كـــل ترابـــي   كل سوادي وغبـــاري

أو(٢٣):

لم تضحك فيه الأفيـــاء   مذ هبت ريح ســـوداء

والمؤسف أن شاعراً موهوباً من مصر هو أحمد زرزور يقول في كلام له عن تجربته(٢٤):

" وعندما التحقت بالمدرسة الابتدائية غاظني أن السواد طال السبورة أيضاً، فتساءلت في نفسي: لماذا لا يكون لونها أخضر أو بنفسجياً أو حتى بنياً ؟ وسوف تظهر الطباشير الأبيض عليها أيضاً..

---

(١٩) القراءة العربية . المشرفي . ص ٩٧.
(٢٠) لمن يغني النهر . علوش . ص ١٥ .
(٢١) ديوان الأطفال . ص ٣٦٨.
(٢٢) سا. ص ٥١٩.
(٢٣) قصيدة الطفل عند سليمان العيسى . الصفدي . جريدة القدس العربي. لندن .العدد ١٢٩٣ / ١٤ تموز - ١٩٩٣.
(٢٤) تجربتي في الكتابة للاطفال . يوسف . ص ٢٠٦.

كان سؤالاً مهموماً بالرغبة في الفرح في الحياة، وهكذا وجدتني أكتب قصيدة بعنوان "لونها أسود، لماذا ؟" في شكل حواري بيني وبين سبورة فصلنا، تاركاً للسبورة بحياد أن تجيب على سؤالي:

سبورة في فصلنا

سألتها عن لونها: لماذا كان أسود؟

قالت: لكي تضيء فوقه

بالطباشير الأبيض الجميل

كتابة نبيلة

تنوّر العقول.

غموض وتعقيد لغوي

قصيدة الطفل تتسع لأكبر قدر من الخيال والعوالم الغريبة، ولكن بشرط أن تظل قادرة على تجسيد عوالمها في اللغة والصورة، إلاّ أن الشعراء أحياناً يقعون في صعوبة سببها الصورة الذهنية، والمجازات الجافة، ومن ذلك هذه النماذج من الشاعر سليمان العيسى[٢٥]:

أقــرأ أزهــار الليمــون

أقــرأ حبــات الزيتــون

أقــرأ محــراث الفــلاح

أو[٢٦]:

كتبــت بــدفتري بابــا كتبت بخاطري مامــا

وعن شهرزاد[٢٧]:

يــا زهــر الليمــون يــا لغــط الحــسون

---

(٢٥) ديوان الأطفال . ص ٢٨٠.

(٢٦) سا . ص ١٧٧.

(٢٧) سا . ص ٧٢.

أو[٢٨]:

بلهـاث جهـاد أجهـده   سـوى عـشه

أو[٢٩]:

وغـــرد الحنـــين   علـى ضفاف العمـر

وعن الكرة يقول[٣٠]:

يطاردها الـصغار كمـا   يطارد شـاعر حلمـا

أما الشاعر جمال علوش وهو ممن كتبوا أجمل القصائد للأطفال، فإنه أحياناً يقع في مثل هذه العثرات كقوله[٣١]:

رمـــضان أتـــى   أهـــلاً... أهـــلا

بالمانحنـــــــــا   أبـــداً فـــضلا

وعن الشمس[٣٢]:

تمد - حين يستفيق الصبح - وجههـا

أو[٣٣]:

فقد غداً نراك

أو عن فدائي[٣٤]:

طـــار كعـــصفور فـــي الجـــو

ويمـــم صـــوب البيـــارات

فـــي عينيـــه تـــدافع شـــوق قتـــال

للقاء الحلم الطافح فـي كـل الـشرفات

---

(٢٨) سا . ص ٣٤٢.

(٢٩) سا . ص ٥٩٢.

(٣٠) سا . ص ٦٤٩.

(٣١) لمن يغني النهر . علوش . ص ٤٣ .

(٣٢)سا . ص ٨.

(٣٣) سا . ص ١٨.

(٣٤) سا . ص ٣٦.

وبلغة عالية ومرتبكة بالنسبة إلى الطفل ما نقروه لممدوح سكاف[٣٥]:

ما يزال الليل في كفيه مشدوداً إلى قوس
ومازالت عيون الورد تدعوه إليها
والينابيع وأسراب الفراشات
الزهور الطفلة الإيحاء
أسماء المدائن

وقول مصطفى خضر[٣٦]:

ما أجمل الجهات	**تضيء بالحياة**
أمامي الشمس	**يلفها عرس**
وخلفي الغرب	**تعبره سحب**

ويقول جرجس ناصيف[٣٧]:

أرجوحتي فرح	**أرجوحتي مرح**
نعانق الضباب	**نفاجئ السحاب**

ومعشوق حمزة[٣٨]:

لنملأ النفوس	**بالحب والأرب**

أما هيثم يحيى الخواجه فتكثر عنده الجمل المبهمة وضعيفة التركيب والدلالة[٣٩]:

في جعبتها لحن أسمر	**في مرآها صبح أخضر**
في مغناها طعم السكر	**جمعت أهداباً للشمس**

---

(٣٥) شواطئ بلادي . سكاف . ص ٧٢.
(٣٦) دفتر النهار . خضر . ص ٣٩.
(٣٧) أغاني البراعم . ناصيف . ص ٤١.
(٣٨) عبير.حمزة . ص ٣٨.
(٣٩) درب القمة . الخواجة . ص ١٨.

أو[٤٠]:

فالقمة في عيني أمل والزهر جداول في نفسي

أو[٤١]:

سميته فادي لأنه الشادي
ويغسل اليدين والوجه والعينين
يداعب الغصون والتين والزيتون

ويقول محمد منذر لطفي[٤٢]:

أشجارها الخضر جنان عدن
وماؤها كذائب اللجين

أو[٤٣]:

فيها من الأغنام – إما رتعت – ضروب

ويقول موفق نادر عن النخلة[٤٤]:

إذا أتى الشقاء تناطح المطر
وبينما المساء ينساب في خفر

ولنقرأ لسمير مراد هذه العبارات[٤٥]:

كنت من جيل الطفوله وكبرت الآن عاما
صرت من جيل البطوله ساعة الجلى حساما

---

(٤٠) سا . ص ٢٥.
(٤١) سا . ص ٤١ .
(٤٢) أغنيات الفصول الأربعة . لطفي . ص ٣٢ .
(٤٣)سا . ص ٤٣ .
(٤٤) نائل يلتقي أباه . نادر . ص ٦ .
(٤٥) مجلة "أسامة" العدد ٤٨١– ١٩٩١/٤٨٢.

أو[٤٦]:

بسمت فأزهرت الجِنــان وطاب في الخد الجنى
ناغت فأوتــار الجنــان وكل وجــه قــد رنــا

أو[٤٧]:

أنت لا ترضــى بأســر فانطلق وانبَ انكباحــا

أما محمد وليد المصري فيقول[٤٨]:

وننــــسج المعــــاني لــــوردة الأغــــاني

أو[٤٩]:

كرتــــــي كرتــــــي أحلــــــى لعبـــــه
كرتــــــي كرتــــــي بيـــــدر رغبـــــه

ويقول الشاعر حامد حسن[٥٠]:

في صوتها لحن وموسيقا وسحر القافية

وقريباً من هذا نقرأ للشاعر سليمان العيسى[٥١]:

لم أجد أغلى وأحلى نغمــاً لم أجد أصفى وأندى قافيه

ويقول عيسى أيوب[٥٢]:

تزهــو بثــوب دافــئ كآهــــة التنهـــد
والمنتجون فــي الربــا قصائد من عــسجــد

---

(٤٦) سا . العدد ٥٤٦/١٩٩٧.
(٤٧) سا .العدد ٤٩٦/١٩٩٢ وأعاد نشرها في أسامة العدد ٥٣٢/١٩٩٥.
(٤٨) سا .العدد ٥٥٣/١٩٩٧.
(٤٩) سا. العدد ٥٨٧/١٩٩٩.
(٥٠) سا . العدد ٨٦/١٩٧٢.
(٥١) ديوان الأطفال .ص ٥٨٤.
(٥٢) داليا. أيوب .ص ٨٢.

وله أيضاً(٥٣):

تلالنـــا ســــاهرة   من زمــن لــم تــنم

تغار إن مرّ الهوى وســــفحها لـــم يلـــثم

وسعيد قندقجي يكتب بلغة تصعب على الكبير لتفكك معانيها ودلالاتها(٥٤):

ســيمتطي طيـــارة   تجتاز كالومض الحدق

ويمنـــع الأوطـــان أن   يمسها لفـــح الغـــسق

رأيـــت فيـــه أمتـــي   شواطئاً مـــن الألـــق

لسنا من التقليديين في فهم الخطأ اللغوي، بل نؤمن بأن اللغة تتطور مع الحياة، ولكن من غير أن تفقد نظامها، والخطأ أحياناً ليس محصوراً في الخلل النحوي كما هو شائع بل يتعلق بالأسلوب أساساً، وباختصار بما يمكن أن يكون القدرة على الإيصال بأفضل شكل، وهنا قد يكون الخطأ مباشراً بالمعنى النحوي كما في قول صالح هواري(٥٥):

صـــبراً ولا تحتـــار   يـــا عمنـــا النجـــارْ

وقول جمال علوش(٥٦):

يـــشرق الـــصبح نـــدياً   بـــين عينـــي مقاتـــل

وقول موفق نادر(٥٧):

تـــصبح أغلـــى   وتطيـــب الأثمـــار

وقول صالح الرحل(٥٨):

ولتهنـــأ وليحيـــا عيـــدك

---

(٥٣) سا. ص ١١٧.

(٥٤) مجلة "أسامة" العدد ١٩٨٢/٣٢٤.

(٥٥) الطفولة في الشعر. كنعان. ص ٩٨.

(٥٦) وطني العربي. علوش. ص ٩٢.

(٥٧) عصفور الثلج. نادر. ص ٢٠ .

(٥٨) أنشودة المطر. الرحل . ص ٢٦.

ومن قصيدة لرياض الصالح الحسين(٥٩):

يــا نهــر مــن نجــوم يا بحــر مــن عــسل

هيــا اركــضي كمهــرة وإملئــــي الـــبلاد

فالخطأ في النداء وفي همزة القطع في املئي، ولصالح هوامش المسلط(٦٠):

منهــا الفحــم و منهــا الحطبــا

منهــا الزينـــة منهــا اللعبــا

ولمصطفى عكرمة(٦١):

بابــــا مامــــا لكمــــا شــــكري

بكمــــا أحيــــا أحلــــى عمــــري

ثم ينسى التثنية فيضيف:

ونــــــصيحتكم ســــكنت صــــدري

أما خالد الخزرجي فالضعف صفة لكل ما كتبه ومن ذلك قوله(٦٢):

أنـــــا معـــــروف بـــــين النـــــاس

كـــــل أخـــــواني هـــــم حراســـــي

فيلفظ أخواني ليستقيم الوزن كما تلفظ بالعامية العراقية، وبعكس هذا يتفاصح بشكل مخل(٦٣):

وبــــه الفكــــر منتــــصر والردى ثــمَّ منــدحر

---

(٥٩) مجلة "أسامة" العدد ١٩٨١/٣٠٦.

(٦٠) سا . العدد ٤٧٩ - ١٩٩١/٤٨٠.

(٦١) شعر الأطفال . الصفدي .

(٦٢) الأمل . الخزرجي . ص ٣٩.

(٦٣) سا. ص ٧٧.

ويقول محمد قرانيا في تعبير عجيب(٦٤):

شكراً شكراً أخت الوطن فأنا أحيا بين الغـصن

وفي ركاكة أداء مشابهة يقول سمير عبد الباقي من مصر(٦٥):

أسـابق نحلـة العـسل

أزور الـورد والأزهـار

وكأن الشاعر قد نسي أن النحلة لا تنتج إلا العسل وأن الورد هو الزهر!

وعيسى أيوب ممن تكثر لديهم الأخطاء اللغوية كقوله(٦٦):

ظاء.. عين يـا أحفـاد فلترعاكم عين البلـد

أو(٦٧):

عن الأرض كي لا يطالها غريـب

ويقول صالح هواري(٦٨):

فلنهـديهم باقـة ورد

ومثله فوزي المغربي(٦٩):

فلنرعاهـا كالأزهـار

ولجاك صبري شماس(٧٠):

وبعـض مـن لـوازم مـصوراً ومحبـره

حقيبتي تمـشي معـي في كل صبح مزهـره

(٦٤) مجلة "أسامة" العدد ١٩٧٨/٢٣٧.

(٦٥) الأطفال في عيون.. سويلم. ص ٢١١.

(٦٦) مجلة "الطليعي" شباط /١٩٩٣.

(٦٧) داليا. أيوب. ص ٧٨.

(٦٨) مجلة "أسامة" العدد ١٩٨٦/٤١٥.

(٦٩) سا. العدد ١٩٨٦/٤١٢.

(٧٠) سا. العدد ١٩٩٥/٢٣١.

وللطفل يكتب شماس نفسه[٧١]:

فهذا الشعر ممزوج بقرض الشعر والنظم

وبغض النظر عن جمالية القول نتساءل: كيف يكون الشعر ممزوجاً بالنظم وقرض الشعر؟!

الهفوات العروضية

إن أكثر أخطاء الشعراء في قصائدهم للأطفال تتعلق بمسائل عروضية، وكلما كانت تجربة الشاعر مع أدواته أضعف كثرت أخطاؤه..

ولا أحتاج إلى التفصيل في أهمية السلامة العروضية في قصيدة الطفل، بما تعكسه من تربية للسليقة الموسيقية، وتطويرها، وإغنائها بشتى الإيقاعات التي تنبعث من المفردات والجمل والقوافي والتفعيلات.

إننا نعثر على بدايات للضرورات العروضية القبيحة عند الشاعر محمد الهراوي، وإن كانت نادرة الوقوع كما في قوله[٧٢]:

أمّ يا نور حياتي طبت بالعام الجديد

أو:[٧٣]

أختِ يا قرة عيني طبت بالعيد ودمت

عيد أختي سر قلبي مثل عيدي عيد أختي

أو[٧٤]:

أربَعَةُ كِلاَب من خيرة الأصحاب

وتتراوح هذه الهفوات بين ضرورات شعرية أو خلل واضح في الوزن، وعموماً ليس مقبولاً في شعر الأطفال استخدام الضرورات الشعرية، لأنه يفترض أن نقدم للطفل نصاً صافياً، لنعلمه اللغة والإيقاع بشكلهما الأمثل.

---

(٧١) الأصوات . شماس . ص ٢٠.

(٧٢) الطفل الجديد . الهراوي . ص ١١.

(٧٣) سا . ص ١٥.

(٧٤) السمير الصغير . الهراوي . ص ٣١.

وأكثر الملاحظات العروضية تتعلق بمد الحركة أو قصر حرف العلة إلى حركة، وهما حالتان تربكان فهم الطفل لأصول القراءة، ومن ذلك قول مصطفى عكرمة عن "الهرة"[(٧٥)]:

أو ليست مخلوقاً مثلــي إن تظلم تبكِ... تتألم

وقد يبلغ الأمر حد الخطأ الوزني كما في قوله[(٧٦)]:

من غيرك جــاء لغيــرك يبقــى

إن لــم تنفــق تكــن الأشــقى

ولموفق نادر[(٧٧)]:

لكـــــن مــــــاذا ؟ قــل لنــا مــاذا ؟

أو[(٧٨)]:

أخــشى أن تتلفــوا أشــجاري

وقد يخطئ بوضوح كما في قوله[(٧٩)]:

الآن ســــأفتح أبــــوابي

فلتــأتوا يــا أحلــى أحبــابي

أو[(٨٠)]:

لك يا دمشق

يضيء النهار

ويولد في غوطتك النهار

---

(٧٥) مجلة "أسامة". العدد ٥٥/١٩٧١.

(٧٦) أنا وأبي. عكرمة. ص ٦٥.

(٧٧) عصفور الثلج. نادر. ص ٥٥.

(٧٨) سا. ص ٥٥.

(٧٩) سا. ص ٥٨.

(٨٠) أنشودة المطر. نادر .ص ٢٩.

ويقول صالح هواري عن الأم[٨١]:

عيناهــــا كعبتـــان   ووجههـــا مـــزار

ولجمال علوش:[٨٢]

والـــذكرى يـــا أخـــت مـــلاذ

الـــــــــــــــذكرى دواء

ويقول محمد قرانيا[٨٣]:

المـــاء العـــذب فـــي الجـــدول

والزهـــر فـــي الروضـــة أجمـــل

ولمحمود البكر[٨٤]:

منا الهيثم منـــا حـــاتم   اسألوا عنا كل العـــالم

ثم:

هـــــو ربـــــاني   أحمـــــي ثـــــراه

ويقول خالد الخزرجي[٨٥]:

طــــاب الظــــل   ملنـــــا إليــــــه

أو[٨٦]:

نغنـــي فـــي المـــسير   نحـــن شـــاطرات

ويقول إبراهيم عباس ياسين[٨٧]:

نحن أتيناك يا بـــصرى   مدي الآن بساط الذكرى

---

(٨١) مجلة "أسامة" العدد ١٩٩٧/٥٥٥.

(٨٢) مجلة "أسامة"العدد ١٩٩٦/٥٤٠.

(٨٣) سا ز العدد ١٩٧٨/٢٣٧.

(٨٤) سا . العدد ١٩٨٠/٢٧١.

(٨٥) الأول . الخزرجي . ص ٦٢.

(٨٦) سا . ص ٧٠.

(٨٧) ماذا قال المطر للعصافير . ياسين . ص ١٠.

ثم يصل إلى خطأ واضح في[٨٨]:

نحـــن أتينـــا مثـــل النـــور

أســـراب عـــصافير وحمـــام

وتكثر هذه الهفوات لدي عيسى الشماس كقوله[٨٩]:

أحـــب أرض مـــوطني في المشرق والمغربِ

أجـــد أرنـــو للعـــلا ترخص عند المطلـــب

ليبقـــى حـــراً مـــوطني أعلامه فـــي الـــشهب

وقوله[٩٠]:

نحن من شعب عريـــق أصـــله نمضي جيلاً رافعاً هام السنا

أو[٩١]:

مـــن ملايـــين الجزائـــر نحمل نعـــم البـــشائر

أو ما قال في الأم[٩٢]:

تعبت من أجلي دومـــاً لا تبـــالي

تـــــــــسهر الليـــــــــالي

ولجمال علوش[٩٣]:

يـــــركض أحمـــــــد تجـــــري نـــــوال

نبنـــــــي رفاقـــــــاً ورفيقـــــــــــات

---

(٨٨) سا. ص ١٢٠.

(٨٩) مجلة "أسامة". العدد ٢٧٢/١٩٨٠.

(٩٠)غنوا معي. الشماس. ص ١٤.

(٩١) سا. ص ٢٢.

(٩٢) سا. ص ٣٦.

(٩٣) وطني العربي. علوش. ص ٤٧.

أو[٩٤]:

غن يا عصفور الـدور غن والعب فوق السور

ويكون الخطأ واضحاً في قول ممدوح سكاف[٩٥]:

أطفال سـعداء سـعداء وربيع ينهـل عطـاء

ويقول سامر كحل[٩٦]:

فـي عيـدك الغـالي لـك قلـب

أو[٩٧]:

تحـت المـوج نواهـا تحـوم

ويتعثر فارس قويدر في قوله[٩٨]:

لكن الشوك بغصن الورد للغازين دعاة الحقـد

وكذلك[٩٩]:

أهديه إليـك يـا أمـي كي يفرح قلبك يا أمي

وتكثر عثرات هالة معتوق كقولها[١٠٠]:

شـجر اللـوز فـي البـستان

بجـوار شـجر الرمـان

أو[١٠١]:

جدرانـه حـضن لنـا

فيـه أبونـا وأمنـا

---

(٩٤) سا . ص ٥٧

(٩٥) شواطئ بلادي . سكاف . ص ١٢٢.

(٩٦) صداح . كحل . ص ٢٨.

(٩٧) سا . ص ٣٢.

(٩٨) وطن الأحرار . قويدر . ص ٩ .

(٩٩) سا . ص ١٦.

(١٠٠) قطار ليلى . معتوق . ص ١٥.

(١٠١) سا . ص ٤٨.

وقد يكون الخلل بتكرار خمس حركات[١٠٢]:

نهـــــــــض وقـــــــــام

أو[١٠٣]:

طـــــال الـــــريش كبـــــر جنـــــاحي

وأحياناً تخونها القافية الصحيحة كما في[١٠٤]:

نـــضج الـــوز وطـــاب قطافـــه

هيـــا قبـــل أوان جفافـــه

والخلل واضح في قول سمير عبد الباقي من مصر[١٠٥]:

اقرأ لنا حكاية عجيبة عن البحار

وعن فـارس فـي بـلاد بعيـده

وممن تكثر عثراتهم علي الشرقاوي من البحرين كقوله[١٠٦]:

أنـت أشـطر مـن فـي البيـت

أو[١٠٧]:

لكـن لمـاذا يـا أمـي تـأخرت

أو[١٠٨]:

دعني يا ولدي دعنـي لا تـشغل ذهنـي

هذي أشـياء سـتعرفها عندما يبلغ سنك سني

---

(١٠٢) سا. ص ٦ .
(١٠٣) سا. ص ٧.
(١٠٤) سا. ص ١٥.
(١٠٥) مجلة "العربي الصغير" العدد ١٢٤/٢٠٠٣.
(١٠٦) مفتاح الخير. للشرقاوي. ص ١٦.
(١٠٧) سا. ص ١٩.
(١٠٨) أغنيات للأطفال ١٩٩٩. ص ٤٠ .

ويقول إسماعيل راشد عبد الحكيم من السعودية[١٠٩]:

جبـــال شـــم راســـخة   مددنا الطرق أعلاهـــا
ووديــــان عميقـــات   جاء التعميـــر زكاهـــا

ويجتمع الخطأ العروضي واللغوي في قول معشوق حمزة[١١٠]:

يخـــــرج آلاف الأطفـــــال
كـــــي يتحـــــدوا النــــار

أو[١١١]:

والأطفـــــــال الفقـــــــراء
كـــادوا أن ينـــسوا البـــستان

وتكثر عنده ظاهرة مد الحركة أوتحويل حرف العلة إلى حركة.

ويقول أسعد الديري[١١٢]:

أيهم. منى. شادي جـــاؤوني بالألعـــاب

ويبدو الخطأ واضحاً في قوله[١١٣]:

أرســـم انهـــاراً وجـــداول
وحقـــولاً رائعـــة ومعـــاول
تحمـــي الـــوطن الغـــالي الرائـــع
وتظـــل بـــرغم الليـــل تـــدافع

كما إن عيسى أيوب من الذين تكثر هفواتهم الإيقاعية، كقوله[١١٤]:

غنـــــي مثلـــــي   تحيـــــا بـــــلادي

---

(١٠٩) سا. ص ٥٣.
(١١٠) شتلة ليلى. حمزة. ص ٢٦.
(١١١) البستان للأطفال. حمزة. ص٥.
(١١٢) مجلة "أسامة" العدد ١٩٩٧/٥٤٥.
(١١٣) سا. العدد ١٩٩٦/٥٣٨.
(١١٤) داليا. أيوب. ص ٦١.

أو(١١٥):

ما أغلى ترابك يـــا وطنـــي   ما أجمل أرضك يا وطني

أو(١١٦):

ليتني مثلك أعطي دوما   لا أتـــوانى لا أعتـــذر

ويقول نهاد درويش(١١٧):

ازرع عملاً ازرع جهداً   تجن منه الثمر الأطيب

أو(١١٨):

أجلـــــس بلباقـــــه   لا أقـــرب الحماقـــه

أو(١١٩):

أحبـــوا فـــي الطاعـــه   وصـــــفة الوداعـــه

ونقرأ لهيثم يحيى الخواجه(١٢٠):

نحن الأطفـــال الأزهـــار   نبني الحب كالأطيـــار

ويبلغ الخطأ حداً كبيراً كقوله(١٢١):

في ميسلون الشام   ضحى بطل مقدام

وكذلك نجد لدى الجزائري ناصر لوحيشي(١٢٢):

أنـــا لا أكـــره أحـــدا   جعلك الله لـــي سـندا

---

(١١٥) سا . ص ١٠٥.
(١١٦) سا . ص ١٣٤.
(١١٧) لكم تزهر الافكار . درويش.ص ٣١.
(١١٨) سا . ص ٣٤.
(١١٩) سا.ص ٤٠.
(١٢٠) درب القمة . الخواجة . ص ٢٨.
(١٢١) سا . ص ٥٠.
(١٢٢) رجاء . لوحيشي . ص ١٠.

أو[123]:

طـــال ذاك الليـــل لكـــن   سيجيء ذاك الـصباح

وقد تكون الصياغة على قدر كبير من الهلهلة والضعف كما لدى إسحق قومي الذي يكتب مثلاً[124]:

هيا يا بـشرى تعــالي   نكتب الدرس الجديـد
فيـــه أســماء بــلادي   فرحة العيـد الـسعيد
هيا يا بـشرى تعــالي   نجلس عند الحديقــه
ننظر الزهــر الجميـل   ونـــشم مـــن رحيقــه

أو[125]:

صــــديقتي ســــعاد   هل تعرفي القــسمه ؟
فـــي الغـد يــا سـمير   نـــأتي مــــع منيــــر
حــــدثنا إن شـــئت   عن قــسمة الأعــداد

أو نايف أبو صعب الذي يقول[126]:

وقفــت حمامـــة فـــوق الأقـــصى
ورأت خلائــــق لا تحـــــصى
تركـــع.. تـــسجد للـــرحمن
دخـــل الغـــزاة حــرم المـــسجد
ضـــربوا الخاشـــع والمتعبـــد
قتلــــوا هــــذا وجــــرّوا ذاك
هزئـــوا ببيـــت الله الواحـــد

---

(123) سا . ص 18.
(124) أغنيات لبراعم النصر . قومي . ص 48.
(125) سا . ص 59.
(126) مجلة "أسامة" العدد 494/1992.

وقد لفت نظري أن شعراء كثيرين معروفين أو غير معروفين يقعون في خطأ إيقاعي يتكرر مع استخدام تفعيلة " فعِلن " حيث تتكرر عندهم خمس حركات أو أكثر، وهو أمر ثقيل على السمع، ومما ينكره الشعر العربي قديماً وحديثاً، بدليل أن وروده يعد حالات نادرة تدل على ضعف لا على قوة، لأنها تقل كلما كان الشاعر متمكناً من الإيقاع، وقد سجلت ورود هذه الظاهرة حتى لدى الشاعر سليمان العيسى الأكثر دراية بأصول الشعر العربي كقوله(١٢٧):

عـــدوا الخمـــسه   أســـمع جلبـــه

و(١٢٨):

يــــا طيــــاره   خيطـــك بيـــدي

و(١٢٩):

يسقي الأرض فيكسوها   ورقاً أخضر وبـراعم

و(١٣٠):

أقـــرأ أشـــياء مكتوبـــه   أقرأ قصصاً دون صعوبه

و(١٣١):

فـــرح ســـنابل   مـــوج ســـنابل

و(١٣٢):

تحـت الـريح وتحـت المطـر

نعـــود إلـــيكم مـــشتاقين

---

(١٢٧) ديوان الأطفال . ص ٣٨٧.

(١٢٨) سا.ص ٥٣٠.

(١٢٩) سا . ص ١٧٥.

(١٣٠) سا . ص ١٧٩.

(١٣١) سا . ص ٥٣٠.

(١٣٢) سا .ص ٦٣٠.

و[١٣٣]:

كانت ليلى تملك حمــلا   كان الحمل يرافق ليلى

وتكثر هذه الظاهرة الإيقاعية عند الشاعر شوقي بغدادي كقوله[١٣٤]:

حتــى هاجــت ديــدان الحــسد
وأوصـــــال البغـــــضاء
فـــــائتمروا، وانتظـــــروا
حتى نام فذبحوه وتركوه على الرمل
وهربـــوا فـــي الظلمـــاء

أو[١٣٥]:

كمــن يتــزود لمتابعــة الــسفر

أو[١٣٦]:

أما الشجرة فظلت تنتظر طــويلاً

أو[١٣٧]:

يروى عن سلطان في مملكة أن المرض دهــاه
وأضـــــناه ســـــنين طويلـــــه
فاختــار جميــع أطبــاء المملكــة وقاســوا
مـــــن أوهـــــام الـــــسلطان

أو[١٣٨]:

وفـــد علـــى المملكـــة طبيـــب شـــاب

---

(١٣٣) سا . ص ٦٨٥و٦٨٦.
(١٣٤) عصفور الجنة . بغدادي . ص ٤.
(١٣٥) سا . ص ١٦.
(١٣٦) سا . ص ٢٨.
(١٣٧) القمر على السطوح . بغدادي . ص ٢.
(١٣٨) سا . ص ٢.

أو[١٣٩]:

تخلــص مـــن كـــل الأوجـــاع
وشـــفي مـــن المـــرض تمامـــا

أو[١٤٠]:

غـــــدا القمـــــر قريبــــاً

أو[١٤١]:

المطــر علـــى الحقـــل   في الجبل وفي السهل

ويقول علي البتيري من الأردن[١٤٢]:

نقـــــرأ نكتــــب ونغنـــــي

وكذلك أحمد سويلم من مصر[١٤٣]:

أو يسبق أحدهما الآخر بـــين الأعـــشاب

أو[١٤٤]:

حتــــــى حـــــان الليــــــل
فصعد الديك إلى أعلـــى الـــشجره

أو[١٤٥]:

لو يصبح إنساناً يصدق في العمل ويصدق
في القول

---

(١٣٩) سا . ص ٥ .
(١٤٠) سا . ص ١٨.
(١٤١) مجلة "أسامة" العدد ١٩٨٢/٣١٦.
(١٤٢) أغنيات للأطفال ١٩٩٤.ص ١٠.
(١٤٣) أطفالنا في ... سويلم . ص ٢٢٤.
(١٤٤) سا . ص ٢٢٤.
(١٤٥) سا .ص ٢٢٧.

ويقول محمد منذر لطفي(١٤٦):

لا تنس الشرفة والسور ودرجـاً

يـــصعد فـــي إحكـــام

ثم(١٤٧):

يا من يعمل تحت الشمس وتحت المطر بغير سلاح

ويقول سمير مراد(١٤٨):

طفـــــل الـــــثلج

بـــسط فـــرش لحافـــاً

مـــــدّ مـــــلاءه

ويقول موفق نادر(١٤٩):

كالفـــارس يمتـــشق حـــساماً

و(١٥٠):

وحقيبـــة كتـــب لنـــشيطه

و(١٥١):

واندفعي موجاً من همس   شلالاً من عبق عطور

وتقول لينا تقلا(١٥٢):

ورأيت الأحمر منتـشياً   يتمسح بخدود الزهره

---

(١٤٦) أغنيات للفصول. لطفي. ص ٥٠.

(١٤٧) سا. ص ٥١.

(١٤٨) مجلة "أسامة" العدد ١٩٩٦/٥٣٤.

(١٤٩) عصفور الثلج. نادر. ص ٦٠.

(١٥٠) سا. ص ٦٦ .

(١٥١) سا. ص ١٠٧.

(١٥٢) مجلة "أسامة" العدد ١٩٩٥/٥٢٩.

ولصالح هواري[١٥٣]:

وتعيد الفرح إلى وجه الكرم اليـــابس

وأخيراً لدى عيسى أيوب عندما يقول[١٥٤]:

إن المطـــــــــر هديــــــــه

أو[١٥٥]:

أحـــــرار ولغتنـــــا الـــــضاد

وفي نهاية هذه الملاحظـــات أود الإشـــارة إلى أن بعض الشـــعراء يعيدون صياغة قصيدة معروفة أم غير معروفة، ومن نماذج ذلك قول حيدر مصطفى[١٥٦]:

أنا فـــي الـــصبح تلميـــذ وبعـــد الظهـــر فـــلاح

حيـــاتي كلهـــا عمـــل فـــلا ســـأم ولا ملـــل

وهي مأخوذة من قصيدة مشهورة للشاعر محمد الهراوي تبدأ:

أنا فـــي الـــصبح تلميـــذ وبعـــد الظهـــر نجـــار

ويقول محمد وليد المصري[١٥٧]:

وطنـــــي أشـــــجار مثمـــــرة

وظـــــــــــــــــــلال

وســـــــهول خـــــــضر

وتـــــــــــــــــــلال

---

(١٥٣) سا. العدد ١٩٨٦/٤٠٩.

(١٥٤) داليا. أيوب. ص ٢٨.

(١٥٥) مجلة "الطليعي" شباط ١٩٩٣.

(١٥٦) أغاريد الطفولة. مصطفى . ص ٢٧

(١٥٧) مجلة "أسامة" العدد ١٩٩٩/٥٧١.

وهي مأخوذة من قصيدة للشاعر سليمان العيسى تبدأ:

وطنـــــي أشــــجار وظـــــلال

وترابــــــي قمـــــح وغــــــلال

وقصيدة موفق نادر التي فيها[١٥٨]:

قلــــت للبحـــــر: لا تثــــرْ

وانتظـــــر هـــــدأة الغــــروب

ليتنـــــي عــــدت مـــــرة

طفلـــك الـــصاخب اللعـــوب

حـــــاملاً زورق الـــــورق

قـــال لـــــي: آه وانطلــــق

هذه القصيدة تحيلنا إلى قصيدة عمر فروخ:

أيهـــا النهـــر لا تـــسر   وانتظرنـــي لأتبعـــك

وقد نشر خضر عكاري قصيدة عن الشهيد يقول فيها[١٥٩]:

بحـــة نـــاي خـــصله نـــور

شــــــبة نــــــار

آخـــــر قطــــرة دم ســــالت

تغـــسل تـــرب بـــلادي قالـــت

وهي مأخوذة من قصيدة "الشهيد" المنشورة في عام ١٩٨٠في "مجلتي" ثم في كتابي "الأغاني" ص ٥٨ ومنها:

شـــــعلة نــــــور

شـــــعلة نــــــار

ثم:

---

(١٥٨) عصفور الثلج . نادر . ص ٥٩.

(١٥٩) مجلة "أسامة" العدد ١٩٩٥/٥٣٢.

آخـــــر قطـــــرة دم ســــــالت

فـــوق تـــراب بـــلادي قالـــت:

الحريـــــــــــــــــــــــــه

خيـــــــــــر هديـــــــــــه

ولسمير مراد قصيدة يقول فيها(١٦٠):

مــــــن ربــــــاني   فـــي الأحـــضان ؟

مــــــن يمنحنــــــي   كـــــــل حنـــــــان

أمــــــي وأبــــــي

وهي إعادة تركيب لقصيدة لي فازت كأحسن نص لأغنية أطفال في العراق عام ١٩٧٩، وهي منشورة في "الأغاني" ص ٧٠ وتبدأ هكذا:

مــــــن أعطـــــاني   نهـــــر حنـــــان

مــــــن ربــــــاني   للأوطـــــــــان

أمــــــي... أمــــــي

ونشر خالد الخزرجي قصيدة بعنوان "بساط الفرح" يقول فيها(١٦١):

طربنـــــا.. طربنـــــا   يـــا بـــساط الفـــرح

لبلاد المنـــى والمـــرح

وهي مأخوذة من قصيدة لي منشورة عام ١٩٧٨ في "مجلتي" وكانت مقدمة لبرنامج تلفزيوني للأطفال بعنوان"قطار الفرح" وتبدأ:

ســــربنا.. ســــربنا   يـــا قطـــار الفـــرح

واحـــك عـــن حبنـــا   نحـــن قـــوس قـــزح

---

(١٦٠) سا . العدد ٥٢٣/ ١٩٩٥.

(١٦١) الأمل . الخزرجي . ص ٧.

الفصل السادس

خصائص شعر الأطفال

إن شعر الأطفال لون حديث في الأدب العالمي، صارت له سمات عامة وخاصة صاغتها التجارب التي دخلت هذا المعترك الجديد.

وكل النصوص القديمة التي نرجح أنها قيلت أو كتبت لغاية تربوية وعظية لم تأخذ في حسابها الخصائص الطفلية نفسياً أو لغوياً وهذا طبيعي.

فالوعي العلمي بهذه الخصائص وليد حركة التعليم والفكر الحديث، فشعر ترقيص الأطفال الذي عرفناه قديما منذ الجاهلية كان شعراً له سمات شعر الكبار، لكنه حمل بعض العلامات الإيقاعية الراقصة ليس أكثر، ولم يقله أجدادنا بوعي لخصوصية طفلية، بل إننا نرجح أن العقل التقليدي كان يحتقر ثقافة الطفل، ولا يعيرها اهتماماً، بل يعد الطفل كبيراً، والكثير من المأثورات الشعبية ما زالت تؤكد ذلك، فللطفل نقول "خليك رجل" وللكبير "لا تكون صبي" لا شك أن هذين التعبيرين يلخصان نظرة متخلفة للطفل والطفولة.

لقد سجل محمد عثمان جلال رائد الكتابة للأطفال العرب كيف رمى الخديوي كتاب "العيون اليواقظ" في وجه من أهداه إليه احتقاراً لعمل فيه حكايات صبيانية، فقال جلال(١):

---

(١) العيون اليواقظ . ص ١٠ .

"فبعت حماري وبقية ما أملك، وقد ركبني الهم والغم فقلت:

راجي المحـــال عبـــيطُ	وآخر الزمـــر طـــيطُ
والناس فاثنـــان بخـــت	مـــــروّج وقلـــــيطُ
والعلم من غيـــر حـــظّ	لا شك جهل بـــسيطُ"

لكن بعد هذا الحادث بعقود سيكون كتاب "العيون اليواقظ" معتمداً من قبل المعارف في مصر كتاباً مدرسياً، وسيصبح لعقود أيضاً من أهم مصادر الحكايات الشعرية للأطفال في المدارس الابتدائية العربية.

قدمت هذه المقدمة لأبين كم كانت البداية صعبة، وكم كان الاقتراب من الكتابة للأطفال مثيراً للاستغراب والاحتقار، لأن هذا اللون من الكتابة تأليفاً وتشجيعاً وانتشاراً يعكس الحالة الحضارية لأي مجتمع. البدايات حملت الكثير من فكر الكبار ولغتهم الجزلة وأحياناً المقعرة، لذا فإن وضوح الخصائص التي تميز شعر الأطفال سيستغرق عشرات السنين من المحاولات الدؤوبة والمتباعدة لشعراء مثل أحمد شوقي وإبراهيم العرب وعبد الله فريج وجرجس همام وخليل مطران وعبد الكريم الحيدري وإلياس أبي شبكة وكثيرين غيرهم، لكن قد يكون مفيداً أن أمر ببعض النماذج الأولى لنتلمس المسافة التي تفصل بين أجيال الشعراء.

يقول محمد عثمان جلال في حكاية "الثعلب والعنب"[٢]:

حكايـــة عـــن ثعلـــب	قد مر تحـــت العنـــبِ
وشـــاهد العنقـــود فـــي	لون كلـــون الـــذهبِ
وغيـــره فـــي جنبـــه	أسود مثـــل الرطـــبِ
والجوع قـــد أودى بـــه	بعـــد أذان المغـــربِ
فهـــمّ يبغـــي أكلـــة	منـــه ولـــو بالتعـــبِ

---

(٢) سا. ص ٤٩

عـالج مـا أمكنـه | يطلع فـوق الخـشب
فـراح مثلمـا أتـى | وجوفـه فـي لهـب
وقـال: هـذا حـصرم | رأيتـه فـي حلـب
والفـرق عنـدي بينـه | وبـين تـين العلـب
فـإن هـذا أكلـه | يشبه لحـم الأرنـب
ولحـم ذاك مـالح | كالضرب فوق الركب
قال له القطف: انطلـق | ثعلـب ابـن ثعلـب
طول لسان فـي الهـوا | وقـصر فـي الـذنب

أما محمد الهرواي فهو من أهم المؤسسين لشعرَ الأطفال، لأنه اقترب كثيراً من الخصائص العامة لهذا الشعر، فيقول[٣]:

أبـي وأمـي الغاليـه | أصبحتما في عافيـة
تقبيلتـان لكمـا | ظـاهرة وخافيـة
إحـداهما علـى فمـي | وفي فـؤادي الثانيـة

وهذا خليل مطران يقول في قصيدة "النظافة"[٤]:

قـالوا مـن الإيمـان | نظافـة الأبـدان
لنعمـت العقيـده | والعـادة المفيـده
عـز الـذي افترضـها | وهان مـن نقـضها
فإنمـا النظافـه | من ظاهر الحـصافه
بهـا شـفاء الجـسم | بهـا جـلاء العـزم
وهـي ضـروب جمـه | أوصت بهـا الأئمـه
نظافـة فـي الـداخل | تقـي مـن الغوائـل

---

(٣) الطفل الجديد . ص ٧ .
(٤) إلى الشباب . ص ٣٢ .

نظافـــة فـــي الظـــاهر　　تحسن فـــي النـــواظرِ
نظافـــة فـــي المكتـــسى　　والمغتذى والمحتسى
مـــا النيـــل بالبخيـــل　　والمـــاء مـــاء النيـــلِ
فالبـــث نظيفـــاً دائمـــا　　تمكث قويـــا ســـالما

لعل فيما ذكرت من هذه الشواهد ما يضعنا في جو المحاولات المهمة الأولى في شعر الأطفال العربي.

ما أود التركيز عليه هنا هو الحديث عن خصائص شعر الأطفال، وهي مستمدة من المعايير التربوية والنفسية، ومن الأدوات الفنية وطريقة استخدامها عند الشعراء، حيث صار بإمكاننا الحديث عن هذه الخصائص بعد أن نشطت حركة الكتابة للأطفال، وعززها صدور عشرات المجلات العربية، وحاجة وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية، إضافة إلى الكتب المدرسية التي تطورت كثيراً عن حالتها الأولى، وصارت تراعي أن تضع في دروس النشيد والنصوص الشعرية نماذج تلتزم فيها العذوبة والسهولة، بينما تقع في الكتب التي وضعت في العشرينيات مثلاً قصائد من المعلقات أو الشعر الأموي أو العباسي وهكذا، بينما تكون الكتب للأول أو الثاني الابتدائي.

وعندما أضع هذه الخصائص لا أعني أنها برنامج لا بد أن يلتزم به الشاعر في كل بنوده، بل عنيت من وضع هذه القواعد أنها أسس لقصيدة الطفل الناجحة، وقد يركز شاعر على جانب أكثر من جانب، وقد يهمل أحياناً خصيصة وربما يضيف في بعض الأحيان.

١- الروح الطفولية:

إن المدخل الطبيعي لأي قصيدة مكتوبة للأطفال هو أن تكون حاوية الروح الطفولية، مما يعني ألا نقحم فيها روح الكبار وتصوراتهم، أو همومهم ومشاكلهم، إذ علينا هنا أن ننظر إلى أي أمر من زاوية كوننا أطفالاً أي متمثلين بإبداع طريقة الطفل في التعبير عن الأشياء.

وهنا أرى أن جوهر الخلل في تجاربنا جميعاً يتمثل في نسيان هذه الخصيصة، فنلقي على الطفل بأفكارنا الكبيرة وطريقة تعبيرنا، ولن يكون صعباً أن نحس هنا بعزوف الطفل عن هذه النصوص، وإحساسه الفوري بثقلها وجهامتها.

إن هذه النقطة تحتاج من الجميع أن يدركوا أهمية عالم الطفل وعمقه وغناه، أي علينا أن نعكس المقولة الشائعة البليدة التي تنص على أن ينزل الشاعر إلى مستوى الطفل، بل عليه دائماً أن يرتفع إلى مستوى الطفل.

سآخذ نموذجاً ناجحاً للشاعر عبد الرزاق عبد الواحد باسم "طيارة الورق"(٥):

ارتفعـــــي ارتفعــــي ... في موجـــة الهـــواءِ
ورفرفــــي وانـــــدفعي ... كالطير فـــي الفـضاءِ
خيطـــك مـــا زال معـــي ... وأنــــت تبعــــدينْ
عقدتـــــه بإصـــــبعي ... فـــأين تهـــربينْ ؟

* * *

إيــــــاك أن تميلـــــي ... بـــــذيلك الطويــــلِ
فيحـــــدق الخطــــرْ
يعلــــق بالنخيــــل أو ... يعلـــــق بـــــالقمرْ
ارتفعـــــي ارتفعـــــي ... حطـــي علـــى القمـــرْ

وكثيراً ما تطالعنا عشرات القصائد المكتوبة للأطفال بسهولة بالغة، لأن أصحابها اعتقدوا أن مجرد امتلاك النظم ونثر الأفكار يميناً وشمالاً سينتج نصاً للطفل، ولو أخلص الشعراء لهذه الخصيصة لتريثوا كثيراً قبل أن يخرجوا نصاً لهذا القارئ الساحر الذي لا يعرف المجاملة في ذوقه وفي التعبير عما يحب ويكره.

---

(٥) الأناشيد . ص ٣١٦.

٢- الجملة البسيطة:

إن الشرط اللغوي في غاية الأهمية لأنه من السمات الفنية التي تميز نص الأطفال من نص الكبار، يعرف الشعراء أنهم أثناء الكتابة يعمدون إلى شتى الأساليب وطبيعة أدائها، بل يكون من الجميل أحياناً أن يعمد الشاعر إلى لغته، يذكرنا فيها بمفردة أو جملة خبيئة في زوايا تراثنا.. كل هذا مظهر من مظاهر القدرة اللغوية.

مع الطفل تختفي هذه الظاهرة، ولا يبقى منها سوى استثمار الثروة اللغوية من أجل أن تنتج جملة بسيطة، ويمكنني أن ألخص معنى الجملة بأنها الجملة القصيرة والخالية من التقديم والتأخير والاعتراض والبناء للمجهول والحذف والمشتقات العاملة، وكل ما يؤثر على إيصال المعنى وعلى فهم الطفل لما يقرأ، وهذا جانب دقيق وواسع، ولكنني سأضرب لكم أمثلة على ضعف العناية بها الأمر، يقول سليمان العيسى[٦]:

وكان الشاعر ابن الغصن صداح الفراشاتِ

يحب منى ويهديها أغانيه الفريداتِ

ويقول[٧]:

كان ديوانك ما أحلى أغانيه الكتابْ

ومن قصيدة لممدوح سكاف[٨]:

يهمي في هذي الباردة الليلاءْ

ويحيل الكون المظلم كالقارِ

نهار ضياءْ

ويقول مصطفى عكرمة [٩]:

لنا في فؤاد الفخار جذور نمتنا فكنا الأعزّ فروعا

---

(٦) ديوان الأطفال . ص ٣٢٦.

(٧) سا . ص ٣٣٠ .

(٨) شواطئ بلادي . ص ٦٢.

(٩) أنا وأبي . ص ٤٦.

فالجمل السابقة لا علاقة لها بنص مكتوب للطفل، فهي طويلة حتى الترهل في مثال العيسى الأول، والاعتراض أفسد فهم كلمة الكتاب عند الطفل، كذلك الجملة الطويلة المتسلسلة الأوصاف عند سكاف، والصيغة الكلاسيكية عند عكرمة.

٣- المفردة السهلة:

لا تشترط قصيدة الطفل الجملة السهلة وحدها، بل لا بد أن تكون المفردة سهلة بحد ذاتها، وهذا يتطلب من الشاعر أن ينمي حصيلته اللغوية، وفهمه لخصوصية هذا اللون، حتى لا يحشو قصيدته بمفردات تعيق الفهم.

من المهم أن يأخذ الشاعر علماً بما يشبه القاموس اللغوي للطفل، أن يراعي إنماءه بمفردات سهلة جديدة، ولكن إن حصل نادراً وجاء بمفردة صعبة فعليه أن يشرحها.

إن المفردة السهلة عموماً هي التي تشيع في الاستخدام، وفي نص الطفل تحديداً علينا أن نحسن الربط بين المفردة العامية إذا كانت فصيحة الأصل، بل إننا نستخدم المسميات الشعبية للأدوات والألعاب إن لم يكن لها بديل فصيح قريب إلى الذوق.

وفي الممارسة سيلاحظ الشاعر العربي أن لا فكاك من مشكلة تعدد الدلالات بين الأقطار العربية، فلو أخذنا كلمة "الجرار" المفهومة لدى الطفل السوري، فإنها ستكون "الساحبة" في العراق أو "التراكتور" عند آخرين أو "الحراثة" وإذا كانت كلمة سليط شعبية في اليمن فإنهاشديدة الغموض في باقي البلدان العربية، وقيسوا على ذلك كلمات مثل طريق ونهج وفحص وامتحان واختبار وصف وفصل ووظيفة وواجب وفرصة واستراحة إلخ..

لعلنا متفقون على أن الشاعر الجيد يحسن التخلص من هذه الشراك، بل عليه أن يؤدي دوراً لغوياً يعزز شخصية اللغة القومية الأبرز.

إننا لن نقبل استخدام مفردات غريبة، ولو كانت في نص مكتوب عام ستة وعشرين وتسعمئة وألف لشاعرنا شفيق جبري الذي يقول في قصيدة للأطفال(١٠):

من دمـــوعي قـــصائدي   وشـــجوني قلائـــدي

نظرتـــي فـــي الفراقـــدِ   ضجعتي في الفدافـــدِ

ولا أن يقول سليمان العيسى(١١):

وترشــــف فنجـــان القهـــوةِ

لذاً العبقِ

أو شوقي بغدادي في تكراره لكلمة "لدُن" في قصائده للأطفال.

٤- الأوزان القصيرة:

دائماً في الطفولة حركة راقصة، وليس في طاقتها ولا في رغبتها أن تميل إلى المد والانتظام، وهذا يتجلى في أغانيهم الشعبية منذ القدم، وصار معروفاً أن قصيدة الطفل لا تكتب مثلاً على البحر الطويل،وإن فعلها بعض الرواد، إنما النص الطفلي الناجح يختار الأوزان القصيرة، وهي هنا تتراوح بين مجزوءات الأبحر الشعرية ومشطوراتها ومنهوكاتها.. وقد التفت إلى هذه الخصيصة حتى الرواد، لهذا فنحن نقرأ لأحمد شوقي(١٢):

الحيـــــوان خلـــــقُ   لـــــه عليـــك حـــقُّ

إن كلّ دعــــه يــستـرح   وداوه إذا جـــــــرحْ

بهيمـــــة مـــــسكين   يـــشكو فـــلا يبـــينُ

لـــــسانه مقطـــــوع   ومــــا لـــه دمـــوعُ

---

(١٠) نوح العندليب. ص ٩ .

(١١) ديوان الأطفال. ص ٣٤٠ .

(١٢) الشوقيات ٤ / ٣١١.

ولمعروف الرصافي[13]:

إنما الشمس المنيره — أصل دنيانا الكبيره
إن هذي الأرض للشمس هي البنت الصغيره
من قديم ولدتها — بعد أولاد كثيره
جسمها قطعة نار — في الأعالي مستديره

ولأنور العطار عن دمشق[14]:

زنبقة الصحراء — يا فتنة الوجود
نشرت في الفضاء — روائح الخلود
يا متحف الدهور — ومعرض الألباب
خبأت للعصور — سلافة الأحقاب

٥- التنويع في الأوزان والقوافي:

لا تكتفي قصيدة الطفل باختيار الوزن القصير، بل تزداد اقتراباً من الطفل، عندما تكسر الرتابة الإيقاعية من خلال تنويع الوزن والقافية، فالتنويع هنا يقوم على إدخال تفعيلة جديدة أو باختلاف تكرار التفاعيل بين شطر وآخر، وهذا يستتبع إغناء القصيدة بأكثر من قافية، وهذا جانب قلما اهتم به الشعراء، لأنه يتطلب مهارة إضافية تعيق الإكثار الشائع فيما ينشر.

وسأضرب لكم هذا المثال الجميل لياسر المالح حيث يقول في "موسيقا الروض"[15]:

الطير يغرد في مرحٍ
والغصن يميلْ

---

(١٣) المحفوظات المختارة ٢ / ٨ .
(١٤) أغاني الديار . ص ٧٤ .
(١٥) حديقتي . للثالث ٧٣.

والنهـــــــر يـــــــسيلْ

ويـــــصفق بالمـــــاء الفـــرحِ

والزهـــــــر يفـــــــوحْ

بـــــــالعطر يبـــــــوحْ

بالـــــسر لأوراق خـــــضرِ

* * *

وتطيـــــر فراشــــات حيــــرى

تلهــــــــو برحيــــــــقْ

تغفــــــو وتفيـــــــقْ

وتـــــرف بأجنحـــــة ســــكرى

كوشــــــــاح حريـــــــزْ

وشــــــــاه أميـــــــزْ

بالــــدر بأصـــداف البحـــرِ

* * *

موســـيقا الـــروض أرددهـــا

أحلــــــــى ألحــــــانْ

أنغـــــــام كمــــــانْ

أصـــحو وأنـــام وأنـــشدها

فيفيـــــــق الكـــــــونْ

وردي اللـــــــــــــــونْ

كـــالزهر تمـــوّج بالعطـــرِ

إن هذا النص لم يكتف بالتنويع الخارجي في الوزن والقافية، بل حوى موازنات داخلية بين المفردات والجمل والأسماء والأفعال إضافة إلى القافية الداخلية في "والنهر يسيل" ثم "والزهر يفوح" وفي "العطر يبوح" و"بالسر لأوراق خضر" ويتكرر الأمر في المقاطع الباقية.

وأضع أمامكم نصاً آخر لسليمان العيسى هو "الخريف"[١٦]:

ورقـــات تطفــر فـــي الـــدربِ
والغيمــــة شـــقراء الهــــدبِ
والـــــــريح أناشـــــــيدُ
والنهـــــــر تجاعيـــــــدُ
يـــا غيمـــة يـــا أم المطـــرِ
الأرض اشـــــتاقت فـــانهمري
الفـــــــصل خريـــــــفْ

* * *

عـــدنا عـــدنا بـــدفاترنا
بأغانينـــــا وبـــــشائرنا
البـــسمة فـــي شـــفتي
مـــا أحلـــى مدرســـتي
والفـــــصل خريـــــفْ

وسآخذ مقطعاً من قصيدة "يا شمسنا العالية" لعلي جعفر العلاق"[١٧]:

عاليـــة.. عاليـــة.. عاليـــه
يـــا شمـــسنا الغاليـــه
شـــعي علـــى الـــدروبِ
والعـــشب والقلـــوبِ
ولـــوني الـــوردة والـــساقيه
يـــا شمـــسنا الغاليـــه.

وبالطبع فالتنويع يشمل الكتابة المتناظرة وشعر التفعيلة معاً.

---

(١٦) غنوا يا أطفال ٤ / ٢٩ .
(١٧) مجلتي العدد ٥٢ / ١٩٨٠ .

٦- القصر في النص:

إن قصيدة الطفل لا تحتمل التطويل الحر، كما في الشعر عموماً، فالتطويل بتكوينه النفسي والجسدي لا يتقبل القصائد الطويلة، لهذا نرى أن طول القصيدة له علاقة بالسن، فتكون قصيرة جداً إذا كتبت لطفل في الروضة، ثم تطول أكثر مع التقدم في المرحلة العمرية، ويمكن أن نستثني الحكاية الشعرية، فهي قادرة على شد انتباه الطفل أكثر من القصيدة، وفي الأحوال جميعاً يحسن بالشاعر أن يضع نصه في أقل ما يمكن من الكلمات.

إن هذه الخصيصة حظيت بانتباه الشعراء منذ الريادة حتى الآن، وبمستويات مختلفة، فمثلاً عندما كتب محمد الهراوي مجموعة للأطفال الصغار سماها "السمير الصغير" فإنه يقول في نص كامل(١٨):

إن الـــــذي يرتـــــب　　　مناعـــــه لا يتعـــــبُ
فكـــل شـــيء عنـــده　　　فـــي موضـــع أعـــده
متـــى يعـــد إليـــه　　　يجـــده فـــي يديـــهْ
من غير بحث يجهده　　　ولا زمـــان يفقـــدهْ
حـــسن نظـــام العمـــل　　　يـــضمن نيـــل الأمـــلِ

وفي نص آخر لمحمد الظاهر يعطي الشكل المعتاد لحجم قصيدة الطفل وهو نص "العجوز والمطر"(١٩):

الجـــدة العجـــوزُ　　　تقـــول للمطـــرْ
أهطل كمـــا تـــشاءْ　　　يـــا أيهـــا المطـــرْ
بيتـــي أنـــا حديـــدُ　　　وبابـــه حديـــدُ
القمح في الخـــوابي　　　والنـــار عنـــد بـــابي
اهطل كمـــا تـــشاء　　　يـــا أيهـــا المطـــرْ

---

(١٨) السمير الصغير . ص ٢٥.

(١٩) أدب الأطفال في الأردن . ص ١٥٩ .

هيا إلـى جـواري أحبتـي صـغاري

نحكي مع المساءِ حكايـة الـشتاءِ

وبعـدها ننـامُ فتزهـر الأحـلامُ

اهطل كمـا تـشاء يـا أيهـا المطـرْ

بالطبع ليس هناك أسطر محددة في قصيدة الطفل، ولكنها في الأعم لا تزيد على خمسة عشر سطراً.

وقد أبدع شاعر الأطفال الرائد محمد الهراوي في كتابة نصوص لا تزيد على السطرين والثلاثة، وإليكم نماذج منها "تحية اللقاء"(٢٠):

هل تعلمون تحيتـي عند الحضور إليكمُ؟

أنا إن رأيت جماعة قلت "السلام عليكمُ"

و"قلبي للجميع" حيث يقول(٢١):

لا تظنوني صـغيراً ليس قلبي بالصغيرْ

يسع النـاس وداداً من صـغير وكبيـرْ

وفي "أب" يقول الهراوي(٢٢):

أبي امتحني يا أبي في أحرف الهجـاءِ

فـإنني أعرفهـا مـن ألـف ليـاءِ

وأنت فـي أولهـا مـن ألـف وبـاءِ

ويقول جرجس عبد الملك في قصيدة "ترنيمة السرير"(٢٣):

بهجتي بل نور عينـي أنت محبوبي الـصغيرْ

بدر تـم فـي سـرير بالهنا نـم يـا أميـرْ

وإذا ما الشمس لاحـت قـم وغـرد كـالهزارْ

---

(٢٠) الطفل الجديد . ص ٥ .

(٢١) سا . ص ٢١ .

(٢٢) سا . ص ٣٣ .

(٢٣) مجموعة الأغاريد . ص ١١.

وابتسم كـــالزهر لمـــا تنجلي شـــمس النهـــارْ
يا ملاكـــاً فـــي ســـرير أنت عنـــوان الـــسلامْ
ربنا احفظ لي حبيبـــي ســـالماً وقـــت المنـــامْ

٧- الحركة والقص والطرافة:

من المآخذ الكبرى على قصيدة الطفل المبذولة أنها رصف لكلمات وأوصاف وحكم تتوالى، وهذا أمر سهل لكل من يتقن إخراج الكلام موزوناً، لكن قصيدة الطفل تتطلب أن تكسر رتابة ذلك بإدخال مجموعة من أساليب الأداء اللغوي، إضافة إلى جعلها دائماً أشبه بحكاية صغيرة أو تنام لحالات محددة.

لنأخذ مثلاً معشوق حمزة إذ يقول[٢٤]:

للســـحابِ للهضابِ
كـــل حـــرفِ فـــي كتـــابِ
يـــــا بـــــلادي
للـــــصباحِ للأقـــــاحي
كـــل حبـــي ونجـــــاحي
يـــــا بـــــلادي
للجبـــــالِ للظـــــلالِ
أغنيـــــاتي وانفعـــــالي
يـــــا بـــــلادي

أو نور الدين الهاشمي في قصيدة له[٢٥]:

ما أجمـــل الأزهـــارْ يزهو بها الـــصباح

(٢٤) سلوى تغني . ص ١٩ .

(٢٥) أسامة العدد ٥٧٩ / ١٩٩٩.

تهدي لنـــا الـــسلامْ بعطرهـــا الفـــواحْ
تزورهـــا الطيـــور تـــداعب الأنـــسامْ
وتـــسحر العيـــون بلونهـــا البـــسامْ

أو قول سليمان العيسى(٢٦):

داري داري
أرض العـــــــــــــــربِ
دار قطـــــــــــــــاري
وطـــــــن العـــــــربِ
مـــن تطـــوان إلـــى بغـــدادْ
ســـار قطـــاري يـــا أولادْ
يحمـــل أطفـــالاً وبـــشائرْ
فـــي أرجـــاء الـــوطن الـــساحرْ
هيـــا نركـــب يـــا أطفـــالْ
نحمـــل رايـــات الأبطـــالْ

في هذه النماذج نلاحظ أن الشاعر يستطيع أن يكتب مئات القصائد على هذا المنوال، حيث القصيدة تخلو من أي تلوين أسلوبي يقضي على الرتابة المملة من العبارات العادية، ويغلب الحشو والجمل الجاهزة والأوصاف الاعتباطية، بينما تحتاج القصيدة حتى تمسك بالطفل إدهاشاً في الصياغة اللغوية والفكرة، فمع معشوق حمزة نستطيع أن نتابع متوالية لا تنتهي من الموجودات لنضيف إليها أخيراً يا بلادي، ومع نور الدين الهاشمي يمكن أن نرصف أية أوصاف ثم ننتهي إلى إخراج قصيدة، وكذلك مع سليمان العيسى إذ يمكننا أن نستغل القطار ونجعله يزور أي مكان، ونتحدث عنه بمجموعة جمل مكرورة، وبعضها قريب من الشعارات العادية.

---

(٢٦) ديوان الأطفال ص ١١١.

المأمول من قصيدة الطفل ألا تستسهل هذا العكازات الخارجية لتدخل إلى روح الفن، عندها يمتزج الأسلوب الفني بالمعنى المؤثر المرهف، كما في "العصفور والطفل" لعبد الكريم الحيدري[٢٧]:

أماناً أيهـا الطفـلُ ودع ما يفعل النذلُ

أخي لا تمش كـالوحشِ

تمـد الكـف للـبطشِ

بـأفراخي وبـالعشِ

فعيشي بعد لا يحلو فرفقاً أيهـا الطفـلُ

تصور حـزن أهليكـا

إذا أخفـاك مخفيكـا

فـإن الأم تبكيكـا

وعنك الدهر لا تسلو فعطفاً أيها الطفـلُ

أما جمال علوش فيعمد في "عصفور" إلى التكثيف اللطيف مع سحر الخاتمة إذ يقول[٢٨]:

فـي صـبح عـذب مـسحورْ

حـط علـى الـشرفة عـصفورْ

أخـرج فـي فـرح مزمـارْ

أسـمعنا أحلـى الأشـعارْ

قـال: صـباح الخيـر وطـارْ

وأستطيع هنا أن ألخص الأمر بحاجة العبارات إلى الجدة والدهشة، وألا نتوقع تماماً الصفات والجمل والنهايات، وألا نشعر أن الكلام في القصيدة هو استمرار للكلام العام الشائع، فالشعر عموماً حرب على الجاهز والسائد، واكتشاف للدهشة في كل شيء.

---

(٢٧) حديقة الأشعار المدرسية . ص ١٣ .

(٢٨) وطني العربي . ص ٧٧ .

الشاعر أسلوبياً عليه أن ينتقل من الجمل الخبرية إلى أنواع الطلب، وقد يعمد إلى الحوار حيناً وإلى المفارقات والتضاد والتوازي وهكذا.. لأن مجموع هذه المهارات ستكون درساً للطفل نفسه في الأداء التعبيري المبدع، وهنا من المناسب أن أنقل هذا المقطع لموفق نادر[٢٩]:

فـــرح حلـــو يغمـــر نفـــسي
لحظــــــــــة قــــــــالوا
موطننـــــا عنـــوان الـــدرسِ
لا لـــن أنـــسى يـــا مدرســـتي
طبـــت مـــساء يـــا مـــسطرتي
هيـــا نلعـــب فـــوق الـــورقِ
نرســـم بـــالنور المنبثـــقِ
نرســـم قـــشاً وســـط دوائـــرْ
نجعلـــه عـــشاً للطـــائر.

إن الطرافة تنبع من بين هذه الجمل، مما يجعلها تشد قارئها، فهنالك ما هو منتظر من الجمل، ولكنه منتظر جديد، ثم العلاقة الخفية والجميلة بين العش والوطن والطائر والطفل.

ومما تحسن الإشارة إليه زيادة الطرافة في النص، ومن الجمال والنجاح أن تمتزج الطرافة بروح الفكاهة التي تسحر الطفل كثيراً، لهذا فهو لن ينسى مثلاً أن يقرأ هذا الشعر لحامد حسن[٣٠]:

شعر قطي مثل شعري أملــسُ ... نـــاعم لكـــن قطـــي شـــرسُ
إن تباهى قـــال: جـــدي نمـــر ... خاله الفهد وخـــالي الـــنمِسُ
خنق العـــصفور لمـــا غفلـــوا ... وتعشى الجـــبن لمـــا نعـــسوا

---

(٢٩) الغيمة تمرح . ص ١٧.
(٣٠) أسامة ٧٩ / ١٩٧٢ .

يتوارى فـــي الزوايـــا هاربـــاً كلمـــا دق علينـــا الجـــرسُ

وإذا مـــر علـــى حارتنـــا صفر الشرطي وصاح الحرسُ

قـــال قـــوم: حطمـــوا أنيابـــه فـــإذا حطـــم لا يفتـــرسُ

قلت: هذا طبعـــه. قـــالوا إذن ما الذي نصنع ؟ قلت: احترسوا

٨- الابتعاد عن الضرورات الشعرية:

إذا كان الشعراء أمراء الكلام يتصرفون به كما يشاؤون كما يقول جدنا الفراهيدي، فهو لا يصح على شاعر يكتب قصيدة الأطفال، فهناك أكثر من سبب يدفعنا إلى تأصيل هذه الخصيصة، لأن الضرورات الشعرية باب واسع، يختلط فيه الإيقاعي بالنحوي والصرفي، بينما نهدف من نص الطفل أن يؤدي دوراً في إكساب الطفل لغة عربية صافية قدر الإمكان ، والشعر كما تعرفون وفي كل لغة له خصوصية التفنن بالخروج على بعض القواعد، هذا من ناحية، أما من الناحية الأخرى، فانسجاماً مع الناحية الإيقاعية التي نحرص على توفرها في شعر الأطفال، لأن الطفل لا يجيد القراءة بتنوعاتها، بل هو يقرأ حسب الأصول التي تعلمها، فهو إن وجد فتحة في آخر كلمة لا يحولها إلى ألف والعكس صحيح، إلا في الأماكن المعروفة في أصول القراءة..

إذاً من غير اللائق أن تحوي قصيدة الطفل ضرورات شعرية، بل عليها أن تقدم نصاً يقرأ قراءة أصولية بعيداً عما يجوز في الضرورة، هذا أمر يخص شعر الطفولة، وينسجم مع المبدأ التعليمي.

إذاً ليس من الجميل في شعر مكتوب للطفل أن نقرأ تحدّي بدل تحدّي كما في نص لمصطفى عكرمة(٣١):

بيديْ صـــنعتك فـــانطلقي وتحدّي الغيمة في الأفـــق

أو جعل الفتحة ألفاً كما لدى وليد مشوح (٣٢):

لا تكـــذب ســـراً أو علنـــا تبق في النـــاس المؤتمنـــا

(٣١) أسامة ١٨٥/ ١٩٨٢.

(٣٢) أناشيد المجد . ص ٦٥ .

أو تحويل همزة الوصل إلى قطع للشاعر نفسه[٣٣]:

رباك طفلاً ولم يبخل براحتــه   أعطاك إسماً لتزهو فيه نشواتا

أو تحويل الياء إلى كسرة كما لدى جمال علوش[٣٤]:

ألبـــسه صـــبحاً وأطيــرْ
مــلء الكــون الزاهــي أطيــرْ
وأحيــــي أحيــــي الأطفـــالْ
صــــناع الآتــــي الأبطـــالْ

ولدى موفق نادر في قوله[٣٥]:

نـــربط عقدتـــه بالـــذهب   ونحيِّـــي معلمنـــا العربـــي

٩- التركيز على الجرس الموسيقي والأصوات:

في شعر الأطفال تزداد الحاجة إلى الناحية الصوتية إيقاعاً، لما لذلك من علاقة بالحاجة الطبيعية للأطفال، فإن تأثير الإيقاعات عليهم كبير جداً، وكلنا يلاحظ كيف يحاول الطفل أن يوقع في كل الحالات حتى عند الطعام والكتابة بصوته ويديه ورجليه، لهذا فالغنى الإيقاعي أمر شديد الأهمية، وهو لا يتعلق هنا بالوزن والقافية، ولكنه شيء آخر يضاف إليهما، كاستخدام أصوات محض، أو التركيز على الجرس في الكلمة أو بين الكلمات، فقصيدة الطفل تحتاج إلى ما فعله خالد يوسف مثلاً[٣٦]:

تك تـــك تـــك تـــك   تـــك تـــك تـــاك
طلـــــع الفجـــــر   علـــــى الـــــشبّاك

---

(٣٣) سا . ٦٧ .

(٣٤) وطني العربي . ص ٦٦ .

(٣٥) عصفور الثلج . ص ٦٧ .

(٣٦) تك . تك . تاك . ص ٣٧ .

وقول نجاة قصاب حسن في "الساعة"[٣٧]:

تـــك تـــك تـــك تـــك

مثـــل الـــساعة تك تـــك تـــك تـــك

أبـــداً دومـــاً رتـــب وقتـــك

وكما في قصيدة لنهاد الطرزي[٣٨]:

حـــان الـــدرسُ رن الجـــرسْ

صـــوته جميـــلُ مـــا لـــه مثيـــلُ

دن دن دن

جـــرس يـــرنُّ فـــي الأذن يطـــنُّ

دن دن دن

وكما في قصيدة " الراعي " لركان الصفدي[٣٩]:

غنـــى النـــاي أي يـــاي يـــاي

بين أنامل هذا الراعـــي

لحن يحلو في الأسماعِ

ويستخدم فاروق سلوم علامات السلم الموسيقي فيقول[٤٠]:

دو ري مـــــي فا صـــول لا ســـي

حلو منظـــر كرّاســـي

أما العناية بالجرس في الكلمة والجملة فهو باب طريف دقيق، كل شاعر يستطيع أن يخلق العلاقات المتبادلة بين الأحرف لتؤدي هذا الجانب، لما يحتاجه الأمر من عناية وتدقيق في بناء القصيدة.

---

(٣٧) الأناشيد . ص ٤٧٩.

(٣٨) التربية الموسيقية . ص ١٢٣ .

(٣٩) النافذة . ص ٢١.

(٤٠) قوس قزح . ص ٤ .

وقصيدة ياسر المالح التي مرت معنا نموذج جميل في هذا الباب، ولمحمد الهراوي نص للأطفال الصغار جداً منه(٤١):

ألـــف ألـــف نظمـــت إبـــره
بـــاء بـــاء لفـــت بكـــره
تـــاء تـــاء أكلـــت تمـــره
جـــيم جـــيم مـــلأت جـــره

وهكذا.. سأختم بنص لم أعثر على اسم قائله وهو بعنوان "المطر" وإن كنت أظن أنه لجميل سلطان وهو من القصائد الساحرة(٤٢):

قـــال المطـــرُ اســـمع صـــوتي
إذ أنهمـــرُ حـــول البيـــتِ
اســـمع لحنـــي إذ أنـــصبُّ
هـــذا منـــي لحـــن عـــذبُ
انظـــر انظـــرْ وقـــع القطـــره
فـــوق الأنهـــرْ مثـــل العبـــره
مـــائي يجـــري فـــوق الـــروضِ
مـــائي يـــسري تحـــت الأرضِ
مـــائي يحيـــي قلـــب الـــزرعِ
مـــائي يغنـــي عـــين النبـــعِ
مـــائي رفـــد للأنهـــارِ
مـــائي عقـــد للأزهـــارِ
هـــذي الـــدنيا مـــن خيراتـــي
كـــل يحيـــا مـــن قطراتـــي

---

(٤١) السمير الصغير . ص ٢٥ .
(٤٢) الجديد . للثاني . ص ١٢٣ .

١٠- التكرار:

هذه الخصيصة محببة وملموسة في القصائد الناجحة للأطفال، إذ قلما يخلو نص جميل من التكرار، وهو على عكس باقي الخصائص قد لا يكون ضرورياً في كل قصيدة، لكنه مطلوب عموماً، فهو يستجيب لعدة احتياجات، فللطفل رغبة ومتعة في التكرار، إضافة إلى الهدف المعنوي، ثم الهدف الإيقاعي، إلا أن التكرار الذي أعنيه هو التكرار المبدع الجميل الذي يؤدي وظيفة واضحة في النص، كما في نص "رقص الثلج" لشاعر أظنه كاتب قصيدة "المطر" نفسه(٤٣):

رقـــصاً رقـــصاً	قطـــع الـــثلجِ
هيـــا غطـــي	وجـــه المـــرجِ
دوري .. دوري	كالعـــــــصفورِ
هيـــا ارتـــاحي	فـــوق الـــدورِ
هيـــا صـــبي	نحـــو الـــسهلِ
هـــذي قطـــعٌ	مثـــل الفـــلِّ
هيـــا نـــصنعْ	منهـــا كـــتلا
هيـــا نجعـــلْ	منهـــا رجـــلا

١١- التعليمية:

لن نجادل في أن ما كتب للطفل عليه أن يكون شعراً حقيقياً، بمعنى أنه يحوي خيالاً ودهشة وعذوبة في صياغات أسلوبية ماهرة، إلا أن ما يميز شعر الأطفال من غيره هو احتواؤه دائماً على هدف تعليمي مؤكد، ولا أعني هنا أن تتحول القصيدة إلى منظومة تعليمية في الوطنية أو الجغرافيا أو العلوم، فهذا يهبط بها فنياً، لكنني قصدت أن النص الناجح للطفل يحمل في داخله معلومة مفيدة علمياً أو تربوياً أو

---

(٤٣) سا . ص ١٢٧ .

صحياً إلخ.. لأن شعر الأطفال يختلف عن الشعر بمعناه العام بكونه مكتوباً بقصدية واضحة، أي أن قصيدة الطفل لا تأتي كحالة شعرية من الوجدان الخاص الذي يعيشه الشاعر، ولكنها تنبع من فكرة واضحة لدى المبدع، ينطلق منها إلى تحقيق الإطار الفني لها. إن قصيدة الأطفال تصنع صنعاً، ولكنني لا أعني هنا أنها سهلة، بل ربما تكون في غاية الصعوبة لمن جرب أن يكتب المتميز منها، إنني هنا أركز على الحالة الشعرية النوعية في شعر الأطفال، فهو يبدع بكامل الوعي وأرهفه، بينما الشعر عموماً يحتاج إلى تهويم خاص يقترب من الحلم.

وإذا تأملنا ما يكتب من شعر للأطفال لوجدنا أنه يبتعد عن التعليمية المبدعة، وأعني بذلك القصائد التي تقدم المعلومة الجغرافية أو العلمية أو البيئية أو الصحية وغيرها بطريقة جذابة، فمثل هذه القصائد في غاية الصعوبة، وتحتاج إلى ذكاء خاص في الزاوية التي يدخل من خلالها الشاعر إلى موضوعها.

فأكثر الشعراء يميلون إلى القصائد التي لا تقدم سوى مجموعة من العبارات الوصفية المكرورة... فما المانع مثلاً من تقديم قصيدة حتى في الحساب؟ ألم يبدع أحد الرواد وهو محمد الهراوي في هذا الجانب؟ فكتب قصيدة "الحساب" ونصها(٤٤):

لي في الحساب عددٌ	يجري به لساني
به أجيب سائلي	في يوم الامتحانِ
أما أنا فواحد	فرد من الإنسانِ
واثنان أمي وأبي	في القلب يسكنانِ
وجمعنا ثلاثة	طفل ووالدانِ

(٤٤) الطفل الجديد . ص ٢٣.

أرأيتم هذه الرهافة في الجمع بين عذوبة التعبير والأهداف التربوية والتعليمية؟ وأحد روادنا عبد الكريم الحيدري يقول في قصيدة "حسابي"(٥٤):

أعد في مكانيه	دراهمي في ثانية
أقول قرش واحد	واثنان بعض مالية
ثلاثة أربعة	إن قروشي وافية
فخمسة فستة	فسبعة، ثمانية
فتسعة، عشرة	أحصيتها علانية
ما في حسابي خطأ	سبحان من هدانية

ختاماً أنبه إلى الكم الذي بات ينتشر من شعر مكتوب للأطفال، وقد خلقته منابر تحتاج إلى من يملأ فراغها من صحف ومجلات ومحطات إذاعة وتلفزة، ودخل في وهم الكثيرين أن شاعر الأطفال مجرد نظام يحسن قول أشياء عادية، وزاد من جهامة الحال أن البعض لا يتورع من الدخول في هذا المجال بعد أن فشل في كتابة ما يصلح للكبار، وأقول بقناعة وعن تجربة إن نص الأطفال يحتاج إلى دراية كبيرة بأدوات الكتابة، لغة وموسيقى وثقافة عامة ومعرفة تربوية، وإذا تساهلنا في مقاييسنا فإن الأمر سيحول شعر الأطفال إلى ساحة لكل من هب ودب من الفاشلين والأدعياء.

والصورة ليست قاتمة فإن في الوطن العربي عدداً جيداً من الشعراء، وهناك تجارب مهمة تتواصل، وأوهام كبيرة تتبدد حول شعر الأطفال وشعرائهم، وإني من المؤمنين بحكم الزمن العادل في أي نتاج، حيث وحده يجلو صور الإبداع الحقيقي ولو بعد حين.

---

(٤٥) حديقة الأشعار المدرسية . ص ٧ .

الخاتمة

فيما سبق قدمت صورة شاملة لتاريخ شعر الأطفال وتطوره وقضاياه في البلدان العربية التي أومن أن الشعر والأدب عموماً من أهم مظاهر انتمائها القومي.

وبدا واضحاً أن شعر الأطفال ذو مادة غزيرة أكثر مما يبدو للوهلة الأولى، وإن كانت هذه الغزارة لاتلبي شروط الفن والتربية، بل تجعلنا نزداد قناعة بأن هذا الفن تطور ببطء عبر عقود عديدة من الزمن، حتى استطاع أن يأخذ ملامح تؤهله للدخول إلى عالم الشعر والتربية.

ولابد من القول إن هذا البحث المضني لا يستطيع الادعاء أنه جاء كاملاً، ففي المستطاع أن يضيف آخرون أو يصححوا، إلا أن ما أطمئن إليه هو أنني سعيت جاهداً إلى تغطية هذا الموضوع، ولم أدخر جهداً في المستطاع إلا بذلته.

ومن أهم الفوائد والنتائج التي وصل إليها البحث في رأيي هي:

- التأريخ المنظم للحركة الشعرية الموجهة للأطفال.
- الكشف عن تجارب مجهولة تماماً كما في العديد من القصائد، ومجموعة "روضة الأطفال " للشاعرة السورية جسماني شقرا التي تعد أول شاعرة عربية تؤلف ديواناً للأطفال.
- التقييم والتقويم النقديان للتجارب الشعرية العربية للأطفال.
- النظر إلى التجربة العربية كأجزاء من مشهد شعري واحد، وإن اختلفت عطاءاته.

- تجاوز الطريقة الفوضوية التي حكمت التأليف في مجال شعر الأطفال، إلى توثيق المعلومة، وأمانة النقل من المصادر والمراجع، والاعتراف بالجهود السابقة على قلتها.
- إيلاء الجانب الفني عناية خاصة لما لذلك من أثر في الدخول إلى صلب قصيدة الطفل لغةً وإيقاعاً وصوراً وبناء وتربية.
- إن جزءاً من هذه الدراسة يجمع بين البحث الطويل إضافة إلى التجربة الشخصية مع شعر الأطفال كتابة وعملاً طوال أكثر من ربع قرن.
- وقد تعمدت أن أكثر من النصوص الشعرية لأن الوصول إلى أصولها صعب جداً.
- وكل ما أرجوه أن أكون بعملي هذا قد قدمت خدمة لوطني العربي وأطفاله الذين هم وعده بمستقبل غني بالعلم والعمل والسعادة والعدالة والسلام.

المصادر والمراجع

(اعتمدنا حذف ابن وأبو، وكلمة "بلا" تدل على نقص في مكان أو زمان الطبع أو المؤلف)

- **إبراهيم، حافظ**

ديوان حافظ إبراهيم. جزآن. دار العودة. بيروت ١٩٩٦.

- **الأبشيهي، محمد بن أحمد**

المستطرف. جزآن. المكتبة العصرية. صيدا ١٩٩٦.

- **إبراهيم، إبراهيم عبد الله**

أزاهير الجليل. دمشق ٢٠٠٢. بلا

- **الأحمد، محمد سليمان (بدوي الجبل)**

ديوان بدوي الجبل. دار العودة. بيروت ١٩٧٨.

- **أسبير، محمد خير**

المحفوظات الأخلاقية. المطبعة العلمية. حلب ١٣٥٦هـ.

- **الأسد، ناصر الدين**

محاضرات في الاتجاهات الأدبية الحديثة في فلسطين والأردن. معهد الدراسات العربية العالية. مطبعة لجنة البيان العربي. القاهرة ١٩٥٧.

محاضرات في الشعر الحديث في فلسطين والأردن. سا. ١٩٦١.

- **أسطواني، رشاد وآخرون**

قراءتي. جزآن. للصف الأول. وزارة المعارف. دمشق.بلا.

قراءتي. للصف الثاني. وزارة المعارف. دمشق ١٩٥٥.

- **الأسير، يوسف**

ديوان يوسف الأسير. المطبعة اللبنانية. بيروت ١٣٠٦هـ.

- **أشعار حلوة.**

دار الفكر. عمان ١٩٨٨. بلا.

- **الأصبهاني، أبو داود**

الزهرة. موسوعة الشعر العربي CD.

- **أغنيات للأطفال:**

منشورات وزارة الثقافة. عمان ١٩٩٤. بلا.

- **أغنيات للأطفال:**

منشورات وزارة الثقافة. عمان ١٩٩٩. بلا.

- **الأناشيد العصرية:** لطلاب المدارس العراقية. ط٤.

المطبعة العصرية. بغداد ١٩٢٦.

- **الأناشيد المدرسية:**

مطبعة دار السلام. جزآن. بغداد ١٩٢٧. بلا.

- **الأناشيد المدرسية والألعاب:**

مطبعة النجاح. بغداد ١٩٢٩.

- **آل نوري، عبد الله**

قصة التعليم في الكويت في نصف قرن. مطبعة الاستقامة. القاهرة. بلا.

- **أنقار، محمد**

قصص الأطفال بالمغرب. كلية الآداب. طنجة ١٩٩٨.

- **إيكن، جون**

كيف تكتب للأطفال. ترجمة: كاظم سعد الدين. دار ثقافة الأطفال. بغداد ١٩٨٨.

- **أيوب، عيسى**

داليا. مطبعة الأمل. دمشق ١٩٨٩.

ب

- **باعشن، محمد سعيد**

المطالعة العربية. منشورات مكتبة النجاح. جدة ١٣٩٤هـ.

- **با كثير، علي أحمد**

ديوان علي أحمد باكثير. دار المناهل. ط١. بيروت ١٩٧٨.

- **الباني، محمد سعيد**

تنوير البصائر بسيرة الشيخ طاهر. مطبعة الحكومة السورية. دمشق ١٩٢٠.

- **البحتري**

ديوان البحتري. أربعة أجزاء. تحقيق: حسن كامل الصيرفي. دار المعارف. القاهرة.

- **بدوي، عبد الرحمن محمد**

كامل كيلاني الرائد لأدب الاطفال. الدار القومية للطباعة والنشر. القاهرة ١٩٦٣.

كامل الكيلاني وسيرته الذاتية. الهيئة المصرية العامة للكتاب. القاهرة ١٩٩٩.

- **البرزنجي، عبد القادر نوري**

مقتطفات أدبية لطلبة الإعدادية. مطبعة محمود بك سي. القاهرة ١٣٢٣.

- **بريفش، محمد حسن**

أدب الأطفال أهدافه وسماته. ط٣. دار الرسالة. بيروت ١٩٩٧.

- **بغدادي، شوقي**

عصفور الجنة. كتاب أسامة الشهري. وزارة الثقافة. دمشق ١٩٨٢.

القمر على السطوح. كتاب أسامة الشهري. وزارة الثقافة. دمشق ١٩٨٤.

- **البقاعي، د. شفيق**

الأنواع الادبية. مؤسسة عز الدين. ط١. بيروت ١٩٨٥.

- **البكر، محمود**

أغنيات للأطفال. دار بترا. دمشق ٢٠٠٠.

- **بلا شير، رجيس**

تاريخ الأدب العربي. ترجمة: إبراهيم الكيلاني. ط٢. دار الفكر. دمشق ١٩٨٤.

- **البهمجي، محمد**

القراءة العربية. وزارة المعارف. دمشق. بلا.

- **البواردي، سعد**

أغنية العودة. دار الإشعاع. مطابع الرياض. بلا.

- **البيات، زكريا**

مجموعة الأغاريد. الجزء١. مطبعة الإخلاص. حماه ١٩٢٤.

مجموعة الأغاريد. الجزء ٣. مكتبة الإخلاص الهدف. حماه ١٩٢٤.

نخبة الأغاريد للمدارس الابتدائية (بالاشتراك مع توفيق حمدون) مطبعة التوفيق. دمشق ١٩٢٥.

- بيدس، خليل

كتاب العقد الثمين في تربية البنين. المطبعة العثمانية. بعبدا. ١٨٩٨.

كتاب مرآة المعلمين. المطبعة العثمانية. بعبدا ١٨٩٨.

- البيطار، وهيب (وآخرون)

اللغة العربية. للصف الخامس. ط ٨. وزارة التربية والتعليم مطابع المؤسسة الصحفية الأردنية. عمان ١٩٧٤.

- بيلتو، غادة أحمد

الديوان الأخير لأبي سلمى. دار طلاس. ط١. دمشق ١٩٨٧.

ت

- التاجر، عبد الرزاق

نداء الطفولة. دار الفكر العربي. بيروت ١٩٩٠.

- الترك، نقولا

ديوان المعلم الترك. تحقيق: فؤاد أفرام البستاني. وزارة التربية. المطبعة الكاثوليكية. بيروت ١٩٤٩.

- تره، محمد عبد الرحيم

زعموا أن.. أو كليلة ودمنة بالصور. مطبعة الاعتماد. القاهرة. بلا.

- تقلا، سليم

نبذة من ديوان المرحوم سليم بك تقلا. مطبعة الاهرام. القاهرة ١٨٩٣.

- تقلا، لينا أسعد

للأطفال قلبي. دائرة الثقافة والإعلام. الشارقة ٢٠٠١

- التقي، أديب

ديوان التقي. بلا.

- تلحوق، حكمت

كنوز الأشعار الذهبية. دار الحداثة. ط١ بيروت ١٩٨٥.

- أبو تمام، حبيب بن أوس

الحماسة. شرح وتعليق: أحمد حسن بسج. دار الكتب العلمية. بيروت ١٩٩٨.

- توفيق، حسن

هداية الأطفال. جزآن. ط٦. المطبعة الأميرية. القاهرة ١٩٢٥.

ث

- الثعالبي

لطائف المعارف. تحقيق.إبراهيم الأبياري وزميله. دار إحياء الكتب العربية بلا.

- ثعلب، أبو العباس أحمد

مجالس ثعلب. جزآن. دار المعارف. القاهرة ١٩٦٠.

ج

- الجاجي، محمد أديب

أدب الأطفال في المنظور الإسلامي. دار عمان. عمان ١٩٩٩.

- الجاحظ

البيان والتبيين. أربعة أجزاء. تحقيق عبد السلام هارون. دار الفكر. بلا.

الحيوان. تحقيق: يحيى الشامي. سبعة أجزاء. دار مكتبة البلال. بيروت ١٩٨٦.

رسائل الجاحظ. مجلدان. تحقيق: عبد السلام هارون. مكتبة الخانجي. القاهرة.

المحاسن والأضداد. شرح: يوسف فرحات. دار الجليل..بيروت ١٩٩٧.

- الجبان، محمد (وآخرون)

القراءة الفريدة. ط٤. للثاني. مطبعة الترقي. دمشق ١٩٣٣.

- جبري، شفيق

نوح العندليب. مطبعة مجمع اللغة العربية. دمشق. بلا.

- ابن الجزار

سياسة الصبيان وتدبيرهم. تحقيق: محمد الحبيب الهيلة. دار التونسية للنشر. مطبعة المنار. تونس. ١٩٦٨

- جعفر، د. عبد الرزاق

أدب الأطفال. اتحاد الكتاب العرب. دمشق ١٩٧٩.

أسطورة الأطفال الشعراء. دار الجيل. ط١. بيروت ١٩٩٢.
الطفل والشعر. دار الجيل. ط١. بيروت ١٩٩٢.
الطفل والكتاب. دار الجيل. ط١. بيروت ١٩٩٢

- **جلال. محمد عثمان**

العيون اليواقظ في الأمثال والمواعظ. تحقيق: عامر البحيري. الهيئة المصرية العامة للكتاب. القاهرة ١٩٨٧. واطلعنا على طبعتي ١٨٧٠ و١٩٠٦ في مصر.

- **ابن جماعة**

تذكرة السامع في أدب العالم والمتعلم. دار الكتب العلمية. بيروت. بلا.

- **الجم، محمد ناجي**

ديوان الوطنيات. مطبعة الترقي. دمشق ١٩٢٩.

- **جمعة، أحمد خليل**

الطفل في ضوء القرآن والسنة والأدب. اليمامة للطباعة والنشر. دمشق – بيروت ٢٠٠١.

- **الجندي، أدهم**

أعلام الأدب والفن. جزآن. مطبعة مجلة صوت سورية. دمشق ١٩٥٤.

- **الجندي، سليم** (وخليل مردم وعبد الكريم وشفيق جبري وحليم دموس)

المستظهر. للرابع. مطبعة الترقي. دمشق ١٩٢٤.

- **الجويني، مصطفى**

حول أدب الأطفال، منشأة المعارف. القاهرة ١٩٨٦.

- **جير، فون**

محاسن الأراجيز. ليبزيغ ١٩٠٨.

ح

- **الحاج، د. خالد**

أعلام التربية والمربين. ط١. عمان ١٩٨٩. بلا.

- **الحاجري، طه**

الحياة الأدبية في ليبيا. مطابع دار النشر للجامعات المصرية. القاهرة ١٩٦٢.

- **الحامد، بدر الدين**

ديوان بدر الدين الحامد. جزآن. وزارة الثقافة. دمشق ١٩٧٥.

- **الحبال، بدر الدين (وآخرون)**

الكتاب الوحيد لدروس اللغة العربية. المطبعة الهاشمية. دمشق ١٩٤٠.

- **الحبسي، راشد بن حميس**

ديوان الحبسي. ط٢. وزارة التراث القومي والثقافة. عُمان ١٩٩٢.

- **أبو حجلة، أميرة**

شعر للأبناء. دار الكندي للنشر والتوزيع. إربد ١٩٩٤.

- **الحداد، الطاهر**

ديوان الحداد. تحقيق: محمد أبو سنينه. الأطلسيه للنشر. تونس ١٩٩٧.

- **الحداد، ندرة**

أوراق الخريف، بروكلن. توبيابرس ١٩٤١.

- **الحيدري، د. علي**

في أدب الأطفال. الأنجلو المصرية. القاهرة ١٩٨٩.

- **حديقتي. للثالث.**

المطبعة الجديدة. دمشق ١٩٦٧. بلا.

- **حديقتي. للرابع.**

مطبعة دار الحياة. دمشق ١٩٦٩. بلا.

- **حسان، حسان محمد**

ابن حزم الأندلسي. دار الفكر العربي. القاهرة ١٩٨٥.

- **حسانين، محمد سمير**

تاريخ تربية الطفل. دار الامل للطباعة. طنطا ١٩٩٧.

- **حسن، عباس**

أزهار الأدب العربي. ثلاثة أجزاء. لجنة التأليف والترجمة. القاهرة ١٩٤٩.

- **حسن، محمد عبد الغني (ود. عبد العزيز الدسوقي)**

روضة المدارس. وزارة الثقافة والهيئة المصرية العامة للكتاب. القاهرة ١٩٧٥.

- حسون، رزق الله

النفثات. دار طباعة استفان أوستن. هارفرد. لندن ١٨٧٦.

- حسين، د.عبد الرزاق

رؤية في أدب الأطفال. نادي أبها الأدبي. السعودية ١٩٩٧.

- الحسيني، زهراء

الطفل والأدب العربي الحديث. ط١. دار الهادي. بيروت ٢٠٠١.

- الحصري، ساطع

مبادئ القراءة الخلدونية. مطبعة شركة التيمس. ط١. البصرة ١٩٢٣.

مساعد القراءة الخلدونية. مطبع دنكور الحديثة. بغداد ١٩٣٤.

- الحصري، أبو اسحق القيرواني

زهر الآداب. أربعة أجزاء. ط٤. دار الجيل. بيروت. بلا.

- الحطيئة

ديوان الحطيئة. تحقيق: د.نعمان محمد أمين. مطبعة الخانجي. مطبعة المدني. ط١. القاهرة ١٩٨٧.

- حطيط، فاديا

أدب الأطفال في لبنان. دار الفكر اللبناني. بيروت ٢٠٠١.

- الحمادي، سعيد

الجوانب التربوية في شعر معروف الرصافي (رسالة ماجستير) كلية التربية. دمشق (مخطوط)

- حمد الله، علي

أدب الأطفال. وزارة التربية. دمشق ١٩٨٥.

- حمزة، معشوق

أحلى من الوردة. وزارة الثقافة. دمشق ١٩٨٨.

البستان للأطفال. سلسلة كتاب أسامة. وزارة الثقافة. دمشق ١٩٨٥.

سلوى تغني. سلسلة كتاب أسامة. وزارة الثقافة. دمشق ١٩٨٤.

شتلة ليلى. سلسلة كتاب أسامة. وزارة الثقافة. دمشق ١٩٨٤.

عبير وقصائد أخرى. دير الزور ١٩٨٢. بلا.

- **الحموي، محمد ياسين (وزميله)**

المنتخبات للاستظهار. للثالث. مطبعة الترقي. دمشق ١٩٣٤.

- **الحنبلي، شاكر**

دروس الاستظهار. للخامس. المكتبة الحفنية. دمشق ١٩٢٣.

دروس الاستظهار. للسادس. المكتبة الحفنية. دمشق ١٩٢٣.

- **الحويزي، عبد الحسين**

ديوان عبد الحسين الحويزي. مطبعة الحياة. بيروت ١٩٦٤.

- **الحيدري، عبد الكريم**

حديقة الاشعار المدرسية. ط٢. مطبعة النصر. حلب. بلا.

المحفوظات الطريفة للصفوف الابتدائية. ط١. مطبعة طباخ. حلب. بلا.

خ

- **الخازن، د. وليم**

الشعر والوطنية. دار المشرق. المطبعة الكاثوليكية. بيروت ١٩٧٩.

- **خرفي، صالح**

شعراء من الجزائر. معهد البحوث والدراسات العربية. مطبعة المعرفة ١٩٦٩. بلا.

- **الخزرجي، خالد**

الأمل. اتحاد الكتاب العرب. دمشق ١٩٧٩.

- **خزنه دار، محمد الشاذلي**

ديوان الخزنه دار. الدار التونسية للنشر. مطبعة الاتحاد العام للشغل. تونس ١٩٧٢.

- **خضر، مصطفى**

أنشودة الأرض. دار الحقائق. بيروت ١٩٧٨.

دفتر النهار. دار الحقائق. بيروت ١٩٨٦.

- **الخطيب، إبراهيم**

تقرير حول أدب الأطفال في المغرب. اتحاد الكتاب العرب. دمشق ١٩٧٩.

- **الخطيب، فؤاد**

ديوان فؤاد الخطيب. دار المعارف. القاهرة ١٩٥٩.

- **الخطيب، محب الدين**

الحديقة. عشرة أجزاء. المطبعة السلفية. القاهرة ١٣٤١-١٣٥٠.

- **الخطيب، يوسف**

العيون الظماء للنور. المكتبة العمومية. دمشق ١٩٥٥.

- **ابن خلدون**

المقدمة. دار الكتب العلمية. ط٤. بيروت ١٩٧٨.

- **خليل، محمد أحمد**

المطالعة العلوية. ط١. مطبعة المعارف. القاهرة ١٩٢٦.

- **خمار، محمد بلقاسم**

من أناشيدنا الوطنية. منشورات المتحف الوطني للمجاهد. الجزائر ١٩٩٤.

- **خنسه، وفيق**

أغاني الطفولة. اتحاد الكتاب العرب. دمشق ١٩٨٦.

- **الخواجة، هيثم**

درب القمة. دار ملهم. حمص ١٩٩٢.

- **الخوري، اسكندر**

المثل المنظوم للمدارس. مطبعة بيت المقدس. القدس ١٩٣٨.

العنقود. مطبعة فلسطين العلمية. مطبعة بيت المقدس. بلا.

- **الخوري، بطرس**

المنتقى. مطبعة نجيب كندر. حلب. بلا.

- **الخوري، خليل**

العصر الجديد. ط١. المطبعة السورية ١٨٦٣.

- **الخوري، رشيد سليم (القروي)**

ديوان الشاعر القروي. جزآن. دار المسيرة. بيروت ١٩٧٨.

- **الخولي، عبد البديع عبد العزيز**

التربية والتعليم عند ابن الجوزي. عالم الكتب. القاهرة ١٩٩٠.

• **الخياط، محيي الدين**
دروس القراءة. ثلاثة أجزء المطبعة الاهلية. بيروت ١٣٣٠هـ.
• **خير بك، جابر**
الرياحين. دار المجد. دمشق ١٩٩٢.

د

• **دباغ، سالم**
أدب المعدمين في كتب الأقدمين. مطبعة اللواء. بغداد ١٩٧١.
• **الدبس، يوسف**
مربّي الصغار ومرقي الكبار. المطبعة العمومية الكاثوليكية. بيروت ١٨٧٩.
• **الدجاني، نهاد صدقي**
فخري البارودي. ط٢. دار طلاس. دمشق ٢٠٠٠.
• **دخل الله، أيوب**
التربية الإسلامية عند الإمام الغزالي. المكتبة العصرية. بيروت ١٩٩٦. بلا.
• **درويش، نهاد**
لكم تزهر الأفكار. دار ابن كثير. دمشق ١٩٩٧.
• دليل أعضاء اتحاد الكتاب العرب. دمشق
• **دموس، حليم**
ديوان حليم. الجزء الأول. مطبعة ديوان الشورى الحربي. دمشق ١٩١٩.
المثالث والمثاني. مطبعة العرفان. صيدا ١٩٢٦.
يقظة الروح. بلا.
• **دهمان، محمد جميل**
كتاب أصول التدريس. مطبعة الترقي. دمشق ١٩١٥.
• **دياب، مفتاح محمد**
مقدمة في أدب الأطفال. ط١. المنشأة العامة. طرابلس ١٩٨٥.
مقدمة في ثقافة وأدب الأطفال. الدار الدولية للنشر. القاهرة ١٩٩٥.

- **الديري، أسعد**

أغاريد. ٢٠٠٣. بلا.

أغنيات للبراعم الواعدة. اتحاد الكتاب العرب. دمشق ١٩٩٨.

- **الدينوري، أبو محمد عبد الله.**

عيون الأخبار. أربعة أجزاء. مطبعة دار الكتب المصرية. القاهرة ١٩٢٥.

- **أبو دية، د. سعد (وزميله)**

الثورة العربية الكبرى (قصائد وأناشيد) دار الفكر. عمان ١٩٨٨.

- **الديوه جي، سعيد**

أشعار الترقيص عند العرب. وزارة الاعلام. بغداد ١٩٧٠.

ر

- **رابح، تركي**

الشيخ عبد الحميد بن باديس. ط٤. المؤسسة الوطنية للكتاب. الجزائر ١٩٨٤.

- **الرافعي، مصطفى صادق**

شرح ديوان مصطفى الرافعي. أسامة محمد السيد. جزآن. مؤسسة الكتب الثقافية. بيروت ١٩٩٣.

- **الرحل، طه حسين**

أنشودة المطر. دار الحسنين. دمشق ١٩٩٩.

- **رحيم، عبد اللطيف**

تسهيل القراءة. مطبعة البلاغة. طرابلس الشام ١٣٤١هـ.

- **رداوي، محمود**

الأدب السعودي في الكتب المدرسية. النادي الأدبي. الرياض ١٩٨٣.

- **رزق، د. يواقيم**

أوراق مصطفى كامل. الهيئة المصرية العامة للكتاب. القاهرة ١٩٨٦.

- **الرصافي، معروف**

ديوان الرصافي. خمسة أجزاء. دار المنتظر – الدار العربية للموسوعات. بيروت ١٩٩٩/٢٠٠٠.

- **رضا، جليلة**

اللحن الباكي. مكتبة الخانجي. دار مصر للطباعة ١٩٨٦.

- **الركابي، رمزي (وزميله)**

النفائس. وزارة المعارف. دمشق ١٩٢٩.

- **الرواشدة، حياة**

الحركة الأدبية في بلاد الشام الجنوبية. وزارة الثقافة. عمان ١٩٩٦.

ز

- **الزاهري، محمد الهادي**

شعراء الجزائر في العصر الحاضر. ط١. المطبعة التونسية. تونس ١٩٢٦.

- **زخريا، يوسف**

ديوان الشيخ يوسف زخريا. بلا.

- **الزركلي، خير الدين**

الأعلام. ١١ جزءاً. مؤسسة الرسالة. بلا.

ديوان الزركلي. مؤسسة الرسالة. ط ١. بيروت ١٩٨٠.

- **الزركلي، سليم**

دنيا على الشام. دار العلم للملايين. ط١. بيروت ١٩٦٨.

- **الزعيم، سليم (وزميلاه)**

اللغة العربية في قراءتي. للثاني. وزارة المعارف. المطابع العمومية وفتى العرب. دمشق ١٩٥١.

- **بن زكري، مصطفى**

ديوان مصطفى بن زكري. دار العودة. بيروت ١٩٧٢.

- **زلط، د. أحمد**

أدب الأطفال بين أحمد شوقي ومحمد عثمان جلال. دار النشر للجامعات المصرية. القاهرة ١٩٩٤.

أدب الطفولة بين كامل الكيلاني ومحمد الهراوي. دار المعارف. القاهرة ١٩٩٤.

رواد أدب الطفل العربي. دار الأرقم. القاهرة ١٩٩٣.

- زمخشري، طاهر

أغاريد الصحراء. مطبعة مصر. القاهرة ١٩٥٨.

- زناتي، أحمد

الطريقة الجديدة. ط ١. المطبعة الأميرية. القاهرة ١٣١٥هـ.

- الزهاوي، جميل صدقي

ديوان الزهاوي. دار العودة. بيروت ١٩٧٧.

- زهوري، بهاء الدين

الاتجاهات الحديثة في أدب الأطفال. دار المعارف. حمص ١٩٩٤.

- أبو زويع، إحسان

القراءة للأطفال. للثالث روضة. شركة فن الطباعة. القاهرة. بلا.

- الزيات، عبده حسن

حكايات من لقمان. ج. ماركيت. مطبعة لجنة التأليف. القاهرة ١٩٤٨.

- زيادة، نقولا

أعلام عرب محدثون. الأهلية للنشر. بيروت ١٩٩٤.

- زيدان، إبراهيم

الطريقة المبتكرة لتعليم القراءة العربية. ط١٠. المطبعة الرحمانية. القاهرة. بلا.

- زيدان، جرجي

مؤلفات جرجي زيدان الكاملة. المجلد ١٥. دار الجليل. بيروت ١٩٨٢.

- زيعور، د. علي

التربية وعلم نفس الولد في الذات العربية. ط١. دار الأندلس. بيروت ١٩٨٥.

س

- سابا، عيسى

شعراء القصة والوصف في لبنان. دار صادر. بيروت ١٩٦١.

- السبعي، الصادق (وزميله)

كتاب القراءة. الجزء الثالث. مطبعة فانزي. تونس. بلا.

- **السبكي، عبد الوهاب**

معيد النعم ومبيد النقم. نشره النجار وأبو العيون. ط١. دار الكتاب العربي ١٩٤٨. بلا.

- **السحاري، مشاري عبد الله**

الشعر في الكويت. مؤسسة الأعلمي للمطبوعات. ط١. الكويت ١٩٧٨.

- **سركيس، وديع**

المجاني الشهية في الحدائق العربية. ط٢. أربعة أجزاء. المطبعة الأدبية. بيروت ١٩٢٢.

- **سري، إنصاف**

روضة الأطفال. أربعة أجزاء. مطبعة المعارف. القاهرة ١٩٢٤.

- **السطلي، عبد الحفيظ**

ديوان أمية بن أبي الصلت. ط ٢. دمشق ١٩٧٧. بلا.

- **أبو سعد، أحمد**

أشعار وأناشيد مختارة للأطفال. المنشأة العامة للنشر في ليبيا. طرابلس ١٩٨٣.

أغاني ترقيص الأطفال عند العرب. ط ١. دار العلم للملايين. بيروت ١٩٧٤.

- **أبو السعود، إلهام**

دليل المعلم في التربية الموسيقية. للأول. وزارة التربية. دمشق ١٩٩٢.

دليل المعلم في التربية الموسيقية. للرابع. وزارة التربية. دمشق ٢٠٠٠.

- **سعيد، نفوسة زكريا**

خرافات لافونتين في الأدب العربي. مؤسسة الثقافة الجامعية. الإسكندرية. بلا.

- **السفرجلاني، عبد الرحمن**

سلسلة المحفوظات العربية. ثلاثة أجزاء. مطبعة الترقي. دمشق ١٩٢٣.

الاستظهار المصور (بالاشتراك مع جميل وأنور سلطان). مطبعة الترقي. دمشق ١٩٣٤.

- **السقا، مصطفى (وسعيد جودة السحار)**

خرافات إيسوب. دار الكتاب العربي. القاهرة ١٩٤٧.

- **سكاف، ممدوح**

شواطئ بلادي. اتحاد الكتاب العرب. دمشق ١٩٨١.

نشيد الصباح. اتحاد الكتاب العرب. دمشق ١٩٨٠.

- **السكاكيني، خليل**

الجديد في القراءة العربية. ثلاثة أجزاء. مطبعة دار الايتام السورية. القدس ١٩٢٨.

- سلسلة المحفوظات العربية. جمع وترتيب: أ. ن – م. ن. ط٣. مطبعة المعارف. حلب. بلا.

- **سلطان، جميل (وآخرون)**

الاستظهار المصور. المكتبة الهاشمية. دمشق ١٩٣٧.

الجديد في القراءة والاستظهار. للثاني. المطبعة التعاونية. دمشق ١٩٦٤.

الجديد في القراءة والاستظهار. للثالث. المطبعة الجديدة. دمشق ١٩٦٥.

الجديد في القراءة والاستظهار. للخامس. المطبعة الجديدة. دمشق ١٩٦٤.

الجديد في القراءة والاستظهار. للسادس. المطبعة الجديدة. دمشق ١٩٦٤.

مستهل الآداب. ط٢. للخامس. المكتبة الهاشمية. مطبعة الترقي. دمشق ١٩٧٣.

(الكتاب الأخير لسلطان وحده)

- **سلوم، فاروق**

أغاني الحصان. دار ثقافة الأطفال. بغداد. بلا.

قوس قزح. وزارة الإعلام. بغداد ١٩٧٧.

- **سليم، محمد شريف**

مجموعة من النظم والنثر. المطبعة الأميرية. القاهرة ١٩١٩.

- **سليم، مريم**

أدب الطفل وثقافته. دار النهضة العربية. بيروت ٢٠٠١.

- **سليمان، موسى**

الأدب القصصي عند العرب. ط ٥. دار الكتاب اللبناني. بيروت ١٩٨٣.

- **سليمة، محيي الدين وموفق**

أغاريد الأطفال. دار الفكر. دمشق ١٩٨٣.

- **السمعاني، عبد الكريم**

أدب الإملاء والاستملاء. تحقيق: ماكس فايسفلر. لندن. بريل ١٩٥٢.

- السنبل، د. عبد العزيز (وزملاؤه)

نظام التعليم في المملكة العربية السعودية. ط ٣. كلية التربية. جامعة الملك سعود. الرياض ١٩٩٢.

- سنكري، د. محمد فائز

شعر ابن الهبارية. وزارة الثقافة. دمشق ١٩٩٧.

ابن الهبارية: حياته وأدبه (رسالة ماجستير مخطوطة) جامعة حلب ١٩٨٣.

- سويلم، أحمد

أطفالنا في عيون الشعراء. دار المعارف. القاهرة ١٩٨٨.

- ابن سينا

القانون. مطبعة بولاق. القاهرة ١٢٩٤هـ.

- السيوطي، أبو الفضل عبد الرحمن

المزهر. مجلدان. البابي الحلبي. بلا.

ش

- أبو شادي، أحمد زكي

الشفق الباكي. المطبعة السلفية. القاهرة ١٩٢٦.

- الشافعي

ديوان الإمام الشافعي. محمد عبد الرحيم. دار الفكر. بيروت ١٩٩٥.

- شاكوج، أديب (وآخرون)

اللغة العربية. ط٥. وزارة المعارف. دمشق ١٩٥١.

- أبو شبكة، الياس

الأعمال الشعرية الكاملة. دار العودة. بيروت ١٩٩٩.

- شبلول، أحمد

أشجار الشارع. دار النشر. عمان ١٩٩٤.

- شحاتة، د. حسن

أدب الطفل العربي. الدار المصرية اللبنانية. القاهرة ١٩٩١.

- الشدياق، أحمد فارس

اللفيف في كل معنى طريف. ط ٢. مطبعة الجوائب. قسطنطينة ١٢٩٩هـ

- الشرقاوي، علي

مفتاح الخير. المطبعة الحكومية. المحرق. البحرين. بلا.

- الشرقي، علي

ديوان علي الشرقي. جمع وتحقيق: د. إبراهيم الوائلي وموسى الكرباسي.
دار الشؤون الثقافية العامة. ط ٢. بغداد ١٩٨٦.

- الشعبي، مهند

فيروز تغني. دمشق ١٩٩٩. بلا.

في قضايا الطفل العربي. دار النمير. دمشق ٢٠٠٠.

- شعراوي، إبراهيم

عبد التواب يوسف وشعر الأطفال. الهيئة المصرية العامة للكتاب. القاهرة ٢٠٠١.

الشعر النسائي العصري. ط١. دار الترقي. القاهرة ١٩٢٩.

- شقرا، جسماني

روضة الأطفال. المطبعة الأدبية. ط١. بيروت ١٩٣٢.

- شكر، شاكر هادي

الحيوان في الأدب العربي. ثلاثة أجزاء. مكتبة النهضة العربية. بيروت ١٩٨٥.

- شلبي، د. أحمد

تاريخ التربية الاسلامية. ط٣. مكتبة النهضة المصرية. القاهرة ١٩٦٦.

- شلحت، جرجس

النخبة من أمثال فنلون. المطبعة المارونية. حلب ١٩١٠.

- شماس، جاك صبري

الأصوات. سلسلة كتاب أسامة. وزارة الثقافة. دمشق ١٩٩١.

- الشماس، د. عيسى

غنوا معي. دار الينابيع. دمشق ١٩٩٤.

- شمس الدين، عبد الامير

الفكر التربوي عند ابن خلدون وابن الأزرق. الشركة العالمية للكتاب. بيروت ١٩٩١.

الفكر التربوي عند ابن سحنون والقابسي. الشركة العالمية للكتاب. بيروت ١٩٩٠.
الفكر التربوي عند ابن طفيل. دار اقرأ. بيروت ١٩٨٤.
الفكر التربوي عند ابن المقفع - الجاحظ - عبد الحميد الكاتب. دار اقرأ. بيروت ١٩٨٥.

- **الشمعة، هشام (وكامل القدسي)**

النشيد والموسيقا. وزارة التربية. المطبعة التعاونية. دمشق ١٩٦٨.

- **شوقي، أحمد**

الشوقيات. ط ١. مطبعة الآداب والمؤيد. القاهرة ١٨٩٨.
الشوقيات. أربعة أجزاء. المكتبة التجارية الكبرى. طبع دار الكتاب العربي. بيروت.بلا.
الشوقيات للمدارس. مطبعة المعارف. القاهرة ١٩٢٧.
منتخبات من شعر شوقي في الحيوان. المكتبة التجارية الكبرى. القاهرة ١٩٤٩.

- **شويكي. بهيرة (وزميلاها)**

قراءتي. للرابع. وزارة التربية والتعليم. المطبعة الجديدة. دمشق ١٩٥٩.

- **الشيال، د. جمال الدين**

تاريخ الترجمة والحركة الثقافية في مصر محمد علي. مطبعة الاعتماد. القاهرة ١٩٥١.
رفاعة الطهطاوي. دار المعارف. القاهرة ١٩٥١.

ص

- **صابونجي، لويس**

كتاب أصول القراءة العربية والتهذيبات الأدبية. بيروت ١٨٦٦. بلا.

- **صادر، سليم**

سلاسل القراءة. ستة أجزاء. بيروت ١٩١١- ١٩١٣. بلا.
سلم القراءة. المكتبة العمومية. بيروت ١٩١٣.
القلادة الذهبية في المنتخبات التهذيبية. المطبعة العلمية. بيروت ١٩١٢.

- **صادر، يوسف**

كتاب القراءة للبنات. المكتبة العمومية. بيروت ١٩١٠.

- **صالح، رشدي**

رفاعة الطهطاوي. ط ١. دار الفكر. بيروت ١٩٧٨.

- **الصالحي، د. عباس مصطفى**

الصيد والطرد في الشعر العربي. ط ١. المؤسسة الجامعية. بيروت ١٩٨١.

- **الصباح، عواطف**

الشعر الكويتي الحديث. جامعة الكويت. الكويت ١٩٧٣.

- **صبري، عبد الفتاح وعلي عمر**

القراءة الرشيدة. أربعة أجزاء. ط ٩. القاهرة ١٩٢٧. بلا.

- **صبيح، د. إبراهيم محمد**

الطفولة في الشعر العربي الحديث. ط ١. دار الثقافة. الدوحة ١٩٨٥.

- **الصفدي، بيان**

الأغاني. اتحاد الكتاب العرب. دمشق ١٩٨٢.

- **الصفدي، ركان**

أحلام أنمار. اتحاد الكتاب العرب. دمشق ١٩٩٩.

النافذة. دار الينابيع. دمشق. بلا.

- **صفير، يوسف**

ترقي الصغار. جزآن. مطبعة الآداب. بيروت ١٩٢١.

- **الصقال، ميخائيل بن أنطون**

ديوان ميخائيل الصقال. مطبعة العصر الجديد. حلب ١٩٢٥.

- **الصقلي، محمد بن مظفر**

أنباء نجباء الأبناء. مطبعة التقدم. ط ١. القاهرة. بلا.

- **أبي الصلت، أمية بن**

ديوان أمية بن أبي الصلت. صنعة: د.عبد الحفيظ السطلي. ط ٢. بلا.

- **صواف، مصطفى (وزميلاه)**

أغاني الديار. وزارة المعارف. دمشق ١٩٤٩.

علم الموسيقى (مع حمدي الزركلي) المطبعة الحديثة. دمشق ١٩٢٧.

- **الصولي، أبو بكر**

الأوراق. عني بجمعه: هوارث.ج. دن.بلا.

ض

- **ضيف، شوقي**

الشعر وطوابعه الشعبية على مر العصور. دار المعارف. القاهرة ١٩٧٧.

ط

- **الطرابلسي، أكرم (وآخرون)**

المنتخب في دروس القراءة والاستظهار. المطبعة الهاشمية. دمشق ١٩٥٥.

- **طراد، أسعد**

نبذة من ديوان أسعد طراد. المطبعة التجارية. الإسكندرية ١٨٩٩.

- **طربين، حمدي**

دروس الموسيقى والألحان. للثاني. المطبعة الهاشمية. دمشق ١٩٣٦.

- **طلس، د. محمد أسعد**

التربية والتعليم في الإسلام. دار الفكر للملايين. ط١بيروت ١٩٥٧.

- **طعمية، رشدي أحمد**

أدب الأطفال في المرحلة الابتدائية. دار الفكر العربي. القاهرة ١٩٩٨.

- **الطهطاوي، رفاعة**

تلخيص الإبريز إلى تلخيص باريز. دار التقدم. مصر ١٩٠٥.

المرشد الأمين للبنات والبنين. ط ١. مطبعة المدارس الملكية. القاهرة ١٢٨٩هـ.

- **طوطح، خليل**

التربية عند العرب. المطبعة التجارية. القدس. بلا.

- **طوقان، ابراهيم**

ديوان إبراهيم. ط ٢. دار الآداب. بيروت ١٩٦٦.

- **الطيب، عبد الله**

السندباد. دار الفكر. دمشق ١٩٨١.

- **طيفور، أبو الفضل أحمد**

كتاب بلاغات النساء. اعتنى به: بركات هبود. المكتبة العصرية. صيدا ٢٠٠١.

ظ

- الظاهر، محمد

أغنيات للوطن. دار الشروق. عمان ١٩٨٣.

دلال المغربي. المؤسسة العربية للدراسات والنشر. بيروت ١٩٨٣.

- ظبيان، تيسير

الفردوس. الجزء الأول. ط ١. مطبعة الصداقة ١٣٤٢هـ.بلا.

- ظبيان، نشأت

حركة الإحياء اللغوي في بلاد الشام. مطبعة سميراميس. دمشق ١٩٧٦.

ع

- عاشور، نعمان

رفاعة الطهطاوي أو بشير التقدم. الهيئة المصرية العامة للكتاب. القاهرة ١٩٧٤.

- العاني، زكي ذاكر

شعر ربيعة الرقي. وزارة الثقافة. دمشق ١٩٨٠.

- العائدي، د. أحمد منيف

الدروس التأسيسية. مطبعة الترقي. دمشق ١٣٣٤هـ.

- عباس، أحمد علي (وعباس حسن)

المحفوظات المختارة. أربعة أجزاء. ط٢. المطبعة الحديثة. القاهرة ١٩٣١.

- أبو عباه، إبراهيم

شدو الطفولة. دار العبيكان. الرياض ١٩٨٧.

- ابن عبد البر، أبو عمر يوسف

جامع بيان العلم وفضله. ط ٣. الجزء الأول. دار الجوزي. السعودية ١٩٩٧.

- عبد الجواد، محمد

دروس التهذيب لمدارس روضة الأطفال. المطبعة السلفية. القاهرة ١٩٢٣.

- ابن عبد ربه

العقد الفريد. سبعة أجزاء. أحمد أمين وزميلاه. منشورات دار الكتاب العربي. بيروت ١٩٨٢.

- **عبد الفتاح، إسماعيل**

أدب الأطفال في العالم المعاصر. مكتبة الدار العربية للكتاب. القاهرة ٢٠٠٠.

- **عبد القادر، حامد**

القصص الحيواني وكتاب كليلة ودمنة. مطبعة لجنة البيان العربي. القاهرة ١٩٥٠.

- **عبد الكريم، د. أحمد**

تاريخ التعليم في عصر محمد علي. مكتبة النهضة المصرية. القاهرة ١٩٣٨.

- **عبد الله، د. محمد حسن**

ديوان الشعر الكويتي. وكالة المطبوعات. الكويت. بلا.

- **عبد اللطيف، محمود السيد**

فرائد الإنشاء. المطبعة الحديثة. القاهرة ١٩٣٠.

- **عبدالله، حسن**

البناء. دار الحدائق. بيروت ٢٠٠٢.

صياد السمك. دارالحدائق. بيروت ٢٠٠٢.

- **عبد المجيد، عبد العزيز**

مجموعة المطالعة المصورة. جزآن. البابي الحلبي. القاهرة ١٩٣٨.

- **عبد الملك، جرجس**

سلم القراءة الحديث. خمسة أجزاء. بيروت.بلا.

قاعدة السلم. المطبعة العباسيه. بيروت ١٣٣٨ه.

- **عبد الواحد، عبد الرزاق**

قصائد للأطفال. رئاسة تحرير مجلتي والمزمار. بغداد ١٩٧٥.

النهر والبستان. رئاسة تحرير مجلتي والمزمار. بغداد ١٩٧٤.

- **عبد الوهاب، حسني**

المنتخبات التونسية للناشئة المدرسية. المطبعة التونسية. تونس ١٣٣٦هـ.

- **عبود، مارون**

مؤلفات مارون عبود. المجلد الثاني. دار مارون عبود. بيروت ١٩٨٦.

- **العبيد، عبد الرحمن**

الأدب الخليج العربي. مطبعة الإنشاء. دمشق ١٩٥٧.

- **ابن العديم**

الدراري في الذراري. مطبعة الجوائب. قسطنطينة ١٢٩٨هـ.

- **العرب، إبراهيم**

آداب العرب. نظارة المعارف العمومية. المطبعة الأميرية. القاهرة ١٩١١.

- **ابن عربشاه، أحمد بن محمد**

فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء. دير الآباء الدومنكيين. الموصل ١٨٦٩.

- **عرفة، محمد ياسين**

ديوان الثورة. المطبعة العربية. القاهرة ١٩٢٦.

- **العريض، إبراهيم**

شموع. دار العلم للملايين. مطابع الكشاف. بيروت ١٩٥٦.

العرائس. دار العلم للملايين. مطابع الكشاف. بيروت ١٩٤٦.

ملحمة أرض الشهداء. دار العلم للملايين. مطابع الكشاف. بيروت ١٩٥٦.

- **عزوز، مصطفى**

براعم الأدب. دار بو سلامة للطباعة. ط ٢. تونس ١٩٨٥.

العصافير. الشركةالتونسية للتوزيع. تونس ١٩٨٥.

- **عزيز، د. سامي**

صحافة الأطفال. عالم الكتب. القاهرة ١٩٧٠.

- **العطار، أنور**

ظلال الأيام. مطبعة البرهاني. دمشق ١٩٤٨.

- **عفيفي، محمد الصادق (وزميله)**

الأدب المغربي. دار الكتاب اللبناني. بيروت ١٩٦٠.

- **العقاد، عباس**

ديوان العقاد. دار العودة. بيروت ١٩٨٨.

- **عقل، وديع**

ديوان وديع عقل ١٩٤٠. بلا.

- **العقيلي، مجدي**

الأناشيد القومية الحديثة. بلا.

منتخبات أناشيد العروبة. مطبعة الشباب. حلب ١٩٥٠.
موسيقى وأغاريد الطفولة. مطبعة الاتحاد. الإسماعيلية ١٩٥٢.

- **عكاري، خضر**

أناشيد للطفولة. وزارة الثقافة. دمشق ١٩٨٧.

- **عكرمة، مصطفى**

أجمل ما غنى الأطفال. دار الفكر. دمشق ١٩٨٧.
أحباب الله. الشرق الأوسط. جدة ١٩٩٣.
أنا وأبي. اتحاد الكتاب العرب. دمشق ١٩٩٦.

- **علوش، جمال عبد الجبار**

لمن يغني النهر ؟. وزارة الثقافة. دمشق ١٩٨٦.
وطني العربي. اتحاد الكتاب العرب. دمشق ١٩٩١.

- **علي، محمد محمد**

الشعر السوداني في المعارك السياسية. مطبعة النهضة الجديدة. القاهرة ١٩٦٩.

- **علي، د. سعيد إسماعيل**

تاريخ التربية والتعليم في مصر. عالم الكتب. القاهرة ١٩٨٥.
الفكر التربوي العربي الحديث. سلسلة عالم الفكر. مطابع الرسالة. الكويت ١٩٨٧.

- **عمر، محمود أفندي**

رسالة أدب الناشئ للمدارس الابتدائية. ط ٢. المطبعة الشرقية. القاهرة ١٣٠١هـ.

- **أبو عمشة، عادل**

قضايا المرأة في الشعر العربي الحديث. دار الجليل – عمار. عمان – بيروت ١٩٨٧.

- **العناني، حنان**

أدب الأطفال. ط ٢ دار الفكر. عمان ١٩٩٢.

- **عنجوري، سليم**

بدائع ماروت. مطبعة القديس جلورجيوس. بيروت ١٨٨٦.
الجوهر الفرد. المطبعة الشرقية. بيروت ١٩٠٤.
سحر هاروت. المطبعة الحفنية. دمشق ١٨٨٥.

- **العوامري، أحمد (وآخرون)**

المطالعة المختارة. جزآن. المطبعة الأميرية. القاهرة ١٩٣٧.

المطالعة المختارة للمدارس الابتدائية. أربعة أجزاء. مكتبة الهلال. المطبعة الأميريــة. القاهرة ١٩٣٧.

- **عوض، أحمدعبد التواب**

الترقيص والغناء للأطفال عند العرب. دار الفضيلة. القاهرة ١٩٩٦.

- **عياش، عبد القادر**

معجم المؤلفين السوريين. دار الفكر. دمشق ١٩٨٥.

- **عيسى، د. أحمد**

الغناء للأطفال عند العرب. المطبعة الأميرية. القاهرة ١٩٣٦.

- **عيسى، بهاء الدين (وزميلاه)**

القراءة والاستظهار. للثاني. المطبعة الجديدة. دمشق ١٩٥٩.

- **العيسى، سليمان**

الأناشيد. الجزء الأول (بالاشتراك مع كامل القدسي) وزارة التربية. دمشق ١٩٨١.

ديوان الأطفال. دار الفكر. دمشق ١٩٩٩.

غنوا يا أطفال. عشرة أجزاء. دار الآداب. بيروت ١٩٧٨.

غ

- **غرايبة، د. عبد الكريم**

سورية في القرن التاسع عشر. دار الجيل للطباعة ومعهد الدراسات العربية العالية القاهرة ١٩٦٢.

- **غرموس، عبد المعطي (وزميله)**

أدب الأطفال. دار الكندي. إربد ٢٠٠٠.

- **غريب، روز**

نسمات وأعاصير في الشعر النسائي. المؤسسة العربية للدراسات. ط١. بيروت ١٩٨٠.

- **الغلاييني، مصطفى**

ديوان مصطفى الغلاييني، حيفا. ١٩٢٥.

- **غنيم، محمود**

الأعمال الكاملة. ثلاثة أجزاء. دار الغد العربي. القاهرة ١٩٩٣.

ف

- **الفاخوري، حنا**

تاريخ الأدب العربي في المغرب. ط١. منشورات المكتبة البوليسية. بيروت ١٩٨٢.

- **الفاسي، علال**

ديوان علال الفاسي. ط ٢. ثلاثة أجزاء. جمع وتحقيق: عبد العلي البودغيري. منشورات مؤسسة علال الفاسي. الدار البيضاء ١٩٩٨.

- **أبي الفداء، سيف الإسلام**

أناشيد البراعم. دار ابن حزم. بيروت ١٩٩٢.

- **الفرا، نهاد (وزميلاه)**

النشيد والموسيقى. للمرحلة الإعدادية. وزارة التربية. دمشق ١٩٧٤.

- **الفرج، خالد**

ديوان خالد الفرج. تحقيق: خالد الزيد. ط ١. مطابع القبس التجارية. الكويت ١٩٨٩.

- **فرحات، إلياس**

أحلام الراعي. مطبعة مجلة الشرق. سان باولو ١٩٥٢.
ديوان فرحات. مطبعة مجلة الشرق. سان باولو ١٩٣٢.

- **الفرزدق**

ديوان الفرزدق. جزآن. دار صادر. بيروت ١٩٦٦.

- **فريج، عبد الله**

أريج الأزهار. المطبعة العباسية. القاهرة ١٨٩٥.
نظم الجمان في أمثال لقمان. مطبعة المحروسة. القاهرة ١٨٩٤.

- **فكري، عبد الله**

الأثار الفكرية. المطبعة الكبرى الأميرية. ط١. القاهرة ١٨٩٧.
نظم اللآل. شرح: عبد المعين الملوحي. دار الأوزاعي. بيروت ١٩٨٤.

- **فكري، علي**

آداب الفتاة. ط ٧. مطبعة هندية. القاهرة ١٩١٧.
تربية البنات. البابي الحلبي. القاهرة ١٩٣٣.

تربية البنين. دار الكتب العلمية. بيروت ١٩٨٦.
السمير المهذب. ط ٧. دار الكتب العلمية. بيروت ١٩٧٩.
مسامرات البنات. الجزء الأول. مطبعة المعارف. القاهرة ١٩١٨.

- **فياض، إلياس**

ديوان فياض. المطبعة الأميركانية. بيروت ١٩١٨.

- **الفيصل، سمر روحي**

أدب الأطفال وثقافتهم. اتحاد الكتاب العرب. دمشق ١٩٩٨.
ثقافة الطفل العربي. اتحاد الكتاب العرب. دمشق ١٩٨٧.

ق

- **القاضي، عبد المجيد**

أدب الطفل اليمني من أين ؟ وإلى أين ؟. اتحاد الكتاب العرب. دمشق ١٩٩٤.

- **القالي، أبو علي**

الأمالي. منشورات دار الحكمة. أربعة أجزاء. بيروت. بلا.

- **القاياتي، حسن**

ديوان حسن القاياتي. مطبعة كردستان العلمية. القاهرة ١٩١٠.

- **القباج، محمد بن العباس**

الأدب العربي في المغرب الأقصى. جزآن. ط ١. المطبعة الوطنية. الرباط ١٩٢٩.

- **القباني، عبد العليم**

قصائد من حديقة الحيوانات. الهيئة المصرية العامة للكتاب. القاهرة ١٩٨٤.

- **القباني، جمانة**

أحب لغتي. جزآن. منشورات مكتبة الصفاء. أبو ظبي. بلا.

- **قبش، أحمد**

تاريخ الشعر العربي الحديث. مؤسسة النوري. دمشق ١٩٧١.

- **القدسي، إلياس**

نوادر وفكاهات من أحاديث الحيوانات. دمشق ١٩١٣.

- القدسي، كامل (وزميلاه)

التربية الموسيقية. وزارة التربية. المطبعة الجديدة. دمشق ١٩٦٦.

النشيد والموسيقى (مع هشام الشمعة) للرابع والخامس والسادس. وزارة التربية. دمشق ١٩٦٥.

القراءة والمحفوظات. وزارة التربية. المطبعة الهاشمية. دمشق ١٩٦٥.

- قرانيا، محمد

ألعابنا الحلوة. وزارة الثقافة. دمشق ١٩٩٦.

شعر الأطفال في سورية. اتحاد الكتاب العرب. دمشق ١٩٩٦.

القمر يحب الأطفال. وزارة الثقافة. دمشق ١٩٨٦.

المجد للأطفال. حلب ١٩٨٠.

نهر الحب. وزارة الثقافة. دمشق ١٩٩٤.

- القرشي، حسن عبد الله

ديوان حسن عبد الله القرشي. دار العودة. ٣ أجزاء. بيروت ١٩٨٣.

- قره بيتيان، كلادس

أحلى الأشعار وأغاني الأطفال. دار العلم للملايين. بيروت ١٩٩٥.

قصائد ملونة. مجموعة شعراء. دار ثقافة الأطفال. بغداد. بلا.

قصائد مغناة. دائرة ثقافة الأطفال. بغداد. بلا.

- القطامي، د. سمير

الحركة الأدبية في شرقي الأردن. منشورات وزارة الثقافة والشباب. عمان ١٩٨١.

- قطب، سيد

الجديد في اللغة العربية (بالاشتراك) دار المعارف. جزآن القاهرة ١٩٤٩.

طفل من القرية. دار الشروق. القاهرة. بيروت ١٩٧٣.

ديوان سيد قطب. جمعه: عبد الباقي حسين. ط٢. دار الوفاء. المنصورة. بلا.

- القواس، أبو الخير وآخرون

الطرائف. ستة أجزاء. وزارة المعارف. مطبعة ابن زيدون. دمشق ١٩٣٥.

- قوطرش، خالد (وزميلاه)

القراءة والاستظهار. للسادس. المطبعة الهاشمية. دمشق ١٩٥٩.

- **قومي، اسحق**

أغنيات لبراعم النصر. دار المختار. دمشق ١٩٨٤.

- **قويدر، فارس**

وطن الأحرار. دار الوثبة. دمشق ١٩٧٩.

- **ابن قيم الجوزية**

تحفة المودود بأحكام المولود. ط ١. بعناية بسام الجابي. دار البشائر. بيروت ١٩٨٩.

ك

- **الكاشف، أحمد**

ديوان الكاشف. مطبعة الترقي. القاهرة ١٩١٤.

- **كتاب التهجي والمطالعة. ط ١٠.**

المطبعة الأميرية. القاهرة ١٩١٨. بلا.

- **كحالة، عمر رضا**

معجم المؤلفين. أربعة أجزاء. مطبعة الترقي. دمشق ١٩٦١.

- **كحل، سامر**

صداح. وزارة الثقافة. دمشق ١٩٩٩.

- **الكرمي، عبد الكريم (أبو سلمى)**

ديوان أبي سلمى. ط ١. دار العودة. بيروت ١٩٧٨.

- **كريلوف، إيفان**

حكايات من روسيا. ترجمة: أمين سلامة. دار المعارف. القاهرة ١٩٦٩.

- **كنز الناظم ومصباح الهايم.**

المطبعة الأدبية. بيروت ١٨٧٨.

- **كنعان، د. أحمد**

أدب الأطفال والقيم التربوية. ط ١. دمشق ١٩٩٥.

الطفولة في الشعر العربي والعالمي. ط ١. دار الفكر. دمشق ١٩٩٥.

القيم التربوية السائدة في شعر الأطفال. ط ١. دمشق ١٩٩٥.

- **كنعان، جرجس**

الآداب وتاريخها. ط ١.. المطبعة الأدبية. بيروت ١٩٣١.

- **كنيب، سيبستيان**

تنتشة الصغير. عربه: أفرام الديراني. مطبعة الأرز. جونية ١٨٩٩.

- **الكواكبي، عبد الرحمن**

طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد. ط ٢. دار القرآن الكريم. بيروت ١٩٧٣.

- **الكيلاني، كامل**

ديوان الكيلاني للأطفال. إعداد: عبد التواب يوسف. الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة ١٩٨٨.

- **الكيلاني، نجيب**

أدب الأطفال في ضوء الإسلام. ط ١. مؤسسة الرسالة. بيروت ١٩٨٦.

ل

- **لطفي، محمد منذر**

أغنيات الفصول الأربعة. اتحاد الكتاب العرب. دمشق ١٩٩٩.

القمر يغني للأطفال. اتحاد الكتاب العرب. دمشق ١٩٩١.

من رأى العمال. سلسلة كتاب أسامة.وزارة الثقافة. دمشق ١٩٨٢.

- **لوحيشي، ناصر**

رجاء. دار القلم. الجزائر ٢٠٠٠.

- **لوقا، اسكندر**

الحركة الأدبية في دمشق ١٨٠٠- ١٩١٨. دمشق ١٩٧٦. بلا.

م

- **ما ركيت، ج**

حكايات من لقمان. عربها: عبده حسن الزيات. مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر. القاهرة ١٩٤٨.

- **المالح، ياسر**

حديقتي. للثاني. وزارة التربية. دمشق ١٩٧٤.

حديقتي. للثالث. وزارة التربية. دمشق ١٩٧٤.

- **الماوردي، علي بن محمد**
  كتاب أدب الدنيا والدين. ط ١٠. المطبعة الأميرية. القاهرة ١٩١٨.
- **مبارك، عبد القادر**
  فرائد الأدبيات العربية. مطبعة الترقي. دمشق ١٩١٣.
- **ابن المبارك، محمد بن ميمون**
  منتهى الطلب في أشعار العرب. تحقيق د. محمد الطريفي. ثلاثة أجزاء. دار صادر. بيروت ١٩٩٧.
- **مبارك، علي**
  سيرة ذاتية بقلمه. مكتبة نهضة مصر. القاهرة ١٩٩٤.
- مجموعة أناشيد الدعوة الإسلامية. دار الفضيلة. دبي. بلا.
- المحاورة والتمثيل الغنائي. للصف الثاني. منشورات المؤسسة السورية العراقية. مطبعة الفنون. حلب ١٩٥٩.
- **محسن، د. حسن**
  الشعر القصصي. دار النهضة العربية. القاهرة ١٩٨٠.
- محفوظات. وزارة المعارف العمومية. المطبعة الأميرية. القاهرة ١٩١٨.
- **محمد، عواطف إبراهيم**
  أغاني أطفال دور الحضانة. الأنجلو المصرية. القاهرة ١٩٨٤.
- **المرتضى، علي بن الحسين**
  أمالي السيد المرتضى. جزآن. مطبعة عيسى البابي الحلبي ط١. القاهرة ١٩٥٤.
- **مردم، خليل**
  ديوان خليل مردم. مطبعة مجمع اللغة العربية. دمشق. بلا.
- **مردم، عدنان**
  نجوى. دار المعارف. القاهرة ١٩٥٦.
- **المرشدي، محمد أحمد (وزملاؤه)**
  القراءة والمحفوظات. وزارة التربية والتعليم. دار ومطابع الشعب. القاهرة ١٩٦٤.

- **مرقص، إدوار**

ديوان إدوار مرقص. المطبعة التجارية. اللاذقية ١٩٣٥.

كفيل الإنشاء. الجزء الأول. مطبعة الترقي. اللاذقية ١٩٣٣.

- **مريدن، د.عزيزة**

القصة الشعرية في العصر الحديث. ط ١. دار الفكر. دمشق ١٩٨٤.

- ابن مشرف، أحمد بن علي

ديوان الإمام أحمد بن علي مشرف. إدارة إحياء التراث الاسلامي. قطر ١٩٨٦.

- **المشرفي، محيي الدين (وآخرون)**

القراءة العربية. ط ٤. مطبعة فضالة. الرباط ١٩٦٠.

- **مشوح، وليد**

أناشيد المجد. اتحاد الكتاب العرب. دمشق ١٩٩٧.

- **مصطفى، إبراهيم (وآخرون)**

المطالعة العربية. ثلاثة أجزاء. المطبعة الأميرية. القاهرة ١٩٤٣.

المطالعة العربية للمدارس الابتدائية. أربعة أجزاء. المطبعة الاميرية. القاهرة ١٩٤٤.

- **مصطفى، حيدر**

من رأى أغاريد الطفولة. دار المنارة. عمان ١٩٩٩.

- **مصلح، أحمد**

أدب الاطفال في الأردن. ط ٢. وزارة الثقافة. عمان ١٩٩٩.

- المطالعة الأولية. خمسة أجزاء. المطبعة الأميرية. القاهرة ١٩٤٤.

- **مطران، خليل**

إلى الشباب. منشورات مارون عبود. بيروت ١٩٥١.

- **أبو معال، د.عبد الفتاح**

أدب الأطفال. ط ١. دار الشروق. عمان ١٩٨٤.

دراسات في أناشيد الأطفال. دار الشروق. عمان ١٩٨٦.

- **معتوق، هالة حميد**

قطار ليلى. دار الجليل. ط ١. دمشق ١٩٨٦.

- **معروف، نايف**

حديقة الأطفال. دار النفائس. بيروت ١٩٨٨.

روضة الشعر. دار النفائس. ط ١. بيروت ١٩٨٨.

- **مفلح، محمود**

غرديا شبل الإسلام. دار النشر. عمان ١٩٩١.

- **المقالح، د. عبد العزيز**

الشعر اليمني المعاصر. دار العودة. بيروت ١٩٧٧.

الوجه الضائع. دار المسيرة. ط ١. بيروت ١٩٨٥.

- **المقدسي، أنيس**

الاتجاهات الأدبية في العالم العربي الحديث. ط ٦. دار العلم للملايين. بيروت ١٩٧٧.

- **ابن المقفع، عبد الله**

الأدب الوجيز للولد الصغير. تعريب وتحقيق: محمد غفراني خراساني. ط ١. عالم الكتب. مطبعة مخيمر. القاهرة ١٣٤١هـ.

- **ملاط، شبلي**

ديوان شبلي ملاط. دار الطباعة والنشر اللبنانية. بيروت ١٩٥٢.

- **الملوحي، عبد المعين.**

مواقف إنسانية في الشعر العربي. ط ١. دار الحضارة الجديدة. بيروت ١٩٩٢.

- **المنتخبات العربية. نظارة المعارف العمومية. المطبعة الاميرية. القاهرة ١٩١٢.**
- **المهدوي، رفيق**

ديوان رفيق. جزآن. مطبعة الرسالة. القاهرة ١٩٥٩.

- **موسى، محجوب**

أغاني الأطفال. دار الصحابة للتراث. ط ١ طنطا. بلا.

ن

- **النابغة الذبياني**

ديوان النابغة الذبياني. صنعة ابن السكيت. تحقيق: د. شكري فيصل. دار الفكر. دمشق. بلا.

- ناجي، إبراهيم

الأعمال الشعرية الكاملة. تحقيق ودراسة: حسن توفيق. المجلس الأعلى للثقافة. مطابع لوتس بالفجالة. القاهرة ١٩٩٦.

- نادر، موفق

أغنيات بطعم الليمون. اتحاد الكتاب العرب. دمشق ٢٠٠٢.

عصفور الثلج. اتحاد الكتاب العرب. دمشق ١٩٩٨.

نائل يلتقي أباه. سلسلة كتاب أسامة. وزارة الثقافة. دمشق ١٩٨٤.

- ناصيف، إميل

أروع ما قيل في أغان وأشعار للأطفال. دار الجيل. بيروت ١٩٩٣.

- ناصيف، جرجس

أغاني البراعم. اتحاد الكتاب العرب. دمشق ١٩٩٦.

- الناعوري، عيسى

أناشيدي. منشورات الرائد العربي. مطابع أبي الفدا. حماه. بلا.

- نجيب. أحمد

فن الكتابة للأطفال. دار الكاتب العربي. القاهرة ١٩٦٨.

- نخلة، رفائيل اليسوعي

المختارات. جزآن. المطبعة الكاثوليكية. بيروت ١٩٣٠.

- النشاشيبي، إسعاف

أشعار عربية يستظهرها الطلبة الصغار. المكتبة السلفية. القاهرة١٣٤١هـ.

البستان. مطبعة المعارف. القاهرة ١٩٢٧.

- النشاشيبي، شريف

الأدب التهذيبي. المطبعة البوليسية. حريصا ١٩٦١.

القراءة الفريدة للمدارس الابتدائية. ط ١. مطبعة المعارف. القاهرة ١٩٣٢.

- نصار، د. حسين

الشعر الشعبي العربي. سلسلة المكتبة الثقافية. القاهرة ١٩٦٢.

- نصار، محمد فتحي

بني الاسلام على خمس. دار الصحابة. طنطا ١٩٩٢.

الطفل المسلم في بيته. دار الصحابة. طنطا ١٩٩٢.
في مدرستي. دار الصحابة. طنطا ١٩٩٢.
كيف الصلاة يا بني. دار الصحابة. طنطا ١٩٩٢.
لاتفعل هذا يا ولدي. دار الصحابة. طنطا ١٩٩٢.
نشيد الفتاة المسلمة. دار الصحابة. طنطا ١٩٩٢.
النفائس لتلامذة المدارس. بيروت ١٨٨٦. بلا.

- **النقيب، عبد الرحمن**

فلسفة التربية عند ابن سينا. دار الثقافة. القاهرة ١٩٨٤.

- **نوفل، عبد الوهاب**

من أجلها وأجلكم. جمعية عمال المطابع التعاونية. عمان. بلا.

هـ

- **هاشم، لبيبة**

كتاب في التربية. مطبعة المعارف. القاهرة ١٩١١.

- **ابن الهبارية، أبو يعلى علي بن أحمد**

كتاب الصادح والباغم. ط ١. مطبعة وداي النيل المحروسة. القاهرة ١٨٧٤.
كتاب نتائج الفطنة في نظم كليلة ودمنة. هذبه: نعمة الأسمر. المطبعة اللبنانية. بيروت ١٩٠٠.

- **الهجري، هارون بن زكريا**

التعليقات والنوادر. جزآن. دار الرشيد. بغداد ١٩٨١.

- **الهراوي، محمد**

سمير الأطفال للبنات. ثلاثة أجزاء. مطبعة دار الكتب المصرية. القاهرة ١٩٢٣.
سمير الأطفال للبنين. ثلاثة أجزاء. مطبعة دار الكتب المصرية. القاهرة ١٩٢٢.
السمير الصغير. ط ١. مطبعة دار الكتب المصرية. القاهرة ١٩٢٦.
الطفل الجديد. ط ٣. مطبعة دار الكتب المصرية. القاهرة ١٩٢٣.

- **الهرفي، محمد علي**

أدب الأطفال. مؤسسة المختار. القاهرة ٢٠٠١.

- همام، جرجس

مدارج القراءة. ستة أجزاء. مطبعة الأميركان. بيروت ١٩٠٠.

- أبو هنا. نقولا

أمثال لافونتين. مطبعة دير المخلص. صيدا ١٩٣٤.

- هواري، صالح

عصافير بلادي. وزارة الثقافة. دمشق ١٩٨١.

هنادي تغني. اتحاد الكتاب العرب. دمشق ١٩٧٨.

- الهيتي، د. هادي نعمان

أدب الأطفال فلسفته فنونه ووسائطه، وزارة الإعلام. بغداد ١٩٧٧.

ثقافة الأطفال. سلسلة عالم المعرفة. الكويت ١٩٨٨.

- هيكل، د. أحمد

الأدب القصصي والمسرحي في مصر. دار المعارف. القاهرة ١٩٦٨.

و

- وائلي، خير الدين

ديوان حكايات الأطفال. ط ١. دار البيان ١٩٨٦. بلا.

- وادي، د. طه

الشعراء المجهولون في القرن التاسع عشر. ط ١. دار الثقافة. الدوحة ١٩٨٦.

- الورع، ضياء الدين

حضارة وخاطرة. ١٩٩٥. بلا.

- أبو الوفا، محمود

أشواق. مطبعة مصر. القاهرة ١٩٤١.

أناشيد البراعم المؤمنة. مؤسسة الاقصى ١٩٧٣. بلا.

- الوكيل، العوضي

أصداء بعيدة. البابي الحلبي. ط١. القاهرة ١٩٤٥.

- ويردي، ميشيل الله

زهر الربى. دمشق ١٩٤٢. بلا.

ي

- **يازجي، ناصيف**

مجمع البحرين. دار صادر. بيروت ١٩٦٦.

- **ياسين، إبراهيم عباس**

أغنيات لعرس الطفولة. اتحاد الكتاب العرب. دمشق ١٩٩٩.

ماذا قال المطر للعصافير. سلسلة كتاب أسامة. وزارة الثقافة. دمشق ١٩٩٢.

- **ياسين، نبيل**

الوردة قالت للقمر. دائرة ثقافة الأطفال. بغداد. بلا.

- **يحيى، يحيى الحاج**

تغريد البلابل. دار البشير. عمان ١٩٩٣.

- **يحيى، عمر**

ديوان عمر يحيى. جزآن. وزارة الثقافة. دمشق ١٩٨٨.

- **اليسوعي، رفائيل نخلة**

المختار. جزآن. المطبعة الكاثوليكية. بيروت ١٩٣٠.

- **يموت، بشير**

شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام. ط ١. المطبعة الوطنية. بيروت ١٩٣٤.

- **يوسف، خالد**

تك تك تاك. دار ثقافة الأطفال. بغداد. بلا.

- **يوسف، عبد التواب**

تجربتي في الكتابة للأطفال. الهيئة المصرية العامة للكتاب. القاهرة ١٩٩٩.

الشعر للأطفال. الهيئة المصرية العامة للكتاب. القاهرة ١٩٨٩.

المختار من ديوان شوقي للأطفال. الهيئة المصرية العامة للكتاب. القاهرة ٢٠٠٠.

الهراوي رائد مسرح الطفل العربي. دار الكتاب المصري. القاهرة ١٩٨٧.

مجلات الأطفال

١- أحمد	(لبنان)
٢- أسامة	(سورية)
٣- توته توته	(لبنان)
٤- سمير	(مصر)
٥- الطليعي	(سورية)
٦- العربي الصغير	(الكويت)
٧- عرفان	(تونس)
٨- مجلتي	(العراق)
٩- المزمار	(العراق)

فهرس

الصفحة

الباب الثالث

الباب الرابع:

الباب الخامس:

الصفحة

الباب السادس:

الباب السابع:

الباب الثامن:

الطبعة الأولى /٨ ٢٠٠
عدد الطبع ١٠٠٠ نسخة

هذا الكتاب

دراسة شاملة لشعر الأطفال في أدبنا العربي عبر عصوره المختلفة، منذ الجاهلية حتى يومنا هذا، مع تعريف بأهم شعرائه في جميع الأقطار العربية، وإيراد نماذج من أشعارهم، ودراستها دراسة نقدية عميقة واعية، ثم استخلاص مقومات قصيدة الطفل وما يجب أن تكون عليه.

وهذا الكتاب حاجة ماسة:

لأطفالنا: لأنه يقدم لهم عبر شواهده الشعرية، غذاء هاماً روحياً وفكرياً يخصبون به.

لمن يعلمون أطفالنا: لأنه يساعدهم على اختيار أفضل النماذج الشعرية للأطفال الذين يقومون بتعليمهم.

للذين يكتبون قصيدة الطفل: لأنه يستعرض لهم بشكل مفصّل، وعبر دراسة نقدية تطبيقية عميقة، المقومات الصحيحة لقصيدة الطفل. وفي تقديري أن هذا الكتاب واحد من أهم المراجع في شعر الأطفال، إن لم يكن أهمها جميعاً، للأسباب التالية:

١ - لشموليته التاريخية والجغرافية.

٢ - لوعي المؤلف المرهف بقصيدة الطفل شكلاً ومضامين.

٣ - لغزارة ما أورده المؤلف من النماذج الشعرية، وتطبيقاته النقدية السديدة عليها.

فإذا أضفت إلى كل ذلك فقر مكتبتنا العربية المدقع إلى دراسات عميقة متخصصة في هذا المجال الحيوي من حياة أطفالنا يصبح هذا الكتاب كنزاً من كنوز مكتبتنا العربية.

عبد الرزاق عبد الواحد





سعر النسخة داخل القطر ٣٨٥ ل.س في الأقطار العربية مايعادل ٧٧٠ ل.س

٢٠٠٨